



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِكَ يَا
مُؤْتَمِرُ فَاسْتَفِيزْ وَكَالْمَلِكِ وَالْقَمَرِ
وَمَا الذُّخْرُ إِلَّا الْيَمِينُ بَيْنَ الْمَلَأِ الْهُيْبِ

كَأَنَّكَ
أَنْتَ يَا مُؤْتَمِرُ أَبَدُ اللَّهِ
السَّيِّئُ بِحَيْثُ السَّيِّئُ بِحَيْثُ

« ا »

بِسْمِكَ يَا مُؤْتَمِرُ فَاسْتَفِيزْ وَكَالْمَلِكِ وَالْقَمَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسائل و مقالات: تبحت فى مواضع فقهيہ، اصوليہ، كلاميہ، تراجم، و مكاتبات و حورات مع بعض الاعلام

كاتب:

آيت الله العظمى جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسه الامام الصادق (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائميہ باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٥	رسائل و مقالات: تبحث فى مواضع فقهيه، اصوليه، كلاميه، تراجم، و مكاتبات و حورات مع بعض الاعلام المجلد ١
٢٥	اشاره
٢٥	اشاره
٢٧	المقدمه
٣١	الرسائل
٣١	الرساله الاولى: الشيعه الإماميه الاثنا عشرية
٣١	اشاره
٣٢	تمهيد: الشيعه لغه و اصطلاحاً و تاريخاً
٣٢	اشاره
٣٣	تسميه التشيع:
٣٦	رؤاد التشيع فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم:
٣٩	الفصل الأول: الشيعه و التوحيد
٣٩	اشاره
٤٣	تقسيم صفاته إلى ذاتى و فعلى:
٤٣	فى تكلمه سبحانه:
٤٦	تقسيم صفاته إلى ثبوتيه و سلبيه:
٤٨	نتيجه البحث:
٥٠	الفصل الثانى: الشيعه و العدل
٥٠	اشاره
٥١	١- لا جبر و لا تفويض:
٥٢	٢- التكليف بما لا يُطاق أمر غير جائز:
٥٢	٣- أفعاله سبحانه معلله بالأغراض:
٥٣	٤- القضاء و القدر لا يسلبان الاختيار:

٥٥	٥- تعذيب البريء مخالف لعدله:
٥٥	٦- وجوب المعرفة:
٥٥	٧- لزوم تكليف العباد:
٥٦	٨- لزوم بعث الأنبياء:
٥٦	٩- قاعده اللطف:
٥٦	١٠- لزوم النظر في برهان مدعى النبوه:
٥٧	خاتمه المطاف:
٥٧	اشاره
٥٧	البداء عند الشيعة:
٥٩	التقيه عند الشيعة:
٦١	الفصل الثالث: الشيعة و النبوه العامه و الخاصه
٦١	اشاره
٦١	تمييز النبي عن المتنبى
٦١	اشاره
٦١	١- التحدى بالإعجاز:
٦٢	٢- تنصيب النبي السابق على نبوه النبي اللاحق:
٦٣	٣- جمع القرائن و الشواهد:
٦٣	الوحي:
٦٤	سمات الأنبياء:
٦٥	النبوه الخاصه:
٦٦	سمات دعوته:
٦٦	أولاً: عالميه رسالته:
٦٦	ثانياً: خاتميته رسالته:
٦٧	صيانته القرآن من التحريف:
٦٨	خرجنا بالنتيجه التاليه:
٦٩	الفصل الرابع: الشيعة و المعاد:

٦٩ اشاره

٧٣ إلى هنا خرجنا بالنتيجة التاليه:

٧٤ الفصل الخامس: الشيعة و الإمامه و الخلافه.

٧٤ اشاره

٧٦ هل المصلحه كانت تكمن فى تعيين الوصى أو تركه إلى انتخاب الأمة؟

٧٧ السنّه النبويه و التنصيص على إمامه على: ..

٧٧ اشاره

٧٨ أ- حديث بدء الدعوه: ..

٧٩ ب- حديث المنزله: ..

٧٩ ج- حديث الغدير: ..

٨٤ دلالة الحديث على الولاية الكبرى: ..

٩٢ الفصل السادس: الشيعة و المنهج الفقهي

٩٢ اشاره

٩٢ مصادر الفقه الشيعي: ..

٩٤ فتح باب الاجتهاد: ..

٩٤ فقهاء الشيعة: ..

٩٥ أركان الفقه و أسسه: ..

١٠٠ الملامح العامه للفقه الشيعي: ..

١٠١ و حصيله القول ..

١٠٣ الفصل السابع: الشيعة و التراث الفكرى

١٠٣ اشاره

١٠٣ مساهمه الشيعة فى بناء الحضاره

١٠٣ اشاره

١٠٣ ١- الشيعة و علم النحو: ..

١٠٤ ٢- الشيعة و علم الصرف: ..

١٠٤ ٣- الشيعة و علم اللغة: ..

- ٤- الشيعة و علم العروض: ١٠٤
- ٥- الشيعة و الشعر: ١٠٥
- ٦- الشيعة و علم التفسير: ١٠٥
- ٧- الشيعة و التفسير الموضوعي: ١٠٧
- ٨- الشيعة و التفسير الترتيبي: ١٠٧
- ٩- الشيعة و علم الحديث: ١٠٨
- ١٠- الشيعة و علم أصول الفقه: ١١٠
- ١١- الشيعة و علم المغازى و السير: ١١١
- ١٢- الشيعة و علم الرجال: ١١٢
- ١٣- الشيعة و العلوم العقلية: ١١٣
- جامعات الشيعة: ١١٦
- اشاره ١١٦
- ١- المدينة المنوره: ١١٦
- ٢- الكوفه و جامعها الكبير: ١١٧
- ٣- مدرسه قم و الرى: ١١٨
- ٤- مدرسه بغداد: ١١٨
- ٥- جامعه النجف الأشرف: ١١٩
- ٦- مدرسه الحله: ١١٩
- ٧- الجامع الأزهر: ١٢٠
- دول الشيعة: ١٢٠
- خاتمه المطاف: قاربوا الخطى أيها المسلمون ١٢٢
- الرساله الثانيه: الشيعة الإماميه فى دائره المعارف المصريه «السفير» ١٢٥
- اشاره ١٢٥
- نص المقال فى دائره المعارف المصريه «السفير»: اثنا عشرية ١٢٦
- اشاره ١٢٦
١. الإمامه و الخلافه: ١٣١

- ١٣٤المعاد و الرجعه:
- ١٣٥سب بعض الصحابه و أزواج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم:
- ١٣٦الظعن فى القرآن الكريم و دعوى التحريف:
- ١٣٧التَّحْيِيَّة:
- ١٣٩البداء:
- ١٤٠زواج المتعه:
- ١٤١ابدع يوم عاشوراء:
- ١٤١الخُمس:
- ١٤٤تحليل المقال و نقده
- ١٤٤اشاره
- ١٤٥مناقشتنا:
- ١٤٦مناقشتنا:
- ١٤٦مناقشتنا:
- ١٤٧مناقشتنا:
- ١٤٨مناقشتنا:
- ١٤٩مناقشتنا:
- ١٤٩مناقشتنا:
- ١٥٠مناقشتنا:
- ١٥٠مناقشتنا:
- ١٥١مناقشتنا:
- ١٥١مناقشتنا:
- ١٥٢مناقشتنا:
- ١٥٣مناقشتنا:
- ١٥٤مناقشتنا:
- ١٥٥مناقشتنا:
- ١٥٩مناقشتنا:

- ١٦٠ ----- مناقشتنا:
- ١٦٤ ----- مناقشتنا:
- ١٦٦ ----- مناقشتنا:
- ١٦٧ ----- مناقشتنا:
- ١٦٧ ----- مناقشتنا:
- ١٦٧ ----- مناقشتنا:
- ١٦٩ ----- مناقشتنا:
- ١٧١ ----- مناقشتنا:
- ١٧٤ ----- مناقشتنا:
- ١٧٦ ----- مناقشتنا:
- ١٧٦ ----- مناقشتنا:
- ١٧٧ ----- مناقشتنا:
- ١٧٨ ----- مناقشتنا:
- ١٨٥ ----- مناقشتنا:
- ١٨٦ ----- مناقشتنا:
- ١٨٩ ----- مناقشتنا:
- ١٩٠ ----- مناقشتنا:
- ١٩٣ ----- مناقشتنا:
- ١٩٥ ----- مناقشتنا:
- ١٩٧ ----- مناقشتنا:
- ٢٠٠ ----- مناقشتنا:

٢٠٣ ----- الرسالة الثالثة:الدفاع عن الحقيقه

٢٠٣ ----- اشاره

٢٠٤ ----- السؤال:

٢٠٤ ----- الجواب:

٢٠٧ ----- وحده الأُمة أُمْنِيه النبي صلى الله عليه و آله و سلم الكبرى:

- ٢٠٩ ما هو ميزان التوحيد و الشرك ؟
- ٢١٠ هل دعاء الصالحين عباده لهم و شرك؟
- ٢١٤ العلم بالغيب على نوعين:
- ٢١٦ الشيعة و صيانه القرآن عن التحريف:
- ٢٢١ الصحابه من منظار القرآن و الحديث:
- ٢٢٣ الصحابه فى الذّكر الحكيم:
- ٢٢٣ اشاره
- ٢٢٣ ١- السابقون الأولون:
- ٢٢٣ ٢- المبايعون تحت الشجرة:
- ٢٢٤ ٣- المهاجرون:
- ٢٢٤ ٤- أصحاب الفتح:
- ٢٢٤ ٥- الأصناف الأخرى للصحابه:
- ٢٢٤ اشاره
- ٢٢٥ أ- المنافقون المعروفون:
- ٢٢٥ ب- المنافقون المخفون:
- ٢٢٦ ج- مرضى القلوب:
- ٢٢٧ د- السّاعون:
- ٢٢٧ ه- خالطوا العمل الصالح بالسيّئ:
- ٢٢٧ و- المشرفون على الارتداد:
- ٢٢٨ ز- الفاسق:
- ٢٢٩ ح- المسلمون غير المؤمنين:
- ٢٢٩ ط- المؤلّفه قلوبهم:
- ٢٣٠ ي- المولّون أمام الكفّار:
- ٢٣٢ الصحابه فى السنّه النبويه:
- ٢٣٤ المطلوب مؤتمر للحوار العلمى الدينى:
- ٢٣٥ الرساله الرابعه:المسلمون و تكفير أهل القبله

- ٢٣٥ اشارة
- ٢٣٨ ١
- ٢٣٨ اشارة
- ٢٣٩ للحبّ مظاهر وراء الاتباع:
- ٢٤٣ السنّه النبويه و كرامه يوم مولده صلى الله عليه و آله و سلم:
- ٢٤٤ إجماع المسلمين على تكريم مولده صلى الله عليه و آله و سلم:
- ٢٤٧ ٢
- ٢٤٧ اشارة
- ٢٥٠ السنّه النبويه و تكفير المسلم:
- ٢٥٢ ما هو المقوم للإسلام:
- ٢٥٣ الصنف الأول،و هو ما اقتصر على إظهار الشهادتين:
- ٢٥٤ و أما الصنف الثانى فتأتى ببعض نصوصه:
- ٢٥٧ الرساله الخامسه:موقف الشيعة الإماميه من حديث الإفك
- ٢٦١ الرساله السادسه:مبدأ حى و تعاليم قيمه
- ٢٦١ اشارة
- ٢٦٣ ١
- ٢٦٣ اشارة
- ٢٦٥ الجامعات العلميه للشيعة
- ٢٦٧ نشوء مذهب الشيعة
- ٢٦٨ مكانه القرآن الكريم عند الشيعة
- ٢٦٨ الشيعة و سائر الفرق الإسلاميه
- ٢٧٢ ٢
- ٢٧٢ اشارة
- ٢٧٢ الأصل الأول:التوحيد
- ٢٧٢ اشارة
- ٢٧٣ الأصل الثانى:النبوه و بعثه الرسل

٢٧٤	الأصل الثالث:المعاد
٢٧٤	مميزات الشيعة
٢٧٥	المصادر الدينية للشيعة
٢٧٨	٣
٢٨١	الرسالة السابعة:الشيعة و علم الكلام عبر القرون السبعة
٢٨١	اشاره
٢٨٦	الفصل الأول::المنهج الصحيح فى تفسير المعارف القرآنيه
٢٨٦	اشاره
٢٩٠	المعارف القرآنيه بين التعطيل و التشبيه
٢٩٣	القول الحاسم فى المقام
٢٩٧	شبهات عقيمه
٣٠٠	زله لا تستقال
٣٠٢	الفصل الثانى:علم الكلام و عوامل نشأته
٣٠٢	اشاره
٣٠٢	١.القرآن هو المنطلق الأول لنشوء علم الكلام:
٣٠٣	٢.السنه هى المنطلق الثانى:
٣٠٤	٣.خطب الإمام على عليه السلام هى المنطلق الثالث:
٣٠٥	٤.اعترة الطاهره و دورهم فى نشوء هذا العلم:
٣٠٥	اشاره
٣٠٥	مناظره الإمام الصادق عليه السلام مع أحد القديره:
٣٠٦	احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع أبى قزه:
٣٠٨	الاحتكاك الثقافى و اللقاء الحضارى:
٣١٢	الفصل الثالث:بدايات المسائل الكلاميه فى القرنين الأولين
٣١٢	اشاره
٣١٤	١.مسأله التحكيم:
٣١٤	٢.حكم مرتكب الكبيره:

- ٣١٥٣.تحديد مفهوم الإيمان:
- ٣١٦٤.الإرجاء و المرجئه:
- ٣١٦٥.مسأله القضاء و القدر:
- ٣١٦ اشاره
- ٣١٧ استغلال الأميين للقدر:
- ٣١٩٦.مسأله التشبيه و التنزيه:
- ٣٢٠٨.عصمه الأنبياء:
- ٣٢١٩.حدوث القرآن و قدمه:
- ٣٢٣ الفصل الرابع:متكلمو الشيعة عبر القرون
- ٣٢٣ اشاره
- ٣٢٥ رساله الحسن البصرى إلى السبط الأكبر:
- ٣٢٦ مكافحه السبطين للتشبيه:
- ٣٢٧ سؤال نافع بن الأزرق عن الإله الذى يُعبد:
- ٣٢٨ دور الإمام السجاد فى الدفاع عن العقيدة:
- ٣٢٨ اشاره
- ٣٢٩١.سلمان الفارسى:
- ٣٣٠٢.أبو ذر الغفارى جندب بن جناده:
- ٣٣٠٣.عبد الله بن عباس:
- ٣٣٠٤.حجر بن عدى الكندى:
- ٣٣١٥.كُميل بن زياد النخعى:
- ٣٣٢٦.الأصبغ بن نباته:
- ٣٣٢٧.زيد بن صوحان العبدى:
- ٣٣٣٨.صعصعه بن صوحان:
- ٣٣٤٩.سعيد بن جبير:
- ٣٣٤١٠.قنبر مولى أمير المؤمنين:
- ٣٣٥١١.ميثم التمار:

- ١٢.مالك بن الحارث الأشر النخعي:-----٣٣٥
- متكلمو الشيعة فى القرن الثانى:-----٣٣٧
- ١.زراره بن أعين بن سنسن:-----٣٣٧
- ٢.محمد بن على بن النعمان بن أبى طريفه البجلي:-----٣٣٧
- ٣.هشام بن الحكم:-----٣٣٨
- ٤.قيس بن الماصر:-----٣٤٠
- ٥.عيسى بن روضه حاجب المنصور:-----٣٤٠
- ٦.الضخاك،أبو مالك الحضرمي:-----٣٤٠
- ٧.على بن الحسن بن محمد الطائى:-----٣٤١
- ٨.الحسن بن على بن يقطين بن موسى:-----٣٤١
- ٩.حديدي بن حكيم:-----٣٤٢
- ١٠.فضال بن الحسن بن فضال:-----٣٤٢
- متكلمو الشيعة فى القرن الثالث:-----٣٤٢
- ١.الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيشابورى:-----٣٤٢
- ٢.حكيم بن هشام بن الحكم:-----٣٤٣
- ٣.داود بن أسد بن أعفر:-----٣٤٤
- ٤.محمد بن عبد الله بن مملك الاصبهاني:-----٣٤٤
- ٥.ثبيت بن محمد،أبو محمد العسكري:-----٣٤٤
- ٦.إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومى:-----٣٤٥
- ٧.محمد بن هارون:-----٣٤٥
- ٨.إبراهيم بن سليمان بن أبى داحه المزنى،مولى آل طلحه بن عبيد الله:-----٣٤٦
- ٩.الشَّكَّال:-----٣٤٦
- ١٠.الحسين بن اشكيب:-----٣٤٦
- ١١.عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه،أبو محمد العسكري:٧-----٣٤٧
- ١٢.على بن منصور:-----٣٤٧
- ١٣.على بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التتار:-----٣٤٨

- متكلمو الشيعة فى القرن الرابع: ٣٤٨
١. الحسن بن على بن أبى عقيل: ٣٤٨
٢. إسماعيل بن على بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت: ٣٤٩
٣. الحسين بن على بن الحسين بن موسى بن بابويه: ٣٤٩
٤. محمد بن بشر الحمدونى «أبو الحسن السوسنجردى»: ٣٥٠
٥. يحيى أبو محمد العلوى من بنى زياره: ٣٥٠
٦. محمد بن القاسم، أبو بكر: ٣٥١
٧. محمد بن عبد الملك بن محمد التتبان: ٣٥١
٨. محمد بن عبد الرحمن بن قبه الرازى أبو جعفر: ٣٥١
٩. على بن وصيف، أبو الحسن الناشئ (٢٧١-٣٦٥ هـ): ٣٥٢
١٠. الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختى: ٣٥٣
- متكلمو الشيعة فى القرن الخامس: ٣٥٥
- اشاره ٣٥٥
١. الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) ٣٥٥
٢. على بن الحسين الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) ٣٥٨
٣. أبو الصلاح التقى بن الحلبي (٣٧٤-٤٤٧ هـ) ٣٥٩
- متكلمو الشيعة فى القرن السادس ٣٥٩
- اشاره ٣٥٩
١. محمد بن أحمد بن على القتال النيسابورى (المتوفى ٥١٣ هـ) ٣٦٠
٢. قطب الدين المقرئ النيسابورى ٣٦٠
٣. الفضل بن الحسن الطبرسى ٣٦٠
٤. الحسين بن على بن محمد بن أحمد (المتوفى ٥٥٢ هـ) ٣٦١
٥. قطب الدين سعيد بن هبه الله الراوندى (المتوفى ٥٧٣ هـ) ٣٦١
٦. سعيد الدين الشيخ محمود الحمصى (المتوفى فى أواخر القرن السادس) ٣٦١
٧. أبو منصور أحمد بن على بن أبى طالب الطبرسى ٣٦١
٨. السيد حمزه بن على بن زهره الحلبي (٥١١-٥٨٥ هـ) ٣٦١

- ٣٦١ ٩. محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (المتوفى ٥٥٨٨هـ).
- ٣٦٢ متكلمو الشيعة في القرن السابع:
- ٣٦٢ اشاره -
- ٣٦٢ ١. سيد الدين بن عزيزه الحلبي (المتوفى حوالي ٥٣٠هـ).
- ٣٦٢ ٢. الشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني (المتوفى حوالي ٥٦٥٦هـ).
- ٣٦٣ ٣. نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (٥٩٧-٥٦٧٢هـ).
- ٣٦٣ ٤. كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني.
- ٣٦٣ ٥. الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الأسدي (٦٤٨-٧٢٦هـ).
- ٣٦٦ الثروة العلمية الكلامية للعلامة الحلبي.
- ٣٦٦ اشاره -
- ٣٦٦ ١. الأبحاث المفيدة في تحصيل العقيدة.
- ٣٦٦ ٢. استقصاء النظر في البحث عن القضاء والقدر.
- ٣٦٧ ٣. الألفين الفارق بين الصدق والمين.
- ٣٦٧ ٤. أنوار الملكوت في شرح الياقوت.
- ٣٦٨ ٥. الباب الحادي عشر.
- ٣٦٨ ٦. تسليك النفس إلى حظيره القدس.
- ٣٦٩ ٧. الرسالة السعدية.
- ٣٦٩ ٨. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد.
- ٣٧٠ ٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد.
- ٣٧٢ ١٠. معارج الفهم في شرح النظم.
- ٣٧٢ ١١. مقصد الواصلين في أصول الدين.
- ٣٧٢ ١٢. منهج الكرامه في معرفه الإمامه.
- ٣٧٣ ١٣. مناهج اليقين.
- ٣٧٣ ١٤. نظم البراهين في أصول الدين.
- ٣٧٣ ١٥. نهج الحق و كشف الصدق.
- ٣٧٤ ١٦. نهج المسترشدين في أصول الدين.

- ٣٧٥واجب الاعتقاد على جميع العباد
- ٣٧٦نهائه المرام في علم الكلام
- ٣٨٠مشكله الارجاعات
- ٣٨١مواصفات هذا الكتاب
- ٣٨٤الفصل الخامس:المنازله المستمزه بين الشيعه و المعتزله
- ٣٨٤اشاره
- ٣٨٨الجدل المستمر بين الشيعه و المعتزله
- ٣٨٨مناظرات الشيعه مع المعتزله:
- ٣٩٠الردود و النقوض المتبادله
- ٣٩٣الفصل السادس:الفوارق الفكرية بين الشيعه و المعتزله
- ٣٩٣اشاره
- ٣٩٣١.عينيه الصفات مع الذات
- ٣٩٥٢.إحباط الأعمال الصالحه بالطالحه
- ٣٩٦٣.خلود مرتكب الكبيره في النار
- ٣٩٧٤.لزوم العمل بالوعيد و عدمه
- ٣٩٨١٥.الشفاعه حطّ الذنوب أو ترفيع الدرجه
- ٣٩٩٦.مرتكب الكبيره لا مؤمن و لا كافر
- ٤٠٠١٧.النسخ جائز،و البداء ممتنع أو لا ؟
- ٤٠٢٨.الواسطه بين الوجود و العدم
- ٤٠٢٩.التفويض في الأفعال
- ٤٠٤١٠.قبول التوبه واجب على الله أو تفضّل منه؟
- ٤٠٥١١.عصمه الأنبياء قبل البعثه و بعدها
- ٤٠٦١٢.وجوب الأمر بالمعروف عقلاً و عدمه
- ٤٠٦١٣.آباء رسول الله كلّهم موحدون
- ٤٠٦١٤.تفضيل الأنبياء على الملائكه
- ٤٠٧١٥.الرجعه:إمكانها و وقوعها

- ٤٠٧ ١٦. الجته و النار مخلوقتان أو لا ؟
- ٤٠٨ ١٧. تأويل النصوص اعتماداً على القواعد العقلية
- ٤٠٨ ١٨. الإمامه بالتنصيص أو بالشورى
- ٤٠٨ ١٩. هل يشترط في الإمام كونه معصوماً ؟
- ٤٠٩ ٢٠. حكم محارب الإمام على أمير المؤمنين
- ٤١٠ الآن حصص الحق
- ٤١٢ الرسالة الثامنة:دراسة إيمان أبي طالب في ضوء الكتاب و السنه
- ٤٢١ الرسالة التاسعه:جواب رساله حول الشيعة أصولها و عقائدها
- ٤٢١ اشاره
- ٤٢٢ أختي في الله:ابتسام سالم زين العظيات
- ٤٢٢ اشاره
- ٤٢٣ أ.حديث الدار
- ٤٢٤ ب.حديث الغدير
- ٤٢٥ حديث الغدير من الأحاديث المتواتره
- ٤٢٥ اشاره
- ٤٢٥ ١.كتبتم:«لدى بعض المعلومات و النصوص التي قرأتها من خلال كتب الشيعة».
- ٤٢٦ ٢.كتبتم:«أن تكون الاجابه لكم صريحه بدون اللجوء إلى مبدأ التقيه».
- ٤٢٦ ٣.ذكرتم و قرأتهم في إحدى الكتب:«إن الإمام آيه الله الخميني رحمه الله كفر صاحبي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هذا واضح في
- ٤٢٧ ٤.قلت:«تعتقد الشيعة الإماميه ان حكام أهل السنه و قضاتهم طواغيت...».
- ٤٢٧ ٥.ذكرتم:«تكفير الشيعة للسنه...».
- ٤٢٨ ٦.كتبتم:«حول سب صحابه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على منابر المساجد...».
- ٤٢٨ ٧.كتبتم:«إن الشيعة تعتقد بتحريف القرآن المجيد».
- ٤٣٠ ٨.ذكرتم:«إن لكم اهتماماً بالشعر...».
- ٤٣١ الرسالة العاشره:جواب رساله حول الشيعة أصولها و عقائدها
- ٤٣١ اشاره
- ٤٣١ أختي في الله ابتسام سالم زين العظيات

المقالات ٤٤٦

المقاله الأولى:التقريب ضروره دينيه و خطوه مباركه ٤٤٦

اشاره ٤٤٦

١.ما هو المراد من التقريب؟ ٤٤٨

٢.التعريف الصحيح على المذاهب ٤٥٠

٣.الرجوع إلى أحاديث أئمة أهل البيت ٤٥١

المقاله الثانيه:الوحده الإسلاميه فى الكتاب و السنّه - ٤٥٦

اشاره ٤٥٦

السبل العمليه للتقريب ٤٦٤

اشاره ٤٦٤

١.البداء ٤٦٥

٢.عصمه الأئمه ٤٦٧

٣.الرجعه ٤٦٧

٤.تحريف الكتاب ٤٦٧

٥.رؤيه الله سبحانه ٤٦٨

٦.الصفات الخبريه ٤٦٩

٧.المتع ٤٦٩

٨.غسل الرجلين و مسحها ٤٧٠

٩.السجود على التربه ٤٧٠

١٠.الطلاق فى المحيض ٤٧١

١١.الطلاق ثلاثاً فى مجلس واحد ٤٧٢

١٢.الإشهاد على الطلاق و الرجعه ٤٧٢

ختامه مسك ٤٧٣

المقاله الثالثه:عناصر الوحده الإسلاميه و موانعها ٤٧٤

اشاره ٤٧٤

١.التوحيد و مراتبه ٤٧٦

٢. النبوه العامه و الخاصه ٤٧٧
٣. الإيمان بالمعاد ٤٧٨
- اشاره ٤٧٨
- وحده الشريعه ٤٧٩
- وحده القياده ٤٨٠
- وحده الهدف ٤٨٠
- تكفير أهل القبله ٤٨١
- موانع الوحده ٤٨٢
- اشاره ٤٨٢
١. المذاهب الكلاميه و الفقيهيه ٤٨٣
٢. الاختلافات القوميه ٤٨٥
٣. الجهل بمعتقدات الطوائف: ٤٨٥
٤. الجهل بالمصطلحات ٤٨٧
- المقاله الرابعه: الحج عمل عبادى، و ملتقى سياسى ٤٨٩
- المقاله الخامسه: بين الحقائق و الأوهام ٤٩٥
- اشاره ٤٩٥
- ما عشت أراك الدهر عجياً ٤٩٧
- المقاله السادسه: دراسه علم الكلام حاجه ملحه ٥٠٠
- اشاره ٥٠٠
- القرآن هو المنطلق لتنميه الفكر الإنسانى ٥٠٤
- أتمه أهل البيت رؤاد الفكر ٥٠٤
- تدوين علم الكلام حاجه ملحه ٥٠٦
- دعاه التفكير فى المعارف ٥٠٨
- المعطله خصوم العقل ٥٠٩
- علم الكلام فى القرن الخامس ٥١٢
- علم الكلام فى القرن السادس ٥١٤

المقاله السابعه:واقع التشريع الإسلامى معالمه و ملامحه	٥١٦
اشاره	٥١٦
١.الفطره هى المقياس	٥١٧
٢.التشريع حسب المصالح	٥١٨
٣.النظر إلى ماده و الروح على حد سواء	٥١٨
٤.النظر إلى المعانى لا الظواهر	٥١٩
٥.المرونه فى التشريع	٥٢٠
٦.العداله فى التقنين	٥٢١
ملامح التشريع الإسلامى فى مقام الإثبات	٥٢٢
اشاره	٥٢٢
أ.شموليه التشريع	٥٢٢
ب.سعه آفاق دلالة القرآن و الحديث	٥٢٤
ج.التدرج فى التشريع	٥٢٩
المقاله الثامنه:مكانه المرأه فى القرآن	٥٣٦
اشاره	٥٣٦
الأول:النظر إلى طبيعتها و تكوينها و نفسيتها	٥٣٦
الثانى:النظر إلى حقوقها فى القرآن الكريم	٥٤٠
الثالث:الواجبات التى تقع على عاتقها	٥٤٢
المساواه أو العداله	٥٤٣
اشاره	٥٤٣
شبهات و حلول:	٥٤٥
١.الرجال قوامون على النساء	٥٤٥
٢.تعدّد الزوجات	٥٤٦
٣.الضرب عند النشوز	٥٤٨
المقاله التاسعه:زواج المتعه	٥٥٠
اشاره	٥٥٠

- ٥٥٠ العلامة سبحانه: «ما اختلفنا في النبي...اختلفنا فيما روى عنه» -
- ٥٥٢ ما هو زواج المتعه؟
- ٥٥٣ ما هو الأصل في مشروعيتها؟
- ٥٥٣ اشاره
- ٥٥٣ ١.الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:
- ٥٥٤ ٢.تعليق دفع الأجره على عقد الاستمتاع .
- ٥٥٥ ٣.تصريح جماعه من الصحابه على شأن نزولها .
- ٥٥٧ شبهات حول المتعه
- ٥٦١ المنكرون للتحريم
- ٥٦٦ المقاله العاشره:الاختلاف في الفروع لا في الأصول
- ٥٦٦ اشاره
- ٥٧٠ متى أصبح الصحيحان أصليين في الإسلام؟
- ٥٧١ المقاله الحاديه عشره:آيه التطهير و عصمه أهل البيت
- ٥٧١ اشاره
- ٥٧٤ استدلال الشيعة بهذه الآيه على عصمه آل الكساء مبنى على أمور .
- ٥٧٤ اشاره
- ٥٧٤ الأول:ما هو المراد من الإراده في الآيه؟
- ٥٧٦ الثاني:ما هو المراد من الرجس؟
- ٥٧٧ الثالث:ما هو المراد من «البيت»؟
- ٥٨١ الرابع:الضمائر
- ٥٨٢ السنّه النبويه تميط الستر عن وجه الحقيقه
- ٥٨٥ عود إلى بدء
- ٥٨٥ اشاره
- ٥٨٦ الف:مشكله السياق
- ٥٨٨ ب:تذكير الضمائر لأجل التعبير عن علو المقام
- ٥٨٩ ج:حديث الرسول جاء بصيغه الطلب

- ٥٩٠ د:الإرادة التكوينية تسلب الاختيار
- ٥٩١ آيه الولايه و زعامه الإمام على عليه السلام -
- ٥٩٤ عرض و تحليل
- ٥٩٨ مشكله السياق عند الكاتب
- ٦٠٣ المقاله الثانيه عشره:الأخوه الإسلاميه و دورها في بناء الحضاره
- ٦٠٣ اشاره
- ٦٠٤ نص المقال:
- ٦٠٨ الدعوه القوميه و مضاعفاتها
- ٦٠٩ الاستعمار و عناصر القوميه
- ٦١٠ موقف الإسلام حيال القوميه
- ٦١٢ المقاله الثالثه عشره:الطلاق المعلق لا كفاره فيه و لا فراق
- ٦١٢ اشاره
- ٦١٢ فضيله الأستاذ قيس تيسير ظبيان المدير العام لمجله «الشريعه»المحترم
- ٦١٣ الطلاق المعلق لا كفاره فيه و لا فراق
- ٦١٦ الاشهاد في الآيه راجع إلى الطلاق و الرجوع
- ٦١٧ الاشهاد في الآيه راجع إلى الطلاق خاصه
- ٦٢١ المقاله الرابعه عشره:من كربلاء إلى قانا
- ٦٣٠ المقاله الخامسه عشره:التقيه رخصه شرعيه
- ٦٣٠ اشاره
- ٦٣٣ أحكام التقيه
- ٦٣٦ «حضره الأستاذ حسن التل»رئيس تحرير صحيفه اللواء الأردنيه،الموقر
- ٦٣٩ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه : سبجانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور : رسائل و مقالات: تبحر فی مواضع فقهیه، اصولیه، کلامیه، تراجم، و مکاتبات و حورات مع بعض الاعلام / تالیف جعفر السبجانی.

مشخصات نشر : قم: موسسه الامام الصادق (ع)، ۱۴۱۴ق. = ۱۳ -

مشخصات ظاهری : ۱۰ ج.

یادداشت : عربی.

یادداشت : فهرست نویسی بر اساس جلد ششم: ۱۴۲۸ق. = ۱۳۸۶.

یادداشت : کتابنامه.

موضوع : اسلام -- بررسی و شناخت

شناسه افزوده : موسسه امام صادق (ع)

رده بندی کنگره : BP۱۱ / س ۵۲ ر ۵۱۳۰۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷

شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۵۳۰۷۶

ص : ۱

اشاره

رسائل و مقالات (ج ۱)

المقدمه

ص: ۳

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه وآله الطاهرين.

أما بعد:

هذه رسائل و مقالات كتبت في ظروف مختلفه لدواعي شتى، يجمعها هدف واحد، وهو الذب عن الإسلام و التعريف بالتشيع، و فيها بحوث فلسفيه و كلاميه و تاريخيه، صرفتُ في كتابتها وقتاً كثيراً، على أمل أن تكون مشعلاً منيراً في سبيل الوحدة الإسلاميه التي هي أمنيه كل مسلم واعٍ، و كل مؤمن ملتم بالأخطار المحدقه بالإسلام و المسلمين.

و الله من وراء القصد

قم المشرفه- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

جعفر السبحاني

ص: ٥

قد طلب الأستاذ رئيس تحرير مجله «آفاق الإسلام» التي تصدر في المملكة الأردنية الهاشمية، مني كتابة مقال مسهب أبين فيه أصول المذهب الجعفري و فروعها، فنزلت عند رغبته و بعثت بهذا المقال إليه، فنشره على صفحات مجلته، السنة الخامسة، العدد الأول، آذار ١٩٩٧، وقد نشر قبل هذا العدد ترجمه الأئمة الأربعة للمذاهب الفقهية، و بهذا المقال اكتملت الحلقات حول المذاهب الفقهية الإسلامية.

نعم يمتاز هذا المقال أنه صب اهتمامه على أصول الشيعة و فروعها مكان ترجمه الإمام الصادق عليه السلام.

فأتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ رئيس التحرير على مساهمته في إنجاز هذا العمل و نفض غبار التعصب من خلال نشر هذا المقال في الأوساط السنية.

شكر الله مساعي الجميع

المؤلف

ص: ٦

رساله موجزه تتناول تاريخ الشيعة الإماميه الاثني عشرية، نشأتهم، عقائدهم، و منهجهم الفقهي

الحمد لله رب العالمين و الصلاه و السلام على نبيه و آله

و على رواه سننه و حملة أحاديثه، و حفظه كلمه

صلاه دائمه ما دام الفرقدان و كثر الجديدان.

أما بعد:

فهذا مقال موجز عن الشيعة الإماميه يبين نشأتهم و عقائدهم و منهجهم الفقهي و التراث العلمى الذى تركوه، إلى غير ذلك مما يمت لهم بصله.

إن المذهب الشيعى الإمامى يقوم على دعامين:

١- الأصول التى يتبناها فى مجال العقيدة.

٢- الشريعة التى يقررها دستوراً لجوانب الحياه كافه.

و ليس المذهب الشيعى مذهباً فقهياً بحثاً كالمذاهب الأربعة، و إنما هو منهج متكامل يغذى الإنسان فكراً و عملاً، و على ضوء ذلك فلا محيص عن دراسه المذهب من جانين: أحدهما يتعلق بالأصول، و الآخر بالفروع.

و إليك الكلام فى الجانب الأول.

تمهيد: الشيعه لغه و اصطلاحاً و تاريخاً

اشاره

الشيعه لغه هم الجماعه المتعاونون على أمر واحد فى قضاياهم، يقال تشايح القوم: إذا تعاونوا، و ربّما يُطلق على مطلق التابع، قال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» ١.

و أما اصطلاحاً فتطلق على من يشايح علياً و الأئمه من بعده باعتبار أنّهم خلفاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، نصبهم لهذا المقام بأمر من الله سبحانه.

فالتشيع عباره عن استمرار قياده النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد وفاته، بمن نصبه للناس إماماً و قائداً للأئمه.

و أمّا تاريخاً فالشيعه هم ثلّه من المسلمين الأوائل الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و آزره و عاضدوه فى مواقف عصيبه، فلتّميا مضى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إلى الرفيق الأعلى انطوا تحت قياده على عليه السلام و أولاده باعتباره الممثل الشرعى للخلافه و المنصوص عليه من قبل النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

فليس التشيع ظاهره طارئه على الإسلام، ولا أن الشيعة وليده الأحداث التي رافقت وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

و ليس للتشيع تاريخ وراء تاريخ الإسلام، ولا للشيعة أصول سوى أنهم رهط من المسلمين الأوائل في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و من جاء بعدهم عبر القرون، كل ذلك يعلم من خلال التحليلات التي ستمرّ عليك.

تسميه التشيع:

إن الآثار المرويه على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكشف اللثام عن وجه الحقيقة و تعرب عن التفاف ثله من المهاجرين و الأنصار حول الإمام عليّ في حياه الرسول و كانوا معروفين بشيعة علي، و إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمّاهم الشيعة و وصفهم بأنهم الفائزون، و إليك بعض ما روى مقتصراً بالقليل من الكثير:

١- أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «و الذى نفسى بيده إن هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة، و نزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» ١ فكان أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البريه (١).

٢- أخرج ابن عدى عن ابن عباس قال: لَمَّا نزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام: هو أنت و شيعتك يوم القيامة راضين مرضيين (٢).

ص: ٩

١ - ٢). السيوطى: الدر المنثور: ٥٨٩/٢. و [١] لاحظ الصواعق: ١٦١؛ و [٢] النهاية لابن الأثير مادة «قمح»: ١٠٦/٤؛ ربيع الأبرار للزمخشري، فالروايات الواردة فى تسميه النبي من يتابع علياً شيعياً، تقارب عشرين روايه.
٢ - ٣). السيوطى: الدر المنثور: ٥٨٩/٢. و [٣] لاحظ الصواعق: ١٦١؛ و [٤] النهاية لابن الأثير مادة «قمح»: ١٠٦/٤؛ ربيع الأبرار للزمخشري، فالروايات الواردة فى تسميه النبي من يتابع علياً شيعياً، تقارب عشرين روايه.

و على ضوء هذه التسميه غلب لفظ الشيعة على من يشايح علياً في كلمات غير واحد من المؤرخين.

٣- قال المسعودى فى حوادث وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إنَّ الإمام علياً أقام و من معه من شيعته فى منزله بعد أن تَمَّت البيعه لأبى بكر (١).

٤- و قال النوبختى: إنَّ أوَّل فرق الشيعة هم فرقه على بن أبى طالب المسمون شيعة على فى زمان النبى و بعده معروفون بانقطاعهم إليه و القول بإمامته (٢).

٥- و قال الإمام أبو الحسن الأشعري: إنَّما قيل لهم الشيعة لأنهم شايحوا علياً و قدّموه على سائر أصحاب رسول الله (٣).

٦- يقول الشهرستانى: الشيعة هم الذين شايحوا علياً على الخصوص و قالوا بإمامته و خلافته نصاً و وصيه (٤).

٧- و قال ابن حزم: و من وافق الشيعة فى أنّ علياً أفضل الناس بعد رسول الله و أحقّهم بالإمامه و ولده من بعده فهو شيعى و إن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً (٥).

جاءت دعوته صلى الله عليه و آله و سلم إلى التشييع مترامنه مع دعوته للرسالة، فقد بذر التشييع حال حياته فى غير موقف من موافقه الحاسمه، و إليك نماذج منها:

١- حديث يوم الدار الذى جمع فيه أكابر بنى هاشم و عشيرته و عرض

ص: ١٠

١- ١). المسعودى: الوصيه: ١٢١.

٢- ٢). النوبختى: فرق الشيعة: ١٥. [١]

٣- ٣). الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١/٦٥. [٢]

٤- ٤). الشهرستانى: الملل و النحل: ١/١٣١. [٣]

٥- ٥). ابن حزم: الملل و النحل: ١١٣/٢، طبعه بغداد.

عليهم رسالته، وقال: إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأينكم يؤمن بي و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟ فلم يقم أحد إلّا على، فقال: إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا (١).

٢- حديث المنزله أعنى قوله: «أما ترضى (مخاطباً علياً) أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلّا أنه لا نبى بعدى» (٢).

٣- حديث الغدير الذى سيوافيك تفصيله.

إن هذه الأحاديث و غيرها الناصه على إمامه على عليه السلام و خلافته بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم توقفنا على أنه صلى الله عليه و آله و سلم هو الذى بذر بذره التشيع حال حياته و ألفت أنظار المهاجرين و الأنصار إلى قياده على عليه السلام للأمة بعد رحيله صلى الله عليه و آله و سلم، مضافاً إلى ما صدر على لسانه صلى الله عليه و آله و سلم من الفضائل و المناقب لعلى و عترته حيث صار سبباً لاستقطاب الناس حوله فى حال حياته صلى الله عليه و آله و سلم و بعد رحيله.

هذا، و قد تزامنت دعوته صلى الله عليه و آله و سلم للرساله، دعوته للإمامه دون أن يكون بينهما سبق و لحوق.

و هو ما عبرنا عنه أنّ التشيع ليس ظاهره طارئه، و لا الشيعة وليده الأحداث التى رافقت وفاته صلى الله عليه و آله و سلم، بل إنّ الإسلام و التشيع وجهان لعمله واحده.

و إليك أسماء مجموعه من روّاد الشيعة فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

روّاد التشيع فى عصر النبى صلى الله عليه و آله و سلم:

ص: ١١

١ - ١). الطبرى: التاريخ: ٦٢/٢، [١] الجزرى: الكامل: ٤٠/٢، و [٢] لاحظ التفاسير بشأن قوله سبحانه: «و أنذر عشيرتَك الأقرين» (الشعراء ٢١٤). [٣]

٢- ٢). مسلم: الصحيح: ج ٦، باب فضائل على ص ١٢٠ طبع محمد على صبيح.

رَوَادُ التَّشِيعِ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْبَاذِرُ الْأَوَّلُ لِلتَّشِيعِ فِي عَصْرِهِ، فَقَدِ التَّفَّ حَوْلَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَجْمُوعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ فِي عَصْرِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ بَعْدَ رَحِيلِهِ، وَ نَاصِرُوهُ فِي مَوَاقِفِ عَدِيدِهِ وَ عُرِفُوا بِشِيعَةِ عَلِيِّ، وَ لِأَجْلِ مُرَافِقِهِ الْمَدْعَى بِالذَّلِيلِ نَذَكَرْ هُنَا أَسْمَاءَ رَوَادِ التَّشِيعِ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ:

- ١- عبد الله بن عباس. ٢- الفضل بن العباس.
 - ٣- قثم بن العباس. ٤- عبد الرحمن بن العباس.
 - ٥- تمام بن العباس. ٦- عقيل بن أبي طالب.
 - ٧- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. ٨- نوفل بن الحرث.
 - ٩- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب. ١٠- عون بن جعفر.
 - ١١- محمد بن جعفر. ١٢- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب.
 - ١٣- الطفيل بن الحرث. ١٤- المغيرة بن نوفل بن الحارث.
 - ١٥- عبد الله بن الحرث بن نوفل. ١٦- عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث.
 - ١٧- العباس بن ربيعة بن الحرث. ١٨- العباس بن عتبة بن أبي لهب.
 - ١٩- عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث. ٢٠- جعفر بن أبي سفيان بن الحرث.
- هؤلاء من مشاهير بني هاشم، و أمّا غيرهم فإليك أسماء لفيف منهم:
- ٢١- سلمان المحدث. ٢٢- المقداد بن الأسود الكندي.
 - ٢٣- أبو ذر الغفاري. ٢٤- عمار بن ياسر.
 - ٢٥- حذيفة بن اليمان. ٢٦- خزيمة بن ثابت.
 - ٢٧- أبو أيوب الأنصاري (مضيق النبي صلى الله عليه وآله وسلم). ٢٨- أبو الهيثم مالك بن التيهان.

٢٩- أبي بن كعب. ٣٠- قيس بن سعد بن عباده.

٣١- عدى بن حاتم. ٣٢- عباده بن الصامت.

٣٣- بلال بن رباح الحبشى. ٣٤- أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٥- هاشم بن عتبة. ٣٦- عثمان بن حنيف.

٣٧- سهل بن حنيف. ٣٨- حكيم بن جبله العبدى.

٣٩- خالد بن سعيد بن العاص. ٤٠- بريده بن الحصيب الأسلمى.

٤١- هند بن أبى هاله التميمى. ٤٢- جعده بن هبيرة.

٤٣- حجر بن عدى الكندى. ٤٤- عمرو بن الحمق الخزاعى.

٤٥- جابر بن عبد الله الأنصارى. ٤٦- محمد بن الخليفة أبى بكر.

٤٧- أبان بن سعيد بن العاص. ٤٨- أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

٤٩- أم هانى بنت أبى طالب. ٥٠- أسماء بنت عميس.

هؤلاء خمسون صحابياً من رواد الشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم و تشيعهم فليرجع إلى الكتب المؤلفة فى الرجال.

قال محمد كرد على فى كتابه «خطط الشام»: عرف جماعه من كبار الصحابه بموالاه على فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل: سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين و الائتمام بعلى بن أبى طالب و الموالاه له، و مثل: أبى سعيد الخدرى الذى يقول:

أمر الناس بخمس فعملوا بأربع و تركوا واحده، و لما سئل عن الأربع، قال: الصلاه، و الزكاه، و صوم شهر رمضان، و الحج، فقيل: فما الواحده التى تركوها؟ قال: ولايه على بن أبى طالب، قيل له: و إنَّها لمفروضه معهن؟ قال: نعم هى مفروضه معهن، و مثل: أبى ذر الغفارى، و عمّار بن ياسر، و حذيفه بن اليمان، و ذى الشهادتين خزيمه بن ثابت، و أبى أيوب الأنصارى، و خالد بن سعيد،

و قيس بن سعد بن عبادہ (١).

و بذلك يستغنى القارئ عن الافتراضات الوهميه التي أبداهها لفيف من المستشرقين تبعاً لما ورد على لسان بعض الباحثين من أسطوره عبد الله بن سبأ التي حاكها سيف بن عمر الكذاب الوضاع (٢).

هذا هو معنى الشيعة لغه و اصطلاحاً و تاريخاً ذكرناه بصورة موجزه و التفصيل يطلب من الكتب المعده لهذا الغرض.

و أما دراسه عقائد الشيعة و منهجهم الفقهي فتتم ضمن فصول سبعة:

الأول: الشيعة و التوحيد.

الثاني: الشيعة و العدل.

الثالث: الشيعة و النبوه.

الرابع: الشيعة و المعاد.

الخامس: الشيعة و الإمامه و الخلافه.

السادس: الشيعة و المنهج الفقهي.

السابع: الشيعة و التراث الفكري.

ص: ١٤

١-١. خطط الشام: ٢٥١/٥. [١]

٢-٢. لاحظ ميزان الاعتدال: للذهبي: ٤٣٨/١، تهذيب التهذيب: لابن حجر: ٢٨٥/٤، اللتالي المصنوعه: ١٥٧/١ و ١٩٩.

إشاره

الشيعه تصف الله سبحانه كما وصف به نفسه و يقول: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ* وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» .

و تصفه بأنه سبحانه قديم لم يزل و لا يزال، عالم قادر، حيّ قيوم، سميع بصير، متعال عن جميع صفات خلقه، خارج عن الحدّين: حدّ التعطيل، و حدّ التشبيه، لا يجوز تعطيل ذاته عن صفاته كما لا يجوز تشبيه ذاته بمخلوقاته.

تعتقد الشيعه فى توحيد ما كتبه الإمام الرضا عليه السلام للمأمون العباسى، حيث سأله المأمون أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز و الاختصار.

فكتب عليه السلام له: «إنّ محض الإسلام شهاده أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً، صمداً، قيوماً، سميعاً بصيراً، قديراً قديماً قائماً، باقياً، عالماً لا- يجهل، قادراً لا يعجز، غنياً لا يحتاج، عدلاً لا يجور و أنّه خالق كلّ شىء، و ليس كمثلته شىء، لا شبه له، و لا ضدّ له، و لا ندّ له، و لا كفو له، و أنّه المقصود بالعباده و الدعاء، و الرغبه و الرهبه» (١).

و قد عرض عبد العظيم الحسنى عقيدته على الإمام الهادى على بن محمد النقى عليهما السلام فقال له: يا بن رسول الله، إننى أريد أن أعرض عليك دينى، فإن كان مرضياً ثبتّ عليه حتى ألقى الله عزّ و جلّ.

ص: ١٥

فقال عليه السلام: هاتها.

فقلت: إني أقول إن الله تبارك و تعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج عن الحدّين: حدّ الإبطال، و حدّ التشبيه، و أنّه ليس بجسم و لا- صورته و لا- عرض و لا- جوهر، بل هو مجسّم الأجسام و مصوّر الصور، و خالق الأعراض و الجواهر، و ربّ كل شيء و مالكة و جاعله و محدثه (١).

هذه عقيدته الشيعيه فى توحيدِه و تنزيهِه، و القارئ إذا رجع إلى الكتب الكلاميه و العقائديه التى ألّفَت بيد علماء الشيعة منذ أوائل القرن الثالث إلى العصر الحاضر يرى اتّفاقهم على ما ذكرنا، و قد اخترنا لك نصّين:

أحدهما: للرضا عليه السلام الإمام الثامن للشيعة الإماميه (١٤٨-٢٠٣ هـ).

و ثانيهما: للإمام الهادى الإمام العاشر (٢٣٢-٢٥٤ هـ) فقد أمضى ما ذكره عبد العظيم الحسنى عليه.

اخترنا هذين النصّين ليُعلم أنّ الشيعة أهل التنزيه منذ عهدٍ مبكّر، و مع ذلك كلّهم قد قسم علماء الشيعة التوحيد إلى مراتب و درجات نذكرها على وجه الإيجاز.

١- التوحيد الذاتى: واحد لا نظير له.

٢- التوحيد الذاتى أيضاً: بسيط ليس بمركب.

٣- التوحيد الأفعالى: إنّه لا خالق فى الكون إلّا هو.

٤- التوحيد التدبيرى: إنّه لا مدبّر للكون إلّا هو.

٥- التوحيد العبادى: لا معبود سواه.

ص: ١٤

(١- ١). الصدوق: التوحيد، باب التوحيد و التشبيه: ٨١ برقم ٣٧.

ثم إن هناك مراتب للتوحيد ذكرها علماء الشيعة في كتبهم الكلامية و استنبطوها من القرآن الكريم و أحاديث العتره الطاهره، و هي:

٦- التوحيد في التقنين و التشريع: إنّه لا مقنّن و لا مشرّع إلّا هو، و ليس لأحد حقّ التشريع.

٧- التوحيد في الطاعه: إنّه لا مطاع بالذات إلّا هو، و لو وجبت إطاعه النبي و الإمام فإنّما هي بأمره سبحانه.

٨- التوحيد في الحاكميه: لا حاكم إلّا هو، و أنّه ليس لأحد أن يحكم إلّا بإذنه سبحانه.

٩- التوحيد في الشفاعه: و المراد أنّ الشفاعه حقّ لله سبحانه، و لا يشفع لأحد إلّا بإذنه «و لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى» ١.

١٠- التوحيد في الاستعانه: و أنّه لا يستعان إلّا به، و لو استعان بغيره بزعم أنّه يقوم بالإعانه مستقلاً فهو مشرك، و لو استعان بغيره معتقداً بأنّه معين بحول و قوّه منه سبحانه فهو عين التوحيد.

١١- التوحيد في المغفره: و إنّّه لا يغفر الذنوب إلّا هو.

١٢- التوحيد في الرازيه: و إنّّه لا رازق إلّا هو.

هذه مراتب التوحيد الاثنا عشر التي يتفقون فيها مع إخوانهم أهل السنّه لا سيما الأشاعره.

نعم هناك مرتبه من التوحيد تختص بالشيعة الإماميه يختلفون فيها عن سائر الفرق و الطوائف الإسلاميه و هي:

التوحيد فى الصفات: و المراد به أنّ صفاته الثبوتيه كالعلم و القدره و الحياه عين ذاته لا زائده على الذات و إلّا يلزم تعدد القدماء الثمانيه- و هى مسأله كلاميه خاض فيها عباقره علم الكلام-خلافاً للأشاعره القائلين بزياده الصفات على الذات.

و هناك مصطلح كلامى و هو الصفات الخبريه و المقصود منها هى الصفات التى أخبر بها القرآن الكريم و أثبتها الوحى لله سبحانه كعين الله، و يد الله، و استوائه على العرش، و ما ماثلها، و المسلمون فيها على أقوال: فمن معطل يفوّض تفسير هذه الآيات و الصفات إلى الله تبارك و تعالى، إلى مجسّم يفسرها بالمعنى اللغويه من دون أن يجعلها ذريعه إلى المعانى المجازيه، إلى مؤول يؤولها إلى معانى تجتمع مع تنزيهه.

و الشيعه الإماميه تحملها على المعانى اللغويه و لكن تجعلها كناية عن المفاهيم العالیه، و لا ترى ذلك تأويلاً، فإنّ كلام العرب مشحون بالمجاز فاليد فى قوله سبحانه: «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ١ مستعمله فى نفس المعنى اللغوى لكن كناية عن سعه قدرته، و هو أمر رائج بين البلغاء و لا يعدّ تأويلاً.

ثم إنّ توحيده سبحانه بكونه الخالق و المدبّر لا يعنى سلب التأثير عن العوامل الطبيعیه و الجنود الغيبیه للربّ، فإنّ سلب التأثير الظلى و التبعى عن كل موجود سوى الله، يردّه الذكر الحكيم بقوله سبحانه: «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» ٢.

و على ضوء ذلك فالماء يروى العطشان، كما أنّ الخبز يشبع الجائع، و الماء ينبت النبت و الزرع، لكن بأثر مودع فيه من جانب خالقه، فالقول بتأثيره فى ظل

إرادته سبحانه و أمره عَيْن التوحيد الذى دعا إليه الذكر الحكيم.

و من أراد أن يفسّر التوحيد فى الخالقيه و التدبير، بسلب الأثر عن كل موجود سواه، فقد خالف القرآن و الوجدان الصريح و وقع فى متاهات الجبر الذى سيوافيك بطلانه فى الفصل الثانى.

تقسيم صفاته إلى ذاتى و فعلى:

إن صفاته سبحانه تنقسم إلى ذاتى قائم بذاته، و فعلى يعدّ وصفاً لفعله، و الميزان فى تمييز الصفات الذاتيه عن الفعلية هو أنّ القسم الأول لا يقبل السلب و الإيجاب، بخلاف الثانى و لذلك لا يصحّ أن يقال الله يعلم و لا يعلم، أو يقدر و لا يقدر، بخلاف الرزق فيصدق إنّه يرزق و لا يرزق و لذلك تعتقد الشيعة بأنّ من صفاته الفعلية كونه متكلماً فالتكلم صفه من صفاته الفعلية بالشرح التالى:

فى تكلمه سبحانه:

اتفقت الشيعة على أنّه سبحانه متكلم، و لكن التكلم عندهم من صفات الأفعال و يفسر كونه متكلماً بأمرين.

الأول: إنّ كل ما فى الكون كلام الله سبحانه، فكما أنّ الكلمه تعرب عمّا يقوم فى نفس المتكلم من المعانى فكذلك كل ما فى الكون يُعرب عن حكمته و علمه و قدرته الواسعه قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمِيْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ» ١.

قال على عليه السلام: يقول لمن أراد كونه: «كُن فيكون»، لا بصوت يقرع، و لا بنداءٍ

يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَ مِثْلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِنًا، وَ لَوْ كَانَ قَدِيمًا لَكَانَ إِلَهًا ثَانِيًا (١).

فكل ما في صحيفه الوجود من الموجودات الإمكانيه، كلماته و تنبر عما في خالقها من كمال و جمال، و علم و قدره.

الثاني: إنه سبحانه يخلق الحروف المنظومه و الأصوات المقطعه، يسمعها نبيه و رسوله أو يرسل رسولا فيبلغه آياته، أو يلقي في روع النبي، و إلى هذه الأقسام الثلاثة يشير سبحانه، بقوله: «وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ» ٢.

و قد بين تعالى أن تكلمه مع الأنبياء لا يعدو عن الأقسام التاليه:

١- «إِلَّا وَحِيًّا».

٢- «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ».

٣- «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا».

فقد أشار بقوله: «إِلَّا وَحِيًّا» إلى الكلام الملقى في روع الأنبياء بسرعه و خفاء.

كما أشار بقوله: «أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ» إلى الكلام المسموع لموسى عليه السلام في البقعه المباركه. قال تعالى: «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» ٣.

ص: ٢٠

و أشار بقوله: «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا» إلى الإلقاء الذى يتوسط فيه ملك الوحي، قال سبحانه: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ» ١ ففى الحقيقه الموحى فى الأقسام الثلاثه هو الله سبحانه، تاره بلا- واسطه، بالإلقاء فى الروح، وأخرى بالتكلم من وراء حجاب بحيث يُسمع الصوت و لا يُرى المتكلم و ذلك بخلق الأصوات و الحروف، و ثالثه بواسطه الرسول (أمين الوحي جبرائيل)، فهذه الأقسام الثلاثه الوارده فى الآيه المباركه.

إنّ موقف أئمّه أهل البيت فى مسأله خلق القرآن و قدمه هو الموقف الإيجابى و إنهم كانوا يرون القرآن حادثاً لا قديماً و إلّا يلزم أن يكون القرآن إلهاً ثانياً.

و أمّا أنّه مخلوق فلو أُريد أنّه مختلق فهو أمر باطل شبيه قول الوليد بن المغيرة الذى حكاه القرآن عنه: «إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ» ٢ .

و إن أُريد أنّه مخلوق لله، و هو منزّل و هو نفس المطلوب، و قد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن واقع القرآن فقال: هو كلام الله، و قول الله، و كتاب الله، و وحى الله و تنزيله، و هذا الكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (١).

و من هنا يعلم أنّ مسأله خلق القرآن كانت فتنه ابتلى بها المسلمون فى عصر المأمون و استغلتها النصارى لصالحهم، و أوجدت فجوه عميقه بين المسلمين و كان النزاع نزاعاً بلا ثمر.

ص: ٢١

إن المتكلمين قسّموا صفاته سبحانه إلى ثبوتيه و سلبيه و قد بسطوا القول فيها و من جملتها أنه سبحانه:

١- ليس بجسم.

٢- ليس في جهة.

٣- ليس في محل.

٤- ليس حالاً في شيء و لا متحداً مع غيره.

إلى غير ذلك من الصفات السلبية التي مرجعها إلى سلب النقائص عن ذاته سبحانه لأنه الكمال المطلق.

و أما رؤيته سبحانه فقد اتفق المسلمون على أنه سبحانه لا يرى في الدنيا و إنما اختلفوا في رؤيته في الآخرة.

رؤيته تعالى في الآخرة:

ذهبت الشيعة الإمامية تبعاً للذكر الحكيم و ما جاء في خطب الإمام أمير المؤمنين إلى امتناع رؤيته، قال سبحانه: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ١.

و قال الإمام عليّ عليه السلام في وصفه سبحانه: الأول الذي لم يكن له قبل، فيكون شيء قبله، و الآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده، و الرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تُدرّكه (١).

ص: ٢٢

١- ٢). نهج البلاغه: الخطبه ٨٧. و [١] الأناسي: جمع إنسان، و إنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقه ممتازاً عنها في لونها.

و في خطبه أخرى: الحمد لله الذي لا تُدرّكه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراه النواظر، ولا تحجبه السواتر (١).

و في كلامه لذعلب اليماني عند ما قال له: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: «أفأعبد ما لا أرى؟» فقال: و كيف تراه؟ فقال: «لا تدرّكه العيون بمشاهد العيان، لكن تدرّكه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء، غير ملابس، بعيد منها غير مُباين» (٢).

و أمّا ما يستدل به على جواز الرؤية في الآخرة فليس بتام، و قد استدلل القائلون بجوازها قديماً و حديثاً بقوله سبحانه: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ * تَطُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فاقِرَةٌ» ٣.

و الدقه في الآيات الأربع توقفنا على أنّ المراد بالنظر هو انتظار الرحمة و ذلك لوجهين:

١- إنّه سبحانه: يسند النظر إلى الوجوه لا العيون، فلو كان المراد من النظر هو الرؤية كان اللازم أن يقول مكان «الوجوه»: العيون.

٢- إنّ مقابله بعض الآيات ببعض يرفع الإبهام عن قوله: «إلى ربّها ناظرة» ويتعيّن كونه بمعنى انتظار الرحمة و ذلك بالشكل التالي:

أ- «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ» يقابلها قوله: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ» .

ب- «إلى ربّها ناظرة» يقابلها قوله: «تَطُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فاقِرَةٌ» .

لا شك أنّ الفقرتين الأوليتين واضحتان جداً، و إنّما الكلام في الفقرة الثالثة

ص: ٢٣

١- ١. نهج البلاغه: الخطبه ١٨٠. [١]

٢- ٢. نهج البلاغه: الخطبه ١٧٤. [٢]

فيجب رفع إبهامها عن طريق الفقره الرابعه التي تقابل الثالثه،بحكم أنّ الأشياء تعرف بأضدادها.

و بما أنّ المراد من الفقره الرابعه هو توقّع العذاب الكاسر للفقار،و القاصم للظهر يكون ذلك قرينه على أنّ المراد من الفقره الثالثه ضدّ ذلك و ليس هو إلّا انتظار فضله سبحانه و كرمه.

على أنّه نسأل من يدّعي إمكان الرؤيه لله سبحانه في الآخره،هل الرؤيه تتعلّق بكل ذاته أو ببعضه؟ فإنّ تعلّقت بالجميع يكون سبحانه محاطاً مع أنّه جلّ جلاله محيط.

و إن تعلّقت بالبعض فصار ذات أجزاء و أبعاض تعالي عن التركيب.

و أمّا ما ورد في الروايات حول الرؤيه فكلّها أخبار آحاد لا تثبت بها العقيدته خصوصاً إذا كانت مضادّه للذكر الحكيم و العقل السليم، على أنّ في سند البعض ضعفاً.

هذا إجمال القول في توحيدته و صفاته الذاتيه و الفعليه،و الإيجابيه و السلبيه.

نتيجه البحث:

و قد خرجنا من هذا البحث الضافي بالنتيجه التاليه:

إنّ المسلمين متّفقون جميعاً على توحيدته و تنزيهه و وصفه بالكمال،و إنّما تختلف الشيعه عن أهل السنّه في المسائل الكلاميه التاليه:

أ- إنّ صفاته الثبوتيه كالعلم و القدره عين ذاته وجوداً و تحقّقاً و إن كانت

غيره مفهوماً، و ذلك لثلاً- يلزم تعدّد القدماء خلافاً للأشاعره حيث قالوا بزياده الأوصاف على الذات، و لو أرادت الأشاعره المغايره و الزياده مفهوماً، لا تحقّقاً و خارجاً يصبح النزاع لفظياً، و لو أرادت المغايره خارجاً و عيناً يلزم تعدد القدماء، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

ب- إنّ التكلم من صفاته الفعلية كالرزق و المغفره و الرحمه خلافاً للأشاعره حيث فسّروه بالكلام النفسى القائم بذاته.

ج- إنّ سبحانه منزّه عن الرؤيه فى الدنيا و الآخره خلافاً لأهل السنّه حيث قالوا بجوازها فى الآخره.

ص: ٢٥

اشاره

اتفق المسلمون على أنه سبحانه عادل لا يجور، غير أنّ الشيعة اعتمدت في حكمها هذا على البرهان العقلي كما سيوافيك بيانه، و اعتمدت السنّه في وصفه بالعدل على السمع، حيث يصفه القرآن الكريم بكونه قائماً بالقسط، قال سبحانه: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ» ١.

و الاختلاف في مصدر عدله نابع عن الاختلاف في مسأله أخرى و هي مسأله التحسين و التقييح العقليين أو الشرعيين، فذهبت الشيعة الإماميه إلى أنّ العقل قادر على أن يدرك حسنَ الأفعال و قبحها، و يستقلّ بالبعث إلى الفعل الحسن، و الزجر عن الفعل القبيح، كالعدل و الظلم فكل إنسان إذا جرّد نفسه عن كل شيء يرى في صميم ذاته حسنَ الأول و قبحَ الثاني، و مثله مجازاه الإحسان بالإحسان أو بالسوء، و العمل بالميثاق و نقضه فيستقلّ بحسن الأوليين و قبح الأخيريين و لأجله قالوا بأنّ التحسين و التقييح عقليان لا شرعيان.

و لو حكم الشارع بحسن شيء أو قبحه فقد حكم العقل به قبله، لأنّه رسول باطني، و حكم الشرع مؤكّد لحكم العقل و ليس حكماً تأسيسياً.

هذا هو موقف الشيعة في مسأله التحسين و التقييح العقليين و على ذلك بنت أصولاً كلاميه لا- تقبل النقاش، و إليك تلك الأصول:

طرح مسألة الجبر و التفويض فى أواسط القرن الأوّل بين المسلمين فصاروا إلى أقوال و أوجدت فجوه سحيقه بين المسلمين و لم تنزل آثارها إلى يومنا هذا.

فمن قائل بالجبر و أنّه سبحانه هو الخالق لفعل الإنسان و الموجد له و ليس للإنسان أى دور فى أفعاله و أعماله، و إنّما هو ظرف لظهور إرادته سبحانه فى أعماله و أفعاله.

و إنّما ذهب القائل إلى هذا القول لأجل أنّه فسّر التوحيد بالخالقيه بالمعنى الباطل و زعم أنّ معناه سلب الأثر عن العلل و العوامل الطبيعیه، و عند ذاك يتجلّى الإنسان فى مجال الأفعال كالظرف ليس له دور و لا تأثير فى أفعاله و أعماله.

و لا شك أنّ تفسير التوحيد بالخالقيه بهذا المعنى باطل، لما عرفت من تصريح الذكر الحكيم بدور العلل الطبيعیه فى نمو الأزهار و الأشجار-مضافاً إلى أنّ القول بالجبر ينافى عدله سبحانه- فكيف يكون هو الخالق لعمل الإنسان و لا يكون له دور فيه، لكن هو المستول عن العمل؟!!

إنّ للقول بالجبر سبباً آخر و هو تفسير القضاء و القدر-الذى لا- غبار فى صحتهما- بالمعنى السالب للاختيار عن الإنسان، و سيوافيك أنّ القضاء و القدر حقّ و لكنّهما لا يسلبان الاختيار عن الإنسان.

فهذا و ذاك صارا سببين لنشوء القول بالجبر بين كثير من المسلمين حيث صيّرهم مكتوفى الأيدى أمام الحوادث و الطوارئ.

فكما أنّ الجبر يخالف عدله سبحانه فكذلك التفويض ينافى توحيده، لأنّ

معنى القول بالتفويض كون الإنسان مستقلاً في فعله و عمله عن الله سبحانه، و بذلك يصبح العمل إلهياً ثانياً لاستغنائه عن الله، مضافاً إلى أنه كيف يمكن الجمع بين فقر الإنسان في ذاته، و غناه في فعله عنه مع أنّ الفعل أثر الذات، و الفعل متوقف على ذات الفاعل و هو الواجب مفيض الوجود، فيكون الفعل -بالتالي- متوقفاً على الواجب؟

و الصحيح أنه لا- جبر و لا- تفويض بل أمر بين أمرين، و معناه أنّ الإنسان في فعله يعتمد على قدرته سبحانه و مواهبه فبذلك يكون للواجب دور في عمله، و بما أنه إنسان موجود مختار في أعمال القدره و السلطنه في أيّ جانب من جوانب حياته، يكون هو المسئول عن عمله لا غيره فالعمل نتاج المواهب الإلهيه و أعمال السلطنه من ناحيه العبد. و لتقريب ذلك المعنى أمثله كثيره مسطوره في الكتب الكلاميه.

٢- التكليف بما لا يُطاق أمر غير جائز:

إذا قلنا بأنه سبحانه عادل لا يجور فلا يصحّ على الحكيم تكليف العبد فوق قدرته، و قولنا إنه لا يصحّ لله سبحانه ذلك النوع من التكليف لا يعني تحكيم فكرتنا و إرادتنا على الله سبحانه بل معناه إنّنا نستكشف من التدبر في صفاته سبحانه و هو كونه حكيماً لا يعبث، و عادلاً لا يجور، إنه لا يكلف إنساناً إلّا بما في وسعه و قدرته، قال سبحانه: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» ١.

٣- أفعاله سبحانه معلّله بالأغراض:

اتفقت الشيعة- بما أنه سبحانه حكيم لا يعبث- على أنّ أفعاله معلّله بالأغراض، و معنى ذلك أنّ فعله لا ينفك عن الغرض، و ليس الغرض غرضاً

للفاعل و إنما هو غرض لنفس الفعل، و كم فرق بين كون الغرض عائداً إلى الفاعل، و بين كون الفعل غير خال عن الغرض، و مقتضى الحكمه هو الثانى، أى عدم خلو فعله عن الغرض، و مقتضى غناه و كماله المطلق عدم عود الغرض إلى الفاعل.

و أظن أنّ النزاع بين الشيعه و أهل السنّه لفظي، فإنّ أهل السنّه ينفون أن يكون له سبحانه غرض فى فعله يستكمل به ذاته و الشيعه أيضاً يوافقونهم على ذلك و يقولون بأنّه سبحانه هو فوق الكمال و من هو بهذه المكانه أسمى من أن يطلب غرضاً يستكمل به.

و لكنّ الشيعه تعتقد أنّ الغرض لا- ينحصر بالغرض العائد إلى الفاعل بل هناك قسم آخر يخرج به الفعل عن العبثيه و يضيف عليه وصف الحكمه و يكون غرضه سبحانه عائداً إلى المكلفين، و هذا ما يترأى من الذكر الحكيم فى موارد مختلفه و يقول: «سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» ١.

فإنّ خلق السماوات و الأرض لم يكن عبثاً، قال سبحانه: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» ٢.

و قال سبحانه: «وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِاعْبَيْنَ» ٣.

٤- القضاء و القدر لا يسلبان الاختيار:

إنّ القضاء و القدر من المفاهيم الإسلاميه الوارده فى الكتاب و السنّه، قال سبحانه: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ

أَنْ نَبْرَأَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» ١.

و في السنّة النبويه و أحاديث العتره الطاهره تصريحات بالقضاء و القدر، و هذا ممّا اتفق عليه المسلمون و إنّما الكلام في تفسيرهما.

إنّ اليهود ممّن غالت في التقدير حتى جعلته إلهاً ثانياً إلى حدّ ليس لله سبحانه تغيير قضائه و قدره، يقول سبحانه حاكياً عنهم:

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَ لُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...» ٢.

فمّن أراد تفسير القضاء و القدر على نحو يسلبان الاختيار عن الإنسان فقد وقع في متاهات الجبر فالإيمان بالقضاء و القدر يجب أن يكون بنحو لا- يسلب عن الإنسان اختياره قال سبحانه: «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» ٣ و قال سبحانه: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا» ٤.

إنّ تقديره و قضاءه سبحانه يختلف حسب اختلاف الفاعل، فلو كان الفاعل فاعلاً موجباً كالنار بالنسبه إلى الحراره، و سقوط الجبر على الأرض فقد قدر و قضى بصدور الفعل عن الفاعل عن جبر و اضطرار، و أمّا إذا كان الفاعل فاعلاً مختاراً و مسئولاً أمام الله فقد قدر و قضى على صدور فعله منه عن إرادته و اختيار.

فالتقدير و القضاء عند الشيعة يخالفان الجبر و يؤيدان الاختيار قال سبحانه: «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» (١).

ص: ٣٠

٥- تعذيب البريء مخالف لعدله:

اتفقت الشيعة على أنه لا يجوز سبحانه أن يعذب أطفال الكفار يوم القيامة، وذلك أن تعذيبهم بغير جرم اقترفوه مخالف لعدله و حكمته.

وقد أشرنا أن قولنا «لا يجوز» أو «يجوز» لا يعنى تحكيم إرادتنا و فكرتنا على الله سبحانه حتى يكون الواجب محكوماً بحكم البشر فإن ذلك باطل لا مريه فيه، و لكن المراد هو استكشاف حال الواجب من خلال أوصافه من كونه حكيماً عادلاً فنستكشف من هذين الوصفين أنه لا يعذب طفلاً بريئاً سواء أ كان طفلاً لمسلم أم لكافر.

٦- وجوب المعرفة:

اتفقت الشيعة على لزوم معرفه الله سبحانه لزوماً عقلياً بمعنى أن العقل يحكم بحسن المعرفة و قبح تركها، لما فى المعرفة من أداء شكر المنعم و هو حسن، و فى تركها احتمال الوقوع فى الضرر و هو قبيح.

نعم غير الشيعة لم تلتزم بلزوم معرفه الله إلّا سمعاً و نقلاً، و لكن لم يتبين لنا كنه مرادهم فإن المفروض أن الشريعة بعد لم تثبت فكيف يثبت وجوب المعرفة بحكم الشريعة؟

٧- لزوم تكليف العباد:

إذا كان فعله سبحانه منزهاً عن العبث يستقل العقل بالحكم بلزوم إيصال كل مكلف إلى الغايه التى خلق لها، و ذلك يتحقق فى مورد الانسان بالتكليف.

٨- لزوم بعث الأنبياء:

إذا كان الإنسان لم يُخلق سدى بل خلق لغايه، و الغايه ممّا لا يدركها البشر بعقله العادى، ففى ذمته سبحانه إرسال الرسل لهدايه الناس إلى الغايات المنشوده و إلّا يلزم أن يكون خلق الإنسان سدى و عبث.

٩- قاعده اللطف:

إنّ قاعده اللطف لها دور فى الكلام الشيعى و تترتب عليها قواعد و أحكام، و حاصلها أنّه إذا كان الغرض المترتب على التكليف لا يحصل إلّا بفعل يقرب العبد من الطاعه و يبعده عن المعصيه، كان على الله سبحانه القيام بذلك.

و بعباره أخرى كل ما هو دخيل فى تحقق الرغبه إلى الطاعه و الابتعاد عن التمرد و المعصيه فى نفوس الأكثرية الساحقه من البشر يجب على الله سبحانه القيام به صوناً للتكليف عن اللغو يقول سبحانه: «و بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» ١. و قال تعالى: «و ما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ» ٢.

فإنّ تعليل ابتلاء الناس بالسراء و الضراء لرجاء رجوعهم للطاعه دليل على أنّ كل ما يكون سبباً للجوء الناس للطاعه كان عليه سبحانه أن يقوم به لأنّه مقتضى حكمته. و العقل يستقلّ بحسن ذلك.

١٠- لزوم النظر فى برهان مدعى النبوه:

يجب النظر فى برهان المدعى إذا ادعى مسأله تمتّ إلى الدين بصله على وجه يعاقب الإنسان لو لم يعتقد بها أو اعتقد بالخلاف.

إنَّ للتحسين و التقييح العقليين دوراً عظيماً فى المسائل الكلاميه اقتصرنا على هذه النتائج القليله و من أراد التفصيل فعليه مراجعه الكتب الكلاميه المطوله (١).

خاتمه المطاف:

إشاره

و فى خاتمه هذا الفصل أود أن أطرح مسألتين لهما دوى فى الأوساط العلميه، و المسألتان هما عبارته عن القول بالبداء و التقيه، فقد وقعاً غرضاً للنبال و أخذ المخالف يعترض على الشيعه بالقول بهما غافلاً عن أنّ النزاع بين الطائفتين نزاع لفظى و لو وقف المخالف على الحقيقه، لتجاوب معها و إليك البيان:

البداء عند الشيعه:

البداء فى اللغه هو الظهور بعد الخفاء، قال سبحانه: «و بَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ* وَ بَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا كَسَبُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» ٢.

و البداء بهذا المعنى، لا يطلق على الله تعالى بتاتاً، لاستنزاهه حدوث علمه بعد جهله بالشىء، تعالى عما يقول الظالمون.

و هذا هو الذى ينسبه متكلمو السنّه إلى الشيعه، و هم براء من تلك النسبه و إنما أرادوا منه المعنى الثانى الآتى.

و هو أنّ تقديره سبحانه للحوادث على قسمين:

أ- تقدير قطعى و قضاء مبرم.

ب- تقدير معلق و قضاء غير منجز.

ص: ٣٣

فَأَمَّا الْقِسْمَ الْأَوَّلَ: فلا يتسرّب إليه البداء لافتراض كونه تقديرًا حتميًا وقضاءً مبرمًا، وإنما يتسرّب البداء إلى القسم الثاني وهو القضاء المعلق فهو يتغيّر إمّا بالأعمال الصالحة أو الطالحة قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» ١.

وقال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» ٢.

وقال تعالى: حاكياً عن شيخ الأنبياء نوح عليه السلام: «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَ يُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» ٣.

فالبداء بهذا المعنى ممّا اتفق عليه المسلمون قاطبه كما اتفقوا على عدم صحه البداء بالمعنى الأول، وأما استعمال البداء «بدا لله» فى هذا المقام مع أنه بداء لنا من الله فهو أشبه بالمجاز وقد استعمل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حديث الأقرع والأبرص والأعمى تلك اللفظه، وقال:

و بدا لله عزّ وجلّ أن يبتليهم (١). وعلى كلّ تقدير فليس النزاع فى اللفظ و التسميه بل مورده هو المسمى و المقصود.

و لو أنّ علماء السنّه وقفوا على ما هو المقصود من القول بالبداء لله لما اعترضوا على الشيعة الإماميه. و كم من مسائل خلافيه لو طرحت فى جوّ هادئ يسوده روح البحث العلمى بعيدٍ عن التعصب لزال حواجز الاختلاف و لتقاربت و جهات نظر الطائفتين.

ص: ٣٤

التقية من المفاهيم القرآنية التي وردت في أكثر من موضع في القرآن الكريم، والغاية منها هي صيانة النفس والعرض والمال، وذلك في البيئات التي صودرت فيها الحريات في القول والعمل، والرأى والعقيدة، فلا ينجو المخالف إلّا بالصمت والسكوت، مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطه و أفكارها.

إنّ التقيه سلاح الضعيف وكهف الخائف أمام القوى الغاشم، سلاح من يتلى بمن لا يحترم دمه وعرضه وماله، لا لشيء إلّا لأنه لا يتفق معه في بعض الأفكار والمبادئ.

و هذا شيء يستسيغه العقل كما ورد في الشرع، قال سبحانه: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ١.

وقال سبحانه: «لَا يَتَّبِعُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَزْوَاجًا مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» ٢.

ولا تختص بتقيه المسلم من المشرك والكافر بل تعمّ تقيه المسلم من المسلم الجائر أيضاً.

قال الرازي: إنّ مذهب الشافعي (رض): إنّ الحالة بين المسلمين إذا شاكلت حاله بين المسلمين والكافرين حلّت التقيه محاماه عن النفس، وقال: التقيه جائزه لصون النفس، وهل هي جائزه لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: حرمه مال المسلم كحرمه دمه، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من قتل دون ماله فهو شهيد (١).

ص: ٣٥

وقال جمال الدين القاسمي: زاد الحق غموضاً وخفاءً، أمران: خوف العارفين - مع قلتهم - من علماء السوء و سلاطين الجور و شياطين الخلق مع جواز التقيه عند ذلك بنص القرآن، و إجماع أهل الإسلام، و ما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق، و ما برح المحق عدواً لأكثر الخلق، و قد صحّ عن أبي هريره (رض) أنه قال في ذلك العصر الأول: حفظت من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وعاءين، أما أحدهما فبثته في الناس و أما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم (١).

و ليعلم أنّ التقيه إنّما تتصور في القضايا الشخصية أي تقيه شخص من شخص آخر في بيئته. و أما التقيه العامه بأن تصور العقائد أو الأحكام في الكتب الفقيهيه بشكل يوافق عقائد الموافق و فقهه فهذا ليس بصحيح.

فالشيعة لم تتق و لن تتق في محاضراتها و كتبها و منشوراتها قدر شعره، فمن يتهم الشيعة بالتقيه في كتمان عقائدها و تحرير فقهها، فقد خبط خبطه عشواء لما عرفت من أنّ التقيه ترجع إلى القضايا الشخصية. و أين هم من الباطنيه الذين يخفون كتبهم حتّى عن معتنقيهم، و الشيعة الإماميه لم تزل مجهره بعقائدها بشتى الطرق و أساليبها.

أضف إلى ذلك أنّ الشيعة قامت لهم دول مختلفه في فترات كثيره من التاريخ منذ ألف سنه فلما ذا تتقى في تحرير عقائدها و نشر أفكارها و بثّ فقهها؟!

ص: ٣٦

١ - ١). جمال الدين القاسمي: محاسن التأويل: ٨٢/٤. [١]

اشاره

النبوه عند الشيعه كسائر المسلمين: سفاره بين الله و بين ذوى العقول من عباده لهدايتهم إلى ما فيه السعاده فى معاشهم و معادهم.
و النبى هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفه الوارده فى الذكر الحكيم.

أعنى قوله سبحانه: «ما كان لبشرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ»
١.

و بما أن صفحات التاريخ تشهد على وجود أناس ادعوا السفاره من الله و الإنباء عنه عن كذب و افتراء و لم يكن لهم متاع غير التزوير، و لا سلعه سوى السلطه فلا بد فى

تميز النبى عن المتبى

اشاره

من معايير و ضوابط تكون هى الفصل فى القضاء بالحق، و هى إحدى الأمور الثلاثة التاليه:

١- التحدى بالإعجاز:

تجهيز الأنبياء بالمعاجز عند طرحهم دعوى النبوه. و الإعجاز يدل بالدلاله المنطقيه على صدق دعواه، و ذلك لأن المعجزه فيها خرق للنواميس الطبيعيه فلا

يمكن أن تقع من أحد إلّا بعنايه من الله تعالى، و اقتدار منه، فلو كان مدّع النبوه كاذباً في دعواه كان إقداره على المعجزه من قبله سبحانه إغراماً بالجهل، و إشاده بالباطل، و ذلك محال على الحكيم تعالى، فإذا ظهرت المعجزه على يده كانت دالّه على صدقه و كاشفه عن نبوته.

يقول سبحانه: «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» ١.

يريد سبحانه أنّ محمداً الذي أثبتنا نبوته و أظهرنا المعجزه بتصديقه لا يمكن أن يتقوّل علينا بعض الأقاويل و لو صنع ذلك لأخذنا منه باليمين و لقطعنا منه الوتين، فإنّ في سكوتنا عن هذه الأقاويل إمضاءً منّا لها و إدخالاً للباطل في شريعته الحق فيجب علينا حفظ الشريعة في مرحله البقاء كما يجب علينا حفظها في مرحله الحدوث.

٢- تنميص النبي السابق على نبوه النبي اللاحق:

إذا ثبت نبوه نبيّ بدلائل مفيده للعلم ثم نصّ هذا النبيّ على نبوه نبيّ لاحق يأتي من بعده، كان ذلك حجه قطعيه على نبوه النبي اللاحق لا تقل في دلالتها عن المعجزه.

و لأجل ذلك يستدل المسلمون بالبشارات الوارده في العهدين على نبوه نبيّ الإسلام، و يرشدنا إليه قوله سبحانه حاكياً عن المسيح: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» (١).

ص: ٣٨

٣- جمع القرائن و الشواهد:

إنّ جمع القرائن و الشواهد ضابطه مطرده فى المحاكم الوضعيه تتخذها القضاء فى إصدار أحكامهم، و يستند إليها المحامون فى إبراء موكلهم، فبجمع تلك القرائن و الشواهد يمكن أن نستعلم صحه دعوى المدعى أو إنكار المنكر.

فعلى ضوء ذلك، فللباحث أن يتحرى القرائن المكتنفه بدعوى النبوه حتى يقطع معها بصدق الدعوى أو كذبها و هذه القرائن تتلخص فى الأمور التاليه:

أ- سيره المدعى قبل الدعوه.

ب- سمات بيئته.

ج- مضمون الدعوه.

د- ثباته فى طريق الدعوه.

هـ- الأدوات التى يستخدمها فى نشر دعوته.

و- المؤمنون الملتفون حوله.

ز- مكانه أتباعه فى الورع و التقوى و العلم و الوعى.

هذه القرائن و أشباهها ترشدنا إلى أحد الأمرين:

إمّا أنه نبى صادق أو متبى كاذب.

الوحى:

إنّ تحديد حقيقه الوحى و تبين ماهيته من المواضيع الحساسه فى أبحاث النبوه العامه، و الأنبياء يتلقون تعاليمهم عن هذا الطريق و لولاه لانقطعت أخبار السماء عن الأرض وصله الأنبياء بالله.

و الشيعة الإماميه تعتقد بأنّ الوحي يختصّ بالأنبياء و ليس هو نتاج الحسّ و لا العقل و لا الغريزه و إنّما هو شعور خاص لا نعلم حقيقته، و هو يغاير الشعور الفكري المشترك بين أفراد الإنسان قاطبه.

و الوحي لا يغلط معه النبي في إدراكه، و لا يشتبه، و لا يختلجه شك و لا يعترضه ريب فهو يدركه من غير أن يحتاج إلى إعمال نظر أو التماس دليل، أو إقامة حجه، إذ لو افتقر إلى شيء من ذلك لكان اكتساباً عن طريق القوه النظرية لا تلقياً من الغيب من غير توسط القوه الفكرية.

قال سبحانه: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ» ١.

سمات الأنبياء:

إنّ أخطر المناصب و أكبرها مسئوليه قياده المجتمع البشري و هدايته إلى السعاده فإنّها تتطلّب في المتصدي لها، مؤهلات و امتيازات خاصه ينفرد بها عن سائر الناس، و هذه في الأنبياء تتلخّص في الأمور التاليه:

١- العصمه و لها مراتب ثلاث:

المرتبه الأولى: المصونيه عن الذنب و مخالفه الأوامر المولويه قبل البعثه و بعدها، و خالف بعض أهل السنّه في عصمه النبي قبلها خصوصاً في صغائر الذنوب فجوزها له.

المرتبه الثانيه: المصونيه في تلقى الوحي و وعيه و إبلاغه إلى الناس.

المرتبه الثالثه: المصونيه من الخطأ و الاشتباه في تطبيق الشريعه و الأمور

٢- التنزه عن كل ما يوجب نفره الناس عنه و عقم التبليغ.

٣- الاطلاع على أصول الدين و فروعها و كل ما ألقى إبلاغه على عاتقه.

٤- التحلي بكفائه خاصه في قياده و الإدارة مقترنه بحسن التدبير، و قد برهن الكلام الشيعي على لزوم هذه السمات في الأنبياء عامه و النبي صلى الله عليه و آله و سلم خاصه. و من أراد الوقوف فعليه الرجوع إلى الكتب الكلاميه.

النبوه الخاصه:

كان الكلام السابق في النبوه العامه من دون تخصيص بنبي، و أما النبوه الخاصه أي نبوه نبي الإسلام، فالشيعه الإماميه تعتقد بأن محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم نبي الله الخاتم جاء لهدايه الناس في الوقت الذي عمّت سياده الشرك و عباده الأصنام أكثر ربوع المعموره، و في هذا الظرف قام رجل بين أمه متقهقره تقطن أراض جدياء، و معشر ليس لهم من الحضاره أي سهم يذكر، يسفكون دماءهم و يقطعون أرحامهم، فادعى النبوه و السفاره من الله تعالى على أساس نشر التوحيد، و رفض الوثنيه و عباده الأصنام، و إقامة العدل، و بسط القسط، و رفض التمييز، و حمايه المضطهدين و المظلومين، و قد كان تاريخ دعوته في أوائل القرن السابع الميلادي ٦١٠ و أول ما بدأ به، بدأ بدعوه أقربائه و عشيرته.

و استطاع هدايه جمع من عشيرته ثم وجه دعوته إلى عموم الناس من غير خصوصيه بين قبيله و غيرها. و يُستدل على صحه دعوته بالطرق الثلاثه:

١- معجزته الخالده القرآن الكريم الذي تحدى به الأمم و لم يزل متحدياً إلى يومنا هذا، قال سبحانه: «قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا

الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» ١.

مضافاً إلى سائر معجزاته التي كانت تظهر منه بين آونه و أخرى.

٢- بشائره في العهدين و قد بقيت-بحمد الله-إلى يومنا هذا.

٣- دلالة القرائن الداخليه و الخارجييه على صحه دعوته.

سمات دعوته::

أولاً:عالميه رسالته:

اتفقت الشيعة على أنّ الإسلام عقيدته و عمل لا ينفرد بهما شعب أو مجتمع خاص و لا يختص ببلد دون بلد، بل هو دين يعمّ المجتمع الإنساني ككل، على اختلافه في العنصر و الوطن و اللسان، و لا يفترض لنفوذه حاجزاً بين أبناء الإنسان، و لا يعترف بأيه فواصل قوميّه أو إقليميّه.

قال سبحانه: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً» ٢.

و قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَ نَذِيراً» ٣.

ثانياً:خاتميه رسالته:

اتفقت الشيعة عن بكره أبيها على أنّ نبيها محمداً خاتم النبيين، و أنّ شريعته خاتمه الشرائع، و كتابه خاتم الكتب و الصحف، فهو آخر السفراء الإلهيين أُوُصِدَ به باب الرساله و النبوه و ختمت به رساله السماء إلى الأرض، و أنّ دينه دين الله

الأبدى، و أن كتابه كتاب الله الخالد، وقد أنهى الله إليه كل تشريع فاكتملت بدينه و كتابه الشرائع السماويه التي هي رساله السماء إلى الأرض قال سبحانه: «ما كان مُحَمَّدٌ أباً أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً» ١.

صيانته القرآن من التحريف:

القرآن الكريم هو المصدر الأول لدى المسلمين من غير فرق بين الشيعة و أهل السنّه، و هو كلام الله و وحيه و قوله و كتابه، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم عليم، و أنه الحق الفصل و ما هو بالهزل، و إن الله تبارك و تعالى منزله و حافظه صانه من الزيادة و النقصه.

و هذه عقيدته كبار المحققين من الشيعة.

قال السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ): إن جماعه من الصحابه مثل عبد الله بن مسعود، و أبي بن كعب و غيرهما ختم القرآن على النبيّ عده ختمات و كل ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه مجموع مرتّب غير مبتور و لا مبثوث (١).

و قد تقدمه في هذا القول (صيانته القرآن من التحريف) مشايخ الشيعة كالفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠ هـ) و الشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ) و الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) و تبعه أيضاً الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) و الطبرسى (٤٧١-٥٤٨ هـ) و السيد ابن طاوس (المتوفى ٦٦٤ هـ) إلى غير ذلك من أعلام الأئمه إلى يومنا هذا.

و إليك كلمه قيمه للأستاذ الأكبر الإمام الخمينى قدس سره في محاضراته حيث

ص: ٤٣

١-٢). الطبرسى: مجمع البيان: ١٠/١، نقلاً عن رساله جواب المسائل الطرابلسيه للسيد المرتضى.

قال:

إنّ الواقف على عنايه المسلمين بجمع الكتاب و حفظه و ضبطه قراءه و كتابه يقف على بطلان دعوى التحريف و أنّه لا ينبغي أن يركن إليها، و ما وردت من الأخبار في التحريف فهي: بين ضعيف لا يستدل به، إلى مجهول تدل أمارات الجعل على وضعه، إلى غريب يقضى بالعجب، إلى صحيح يدل على أنّ الساقط هو تأويل الكتاب و تفسيره لا نفس الكتاب... (١).

نعم ذهب شدّاذ من الاخباريه و الحشويه من الشيعة و السنّه إلى القول بالتحريف فلا يقام لأقوالهم وزن بعد كونها مخالفه للقرآن الكريم يا جماع الأمّه.

خرجنا بالنتيجه التاليه:

لا خلاف بين الشيعة و السنّه في حقل النبوه العامه و الخاصه إلّا شيئاً لا يذكر و هو تجويز العصيان للأنبياء قبل دعوى النبوه فتنفيه الشيعة، و مجموعته من السنّه و يجوزّه لفييف منهم.

ص: ٤٤

١- ١). تهذيب الأصول، [١] محاضرات الإمام الخميني: ٥٦/٢ [٢] بقلم المؤلف.

اشاره

المعاد و حشر الإنسان بعد الدنيا إجابته عن أحد الأسئلة التي طالما أخذت جلاً تفكيره فمد فتح عينيه على الحياه يسأل نفسه عن الأمور التاليه:

١- ما هو مبدأ العالم و الإنسان؟

٢- ما هو الهدف من وجود الإنسان؟

٣- إلى أين المصير بعد الموت؟

فالبحث عن الصانع إجابته عن السؤال الأول.

كما أنّ البحث عن كونه حكيماً و أنّ فعله منزّه عن العيب إجابته عن الثاني.

و القول بأنّ الموت ليس نهايه الحياه و إنّ الإنسان لا يفنى بموته، و إنّما هو جسر ينتقل عبره من نشأه إلى نشأه أخرى أكمل من الأولى، هو جواب عن السؤال الثالث.

إنّ الاعتقاد بالمعاد عنصر أساسي في كل شريعته لها صلته بالسما، و لأجل ذلك أصبح المعاد في الشرائع السابقه أصلاً مسلماً حتى عند اليهود في العهد القديم (١).

ص: ٤٥

(١- ١). صموئيل الأول: الإصحاح الثاني: الجملة ٦، طبع دار الكتاب المقدس.

و إذا كان المعاد يحتلّ المكانه العليا فى الشرائع السماويه و كان القرآن خاتم الكتب، و المبعوث به خاتم الأنبياء فىنااسب أن يكون المعاد مطروحاً فيه بشكل واسع مقترناً بالدلائل العقلية المقنعه.

و قد صدق الخُبْرُ الخبر، فالذكر الحكيم يعنى بالمعاد، و يهتم به اهتماماً بالغاً تكشف عنه كثره الآيات الوارده فى مجال المعاد و ربّما تبلغ زهاء ألف و أربعمائيه آيه، و كان أستاذنا العلامه الطباطبائى يقول: تربو على الألفين و لعلّه قدس سره ضم الإشاره إلى التصريح به فبلغت ما تربو على ألفى آيه.

و على آيه حال فالشيعة لا- تختلف عن سائر الفرق الإسلاميه فى هذا الأصل الخطير و تقول: إنّ الله سبحانه سيجمع الناس يوم القيامة و يضع الموازين القسط فلا يظلم أحداً مثقال ذره، و توفى كل نفس ما عملت فإمّا إلى النعيم الدائم أو إلى العذاب المقيم. و هناك أصول اتفقت الشيعة عليها نذكرها لشده مناسبتها بالمقام:

- ١- اتفقت الشيعة على أنّ المسلم المؤمن العاصى غير مخلّد فى النار و هو مؤمن فاسق فليس بكافر و لا بالمنزله بين المنزلتين.
- ٢- اتفقت على أنّ الشفاعه حقّ، و أنّ لخاتم الأنبياء مقام الشفاعه الكبرى كما تعتقد بجواز طلبها من النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى حياته و مماته.

قال سبحانه: «و لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» ١.

و ليس طلب الشفاعه إلّا لما طلب الدعاء فإذا جاز فى حال الحياه يجوز بعد الرحيل أيضاً لافتراض أنّه صلى الله عليه و آله و سلم حتى يُرزق و أنّه ياذنه سبحانه يسمع كلامنا و يجيب سلامنا.

٣- اتَّفقت الشيعة على أنّ التناسخ باطل و القائل به كافر، و المراد منه انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر فى هذه النشأه فإذا مات البدن الثانى انتقلت إلى ثالث و هكذا.

و الداعى للقول بالتناسخ هو إنكار المعاد كما حَقَّق فى محلّه.

٤- اتَّفقت الشيعة على أنّ حقيقه التوبه عباره عن الندم عمّا مضى و العزم على عدم العوده عليه و إذا قدر الإنسان عليها وجبت و لا تقبل حين الموت.

٥- اتَّفقت الشيعة على أنّ حبّ النبىّ و الأئمّه المعصومين يقرب الإنسان من الله تبارك و تعالى و يبعث فى روعه روح الطاعه و المشاكله معهم فى الإتيان بالواجبات و التحرّز عن المحرمات، و أمّا الحب المجرّد عن العمل فليس سبباً للنجاه و إنّما النجاه هو العمل بعد الحب.

٦- إنّ الشيعة تبعاً و اقتداءً بأئمتهم يقدّسون الصحابه الذين عملوا بكتاب الله سبحانه و سنّه نبويه، و لم يتجاوزوهما، كما أنّهم يتبرّءون ممن خالف كتاب الله و سنّه رسوله و فى هذا المقام كلمه مباركه للإمام زين العابدين قال فى دعاء له:

«اللّهمّ و أصحاب محمّد خاصه الذين أحسنوا الصحبه و الذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره، و كانفوه و أسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته، و استجابوا له حيث أسمعهم حجه رسالته، و فارقوا الأزواج و الأولاد فى إظهار كلمته، و قاتلوا الآباء و الأبناء فى تثبيت نبوته، و انتصروا به و من كانوا منطوين على محبته يرجون تجاره لن تبور فى مودّته، و الذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته و انتفت منهم القربات إذ سكنوا فى ظلّ قرابته، فلا تنس لهم اللّهمّ ما تركوا لك و فيك و أرضهم من رضوانك و بما حاشوا الخلق عليك و كانوا مع رسولك دعاه لك إليك، و اشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم و خروجهم من سعه المعاش إلى ضيقه، و من كثرت فى إعزاز دينك من مظلومهم. اللّهمّ و أوصل إلى التابعين لهم بإحسان

الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا (١).

نعم لا- يقولون بعداله كل صحابي و كل من رأى النبى صلى الله عليه و آله و سلم و لو يوماً أو أياماً بل يقسمون الصحابه كالتابعين إلى قسمين تبعاً للذكر الحكيم و السنه النبويه،و هذا هو الذكر الحكيم يصف بعض الصحابه بالفسق يقول: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» ٢.

كما أن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم يصفهم فى حديث الحوض بما لا يتلاءم مع عداله الجميع.

روى البخارى و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى و يُحلّثون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابى فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى (٢).

هذا هو قدامه بن مظعون صحابى بدرى شرب الخمر و أقام عليه عمر الحد (٣).

و من الصحابه من خضبوا وجه الأرض بالدماء،فهذا بسر بن أرطاه قد قتل مئات المسلمين و ما نقم منهم إلا أنهم كانوا يحبون على بن أبى طالب،و لم يكتف بذلك فحسب،بل قتل طفلين لعبيد الله بن عباس (٤).

ص: ٤٨

١- ١). الصحيفه السجديه،الدعاء الرابع مع شرح«فى ظلال الصحيفه السجديه»:٥٥-٥٦. [١]

٢- ٣). لاحظ فى الوقوف على هذا النوع من الأحاديث جامع الأصول لابن الأثير:ج ١١ كتاب الحوض: ١٢٠-١٢١.

٣- ٤). الجزرى:أسد الغابه:١٩٩/٤.

٤- ٥). الثقفى:الغارات:٥٩١/٢؛ [٢]اليعقوبى:التاريخ:١٨٦/١؛ [٣]الجزرى:الكامل:١٩٢/٣.

لا اختلاف بين المذهبين: فيما يرجع إلى المعاد و الأصول الستة التي تتبناها الشيعة إلّا في الأصل السادس فالسنّه تعتقد بعداله كلّ صحابي خلافاً للشيعة حيث تقيّمهم إلى مثالي يُستدر به الغمام، و مؤمن يضحى بنفسه و نفيسه في طريق الدين و إعلاء كلمه الله، إلى من يصفه سبحانه في محكم كتابه (1) على خلاف هذين الصنفين.

ص: ٤٩

١-١). انظر الحجرات: ٦.

اشاره

الخلفه عند الشيعه إمره إلهيه و استمرار لتحقيق أهداف النبي صلى الله عليه و آله و سلم و وظائفه، و الإمام له نفس الصلاحيات و الوظائف المخوله إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم غير أنه ليس بنبي و لا يوحى إليه و النبوه أوصدت و ختمت بالرسول فلا- نبي و لا- رسول بعده، و لكن الوظائف كلها مستمره، و لأجل ذلك يجب أن يكون الإمام قائماً بوظائفه الروحيه و الماديه و العلميه و الاجتماعيه كى يسد الفراغ الحاصل بوفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و من جملة وظائفه صلى الله عليه و آله و سلم:

١- تبيين الأحكام الشرعيه و الوظائف الاجتماعيه.

٢- تفسير القرآن الكريم و توضيح إجماله و تبيين متشابهه.

٣- تبيين الأحكام الشرعيه للحوادث المستجدّه.

٤- إزالة الشبهات الطارئه من قبل الفرق المختلفه.

٥- إزالة الخلاف الناجم بين أصحابه باعتباره محوراً للحق و الباطل.

هذا ما يرجع إلى الوظائف الروحيه و أما ما يرجع إلى الوظائف الماديه فحدّث عنها و لا حرج فقد كان رئيساً للدولة، مرسلاً الجيوش لنشر الدعوه الإسلاميه، مؤمناً لميزانيه الدوله عن طريق جلب الضرائب و الزكوات، باعثاً السرايا لإخماد الفتن إلى غير ذلك.

فالإمام عند الشيعه الإماميه هو الذى يقوم بهذه الوظائف كافه بلا استثناء

و لا- يقوم بها إلا الأمثل فالأمثل من الأئمة، و من تمتّع بتربيته إلهيه و كان ذا كفاءه و جداره على إداره الدوله بمختلف شئونها، و ليس التعرّف على مثل ذلك الإنسان أمراً يسيراً بل لا يعلمه إلا الله سبحانه و النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن طريق إبلاغه.

و هذه هي نظريه التنصيب عند الإماميه فهم لا يرضون إلا بالتنصيب النبي صلى الله عليه و آله و سلم على من يخلفه لملء الفراغ الحاصل بعد غيابه صلى الله عليه و آله و سلم عن المسرح السياسي و الاجتماعي و ليس في مقدره الشورى و لا وسع البيعه العامه التعرّف على ذلك الرجل المثالي و الكفوء الذي يلي النبي صلى الله عليه و آله و سلم في الفضائل و المناقب.

إنّ انتخاب الخليفه عن طريق شورى المهاجرين و الأنصار أو البيعه العامه قد تعرّض إليه علماء الكلام نظرياً، دون أن يدخل حيز التطبيق العملي بل واقع الخلافه في صدر الإسلام أثبت خلاف ذلك، و يعرب هذا عن أنّ المعهود في ذلك العصر هو التنصيب لا المشاوره و لا الاستفتاء و لا بيعه عامه.

فهذا عمر بن الخطاب قد أخذ بزمام الأمور من قبل الخليفه الأوّل حيث قال: إنّي أستخلف عليكم عمر بن الخطاب (١).

كما أنّ الخليفه الثالث تسلّم مقاليد الأمور عن طريق شورى سداسيه عيّن أعضائها عمر بن الخطاب (٢).

روى المؤرّخون أنّ عمر بن الخطاب لما أحسّ بالموت قال لابنه عبد الله: اذهب إلى عائشه و اقرأها منّي السلام و استأذن منها أن أقبر في بيتها مع رسول الله و مع أبي بكر.

فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها فقالت: نعم و كرامه، ثمّ قالت: يا بُنَيّ أبلغ عمر سلامي و قل له: لا تدع أمّه محمّد بلا راع و استخلف عليهم و لا تدعهم

ص: ٥١

١- ١. ابن قتيبه الدينوري: الإمامه و السياسه: ١٨؛ [١] الجزري: الكامل: ٢/٤٢٥. [٢]

٢- ٢. الطبري: التاريخ: ٣/٢٩٤.

بعدك هملاً فإنني أخشى عليهم الفتنة (١).

إنَّ عبد الله بن عمر دخل على أبيه قبيل وفاته، فقال: إنني سمعت الناس يقولون مقاله فأليت أن أقولها لك، وزعموا أنك غير مستخلف و أنه لو كان لك راع إبل، أو راع غنم ثم جاءك و تركها لرأيت أن قد ضيع فرعايه الناس أشد (٢).

إلى غير ذلك من النصوص الحاكيه على أنَّ النظرية التي تبناها المسلمون الأوائل هي نظرية التنصيب، و لكنهم عدلوا عن تنصيبه سبحانه إلى تنصيب نفس الخليفة.

هل المصلحة كانت تكمن في تعيين الوصي أو تركه إلى انتخاب الأمة؟

هل المصلحة العامه عند الرسول تكمن في تعيين الوصي و القائم بشئون الخلافه، أو تكمن في تركه إلى الأمة؟

إنَّ دراسه أحوال المسلمين يوم ذاك، تحتم علينا، أن نقول بأنَّ المصلحة العامه كانت رهن تعيين الوصي.

و قد فرضت الأخطار الداخليه و الخارجيّه المحدقه بالإسلام على النبي صلى الله عليه و آله و سلم تعيين وصي يسدّ ذلك الفراغ الحاصل بغيابه عن المسرح السياسي و يسدّ باب الجدل و النقاش في وجه الأمة.

إنَّ الخطر الثلاثي لم يكن أمراً خفياً على الرسول صلى الله عليه و آله و سلم خاصه إنَّ امبراطوريه إيران ذات الحضاره الزاهره تهدد كيان الحكومه الفتيه، كما أنَّ الامبراطوريه البيزنطيه في شمال الجزيره العربيه لم تكن بأقل من امبراطوريه إيران خطراً في إيجاد

ص: ٥٢

١- ١. ابن قتيبه الدينوري: الإمامه و السياسه: ٣٢. [١]

٢- ٢. أبو نعيم الاصفهاني: حليه الأولياء: ١/٤٤٤. [٢]

الفتن و الفوضى فأخذت تشغل بال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و لم يبارحه التفكير فى خطرهما حتى لحق بالرفيق الأعلى، و أضف إلى ذلك خطر المنافقين من الداخل الذين كانوا يتحينون الفرص و يتربصون الدوائر لتسديد ضربه قاصمه إلى الإسلام.

و اتحاد هذا المثلث الخطر: الفرس و الروم و المنافقون، لاكتساح الإسلام و اجتثاث جذوره، بات أمراً محتملاً، خاصه بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم و غيابه عن الساحة السياسيه.

أفهل يمكن أن يغيب عن قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الخطر ليحول دون وقوعه بتعيين الوصى فيلتف المسلمون حوله و يفض النقاش و الجدل بينهم؟!

هذا التهديد التاريخي يجزنا إلى القول بأن المصلحه اقتضت التنصيب على الوصى لا أن يترك الأمر سدىً يتلقفه الصحابه بالجدال و النقاش الحاد دون أن ينتهى عند حد.

فنى أن الشيخ الرئيس - ذلك العقل الكبير - يقول:

و الاستخلاف بالنص أصوب، فإن ذلك لا يؤدى إلى التشعب و التشاغب و الاختلاف (1).

السنة النبويه و التنصيب على إمامه على:

اشاره

إن من أحاط علماً بسيره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تأسيس دوله الإسلام، و تشريع أحكامها و تمهيد قواعدها، و بمواقف على بن أبى طالب وزير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى أمره و ظهيره على عدوه، و عييه علمه، و وارث حكمه، و ولى عهده، و صاحب الأمر بعده

ص: ٥٣

١ - ١). ابن سينا: الشفاء، [١] الإلهيات، [٢] المقالة العاشره، الفصل الثالث و الخمسون؛ و لاحظ المبدأ و المعاد: ٥٥٨.

و من وقف على أقوال النبي و أفعاله فى حلّه و ترحاله، يجد أنّ نصوص النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى خلافه على عليه السلام و إمامته متواتره، و إليك البيان:

أ- حديث بدء الدعوة:

أخرج الطبرى و غيره أنّه لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ١ دعا رسول الله عليه، فقال له: يا علىّ إنّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين فضقت بذلك ذرعاً و عرفت أنّى حتى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فاصنع لنا يا علىّ صاعاً من طعام و اجعل عليه رجل شاه و املاً عساً من اللبن.

فلَمّا جاء القوم و أكلوا و شربوا قام النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال: يا بنى عبد المطلب إنّى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنى على هذا الأمر، على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، و قلت: أنا يا نبيّ الله أكون وزيرك عليه فأخذ برقبتي ثم قال: إنّ هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا (١).

و دلالة الحديث على الخلافه لعلّى و الوصايه له لا تحتاج إلى بيان، و هذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّ النبوه و الإمامه كانتا متعاقدتين بعقد واحد تتجليان معاً و لا تتخلفان.

ص: ٥٤

١ - ٢). الطبرى: التاريخ: ٦٣/٢-٦٤ و [١] ابن الأثير: الكامل: ٢/٤٠، [٢] أبو الفداء عماد الدين الدمشقى فى تاريخه: ٣/٩٠ و الإمام أحمد: المسند: ١/١٥٩ إلى غير ذلك من المصادر.

ب- حديث المنزله:

روى البخارى و مسلم فى صحيحيهما و كثير من أهل السير و التاريخ أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم خلف عليّ بن أبي طالب عليه السلام على أهله فى المدينة عند توجهه إلى تبوك فأرجف به المنافقون، و قالوا: ما خلفه إلا استثقلاً له، و تخففاً به، فلما قال ذلك المنافقون أخذ عليّ بن أبي طالب عليه السلام سلاحه و خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو نازل بالجرف، فقال: يا نبيّ الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلفتني أنّك استثقلتني، و تخففت بي، فقال: كذبوا، و لكنّي خلفتكم لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني فى أهلى و أهلكت، أ فلا ترضى يا عليّ أن تكون منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدى؟

فرجع عليّ إلى المدينة و مضى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى سفره (١).

الحديث يدلّ بوضوح على أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أفاض على عليّ عليه السلام بإذن من الله سبحانه الخلفه و الوصايه، فكل مقام كان ثابتاً لهارون فهو أيضاً ثابت لعليّ عليه السلام إلا ما استثناه و هى النبوه، على أنّ الاستثناء دليل العموم. و ما جاء فى صدر الحديث من أنّه خلفه على أهله لا يكون دليلاً على التخصيص لبداهه أنّ المورد لا يكون مخصّصاً.

ج- حديث الغدير:

حديث الغدير حديث الولاية الكبرى، حديث كمال الدين و إتمام النعمه

ص: ٥٥

١- ١). البخارى: الصحيح، غزوه تبوك: ٣/٦، طبع عام ١٣١٤ هـ، و مسلم: الصحيح: فضائل عليّ: ١٢٠/٧، و ابن ماجه: السنن فى فضائل أصحاب النبيّ: ١/٥٥، و أحمد: المسند: ٣٣٠، ١٨٥، ١٨٢، ١٧٩، ١٧٧، ١٧٥، ١٧٣/١.

و رضى الرب تعالى و هو حديث نزل به كتاب الله المبين و تواترت به السنه النبويه، و تواصلت حلقات أسانيده منذ عهد الصحابه و التابعين إلى يومنا هذا.

و قد صبَّ شعراء الإسلام واقعه الغدير فى قوالب شعرية و إليك خلاصه تلك الواقعة:

أجمع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الخروج إلى الحجّ فى السنه العاشره من الهجره تلك الحجّه التى سميت بحجّه الوداع و حجّه الإسلام و حجّه البلاغ، فلما قضى مناسكه انصرف راجعاً إلى المدينه و من معه من الجموع المذكوره وصل إلى غدير خمّ من الجحفه التى تشعب فيها طرق المدنيين و المصريين و العراقيين، و ذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجّه فعند ذاك نزل جبرئيل الأمين بقوله: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» ١.

و كان أوائل القوم قرييين من الجحفه فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يرد من تقدّمهم و يحبس من تأخر عنهم حتى إذا أخذ القوم منازلهم نودى بالصلاه، صلاه الظهر، فصلّى الناس، و كان يوماً حارّاً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه و بعضه تحت قدميه من شده الرمضاء، فلما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم على اقتاب الإبل، و أسمع الجميع رافعاً عقيرته، فقال:

الحمد لله، و نستعينه، و نؤمن به، و نتوكّل عليه، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضلّ و لا مضلّ لمن هدى، و أشهد أن لا إله إلا الله، و أنّ محمداً عبده و رسوله، أمّا بعد: أيّها الناس، إنى أوشك أن أدعى فأجيب، و إنى مسئول و أنتم مسئولون، فما ذا أنتم قائلون؟

قالوا: «نشهد أنّك قد بلغت و نصحت، و جاهدت، فجزاك الله خيراً».

قال: «أ لستم تشهدون أنّ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ نار جهنّم حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من فى القبور؟».

قالوا: «بلى نشهد بذلك».

قال: «اللهم اشهد». ثمّ قال: «أيّها الناس، ألا تسمعون؟»

قالوا: «نعم».

قال: «فإنّى فرط على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فى الثقلين».

فنادى مناد: «و ما الثقلان يا رسول الله؟»

قال: الثقل الأ-كبر، كتاب الله، والآ-خر الأصغر، عترتى، وإنّ اللطيف الخبير نبيّ أنى أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

ثمّ أخذ بيد علىّ فرفعها، حتى رأى بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون، فقال: «أيّها الناس، من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: «الله ورسوله أعلم».

قال: «إنّ الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولا، فعلىّ مولا، يقولها ثلاث مرات- ثمّ قال:

اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ثمّ لم يتفرّقوا حتى نزل أمين وحيّ الله بقوله:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» الآية (1)، فقال

ص: ٥٧

رسول الله: «الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضی الربّ برسالتي، و الولاية لعلی من بعدی».

ثم أخذ الناس يهتّون عليّ، و ممّن هنّأه في مقدّم: الشيخان أبو بكر و عمر، كلّ يقول: بخ بخ، لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي، و مولى كل مؤمن و مؤمنة.

و قال حسان: أ تاذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان، فقال: يناديهم يوم الغدير نبيّهم

ص: ٥٨

فلما سمع النبي آياته قال: «لا تزال يا حسن مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

هذا مجمل الحديث في واقعه الغدير، وقد أصفقت الأمة على نقله، فلا نجد حديثاً يبلغ درجته في التواتر و التضافر و لا في الاهتمام به نظماً و نثراً.

لا أظن أن أحداً ينكر سند الحديث و تواتره، فقد رواه:

١- من الصحابه ١١٠ صحابياً.

٢- و من التابعين ٨٤.

و أما عدد الرواه من العلماء و المحدثين فنذكرهم على ترتيب القرون.

٣- في القرن الثاني: ٥٦ عالماً و محدثاً.

٤- في القرن الثالث: ٩٢ عالماً و محدثاً.

٥- في القرن الرابع: ٤٣ عالماً و محدثاً.

٦- في القرن الخامس: ٢٤ عالماً و محدثاً.

٧- في القرن السادس: ٢٠ عالماً و محدثاً.

٨- في القرن السابع: ٢٠ عالماً و محدثاً.

٩- في القرن الثامن: ١٩ عالماً و محدثاً.

١٠- في القرن التاسع: ١٦ عالماً و محدثاً.

١١- في القرن العاشر: ١٤ عالماً و محدثاً.

ص: ٥٩

١٢- فى القرن الحادى عشر: ١٢ عالمًا و محدثًا.

١٣- فى القرن الثانى عشر: ١٣ عالمًا و محدثًا.

١٤- فى القرن الثالث عشر: ١٢ عالمًا و محدثًا.

١٥- فى القرن الرابع عشر: ١٩ عالمًا و محدثًا (١).

و قد أُلّف غير واحد من أعلام الفريقين كتباً فى اسناد الحديث و تواتره و إنّما المهم هو تبين دلالة الحديث على الإمامه الكبرى.

دلالة الحديث على الولاية الكبرى:

إنّ لفظه «مولى» فى كلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه» بمعنى «أولى» كما فى قوله سبحانه: «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» ٢.

و قد فسّر المفسّرون قوله: «هِيَ مَوْلَاكُمْ» بقولهم هى أولى لكم، و هناك قرائن حالیه و مقالیه على أنّ المراد من ذلك اللفظ هى الولاية.

أمّا القرائن الحالیه فهى أنّ النبى أمر بحبس المتقدم فى السير و منع التالى فى محل ليس صالحاً للنزول، غير أنّ الوحي حبسه هناك و الناس قد أنهكتهم و عثاء السفر و حرّ الهجير و حراجه الموقف حتى أنّ أحدهم ليضع طرفاً من رداءه تحت قدميه فعند ذاك رقى رسول الله منبر الأهداج.

فهل يصحّ أن يراد من المولى فى هذا الموقف الحرج غير إبلاغ الولاية لعلىّ و أنّه هو المتصرّف و الآخذ بالزمام بعده، وإلا فلو أغمض على هذا المعنى و قيل بأنّ

ص: ٦٠

١- ١). راجع فى الوقوف على مصادر هذا البحث الكتاب القيم «الغدير» الجزء الأوّل.

المراد من المولى الناصر و المحب لسقط الكلام عن البلاغه و احتفظ عامه الناس بحقّ النقد و الرد على النبيّ بعدم ضروره حبس هذه الحشود فى ذلك الموقف غير الصالح للنزول، و إلقاء الخطبه لأجل تفهيم الجميع أمراً واضحاً و هو الدعوه إلى نصره على و حبه.

فلا- يسوغ للنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم حشر الجماهير فى حرّ الرمضاء إلما أن تكون الخطبه حول أمر خطير تناط به حياه الإسلام و كيان المسلمين و هى تعيين الوصى بعده و إضفاء الولاية العامه على من بعده.

و أمّا القرائن المقاليه فكثيره و نشير إلى بعضها:

الأولى: صدر الحديث و هو قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «أ لست أولى بكم من أنفسكم»، فهذه قرينه على أن المراد من المولى ما ورد فى الصدر و هى الأولويه فى النفوس و الأموال قال سبحانه: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» ١.

الثانيه: قوله فى ذيل الحديث: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْإِلَهِ وَ عَادَ مِنْ عَادَاهُ» و فى جملة من الحديث قوله «و انصر من نصره و اخذل من خذله» أو ما يؤدى مؤداه فلو أُريد منه غير الولاية العامه و الأولويه بالتصرّف فما معنى هذه الإطاله.

الثالثه: أخذ الشهاده من الناس حيث قال: «أ لستم تشهدون أن لا إله إلا الله، و أن محمداً عبده و رسوله و أن الجنة حقّ و النار حقّ» فانّ وقوع قوله «من كنت مولاه» فى سياق الشهاده بالتوحيد و الرساله يحقّق أنّ المراد هو الخلافه بعد الرساله للأولويه على الناس.

و لعلّ يكفيك ما ذكرنا من القرائن و لم يفهم الشعراء و الأدباء منذ صدور الحديث من صاحب الرساله إلّا الولاية العامه لعلّى عليه السلام، و قد أنشأ حسان شعراً فى هذا المقام حيث قال:

فقال له قم يا عليّ فإنني رضيتك من بعدي إماماً و هادياً

و هذا هو علي صاحب الولاية يقول في شعره: و أوجب لي ولايته عليكم رسول الله يوم غدیر خم

و هذا هو قيس بن سعد بن عباده ذلك الصحابي العظيم يقول: و عليّ إمامنا و إمام

هذا هو داهيه العرب عمرو بن العاص يكتب إلى معاويه رساله و فيها قصيدته المعروفه بالجلجلية يقول فيها معترضاً علي معاويه:
و كم قد سمعنا من المصطفى

هذا هو خلاصه القول في إمامه علي بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من الله.

و من عجائب الأمور أنّ الشيعة قد ذهبت إلى أنّ عدد الخلفاء بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو اثنا عشر خليفة، و نرى ذلك أيضاً في الصحاح و المسانيد، و قد تضافرت الروايات الناهزه على سبع عشره روايه، أنّ عدد خلفاء الرسول هو اثنا عشر خليفة و المواصفات المحدده لهم تنطبق بالتمام على أئمة الشيعة، و إليك بيانه.

روى البخارى عن جابر بن سمره قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يكون اثنا

عشر أميراً، فقال كلمه لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش (١).

و روى مسلم عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفه» ثم قال كلمه لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (٢).

و روى أيضاً: لا يزال هذا الدين منيعاً إلى اثني عشر خليفه، فقال كلمه صميتها الناس، فقلت لأبي ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (٣).

هذه النصوص تثبت أنّ صيغه الحكومه والإمامه عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت هي التنصيب و قد نصّ على عليّ عليه السلام و هو نصّ على ولده الحسن عليه السلام و هو علي أخيه الحسين عليه السلام و توالى الأوصياء حسب التنصيب إلى اثني عشر إماماً، و على ضوء ذلك اتفقت الشيعة على أنّ الأئمة الاثني عشر خلفاء الرسول و أنّهم منصوبون من الله لزعامة الأمة و قد نصّ الرسول على عددهم بل و على أسمائهم كما و نصّ كل خليفه سابق منهم على الخليفه من بعده و دونك أسماءهم:

أولهم الإمام عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ الرسول و صهره تربى في حجره، و لم يزل يقفو أثره طول حياته و هو أول الناس إسلاماً و أشدهم استقامه في طاعه الله و تفانياً في الدين، بلغ في علمه و تقاه درجه تقاصر عنها شأؤ أقرانه.

كان الإمام أفضل الناس و أمثلهم بعد رسول الله و لم يكن يومذاك رجل أليق بزعامة الأمة و قيادتها منه.

نعم قدمت مجموعه من المهاجرين غيره عليه عليه السلام و تناسوا النصّ و أجمعوا

ص: ٦٣

١-١). البخارى: الصحيح: ٩، باب الاستخلاف، ص ٨١، و ما رواه متن ناقص كما سيظهر ممّا نقله مسلم.

٢-٢). مسلم: الصحيح: ٣/٦، باب الناس تبع لقريش، من كتاب الاماره.

٣-٣). المصدر السابق، و لاحظ مسند أحمد: ٩٨/٥. [١]

على صرف الخلافه من أول يومها عن وليه المنصوص عليه.

و لم ير الإمام بدأً-لحفظ مصالح الدين و المسلمين-من تسليم الأمر إليهم فلزم عقر داره مده خمسه و عشرين عاماً إلى أن رجعت إليه الخلافه و اتفقت على قيادته و زعامته كلمتهم لا سيما جبهه الأنصار و سنام العرب.فتولى الإمام مقاليد الخلافه و أحيا سنّه النبىّ الأعظم فى عدله و إنصافه و مساواته بين الناس و لم يكن لأحد فيه مطمع،و لا عنده هواده و لم يكن يقيم وزناً لغير الحق و لم يحكم بين الأمم إلّا بالحقّ و العداله حتى قتل فى محراب عبادته لشده عدله.

فالحقّ أنّ الإمام مفخره من مفاخر المسلمين على الإطلاق بل الإنسانيه جمعاء.

فالإمام علىّ عليه السلام أول الأمم الاثنى عشر، و يليه:

الحسن بن على،الحسين بن على،فعلى بن الحسين زين العابدين،فمحمد ابن على الباقر،فجعفر بن محمد الصادق،فموسى بن جعفر الكاظم،فعلى بن موسى الرضا،فمحمد بن على الجواد،فعلى بن محمد الهادى،فالحسن بن على العسكرى،فمحمد بن على بن الحسن الحجه المهدي المنتظر.

هؤلاء أئمة الشيعة الاثنى عشر و قادتهم يقتبس من أنوارهم و يهتدى بهداهم و قد حُفظت تواريخهم و آثارهم و دُوّنت أحاديثهم و ما رويت عنهم.

و الإمام الثانى عشر هو الإمام المهدي المنتظر الذى تواترت الروايات على ظهوره فى آخر الزمان.

إنّ الاعتقاد بالإمام المهدي المنتظر عقيدته مشتركه بين جميع المسلمين،إلّا من أصمّه الله،فكلّ من كان له أدنى إلمام بالحديث يقف على تواتر البشاره عن النبىّ و آله و أصحابه،بظهور المهدي فى آخر الزمان لإزاله الجهل و الظلم،و نشر

أعلام العلم و العدل، و إعلاء كلمه الحق و إظهار الدين كله و لو كره المشركون، و هو ياذن الله ينجى العالم من ذل العبوديه لغير الله و يبطل القوانين الكافره التي سفتها الأهواء. و يقطع دابر التعصبات القوميه و العنصريه، و يزيل العدا و البغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأمم و اضطراب الكلمه، و تأجيج نار الفتن و المنازعات، و يحقق الله بظهوره و عدّه الذي وعد به المؤمنين بقوله:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» ١.

و قال سبحانه: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» ٢.

هذا ما اتفق عليه المسلمون في الصدر الأول و الأزمنه اللاحقه و قد تضافر مضمون قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدي، فيملأها عدلاً و قسطاً كما ملئت ظلماً و جوراً».

و لو وُجد هناك خلاف بين أكثر السنّه و الشيعه فالاختلاف في ولادته، فإنّ الأكثريه من أهل السنّه يقولون بأنّه سيولد في آخر الزمان، و الشيعه بفضل الروايات المتواتره تذهب إلى أنّه ولد في «سرّ من رأى» عام ٢٥٥ هـ، و غاب بأمر الله سبحانه سنه وفاه والده، عام ٢٦٠ هـ، و هو يحيى حياه طبيعيه كسائر الناس غير أنّ الناس يرونه و لا يعرفونه، و سوف يظهره الله سبحانه ليحقّق عدله.

و هذا المقدار من الاختلاف لا يجعل العقيدّه بالمهدى من المسائل الخلافيه،

و من أراد أن يقف على عقيدته السنّه و الشيعة في مسأله المهدي، فعليه أن يرجع إلى الكتب التاليه لمُحَقِّقِي السنّه و محدّثيهم:

١- «صفه المهدي» للحافظ أبي نعيم الاصفهاني.

٢- «البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجي الشافعي.

٣- «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» لملاً على المتقي.

٤- «العرف الوردی في أخبار المهدي» للحافظ السيوطي.

٥- «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر.

٦- «عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقي.

و على ضوء ذلك اتفقت الشيعة على أنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجه إما ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً، و تلك الحجج في عامه الأدوار تتمثل إما في نبيّ أو في وصيّ نبيّ، و الحجة المهدي (عجل الله تعالى فرجه) هو خاتم الأوصياء حتى يرزق منحه الله من العمر أطوله كما منح للمسيح ذلك، و ليس على الله بعسير فهو القادر على كل شيء، فله أن يمنح عبداً من عباده أيّ قدر شاء من العمر، فلا قدرة الله متناهيه و لا الموضوع في نفسه محال و لا أسس علم الحياه تعانده، و ما جاء العلم بحدّ لحياه البشر لا يتجاوزه.

و قد ادّخره الله ليوم يتظاهر فيه الزمان بالجور و العدوان و القتل و سفك الدماء و الفساد و إحاطه المجتمع بأنواع العذاب و البلاء.

فهذه الكوارث و المكاره تهيبّ المجتمع و تدفعه إلى ثوره عارمه على الظلم و العدوان، تقتلع بها جذور الفساد و تقطع دابر الجبابره عن أديم الأرض، حتى ترفرف رايات العدل و الإسلام في شرق الأرض و غربها بقياده آخر الخلفاء و خاتم الأوصياء فيملاً الله به الأرض عدلاً و أمناً كما ملئت ظلماً و جوراً.

هذه خلاصه القول فى الإمام المهدي.

و فى خاتمه المطاف نأتى بما كتبه الدكتور عبد الباقي فى كتابه الذى أسماه «بين يدي الساعة» و قد طبع فى السعوديه، فقال فى
تضافر الأخبار الوارده فى حق المهدي:

إنّ المشكله ليست فى حديث أو حديثين أو راوٍ أو راويين إنّها مجموعه من الأحاديث و الأخبار تبلغ الثمانين تقريباً اجتمع على
تناقلها مئات الرواه و أكثر من صاحب كتاب صحيح.

فلما ذا تردّ كل هذه الكميه، أكلّها فاسده؟ لو صح هذا الحكم لانهار الدين-و العياذ بالله-نتيجه تطرّق الشكّ و الظن الفاسد إلى
ما عداهما من سنّه رسول الله.

و إذا نظرنا إلى المهدي نظره مجردة فإنّنا لا نجد حرجاً من قبولها و تصديقها أو على الأقل عدم رفضها (1).

ص: ٦٧

١-١). الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة: ١٢٣.

إشاره

لقد سبق قولنا أنّ مذهب الشيعه مزيج من العقيدته و الشريعته و ليس مذهباً كلامياً بحثاً حتى نقتصر في دراسته على بيان الأصول الكلاميه، و لا مذهباً فقهيّاً كالمذاهب الفقيهيه الأربعة حتى يُكتفى في تعريفه بما يتبني من فروع في باب العبادات و المعاملات و الإيقاعات و السياسات، و قد وقفت على موجز عقائدهم في المسائل الكلاميه في الفصول الخمسه السالفه الذكر، و إليك الإشاره إلى ما يدينون به في باب الأحكام.

ينقسم فقه الشيعه إلى:

١- عبادات ٢- عقود ٣- إيقاعات (١) ٤- سياسات.

و هناك تقسيم آخر و هو تقسيمه إلى العبادات، و المعاملات، و الأحوال الشخصيه، و السياسات.

مصادر الفقه الشيعي:

تعتمد الشيعه في استنباط الأحكام الشرعيه على الأدله الأربعة لا غير:

الأول: كتاب الله العزيز و لا يعدل عنه إلى غيره مطلقاً.

الثاني: السنّه المأثوره عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن طريق أئمه أهل البيت و سائر الثقات،

ص: ٦٨

١- (١). العقد: اتفاقه قائمه بالطرفين كالبيع و النكاح، بخلاف الإيقاع فإنه إنشاء أمر قائم بطرف واحد، كالطلاق و العتق. و ربّما يعبر عن الرابع ب«أحكام» و هو أمتن و أشمل.

فإنّ المأثور عن أئمّه أهل البيت يصل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بسند عالٍ غير خاضع للنقاش.

الثالث: الإجماع: إجماع المسلمين على حكم شرعى، أو إجماع الطائفة الشيعيه الكاشف عن وجود النص الواصل إلى يد المجمعين و غير الواصل إلينا. و ليس الإجماع عندهم بنفسه حجه، بل لأجل كشفه عن دليل شرعى موجود لدى المجمعين.

الرابع: العقل: أعنى الإدراكات القطعيه العقلية التي لا يتردد فيها و لا يشك في صحتها، كيف و العقل هو الحجة الباطنية التي يحتجّ بها المولى سبحانه على العباد، ثمّ بحكم العقل الذى له صلاحية الحكم و القضاء يُستكشف حكم الشرع، للملازمة بين حكم العقل و الشرع و استحاله التفكيك بينهما، فمثلاً إذا استقلّ العقل بقبح العقاب بلا بيان فيفتى المجتهد في الموارد التي لم يرد فيها دليل شرعى على الحكم الشرعى، بالبراءة أو الحليّة.

هذه هي مصادر التشريع عند الشيعة و ليس هناك مصدر آخر تعتمد عليه.

و أمّا الرجوع إلى العرف، فإنّما هو لتحديد المفاهيم و تبين الأوضاع كالرجوع إلى قول اللغوى.

نعم، رفضت الشيعة منذ زمن مبكر القياس و الاستحسان و سدّ الذرائع و ما يماثلها من الأدله الظنية التي لم يقم دليل عندهم على حجيتها.

اتفقت الشيعة على أنّ السنّه المطهره كما تثبت بالخبر المتواتر، و الخبر المحفوف بالقرائن، تثبت أيضاً بالخبر الواحد إذا كان رواته ثقات في جميع السلسله.

فتح باب الاجتهاد:

الاجتهاد هو بذل الوسع في استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها المعينه و هو رمز خلود الدين و بقاء قوانينه، لأنه يحفظ غصارتة و طراوته و يصونه عن الاندراس و يغنى المسلمين عن التطفل على موائد الأجانب بإعطاء كل موضوع ما يقتضيه من الحكم.

و قد حثَّ أئمة أهل البيت شيعتهم على التفقه في الدين و الاجتهاد فيه و أنه من لم يتفقه في الدين فهو أعرابي، و أرشدوهم إلى كيفية استخراج الفروع المتشابهة، من الآيات و الأصول المتلقاه عنهم، كل ذلك صار سبباً لاندفاع الشيعة نحو دراسه كتاب الله و الأحاديث المرويه و بذل الجهد في استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية و رأوا أنّ الاجتهاد أمرٌ لازمٌ لأنّ بين الأخبار ما هو عام و خاص و مطلق و مقيد، و بين الآيات ناسخ و منسوخ، و بين الأحكام ما هو مجمع عليه و مختلف فيه. كل ذلك جرهم إلى فتح باب الاجتهاد أي بذل الوسع في فهم الحكم الشرعي من أدلته.

و أمّا لزوم فتح هذا الباب في عصرنا فلا يحتاج إلى البرهنه و الدليل، لأننا أمام موضوعات مستجدّه تتطلب لنفسها الجواب، و الجواب إمّا يطلب من بذل الوسع في استنباط أحكام الموضوعات المستجده من الأصول و القواعد الإسلاميه، أو أتباع المبادئ الغربيه من غير نظر إلى مقاصد الشريعة. و من المعلوم تعين الأول و بطلان الثاني.

فقهاء الشيعة:

لقد أنجبت مدرسه أهل البيت فقهاء في عصر الأئمة ك«زراره بن أعين» (٨٠-١٥٠هـ) و«محمد بن مسلم الطائفي» (٨٠-١٥٠هـ) و«محمد بن

أبي عمير» (المتوفى ٢١٧ هـ) و«الحسن بن محبوب» (١٥٠-٢٢٤ هـ) إلى غير ذلك من فقهاء الشيعة في القرن الثاني و الثالث.

احتفل القرن الرابع و الخامس بفقهاء كبار لهم مكانتهم في الفقه الشيعي ك«علي بن بابويه» (المتوفى ٣٢٩ هـ)، و«محمد بن جعفر بن قولويه» (المتوفى ٣٦٩ هـ)، و«الشيخ الصدوق» (٣٠٦-٣٨١ هـ) و«الشيخ المفيد» (٣٣٦-٤١٣ هـ)، و«السيد المرتضى» (٣٥٥-٤٣٦ هـ)، و«الشيخ الكراجكي» (المتوفى ٤٤٩ هـ)، و«الشيخ الطوسي» (٣٨٥-٤٦٠ هـ)، و«سلار الديلمي» مؤلف المراسم، و«ابن البراج» (٤٠١-٤٨٩ هـ) مؤلف المهذب، و غيرهم من الذين ملأت أسماءهم كتب التراجم و الرجال، و من أراد الوقوف على حياتهم و كتبهم فعليه الرجوع إلى الموسوعات الرجاليه و فهارس المؤلفات، و أخص بالذكر كتاب الذريعه إلى تصانيف الشيعة، و توالى التأليف في الفقه بأشكال و صور مختلفه إلى العصر الحاضر و ترى فيه موسوعات كبيره كجواهر الكلام في ٤٢ جزءاً، و الحدائق الناضره في ٢٦ جزءاً.

إنّ لكل كتاب أو باب فقهى شأناً و مكانه خاصه تدور عليها رحى الحياه الماديه و الروحيه للمسلم و لا يستغنى المجتمع الإسلامى عن واحد منها، غير أنّ هناك موضوعات تعدّ بمثابة أصول لها منزلته متميزه و هى ما نسميه أركان الفقه.

أركان الفقه و أسسه:

١- الصلاة: و هو ركن عظيم إسلامى، فيجب على كل مسلم أن يقيم الصلوات اليوميه في أوقاتها الخاصه إلى الجبهه (القبله) التى نصّ عليها القرآن و أطبق المسلمون عليها، و هى الكعبه.

٢- الصوم: يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان كلّه بادئاً برؤيه

٣- الحج: يجب على كل مسلم مستطيع أن يحج بيت الله الحرام و لو مرّه واحده، و يجتمع مع سائر إخوانه في ذلك المشهد العظيم الذي ينعقد مره واحده كل سنه.

٤- الزكاه: و هي عند الشيعة ركن اجتماعي بارز و ضريبه إسلاميه، و هي حق الجماعه في عنق الفرد و على عاتق المكلفين، حدّد لها الإسلام نصاباً، و جعل لها شرائط، و أوضح جهه مصارفها كمساعدته الفقراء و المساكين و تجهيز المجاهدين و دعم المرابطه و علاج المرضى و كل ما يمت إلى مصالح الإسلام و المسلمين بصله.

٥- الخمس: و هي ضريبه إسلاميه أخرى تتعلق بأموال المتمكنين من المسلمين و لها شرائط و ضوابط محرّره في مواضعها.

٦- الجهاد: و هو ركن من أركان الإسلام فيجب على كل مسلم الوقوف أمام أعداء الإسلام بكل حول و قوه بتضحيه النفوس و الأموال.

٧ و ٨- الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر: هما من أفضل القربات لدى الشيعة أساسهما الدعوه إلى الحق، و الهدى، و مكافحه الفساد، بألوانه المختلفه الفرديه و الاجتماعيه على ضوء العلم و المنطق الصحيح، و هما وظيفه الشعب المسلم و لا يختص بطائفه دون أخرى ليقف على الأحداث المهدده لمجتمعه و يعالجها بالحكمه و الموعظه الحسنه. و أمّا تنفيذهما فيقع على عاتق الدوله الإسلاميه و ليس له شكل خاص و إنّما يتبع المصالح العامه حسب اختلاف الظروف.

ما ذكرنا من العناوين الفقهيّه تعدّ من أركان الفقه و أسسه، و أمّا الكتب الفقهيّه التي وقعت في إطار البحث و النقاش بين فقهاء الشيعة فتربو على أكثر

من خمسين كتاباً، وإليك أسماءها:

- ١- كتاب الطهارة.
- ٢- كتاب الصلاة.
- ٣- كتاب الزكاة.
- ٤- كتاب الخمس.
- ٥- كتاب الصوم.
- ٦- كتاب الاعتكاف.
- ٧- كتاب الحج.
- ٨- كتاب الجهاد.
- ٩- كتاب الكفارات.
- ١٠- كتاب النذر.
- ١١- كتاب القضاء.
- ١٢- كتاب الشهادات.
- ١٣- كتاب الوقف.
- ١٤- كتاب العطيّة.
- ١٥- كتاب المتاجر.
- ١٦- كتاب الدين.
- ١٧- كتاب الرهن.
- ١٨- كتاب الحجر.
- ١٩- كتاب الضمان.

- ٢٠- كتاب الحواله.
- ٢١- كتاب الكفاله.
- ٢٢- كتاب الصلح.
- ٢٣- كتاب الشركه.
- ٢٤- كتاب المضاربه.
- ٢٥- كتاب الوديعه.
- ٢٦- كتاب العاريه.
- ٢٧- كتاب المزارعه.
- ٢٨- كتاب المساقاه.
- ٢٩- كتاب الإجاره.
- ٣٠- كتاب الوكاله.
- ٣١- كتاب الشفعه.
- ٣٢- كتاب السبق و الرمايه.
- ٣٣- كتاب الجعاله.
- ٣٤- كتاب الوصايا.
- ٣٥- كتاب النكاح.
- ٣٦- كتاب الطلاق.
- ٣٧- كتاب الخلع و المباراه.
- ٣٨- كتاب الظهار.
- ٣٩- كتاب الإيلاء.

٤٠- كتاب اللعان.

٤١- كتاب العتق.

٤٢- كتاب التدبير و المكاتبه و الاستيلاء.

٤٣- كتاب الإقرار.

٤٤- كتاب الغصب.

٤٥- كتاب اللقطه.

٤٦- كتاب إحياء الموات.

٤٧- كتاب الصيد و الذبائح.

٤٨- كتاب الأطمعه و الأشربه.

٤٩- كتاب الميراث.

٥٠- كتاب الحدود.

٥١- كتاب القصاص.

٥٢- كتاب الديات.

ص: ٧٣

إنّ للفقّه الشيعي ملامح عامه يتميز بها عن سائر المناهج الفقهيّه، وإليك بيانها:

١- الفقّه الشيعي هو حصيله النصوص الشرعيّه الوارده في الكتاب و السنّه و ذلك، لأنّ الأحاديث الفقهيّه عند أهل السنّه لا تتجاوز عن ٥٠٠ حديث يدعمها مراسيل و موقوفات، قال السيد محمد رشيد رضا مؤلف المنار: إنّ أحاديث أحكام الأصول خمسمائه حديث فعدها أربعة آلاف فيما أذكر (١)، ما يذكره من أربعة آلاف إنّما هي موقوفات و مراسيل لا يحتج بها.

و على كل تقدير صار ذلك سبباً للجوئهم في استنباط الأحكام إلى غير النصوص، كالقياس و الاستحسان و سدّ الذرائع، و أمّا الشيعة فيما أنّهم أناخوا مطيتهم على باب العتره الطاهره فتسنّى لهم الوقوف على حجم هائل من الأحاديث النبويه أكثر من غيرهم حتى صار ذلك سبباً لثراء الفقّه الشيعي، من غير حاجه إلى العمل بغير النصوص.

٢- قد عرفت أنّ باب الاجتهاد مفتوح عندهم منذ رحيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا و لم يتوقف يوماً ما فأدى إلى نضاره الفقّه و تبلوره و إعداده للإجابة على المستجدات الطارئه.

و لا- شك أنّ الحقيقه بنت البحث، و العلم يتكامل إذا دخل حلبه الصراع الفكري، و فقهاء الشيعة بذلوا جهوداً مضنيه على هذا الصعيد بغيه تنميه الفقّه و تكامله فصار فقهم متكامل الجوانب.

ص: ٧٤

٣- إنَّ الاجتهاد عند فقهاء الشيعة ليس اجتهاداً في مذهب خاص و إنما هو اجتهاد حر موضوعي لا يختص بمذهب دون آخر.

فالمجتهد الحنفي إنما يجتهد للبحث عن رأى إمامه في المسألة، وهكذا المجتهد الشافعي و لا يخرج عن إطار المذهب و إن تبين أنَّ الحق على خلافه.

و أما الاجتهاد في المذهب الشيعي فليس اجتهاد في مذهب الإمام جعفر الصادق أو غيره من أئمة الشيعة، إذ ليست الأئمة عندهم مجتهدين أو مفتين و إنما هم رواه سنن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عيبه علمه غير مشوب بالخطأ، فالمجتهد الشيعي إنما هو بصدد استنباط الحكم الواقعي الذي نزل به الوحي و بينه النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

٤- المذهب الفقهي يتمتع بالدقة في السند و الدلالة فربَّ روايه يراها الإنسان العادي دليلاً على الحكم الشرعي، و لكنهم يامعان الدقة، و يرونها غير داله عليه، يعلم ذلك بالرجوع إلى كتبهم الفقيهيه.

٥- الشيعة تستمد اجتهادها من القواعد العامه المسماه بأصول الفقه، و قد تكامل هذا العلم منذ عصر الأئمة إلى يومنا هذا على وجه أوجد فجوه سحيقه بين ما ألفه علماء السنه في الأصول كالمختصر لابن الحاجب، و المستصفي للغزالي، و ما ألفه علماء الشيعة في أصول الفقه في القرنين الأخيرين، و ما ذلك إلَّا نتيجة التعمق في القواعد الأصوليه من خلال فتح باب الاجتهاد.

و حصيله القول

إنَّ الفقه الشيعي كالفقه السنّي يسيران جنباً إلى جنب في استنباط الحكم الشرعي مع اختلاف يسير في الطرق و المشارب.

فالأدله الفقيهيه عند الشيعة هي الأربعة السالفه الذكر، و عند السنه إضافه

إلى الكتاب و السنّه و الإجماع، القياس و الاستحسان و سدّ الذرائع.

فوجد أنّ الفقه الشيعي يتفق في غالب المسائل الفقيهيه مع أحد المذاهب الأربعة نتيجة اتّفاقهم في أصول الاستنباط، و أمامك كتاب الخلاف للشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) فهو خير شاهد على ما ندّعيه، فإنّه فقه مقارن يبحث عن الحكم الشرعي على ضوء المذاهب الخمسه.

نعم ثمه مسائل خلافيه انفردت الشيعه بها و نشير إلى بعضها:

١- إنّ الشيعي يمسح الرجلين في الوضوء و السنّي يغسلهما.

٢- إنّ الشيعي يصلّي بلا قبض اليسرى باليمنى و السنّي يصلّي مع القبض إلّا المالكى.

٣- الشيعي يطلق ضريبه الخمس إلى أرباح المكاسب و السنّي يخصصها بالغنائم الحريبه.

٤- الشيعي جوّز الوصيه للوارث دون السنّي.

٥- السنّي يقول بالعول و التعصيب في الارث دون الشيعي.

و هذا المقدار الضئيل من الاختلافات ليس بشيء أمام الفقه الإسلامى الواسع و الذى هو محيط لا يدرك ساحله و لا يضر بالوحده المنشوده و لا يقطع عرى الأخوه.

و لو أقيم مؤتمر فقهيّ حول هذه المسائل التى تفرّدت بها الشيعه لتجلّت الحقيقه بأجلى مظاهرها، و تقاربت الخطى و أخذ الجميع برأى واحدٍ كما صار الحال كذلك في الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد، فقد أخذ الفقه المصرى في هذه المسأله برأى الشيعه الإماميه من أنّه يحسب طلاقاً واحداً، لا ثلاثاً و صادقت المحاكم المصريه على ذلك.

ص: ٧٦

اشاره

إنّ المسلمين بصوره عامه شيّدوا أركان الحضاره الإسلاميه فى ظلّ الخطوط التى رسمها النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم من خلال القرآن و السنّه فأصبحت لهم قوه اقتصاديه و نظم سياسيه و تقاليد دينيه و خلقيه، و أصبحت العلوم و الفنون تتطور و تتقدم، و قد قاموا بترجمه كتب اليونانيين و الفرس و غيرهم إلى لغتهم فصارت الحضاره الإسلاميه مزدهره، بفضل هذه العلوم و تطويرها.

و الذى يطيب لنا فى هذا الموضوع ذكر

مساهمه الشيعة فى بناء الحضاره

اشاره

خصوصاً فيما يرجع إلى العلوم و الفنون:

١- الشيعة و علم النحو:

قام أبو الأسود الدؤلى-الذى كان من سادات التابعين و صاحب علياً عليه السلام و شهد معه الجمل و صفين-بوضع قواعد نحويه و دوّنها بأمر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و إرشاده و تعليمه قسماً من القواعد.

و من المعلوم أنّ هذه القواعد لم تكن تسدّ الحاجه الملحّه و لكن أبا الأسود قام بإكمالها، ثمّ عُرف فيما بعد بأنّه مدوّن علم النحو و واضعه و توالى التأليف بعده من الطائفتين.

٢- الشيعة و علم الصرف:

كما أنّ أوّل من دوّن الصرف هو أبو عثمان المازني، و كان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو كما ذكره في كشف الظنون. و أبسط كتاب في الصرف، ما كتبه نجم الأئمة أعني محمد بن الحسن الاسترآبادي الغروي، له شرح الشافيه في الصرف كما له شرح الكافيه في النحو، و كلا الكتابين جليلا الخطر محمودا الأثر.

٣- الشيعة و علم اللغة:

و قد ألفت الشيعة كتباً في علم اللغة، فأوّل من ضبط اللغة هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي الذي وضع علم العروض فهو سيد أهل الأدب، و قد سبق الجميع إلى تدوين اللغة و ترتيب ألفاظها على حروف المعجم، فألف كتابه «العين» جمع فيه ما كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة و أحكامها و قواعدها، و رتب ذلك على ترتيب خاص.

و لم يشك أحد من علمائنا أنّ الخليل كان شيعياً، و عن المرزباني أنّه ولد عام مائه بعد الهجره و توفي عام ١٧٠ أو ١٧٥ هـ، و قد ألف كتاباً في الإمامه كما نقله ابن قانع.

٤- الشيعة و علم العروض:

و إذا كانت الشيعة هي التي ابتكرت علم النحو بهدايه من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و لحسن الحظ أنّها المبتكره أيضاً لعلم العروض و ظهوره إلى الوجود، كما تقدّم و قد ألف كافي الكفاهه صاحب بن عباد الذائع الصيت، كتاباً في العروض أسماه «الاقناع» و قد توالى التأليف بعده إلى عصرنا هذا، و من أراد التفصيل فليرجع إلى المعاجم حول مصنّفات الشيعة.

٥- الشيعة و الشعراء:

وجدت فى الشيعة طبقه راقيه منذ أوائل القرون الأولى، و كان أئمه أهل البيت يقدرّون جهودهم و يرحّبون بهم بكل حفاوه كما نطق به التاريخ فى حقّ الفرزدق و ميميته، و هاشميات الكميت، و عينيه الحميرى، و تائه دعبل، لقد حظوا جميعاً بتقدير و احترام الأئمه و صار عملهم فى هذا المجال أسوه الشيعة.

و إليك أسماء قليل من شعراء الشيعة:

١- قيس بن سعد بن عباده.

٢- الكميت.

٣- السيد الحميرى.

٤- دعبل الخزاعى.

٥- ابن الرومى.

٦- أبو فراس.

٧- أبو الطيب المتنبى.

٦- الشيعة و علم التفسير:

إنّ مدرسه الشيعة منذ أن ارتحل النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا، أنتجت تفاسير على أصعده مختلفه و خدمت الذكر الحكيم بصور شتى.

إنّ أئمه أهل البيت عليهم السلام بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم هم المفسرون للقرآن الكريم حيث فسروا القرآن بالعلوم التى نحلهم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بأقوالهم و أفعالهم و تقريراتهم التى لا تشدّ عن قول الرسول و فعله و تقريره، و من الظلم الفادح أن نذكر الصحابه و التابعين فى عداد المفسرين و لا نعترف بحقوق أئمه أهل البيت عليهم السلام.

عكف المسلمون على دراسته القرآن و أول ما فوجئوا به بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو قصور باع لفيف منهم عن فهم بعض ألفاظ القرآن، و القرآن و إن نزل بلغه الحجاز، لكن توجد فيه ألفاظ غير رائجه و ربّما كانت رائجه بين القبائل الأخرى، و هذا النوع من الألفاظ ما سمّوه «غريب القرآن».

و بما أنّ تفسير غريب القرآن كانت الخطوه الأولى لتفسيره، ألف غير واحد من علماء الشيعة إبان التدوين كتباً في ذلك المضمار، نذكر إليك بعضها:

١- غريب القرآن لأبان بن تغلب بن رباح البكري (المتوفى ١٤١ هـ).

٢- غريب القرآن لمحمد بن السائب الكلبي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٣- غريب القرآن لأبي روق، عطيه بن الحارث الهمداني الكوفي التابعى.

٤- غريب القرآن لعبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي.

٥- غريب القرآن للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد الطبرى الأملى الوزير الشيعى المتوفى عام ٣١٣ هـ.

كما أنّ هناك لوناً آخر من التفسير يهدف إلى بيان مقاصده و معانيه فيما إذا كانت الآية مشتمله على المجاز و الكنايه و الاستعاره، و نأتى ببعض ما ألف في ذلك المجال بيد أعلام الشيعة:

١- مجاز القرآن، لشيخ النجاه الفراء يحيى بن زياد الكوفي المتوفى عام ٢٠٧ هـ.

٢- مجاز القرآن، لمحمد بن جعفر أبو الفتح الهمداني و له كتاب «ذكر المجاز فى القرآن».

٣- مجازات القرآن، للشريف الرضى المسمّى ب «تلخيص البيان فى مجازات القرآن».

و هناك لون آخر من التفسير يندفع فيه المفسر إلى توضيح قسم من الآيات تجمعها صله خاصه كالمحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و آيات الأحكام، و قصص الأنبياء، و أمثال القرآن، و الآيات الواردة في مغازي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و النازله في حق العتره الطاهره إلى غيرها من الموضوعات التي لا تعم جميع آيات القرآن بل تختص بموضوع واحد.

و قد خدمت الشيعة كتاب الله العزيز بهذه الأنواع من التفاسير و من أراد أن يقف عليها فعليه أن يرجع إلى المعاجم و أخص بالذكر الذريعه إلى تصانيف الشيعة.

٧- الشيعة و التفسير الموضوعي:

إنّ هذا النمط من التفسير هو غير النمط المعروف بالتفسير الترتيبي فإنّ النمط الثاني يتّجه إلى تفسير القرآن سوره بعد سوره و آيه بعد آيه، و أمّا النمط الأوّل فيحاول فيه المفسر إيراد الآيات الواردة في موضوع خاص في مجال البحث و تفسير الجميع جملة واحده و في محل واحد.

و لعلّ العلّامه المجلسي (١٠٣٧-١١١٠هـ) أوّل من فتح هذا الباب على مصراعيه في موسوعته «بحار الأنوار» حيث يورد في أوّل كل باب الآيات الواردة حولها ثمّ يفسرها إجمالاً، و بعد الفراغ عنها، ينتقل إلى الأحاديث التي لها صله بالباب.

٨- الشيعة و التفسير الترتيبي:

إنّ المنهج الراسخ بين القدماء و أكثر المتأخرين هو التفسير الترتيبي، و قد نهجت الشيعة منذ عصر الإمام عليّ إلى العصر الحاضر هذا النمط من التفسير،

إمّا بتفسير جميع السور أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة فى القرون الثلاثة الأولى، هو التفسير بالأثر و لكن تحول إلى اسلوب آخر و هو التفسير العلمى و التحليلى منذ أواخر القرن الرابع.

فأول من ألف من الشيعة على هذا الاسلوب هو الشريف الرضى (٣٥٧-٤٠٦ هـ) مؤلف كتاب «حقائق التأويل» فى عشرين جزءاً ثم جاء بعده أخوه الشريف المرتضى فسلك مسلكه فى أماليه المعروفة بالدرر و الغرر، ثم توالى التأليف على هذا الاسلوب فى عصر الشيخ الأكبر الطوسى (٣٨٥-٤٤٠ هـ) مؤلف «التبيان فى تفسير القرآن» فى عشره أجزاء.

٩- الشيعة و علم الحديث:

إنّ السنّه هى المصدر الثانى للثقافه الإسلاميه على كافه الأصعده، و لم يكن شىء أهم، بعد كتابه القرآن و تدوينه و صيانتته من نقص و زياده، من كتابه حديث الرسول و تدوينه و صيانتته من الدس و الدجل و قد أمر به الرسول صلى الله عليه و آله و سلم غير مرّه.

لقد تعرّفت على أنّ أئمّه أهل البيت هم رواه سنن النبىّ و أحاديثه و قد التفتّ حولهم الشيعة فأنجبت مدرسه أهل البيت فى القرون الثلاثة الأولى محدّثين كبار لكلّ منهم جامع حديثى نذكر منهم ما يلى:

١- يونس بن عبد الرحمن، من تلامذه الإمام موسى بن جعفر و الإمام الرضا عليهما السلام، و قد وصفه ابن النديم فى فهرسته بعلامه زمانه، له جوامع الآثار، و الجامع الكبير، و كتاب الشرائع.

٢- صفوان بن يحيى البجلي (المتوفى ٢٢٠ هـ) كان أوثق أهل زمانه و صنّف ثلاثين كتاباً.

٣ و ٤- الحسن و الحسين ابنا سعيد بن حماد الأهوازي صَنَّفَا ٣٠ كتاباً.

٥- أحمد بن محمد بن خالد البرقي (المتوفى ٢٧٤ هـ) صاحب كتاب المحاسن.

٦- محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي صاحب الجامع المعروف (المتوفى حوالي ٢٩٣ هـ).

٧- أحمد بن محمد ابن أبي نصر البزنطي (المتوفى ٢٢١ هـ) صاحب الجامع المعروف.

هذه هي الجوامع الحديثية الأولى للشيعة، وهناك جوامع حديثية أخرى أُلِّفَتْ في القرن الرابع و الخامس مستمدة تأليفها من الجوامع الأولى و هي:

١- الكافي، لثقة الإسلام الكليني (المتوفى ٣٢٩ هـ) طبع في ٨ أجزاء.

٢- من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ) طبع في ٤ أجزاء.

٣- التهذيب طبع في عشره أجزاء.

٤- الاستبصار طبع في أربعة أجزاء.

كلاهما لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ).

و هذه هي الجوامع الحديثية الثانويه.

و هناك جوامع أُخرى أُلِّفَتْ في القرن الحادي عشر و قد استمد مؤلفوها من الجوامع الثانويه و هي:

١- وسائل الشيعة، للشيخ الحر العاملي (المتوفى ١١٠٤ هـ) و طبع في ٢٠ جزءاً.

٢- الوافى، للمحدث الكاشانى (المتوفى ١٠٩١ هـ) طبع حديثاً وراء طبعته القديمه فى خمسه و عشرين جزءاً.

٣- بحار الأنوار، للشيخ محمد باقر المجلسى (١٠٣٧-١١١٠ هـ) و قد طبع فى مائه و عشره أجزاء.

و الركب بعدُ غير متوقف فقد انتشر فى الآونه الأخيره جامع حديثى للشيعة ألفته لجنه علميه بإشراف من فقيه العصر و محدثه السيد حسين البروجردى، و قد تمّ طبعه فى ٢٦ جزءاً.

كل ذلك ينم عن اعتناء الشيعة بالأحاديث النبويه و الآثار المرويّه عن أئمه أهل البيت، و لو رجع محدثو السنّه و فقهاؤهم إلى هذه الكنوز الثمينه لوجدوا فيها درراً و لآلى لامعه تقرّ بها عيونهم.

١٠- الشيعة و علم أصول الفقه:

انبرى أئمه أهل البيت عليهم السلام إلى إملاء ضوابط و قواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص، أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات، و تلك الأصول هى التى تشكّل أساساً لعلم أصول الفقه، و لقد جمعها عده من الأعلام فى كتب خاصّه أفضلها «الفصول المهمه فى أصول الأئمه» للشيخ المحدث الحر العاملى المتوفى عام ١١٠٤ هـ.

كما و نرى أنّ لفيفاً من صحابه الأئمه درسوا بعض مسائل أصول الفقه نظير:

١- هشام بن الحكم (المتوفى سنه ١٩٩ هـ) صنّف كتاب الألفاظ.

٢- يونس بن عبد الرحمن، صنّف كتاب اختلاف الحديث و مسائله.

٣- إسماعيل بن على بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت (٢٣٧-)

٣١١هـ) صَنَّفَ كتابَ الخُصُوصِ و العُموْمِ و كتابَ إِبْطالِ القِياسِ و كتابَ نَقْضِ اجْتِهَادِ الرأْيِ.

٤- أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من علماء القرن الثالث، له كتاب الخُصُوصِ و العُموْمِ و الخِبرِ الواحِدِ.

٥- محمد بن أحمد بن داود بن علي المتوفى عام ٣٦٨هـ، له كتاب الحديثين المختلفين.

٦- محمد بن أحمد بن الجنيد المتوفى عام ٣٨١هـ، له كتاب كشف التمويه و الالتباس في إبطال القياس.

١١- الشيعة و علم المغازي و السير:

مغازي النبي صلى الله عليه و آله و سلم جزء من تاريخ حياته و سيرته، و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قدوه و أسوه و فعله كقوله حجه بلا إشكال، و قد وضع بعضهم كتباً في فقه السيرة فكان على المسلمين ضبط دقيقها و جليلها و قد قاموا بذلك لو لا أنّ الجهاز الحاكم حال دون تحقق تلك الأمانة.

و لكن قِيضَ اللهُ سبحانه رجلاً من الشيعة في ذلك المجال ضبطوا سيره الرسول و مغازيه، منهم:

١- محمد بن إسحاق بن يسار (المتوفى ١٥١هـ).

٢- عبيد الله بن أبي رافع، من أصحاب الإمام أمير المؤمنين فقد عمل كتاباً أسماه «تسميه من شهد مع أمير المؤمنين الجمل و صفين و النهروان من الصحابة».

٣- كما أَلَفَ جابر بن يزيد الجعفي (المتوفى ١٢٨هـ) كتباً في ذلك المجال، منها: كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب مقتل أمير

المؤمنين و كتاب مقتل الحسين عليه السلام.

٤- أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي.

٥- أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي، شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة، صنف كتباً منها: كتاب المغازي، و كتاب السقيفة، و كتاب الردة، و كتاب فتوح الإسلام، و كتاب المختار الثقي، و كتاب صفين، و كتاب الجمل.

٦- نصر بن مزاحم ألف كتباً كثيرة في هذا المجال أشهرها كتاب صفين، و هو كبير الحجم.

٧- هشام بن محمد بن السائب الكلبى (المتوفى ٢٠٦ هـ).

١٢- الشيعة و علم الرجال:

اهتم علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال، نذكر المؤلفين الأوائل منهم:

١- عبد الله بن جيله الكنانى (المتوفى ٢١٩ هـ).

٢- على بن الحسن بن فضال، كان فقيه أصحابنا بالكوفة و وجههم و ثقتهم و عارفهم بالحديث.

٣- الحسن بن محبوب السراد (١٥٠-٢٢٤ هـ) له كتاب «المشيخة» و «معرفه رواه الأخبار».

٤- أبو عمرو الكشى، له كتاب «معرفه الرجال».

٥- أبو العباس أحمد بن على النجاشى (٣٧٢-٤٥٠ هـ).

٦- الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) له كتاب «الفهرست» و «الرجال».

إنّ خطب الإمام على عليه السلام و رسائله و قصار حكمه شكّلت احدى المصادر المهمّة لكلام الشيعة و آرائهم فى العقائد و المعارف، و لم يقف نشاط الشيعة عند هذا الحد بل جاءت الأئمّه عليهم السلام و حثوا شيعتهم على التدبّر و التفكّر فى المعارف حتى تربّى فى مدرستهم رواد الفكر من عصر سيد الساجدين إلى عصر الإمام العسكري، تجد أسماءهم و تأليفهم و أفكارهم فى المعاجم و كتب الرجال.

و قد نبغ فى عصر أئمّه أهل البيت مفكّرون بارزون أفادوا الأجيال من بعدهم.

و إليك أسماء بعض متكلمى الشيعة فى القرون الأولى:

١- زراره بن أعين، شيخ أصحابنا فى زمانه، كان قارئاً متكلماً، قال ابن النديم: و زراره أكبر رجال الشيعة فقهاً و حديثاً و معرفه بالكلام (المتوفّى ١٥٠هـ).

٢- محمد بن على بن النعمان البجلي المعروف بمؤمن الطاق (المتوفّى ١٤٨هـ). له كتب فى الكلام قال ابن النديم: و كان متكلماً حاذقاً، و له من الكتب: كتاب الإمامه و المعرفة، و كتاب الرد على المعتزله.

٣- هشام بن الحكم، قال ابن النديم: هو من متكلمى الشيعة الإماميه و بطانتهم، و قد ذكر الرجالى المعروف النجاشى كتبه الكلاميه البالغه ٣٠ كتاباً، قال أحمد أمين المصرى: هشام بن الحكم أكبر شخصيه شيعيه فى الكلام، و كان قوى الحججه، ناظر المعتزله و ناظروه.

٤- قيس بن الماصر، أحد أعلام المتكلمين تعلم الكلام من على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، و هو من عيون المتكلمين بين أصحاب الإمام الصادق عليه السلام.

٥- عيسى بن روضه، كان متكلماً جيّد الكلام و له كتب فى الإمامه.

إلى غير ذلك من متكلمي القرن الثاني و يليهم فى القرن الثالث أناس بارزون فى الكلام، و إليك أسماء طائفه منهم:

١- الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠ هـ).

٢- الحكم بن هشام بن الحكم المتوفى فى أوائل القرن الثالث.

٣- محمد بن عبد الله بن مملك الاصفهاني، له كتاب مجالس مع أبى على الجبائى.

٤- إسماعيل بن محمد المخزومى، له كتاب المعرفه.

إلى غير ذلك من متكلمي الشيعة فى القرن الثالث.

دخل القرن الرابع و برز متكلمون من الشيعة، كالحسن بن على بن أبى عقيل، و إسماعيل بن على بن نوبخت، و محمد بن عبد الرحمن بن قبه الرازى، و الحسن بن موسى أبى محمد النوبختى، مؤلف كتاب الآراء و الديانات، و كتاب فرق الشيعة.

و أقميا القرن الخامس فحدّث عن متكلمي الشيعة فيه و لا- حرج كابن المعلم المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ) الذى انتهت إليه رئاسه متكلمي الشيعة و تلميذه السيد الرضى، و تلميذه الآخر السيد المرتضى و غيرهم.

و أمّا مساهمه الشيعة فى العلوم الطبيعیه فمن أكبر علمائهم جابر بن حيان و هو الذى ظهر فى حقل الكيمياء، و الشريف أبو القاسم على بن قاسم القصرى من علماء القرن الرابع، إلى إن وصلت النوبه إلى نصير المله و الدين نصير الدين الطوسى، فأسس معهداً للأبحاث الطبيعیه لا مثيل له و جهزه بالآلات الفلكيه التى زادت فى شهره المعهد و رفعت مكانته.

كما أسس مرصد مراغه و جلب إليه علماء من مختلف أنحاء المعموره.

تقول السيدة زيغريد هونكه: «إنَّ نصير الدين أحضر إلى مكتبه المعهد أربعمائه ألف مجلّد كانت قد سرقت من مكاتب بغداد و سوريا و بلاد بابل، و قد استدعى علماء ذوى شهره واسعاً من اسبانيا و دمشق و تفليس و الموصل إلى مدينه مراغه لكي يعملوا على وضع الازياج بأسرع وقت ممكن» (١).

و فى مجال الجغرافيا نذكر فى المقام رحّالتين طافا فى البلاد الإسلاميه و كتبا ما يرجع إلى جغرافيه البلدان و قد صار كتاباهما أساساً للآخرين:

١- أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى، المتوفّى فى أواخر القرن الثالث، فهو أوّل جغرافى بين العرب وصف الممالك معتمداً على ملاحظاته الخاصه متوخيّاً ضبط ما أراد من وصف البلد و خصائصه.

٢- أبو الحسن على بن الحسين المسعودى (المتوفّى ٣٤٦ هـ) فقد ألف فى ذلك المضمّار كتاب «مروج الذهب و معادن الجواهر» و كتابه الآخر: «التاريخ فى أخبار الأمم من العرب و العجم» و كتابه الثالث «التنبيه و الاشراف» فقد اشتمل وراء التاريخ على الجغرافيه و تقويم البلدان، و قد جرّه حبه للاستطلاع إلى السفر إلى بلاد نائية فكتب ما رآه و شاهده.

هذه إمامه عابره حول الشيعه و فقهاء و تاريخها، و تراثها، و الأعمال التى قامت بها فى بناء الحضاره الإسلاميه ذكرناها على وجه الإيجاز، و من أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب الموسعه المعده لذلك، و نذكر على سبيل المثال:

١- المراجعات، تأليف السيد شرف الدين الموسوى العاملى (١٢٩٠-)

ص: ٨٩

١- ١). السيد زيغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب: ١٣٣. و التسميه الأجدر: شمس الإسلام....

- ٢- أصل الشيعة و أصولها، للشيخ محمد كاشف الغطاء (١٢٩٥-١٣٧٣ هـ).
- ٣- تاريخ الشيعة، للشيخ محمد حسين المظفر (المتوفى ١٣٧٥ هـ).
- ٤- أوائل المقالات، للشيخ المفيد (٣٣٦-٤٠٣ هـ).
- ٥- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة الإمامية، للسيد صدر الدين المدني الحسيني (المتوفى ١١٢٠ هـ).
- ٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آغا بزرك الطهراني (١٢٩٣-١٣٨٩ هـ).
- ٧- الشيعة و التشيع، تأليف محمد جواد مغنیه (المتوفى ١٤٠٠ هـ).
- ٨- الشيعة بين الأشاعره و المعتزله، تأليف هاشم معروف الحسنى (المتوفى ١٤٠٧ هـ).
- ٩- أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملى (١٢٨٤-١٣٧١ هـ).
- ١٠- آخرها «الإلهيات» بقلم المؤلف.

جامعات الشيعة:

اشاره

الإسلام دين العلم و المعرفة يحاول دفع الإنسان من حضيض الجهل إلى أعلى مستويات العلم و الكمال، فأراد للإنسان حياه نابضه بالفكر و الثقافه و قد كانت للشيعة خلال القرون الماضيه جامعات فى أقطار مختلفه نشير إلى بعضها:

١- المدينه المنوره:

إنّ الجامعه الأولى للشيعة أسست بيد الإمامين الهمامين الباقر و الصادق

عليهما السلام فقد تقاطر طلاب العلم و عشاق الحقيقه إلى الاستفاده من علومهما، و كان لهما دور فى صيانه و إحياء السنه النبويه و تفسير القرآن الكريم و تربيته طليعه إسلاميه فى العلوم المختلفه.

٢- الكوفه و جامعها الكبير:

لمّا هاجر الإمام أمير المؤمنين من المدينه إلى الكوفه، استوطن معه خيار شيعته و من تربى على يديه من الصحابه و التابعين و كانت نواه لجامعه شيعيه ثانيه.

و لما غادر الإمام الصادق المدينه المنوره إلى الكوفه أيام أبى العباس السفاح حيث مكث فيها مده سنتين مغتنماً تلك الفرصه الذهبيه التى أوجدتها الظروف السياسيه، فربى جيلاً كبيراً من المحدثين و الفقهاء فى عصره، و كان أبو حنيفه واحداً ممن تربى على يد الإمام الصادق عليه السلام مده سنتين.

و هذا هو الحسن بن على الوشاء يحكى لنا ازدهار مدرسه الكوفه بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام يقول: أدركت فى هذا المسجد يعنى مسجد الكوفه تسعمائه شيخ كل يقول حدّثنى جعفر بن محمد عليهما السلام.

و يضيف النجاشى -ذلك الرجالى الكبير- و يقول:

كان هذا الشيخ (الحسن بن الوشاء) عيناً من عيون هذه الطائفه، ثم ذكر كتبه.

و من خريجي هذه المدرسه: هشام بن محمد بن سالم الكلبي الذى ألف أكثر من مائتى كتاب، و ابن شاذان الذى ألف ٢٨٠ كتاباً، و ابن أبى عمير الذى صنّف ١٩٤ كتاباً، و ابن دوئل الذى صنّف ١٠٠ كتاب، و جابر بن حيان أستاذ الكيمياء و العلوم الطبيعيه.

٣- مدرسه قم و الرى:

كانت مدرسه الكوفه مزدهره بالعلم و الثقافه ففى حوالى سنه ٢٥٠ هـ هاجر إبراهيم بن هاشم الكوفى إلى قم و نشر فيها حديث الكوفيين فصارت مدرسه قم و الرى مزدهره بالمحدثين و الرواه الكبار، و ساعد على ذلك بسط الدوله البويهيه نفوذها على تلك البلدان، و قد خرج من تلك المدرسه علماء و محدثون، نظراء:

١- محمد بن يعقوب الكلينى المتوفى ٣٢٩ هـ مؤلف الكافى فى الأصول و الفروع.

٢- على بن حسين بن بابويه والد الشيخ الصدوق صاحب الشرائع المتوفى عام ٣٢٩ هـ.

٣- ابن قولويه أبى القاسم جعفر بن محمد (٢٨٥-٣٦٨ هـ) إلى غير ذلك من أعلام الحديث و الفقه.

٤- مدرسه بغداد:

كانت مدرسه الكوفه تزدهر بمختلف النشاطات العلميه حينما كانت بغداد عاصمه للخلافه. و لما أخذ الضعف يدبّ فى الخلافه العباسيه و كانت مقاليد الأمور بيد البويهيين، تنفّس علماء الشيعة الصعداء فى أكثر مناطق العراق فأسسوا مدرسه رابعه للشيعة فى بغداد أنجبت شخصيات مرموقه تفتخر بها الإنسانيه و من نتائجها ظهور أعلام نظير:

١- الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) تلك الشخصيه الفذه حيث اعترف الموافق و المخالف بعلمه و فضله.

٢- السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) صاحب الانتصار فى الفقه و الأمالى.

٣- السيد الرضى (٣٥٩-٤٠٦هـ) جامع نهج البلاغه، و مؤلف الكتب القيمه فى التفسير و الأدب، و هو و أخوه كوكبان فى سماء العلم و الأدب غنيان عن التعريف.

٤- الشيخ الطوسى (٣٨٥-٤٦٠هـ) و هو شيخ الطائفة و من أعلام الأئمة تربى على يد شيخه المفيد و السيد المرتضى و له كتاب «التبيان فى تفسير القرآن» و «التهديب» و «الاستبصار» و هما من المصادر المهمه عند الشيعة.

و كانت مدرسه بغداد زاخره فى عهد هؤلاء الأعلام، و قام كل منهم بدور كبير فى تطوير العلوم و تقدمها من خلال تخريج نخبه من المجتهدين و المحدثين، من الشيعة و السنه.

٥- جامعه النجف الأشرف:

لما دخل طغرل بك-الحاكم التركى-بغداد و أشعل نار الفتنة بين الطائفتين السنه و الشيعة، و أحرق دوراً فى الكرخ و مكتبه الشيخ الطوسى، لم يجد زعيم الشيعة آنذاك بداً من مغادره بغداد إلى النجف الأشرف، و تأسيس جامعه علميه فقيهه عند جوار ضريح أمير المؤمنين عليه السلام سنه ٤٤٨هـ.

و قد مضى على عمرها قرابه ألف سنه و هى جامعه كبيره لها حقوقها الكبرى على الإسلام و المسلمين، و قد خرّجت الكثير من المحققين و المفكرين فى مختلف أصناف العلوم و لم تزل مشعّه حتى اليوم.

٦- مدرسه الحلّه:

فى الوقت الذى كانت جامعه النجف تزدهر و تنجب أفذاذاً أسست جامعه فى الحلّه الفيحاء و كانت تحتضن كبار المحققين، كالمحقق الحلّى صاحب

الشرائع (٦٠٢-٦٦٧ هـ)، وجمال الدين الحسن بن يوسف المعروف بالعلامة الحلبي (٦٤٨-٧٢٦ هـ) صاحب الموسوعات الفقهية الكبيره، وفخر المحققين ولد العلامة الحلبي (٦٨٢-٧٧١ هـ)، إلى غير ذلك من رجال الفكر كابن طاوس، وابن ورام، وابن نما، وابن أبي الفوارس الذين أنجبتهم مدرسه الحله.

٧- الجامع الأزهر:

امتد سلطان الدوله الفاطميه من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً، و نافست الدوله الفاطميه الشيعيه خلافة الحكام العباسيين في بغداد، وكان المعز لدين الله (٣١٩-٣٦٥ هـ) أحد الخلفاء الفاطميين بمصر رجلاً مثقفاً و مولعاً بالعلوم والآداب، وقد أسس أعظم جامع علميه إسلاميه باسم الجامع الأزهر، وكانت جامعته شيعيه من بدء تأسيسها إلى قرنين.

و هناك جامعات أخرى للشيعه في أقطار العالم كأفغانستان و باكستان و الهند و سوريا تضم علماء و مدرّسين كبار.

و أما اليوم فالجامعه العلميه بقم التي أسسها الشيخ عبد الكريم الحائري (١٢٧٤-١٣٥٥ هـ) عام ١٣٤٠ هـ أكبر جامعته شيعيه تحتضن قرابه ٢٨ ألف أستاذ و مساعد و طالب و محقق و كاتب و مفكر.

دول الشيعه:

حاول الأمويون القضاء على التشيع و أراد العباسيون الحدّ من انتشاره بعد اليأس من استئصاله و لكن نما و ازدهر عبر القرون بالرغم من تلك العوائق، بل قامت لهم هنا و هناك دول و دويلات نظير:

١- دولة الادارسه فى المغرب (١٩٤-٣٠٥ هـ).

٢- دولة العلويين فى الديلم (٢٠٥-٣٠٤ هـ).

٣- دولة البويهيين فى العراق و ما يتصل بها من بلاد فارس (٣٢١-٤٤٧ هـ).

٤- دولة الحمدانيين فى سوريا و الموصل و كركوك (٢٩٣-٣٩٢ هـ).

٥- دولة الفاطميين فى مصر (٢٩٦-٥٦٧ هـ).

٦- دولة الصفويين فى إيران (٩٠٥-١١٣٣ هـ).

٧- دولة الزندين (١١٤٨-١١٩٣ هـ).

٨- دولة القاجاريين (١٢٠٠-١٣٤٤ هـ).

أضف إلى ذلك وجود امارات للشيعة فى نقاط مختلفه.

إنّ اطناب القول فى مؤسس هذه الدول و ترجمه أحوالهم و ما آل إليه مصيرهم يحوجنا إلى تأليف كتاب مستقل فترك المقال فى ذلك و على القراء مراجعه الكتب المؤلفه فى هذه المواضع.

أمّا اليوم فتتواجد الشيعة فى جميع أنحاء العالم بنسب مختلفه و ربّما تعد بعض البلدان معقل الشيعة و التشيعُ مذهباً سائداً فيها.

و إليك أسماء بعضها و هى: إيران، و العراق، و الحجاز، و الشام، و تركيا، و افغانستان، و الباكستان، و الهند، و اليمن، و مصر، و الامارات العربيه المتحده، و البحرين، و الاحساء، و القطيف، و الكويت، و مسقط، و عمان، و التبت، و الصين، و جمهوريه آذربايجان، و طاجيكستان، و الجمهوريات المتحرره بانحلال الاتحاد السوفيتى، و ماليزيا، و اندونيسيا، و سيلان، و تايلند، و سنغافوره، و افريقيا الشماليه، و الصومال، و الارجتين، و بريطانيا، و المانيا، و فرنسا، و البانيا، و الولايات المتحده، و كندا، و غيرها مما يعسر عدها.

قد تعرّفت على المنهج الشيعي عقيدته و شريعته، بقيت هنا كلمه و هي أنّ المذهب الشيعي على الرغم من امتيازه بأصول و فروع نابعه عن صميمه، لكنه لا يحول دون اتحاد المسلم الشيعي مع أخيه المسلم السنّي.

هذا هو القرآن الكريم يتطرق إلى الوحده و رصّ الصفوف و يمدحه بحماس و يقول: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا»
١.

و يقول أيضاً: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» ٢.

و يذم بشده كل ما يمس بهذه الوحده قائلاً: «وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ» ٣.

حتى إنه سبحانه يعدّ الفرقه نوع عذاب من الله سبحانه إلى من سعى إليها.

و يقول سبحانه: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً وَ يُدِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ» ٤.

ففي ظلّ هذه الدعوه المباركه ترحب الشيعه بكلّ خطوه نحو التقريب و لمّ الشمل و تندد بكل نعره طائفية تفرّق شمل المسلمين و تهدّد كيانهم.

إنّ دعاه الوحده لا يبيغون سوى تقريب الخطى و تعريف المسلمين بعضهم

ببعض حتى يقفوا على المشتركات الكثيره التي تجمعهم و هي الكتاب و سنّه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إنّما اختلافهم في فهم هذين المصدرين و لكلّ حجته و دليله. و للمصيب أجران و للمخطي أجر واحد.

نحن نعيش في عصر تحالفت فيه القوى الكافره، على إطفاء نور الله و الحدّ من الصحوه الإسلاميه فعلى الرغم من التشتت السائد بين تلك القوى الغاشمه في أصول السياسه و الاقتصاد، لكنّهم متفقون على إبعاد الإسلام عن ساحه الصراع الحضارى و للحيلولة دون وصول المسلمين إلى مركزهم المرموق في بناء الحضاره.

فالمعسكر الشرقى و الغربى طرفا مقص يتحركان معاً لاجتثاث الإسلام.

فإذا كان هذا ديدنهم فلما ذا لا نتحد نحن معاشر المسلمين فإنّ ما يجمعنا أكثر ممّا يفترقنا؟

إنّ التعاون و المواساه من أهمّ الأصول الاجتماعيه، إذ بالتعاون يقوم صرح المجتمع و قد ندب إليه الإسلام حيث قال صلى الله عليه و آله و سلم:

«من أصبح و لم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم»، فعلى المسلمين جميعاً أن يتعاونوا في مسائلهم الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه و الصناعيه ليستغنوا بذلك عن القوى الشرقيه و الغربيه.

يا أبناء أمتنا الإسلاميه المجيده فالله ربّكم و القرآن كتابكم و الكعبه قبلتكم و السنّه منهجكم، فكونوا يداً واحده على من سواكم، و رصّوا صفوفكم أمام أعدائكم، و لا تصغوا لكلّ نعره تهدّد وحده كلمتكم.

و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

جعفر السبحانى

قم-الحوزه العلميه

١١/ ربيع الآخر ١٤١٧ هـ

ص: ٩٧

الحمد لله رب العالمين و الصلاه و السلام على محمد و آله الطاهرين.

أمّا بعد: فقد وقفت على مقال حول الفرقه الاثني عشرية في دائره المعارف المصريه «السفير»، قرأته بامعان و دقه فوجدت فيه أخطاءً لا تُغفر، و زلات لا تُستقال، علقتُ عليه التعاليق الآتية مع تبني الايجاز و الاختصار.

إنّ السنّه المتّبعه عند كتاب دائره المعارف هو تبين المفاهيم المختلفه استناداً إلى المصادر و المراجع المقبوله، بلا أيّ تحيز، لكن المقال كتبت لغايه الردّ على هذه الطائفه لا على تبين عقائدها حقّه كانت أم باطله.

كان من اللازم على كاتبه أن يشير إلى عقائدهم و أصولهم و فروع مذهبهم في مقال خاص، ثمّ يُعلّق عليها في آخر المقال بشيء...، لا أن يتبدى بالردّ و النقد العنيف معتمداً على كتب الخصوم بدل كتبهم الخاصه بهم.

هذه هي السنّه الدارجه بين أبناء دائره المعارف و لكن الكاتب لم يتبعها. فما هو الوجه؟ لا أدري و لا المنجم يدري، و لا القراء يدرون !!

و لإيقاف القارئ على ما في المقال من الأخطاء و القضاء الجائر نأتى بنصه أولاً ثم نردفه بالتعليق ثانياً:

اشاره

هي إحدى فرق الشيعة، ويُطلق عليها أيضاً عدة أسماء أخرى، منها:

«الجعفرية» نسبة إلى «جعفر الصادق».

و«الرافضة» لأنهم رفضوا نصره الإمام «زيد بن علي زين العابدين» (٧٩-١٢٢ هـ ٦٩٨-٧٤٠ م) حين طلبوا منه سب «أبي بكر» و«عمر» - رضی الله عنهما - فأبى.

و«الإمامية» نظراً لآرائهم الخاصة في الإمامه، وجعلهم إياها أصلاً من أصول الدين.

أمّا لقبهم «الاثنا عشرية»؛ فلقولهم بأنّ منصب الإمامه ليس باختيار الأمة، وإنما قد حدده الله و عينه في «علي بن أبي طالب» رضی الله عنه، وفي أحد عشر من ذريته من أولاد «فاطمه الزهراء» رضی الله عنها، وهم بالتتابع بعد «علي» رضی الله عنه (المعروف عندهم بعلي المرتضى):

١- «الحسن بن علي» المتوفى سنة (٥٥٠ هـ ٦٧٠ م) و لقبه «الحسن المُجْتَبَى».

٢- «الحسين بن علي» المتوفى سنة (٥٦١ هـ ٦٨٠ م) و لقبه «الحسين الشهيد».

٣- «علي زين العابدين بن الحسين» المتوفى سنة (٥٩٤ هـ ٧١٢ م) و لقبه «السَّجَّاد».

٤- «محمد بن على زين العابدين» المتوفى سنة (١١٤ هـ ٧٣٢م) و لقبه «محمد الباقر».

٥- «جعفر بن محمد» المتوفى سنة (١٤٨ هـ ٧٦٥ م) و لقبه «جعفر الصادق».

٦- «موسى بن جعفر» المتوفى سنة (١٨٣ هـ ٧٩٩م) و لقبه «موسى الكاظم».

٧- «على بن موسى» المتوفى سنة (٢٠٣ هـ ٨١٨ م) و لقبه «على الرضا».

٨- «محمد بن على» المتوفى سنة (٢٢٦ هـ ٨٤٠ م) و لقبه «محمد الجواد».

٩- «على بن محمد» المتوفى سنة (٢٥٤ هـ ٨٦٨ م) و لقبه «على الهادى».

١٠- «الحسن بن على» المتوفى سنة (٢٦٠ هـ ٨٧٣ م) و لقبه «الحسن العسكرى».

١١- «محمد بن الحسن» المتوفى سنة (٢٦٥ هـ ٨٧٨ م) و لقبه «محمد المهدي».

و«الاثنا عشرية» أكثر فرق الشيعة عدداً فى العالم، و بخاصه فى قاره «آسيا»، و يبلغ عدد الشيعة بعامه قرابه (١٠٠) مليون شخص يمثلون حوالى ١٠٪ تقريباً من إجمالى عدد المسلمين.

و فى أواخر عهد الإمام السادس «جعفر الصادق» أخذ بعض الغلاة يتجمعون حول ولده إسماعيل؛ مما دفعه إلى جمع الناس و إشهادهم على وفاه إسماعيل الذى مات فى حياه أبيه عام (١٤٣ هـ ٧٦٠ م) و اختار ولده الآخر «موسى الكاظم» - كما تروى الاثنا عشرية - إماماً بعده، و قد قام بأمر الطائفة فى نطاق سياسه أبيه «جعفر» التى نزعته إلى السلم، و اتجهت إلى العلم و النشاط

الروحي، و من «الكاظم» تناسل الأئمه حتى «محمد بن الحسن العسكري» الإمام الثاني عشر و «المهدي المنتظر».

لكن الشيعة انقسموا بعد وفاه «جعفر» -رضى الله عنه- فتبع أكثرهم «الكاظم» و هم الاثنا عشرية، و أصرت طائفه أُخرى على إمامه «إسماعيل» منكره إمامه «الكاظم»، و قالوا بإمامه «محمد بن إسماعيل» بعد «جعفر» مباشرة، و من هؤلاء تشكلت طائفه الإسماعيليه التي تغلو في التأويل الباطني، و ترى أنّ للإمام وظيفه كونه بجانب سلطته التشريعيه كمصدر للشرع، و سلطته التنفيذيه كمنفذ له. كما نزعَت إلى المبالغه في التَّقْيَه و الاختفاء، و الظاهر و الباطن في تأويل أحكام الدين، و قد استخدمت دولتها الفاطميه في «مصر» و «المغرب» في تحقيق ما ترمى إليه.

و كان الشيعة الاثنا عشرية -بخلاف «الزيديه» و «الإسماعيليه»- قد اتجهوا وجهه ثقافيه روحيه بتأثير «جعفر الصادق»، و أعرضوا عن النشاط السياسي إلى حد كبير؛ و بخاصه النشاط الثوري المسلح الذي لجأت إليه فرق الشيعة الأخرى، إلّا ما كان منهم عند سقوط «بغداد» في يد «التتار» و نشوء الدوله «الإيلخانيه» التي قامت بعد ذلك في القرنين (٧٨٠ هـ ١٤، ١٣ م).

و على الرغم ممّا يؤخذ عليهم في أثناء هذه الفتره، فقد أسهموا في تحويل بعض قاده المغول إلى الإسلام، و إلى التشيع بطبيعه الحال، و لكنهم أحسوا ببعض القوه في العهد الجديد الذي أعقب سقوط الخلافه العباسيه؛ ممّا كان له أثر في إشعال الجدل الطائفي الذي يتمثل في عده مؤلفات: من أبرزها كتاب «الحسن بن المطهر» «منهاج الكرامه» الذي ردّ عليه «ابن تيميه» بكتابه «منهاج السنّه»، و تابعه علماء آخرون، و بخاصه في الهند و فارس و ما حولهما. و من أبرز ما كتبه أهل السنّه في ذلك «التحفه الاثنا عشرية» للشيخ «عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي».

و فى أواخر عهد الأئمة كان من بين الاثنى عشرىه رجل بلغ النشاط و الحماسه للمذهب، مع نزوع إلى الغلو، اسمه «محمد بن نصير النميرى» (٢٧٠ هـ ٨٨٣ م) و قد عاصر الأئمة الثلاثة المتأخرين: «على الهادى» (٢١٤-٢٥٤ هـ ٨٢٩-٨٦٨ م) و «الحسن العسكرى» (٢٣٠-٢٦٠ هـ ٨٤٤-٨٧٣ م) و «محمد المهدي» الثاني عشر المولود (٢٥٥ هـ ٨٦٨ م) و المنتظر ظهوره فيما يعتقدون.

و قد زعم «ابن نصير» هذا أنه «الباب» إلى الإمام «الحسن العسكرى»، فتبعه طائفه من الشيعه سموا بالنصيريه، و خالفه جمهورهم الذين أنكروا ادعاءاته، و قالوا بأن المرجعيه الدينيه بعد موت «العسكرى» و غيبه ولده «المهدي» ترجع إلى لجنه من أربعة أشخاص، هم: «عثمان بن سعيد العمري»، و «محمد بن عثمان بن سعيد»، و «الحسين بن روح النوبختى»، و «على بن محمد السمرى».

و يغلب الغلو على عقائد النصيريه، إذ يؤلّهون علياً، و يتركون ظاهر الشرع، و يهملون المساجد و صيام رمضان، و يخالفون بعض الأحكام فى النكاح و غيره، و يقولون بثالوث من على و محمد و سلمان الفارسى، و أنّ معنى الألوهيه تشخّص فى على، ثمّ محمد، ثمّ سلمان الفارسى، ثمّ المقداد.

و تتسم عقيدتهم بالمبالغه فى السريه، و هم فى هذا كلّهم يقلدون من سبقهم من غلاه الشيعه منذ عبد الله بن سبأ، و من جاء بعده؛ و خاصه «الخطابيه» أتباع «أبى الخطاب الكاهلى» الذى زعم أنه (الباب) للإمام الخامس (١) «موسى الكاظم»، ثمّ قال بتأليه الأئمة و نسخ بعض الأحكام الشرعيه، و الإسراف فى التأويل الباطنى، فأخذ النصيريه بهذا كله.

و لكن «الاثنى عشرىه» ينكرون مزاعم «ابن نصير» و يكفرون من اعتقد هذه

ص: ١٠٣

الأقويل، بصرف النظر عن العلاقات العملية التي قد تقوم بين الطائفتين.

وقد عادت الطائفة «الاثنا عشرية» إلى تقاليد المسالمة و عنايتها بإشاعة العلم و الاهتمام بالشئون الاجتماعية و الروحية لأتباعها إلى أن قامت للثاني عشرية دولة في «إيران» لأول مره في التاريخ على يد الشاه «إسماعيل الصفوى» (٩٠٦-٩٣٠ هـ ١٥٠٠-١٥٢٣ م) الذي نزع هو و خلفاؤه إلى التشيع على الرغم من أصولهم السنيه الصوفيه. و قد استمر حكم «الصوفيين» لإيران قرابه قرنين و نصف قرن إلى سنه (١١٤٨ هـ (1) ١٧٣٥م)، و كانوا خلال حكمهم في عدااء شبه مستمر مع الخلفه العثمانيه، و نشبت بينهما الحروب التي أسهمت في انحسار المد الإسلامى عن «أوروبا» و تمزق بلدان العالم الإسلامى و تفككها، ثم سقوطها في براثن الاستعمار الغربى، و مما ساعد على ذلك: اتفاق الشاه «إسماعيل الصفوى» مع البرتغاليين ضد دوله الخلفه العثمانيه، و سيطرتهم على بعض جزر الخليج كقاعده موجهه لحرب «الخلفه العثمانيه»، ثم قيام الشاه «عباس الصفوى» بعد توليه الحكم عام (٩٩٦ هـ ١٥٨٧ م) بالتحالف مع «الإنجليز» لمحاربه دوله الخلفه، كما توقف الحج إلى «مكه» فى عهده، و روجت الدوله لزياره مدينه «مَشْهَد»، و هى مدينه «طوس» القديمه التى دفن بها «الرشيد» و ولد فيها «أبو حامد الغزالي» و غيره من أئمه المسلمين، و لكن مكانتها الدينيه لدى الاثنى عشرية ترجع إلى كونها تضم رفات الإمام الثامن «على الرضا». و هو الإمام الوحيد المدفون بإيران، و بسبب ذلك اشتهرت باسمها الحالى.

و هذا التحالف مع الغزاه الأجانب، مع تمادى الخلاف بين الدولتين، قد مهد للاستعمار الغربى فرصه تمزيق العالم الإسلامى و احتلال أراضيه، و كان هذا الصراع المذهبى و السياسى من أهم أسباب هزيمه العثمانيين -و العالم الإسلامى

ص: ١٠٤

من ورائهم-أمام حميه الغرب الغازيه.

و حين تحولت«الدوله الصفويه»إلى المذهب الشيعى كثر التشيع بإيران و صار أتباعه هناك أكثريه.بعد أن كانت الأغلبيه سننيه فى تلك البلاد،و يرجع الاضطراب بين الطائفتين-إلى حد كبير-إلى العدااء الذى خلفته«الدوله الصفويه»فى إيران ضد أهل السنّه،فبرغم أنّ عدد أهل السنّه يصل الآن حوالى ٢٠٪من إجمالى عدد السكان فى إيران إلّا أنّهم محرومون من تولى الوظائف الرئيسيه فى الدوله،و من صلاه العيدين،و من بناء مسجد لهم بطهران العاصمه،على الرغم من وجود (١٢) كنيسه للنصارى بها و معبدين لليهود،و مثلهما للمجوس،و آخرين للهندوس.

و قد تطور مذهب الاثنى عشريه على مر الزمن و أسهم العدااء السياسى و الغلو المذهبى فى انفراد الطائفه بعقائد و مبادئ تتجافى عن روح الإسلام السمحه،و مقتضيات المنطق السليم،و منها:

١.الإمامه و الخلافه:

يدعى«الاثنا عشريه»أنّ الله أمر نبيّه بأن يعلن فى الناس أنّ علياً وصيّهُ و أنّه الإمام من بعده عُقِيب حجه الوادع فى طريق عودته من مكه إلى المدينه عند مكان يسمى«غدِير حُفْم»،و يرون أن تستمر الإمامه فى ولد«على بن أبى طالب»و«فاطمه الزهراء»إلى يوم القيامه، و أنّ«عليّاً»هو الإمام بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بلا-فصل بتعيين الله له،و لكن الصحابه بايعوا«أبا بكر الصديق»و«عمر»و«عثمان»-رضى الله عنهم-و لذلك فإنّهم يعتقدون أنّ أكثر الصحابه خالفوا النص،و هو قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم:«من كنت مولاه فعلى مولاه». (١)

ص:١٠٥

١- (١). سنن الترمذى: كتاب المناقب.

و قوله: «...اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه». (١)

و قد ورد كلا- الحديثين فيما يرويه أهل السنّة من سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم و آثاره، و معناهما- فيما يتأوله «الاثنا عشرية»- الوصية له بالخلافه، و لكنها لدى أهل السنّة وصيه عامه بإكرام آل البيت، و تنويه بمكانه «على» رضى الله عنه.

و هم يستشهدون أيضاً بآثار أخرى، بعضها ضعيف و الآخر موضوع (زائف) تدلّ لديهم على ولايه الإمام «على بن أبى طالب»- رضى الله عنه- و خلافته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، و هذه الآثار لا تدل عند علماء السلف و الخلف من أهل السنّة على ما ذهبوا إليه من وصيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلى بالخلافه من بعده؛ إذ الولاية تَرِدُ بمعنى النصره و الموده و الولاء و الأخوه، لا بمعنى الإمامه و الخلافه حتماً، كما فى قوله تعالى عن ولايه المؤمنين بعضهم بعضاً:

«و الَّذِينَ آوُوا وَ نَصَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ». (٢)

كما قال سبحانه عن ولايه الكافرين بعضهم بعضاً:

«و الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ». (٣)

و الإمامه عند الاثنى عشرية من حق «على» رضى الله عنه، و أحد عشر من ذريته، حيث نص كل إمام على من بعده حسب رواياتهم المتداوله فيما بينهم.

و هم يعنون الإمامه ركناً و أصلاً من أصول الدين، و لكنها (أى الإمامه) أصل مذهبى فى رأيهم، فمن لم يعرف إمام زمانه و لم يُبايعه عدّ خارجاً عن المذهب، و لكنّه فى عامه المسلمين، و ربّما غلا بعضهم فكفره، غير أنّهم يرون فسق من لم يُبايع الإمام و كفر من يحاربه، مع أنّ الإمام «علياً»-رضى الله عنه- لم يكفّر

ص: ١٠٦

١-١. مسند أحمد: ١/١١٨.

٢-٢. الأنفال: من ٧٢

٣-٣. الأنفال: من ٧٣.

الخوارج الذين كفّروه و حاربوه، و أمر ألا يُمنعوا من المساجد، و أن يُدفن موتاهم فى مقابر المسلمين.

و يزعم «الاثنا عشرية» أنّ أئمتهم معصومون من الخطأ، و المعصية، و لهم صفه المعرفه اللدنيّه، دون حاجه إلى تلقين الرواه، فيصح لهم أن يرووا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مباشرة دون سند من الرجال، كما أنّهم يعلمون الغيب، و لا يموتون إلّا باختيار منهم، و لذا يعتبرون عهد الوحي مستمراً إلى غيبه الإمام الثانى عشر، و لا- يُباح الاجتهاد مع وجود الإمام، و إنّما يبدأ الاجتهاد الفقهي بعد تلك الغيبه.

و فكره «الإمامه» على هذا النحو ترجع إلى آراء مغاليه ظهرت فى الفترات الأولى من تاريخ المسلمين، ثم ورثها الاثنا عشرية، و اتخذوها أصولاً لهم، و كان من نتائجها إيقاع العداوه و الشقاق بين جمهور المسلمين.

و ممّا يدل على بطلان مبدأ «الإمامه» بصيغته تلك- عند «الاثنا عشرية»- ما فعله الإمام «على» رضى الله عنه؛ إذ بايع «أبا بكر الصديق»، و نصره بنفسه و ولده، ممّا يدل على عدم وجود نص لديه يوصى له بالإمامه، و لو وُجد هذا النص لأخذ به الصحابه- رضوان الله عنهم- الذين كانوا أشد حرصاً على طاعه الله و رسوله، و كذلك بايع «على»- رضى الله عنه- كلاً من «عمر» و «عثمان»- رضى الله عنهما- بالخلافه، و سمي أولاده بأسمائهم، كما زوج «عمر بن الخطاب» من ابنته «أم كلثوم»، و أخلص لهؤلاء الخلفاء الثلاثة المشوره و النصره.

و كل هذه الوقائع تدل على أنّه بايع مختاراً، و ليس مكرهاً كما يدعى «الاثنا عشرية»، و عند ما سئل و هو على فراش الموت عمّن يستخلفه من بعده، قال: «لا، و لكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم».

و لو كانت الإمامه حُدّدت فى «على» و أولاده كما يزعمون، لعيّن الإمام «على ابن أبى طالب»- كرم الله وجهه- ابنه «الحسن»- رضى الله عنه- خليفه للمسلمين

من بعده.

و بعد أن بُويِع «الحسن» بالخلافه، صالح «معاوية بن أبي سفيان» -رضى الله عنه- و تنازل له عن الخلافه حقناً لدماء المسلمين، مما يسقط دعاوى القوم في بطلان ولايه أى إمام غير الاثنى عشر.

ثم إنَّ الإمامه لو كانت معينه بوصيه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في «على» و أولاده كما يرون، لما استطاع أحد من الصحابه أن يخالفها.

٢. المعاد و الرجعه:

تعتقد الاثنا عشرية بالمعاد و اليوم الآخر، و بتفاصيل ذلك من الجَنَّة و النار، و النعيم و العذاب الحَسِّيِّين، و بالحياه البرزخيه، و الحشر و النشر، و الميزان و الصراط كما وردت في الكتاب و السنَّه، و أنَّ الله تعالى هو الذى يحاسب الخلق على ما قدموا في حياتهم الدنيا، و يجزيهم عليها، إن خيراً فخير و إن شراً فشر.

و يعتقدون برجعه «المهدى المنتظر» الإمام الثانى عشر «محمد بن الحسن العسكرى» قبل القيامه مهما طال غيبته ليملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، و يقول بعض غلاتهم برجوع الأئمه الاثنى عشر إلى الدنيا بعد أن يكون «المهدى» قد سبقهم إليها، كما يعود إلى الحياه أعداء الأئمه من الصحابه و غيرهم ليقتصص منهم على رءوس الأشهاد، ثم يموتون انتظاراً للبعث و الجزاء الأخرى.

و هذه المعتقدات الغاليه -مما لا دليل عليه- ليست عامّه في مذهبهم، و لكن ما هي إلّا روايات ضعيفه منسوبه إلى بعض أئمتهم.

و أول من قال بفكره (الرجعه) و دعا إليها «عبد الله بن سبأ» اليهودى، فأخذ يقول برجعه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مثل «عيسى» عليه السلام، و استشهد بقول الله تعالى:

ص: ١٠٨

«إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ». (١)

ثمّ قال برجعه «على بن أبي طالب» -رضى الله عنه-، وقد ترتب على القول بعقيدته «الرجعه» تمزيق الصف الإسلامي، وتقوية الفرقه بين الشيعة و أهل السنّه، كما أثّرت في دعاه الفرق الغاليه المتأخره التي تشبّثت بهذه الأقاويل الفاسده، من آخرهم: «ميرزا محمد» مؤسس «البابيه» (و هي فرقته دينيه نشأت بإيران منشقّه عن الاثني عشرية إبان القرن ١٣ هـ ١٩ م) و «الميرزا حسين، بهاء الله» مؤسس «البهائيه» و هي صورته متطوره من البابيه اختلفت عنها في أهدافها و أساليبها، تنحت تقليد الغلاه السابقين، و أعلنت نفسها ديانته جديده تنسخ الجهاد و تنادى بالسلام، و تتخذ كتباً مقدسه بديله عن القرآن، و تهدد وحده الأُمه الإسلاميه بوجه خاص، و تحظى بتأييد الغرب و أجهزته الاستعماريه، و يعيش رؤساؤها الآن في ظعن الدوله الصهيونيه التي تحتل فلسطين.

٣. سب بعض الصحابه و أزواج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم:

و يستبيح «الاثنا عشرية» سب بعض الصحابه و أزواج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و بخاصه السيده «حفصه» و السيده «عائشه» رضى الله عنهما، على الرغم من نهى النبي صلى الله عليه و آله و سلم عن سب الصحابه -رضوان الله عليهم-، فقال:

«لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه». (٢)

و برغم أنّ سب الصحابه -رضوان الله عليهم- و اتهامهم بالكذب قد يؤدي

ص: ١٠٩

١-١). القصص: من ٨٥.

٢-٢). صحيح البخارى: كتاب فضائل الصحابه. المُدّ: مكيال قديم، نصيفه: نصفه، و المراد أنّ القليل الذى أنفقه أحدهم خير من الكثير الذى ينفقه غيرهم.

إلى التشكيك فى القرآن الكرىم و السنّه النبويه، لأنّهما نُقلا عن طريق الصحابه رضوان الله عليهم، و من بعدهم من علماء الأمه بالشروط الشرعيه فى العداله، و الضبط و ما يتصل بهما. و سب الصحابه يشيع للأسف بين عوام الاثنى عشريه، و يوجد كذلك فى كتب شيوخهم و علمائهم، و كان ينبغى تنزههم عن ذلك ما داموا يدعون إلى تقارب المذاهب و الفرق الإسلاميه.

٤. الطعن فى القرآن الكرىم و دعوى التحريف:

يؤمن جمهور «الاثنى عشريه» بالمصحف الذى بين أيدي المسلمين، و يعتقد بعض غلاتهم أنّ الإمام «عليّاً» -كرم الله وجهه - و السيده «فاطمه الزهراء» -رضى الله عنها- كان لهما مصحف يخالف هذا المصحف المتواتر بين المسلمين، و يزعم هؤلاء الغلاه أنّ الصحابه قاموا بتبديله فأسقطوا كثيراً من السور و الآيات التى نزلت فى فضائل أهل البيت، و من جمله ما يدعون إسقاطه ما يسمونه سوره «الولايه»، و ادّعوا أنّه كان فيها: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنبي و الولي اللذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم... الخ).

و قد يضيفون أحياناً إلى بعض الآيات فى السور الموجوده بالمصحف المتواتر عبارات من عندهم ليؤيدوا بها ولايه «على» -رضى الله عنه- و أبناءه الأئمه، و من ذلك: (ألم نشرح لك صدرك [بعلى]. و من يطع الله و رسوله [فى ولايه على و الأئمه بعده] فقد فاز فوزاً عظيماً).

و هؤلاء الغلاه من دعاه التحريف يتواصون بالعمل بما فى المصحف الذى بين أيدينا؛ حتى يخرج «المهدى» و معه المصحف الكامل فى زعمهم.

و لا يخفى أنّ ما ذهبوا إليه باطل من أساسه، فقد تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، فقال:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ». (١)

وقد روت الأمة-بأجيالها المتعاقبة و شعوبها في أركان الأرض-القرآن الكريم بسوره و آياته و حروفه بالتواتر و الإجماع، كما شهدت الأمة كلها على مدى (١٤) قرناً أنّ المصحف الذى بين الدفتين هو القرآن الذى نزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم دون تحريف أو تبديل، و لم يثبت وجود مصحف لعلى أو «فاطمه الزهراء»-رضى اللّٰهُ عنهما-مخالف لما فى أيدي المسلمين، و كان سائر أئمتهم يتلون هذا القرآن فى صلواتهم و يستشهدون به فى دروسهم، و كل ما روى عنهم ما زال على ما هو عليه الآن فى أيدي المسلمين.

و قد سئل «علی بن أبى طالب» نفسه: هل عندكم شىء ما ليس فى القرآن، فقال: و الذى فَلقَ الحَبَّةَ و بَرَأ النَّسَمَةَ (كل كائن حى فيه روح) ما عندنا إلّا ما فى القرآن، إلّا فهماً يُعْطَى رجل فى كتابه...». (٢)

و هذا ما أجمع عليه المسلمون كافة.

٥. التَّقِيَّة:

و يقصدون بها أن يُظهر الإنسان خلاف ما يُبطن، فيقول شيئاً و يضمّر غيره، أو أن يقوم بعمل تعبدى لا يعتقد صحته، ثم يؤديه بعد ذلك بالصورة التى يعتقد صحتها، فالشيعى يتصرف بين خصومه كما لو كان يدين بعقيدتهم. و قد بدءوا العمل بهذا المبدأ منذ القرن الرابع الهجرى، و قد يصل العمل بهذه التقية إلى حد استباحه الكذب و النفاق، و إخفاء العقيدة الأصليه عن الخصوم، و مع هذا فإنهم ينسبونها إلى أئمتهم؛ بل يرفعونها إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فيما زعموا، مع أنه صلى الله عليه و آله و سلم -و أبناءه

ص: ١١١

[١-١]. الحجر: ٩. [١]

[٢-٢]. صحيح البخارى: كتاب الديات.

من علماء أهل البيت- كانوا أبعد الناس عن التقيه، وكانوا من الشجاعه و الإقدام بحيث يتحملون المشاق الناجمه عن مواقفهم و آرائهم بلا خوف أو تردد.

و هم ينسبون إلى «جعفر الصادق» قوله: «التقيه دينى و دين آبائى». و التقيه مبيحه للكذب و النفاق مبدأ مذموم فى الإسلام، قال تعالى فى معرض ذمه للمنافقين:

«وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ» . (١)

و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «كبرت خيانه أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدق و أنت له به كاذب». (٢)

و قال أيضاً:

«إِنَّ الصَّدَقَ بَرٌّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَحَرَى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ فَجُورٌ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لِيَتَحَرَى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَابًا». (٣)

و قد كانت التقيه من أهم الأسباب التى أدت إلى غلو كثير من الشيعة، و إلى إنشاء الجمعيات المنحرفة ذات الأهداف الباطنيه الهدامه، و إن كان القرآن الكريم قد أباح للمسلم- فى حاله الخوف و الإكراه الملجئ- أن ينطق بكلمه الكفر ظاهراً و قلبه مطمئن بالإيمان، كما فى قوله تعالى:

«إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» . (٤)

ص: ١١٢

[١- ١]. البقره: ١٤. [١]

[٢- ٢]. سنن أبى داود: كتاب الأدب. [٢]

[٣- ٣]. صحيح مسلم: كتاب البر و الصله و الآداب.

[٤- ٤]. النحل: من ١٠٦.

يقول بعض الغلاة بأنَّ الله سبحانه و تعالى يبدو له -أحياناً- غير الذى أراده فيرجع عن إرادته الأولى إلى الذى يَيدَا له، و فى هذا مساس بالقدره الإلهيه، و الكمال الإلهي، مما يتناقض مع العقيدة السليمه و مقتضيات العقل، كما يتعارض مع صريح القرآن الكريم، قال تعالى:

«لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى» . (١)

و قال تعالى: «مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» . (٢)

و البداء بهذا المعنى فكره يهوديه ووجهها «عبد الله بن سبأ» و استغلها بعض الشيعة، لئلا يظهر على أئمتهم كذب فيما يدعونه من علم الغيب، فإن تحقق ما يقولونه لأتباعهم، قالوا لهم: أ لم نعلمكم أنّ هذا سيكون، فنحن نعلم من قبيل الله عزّ و جلّ ما علمته الأنبياء عن الله، و إن جاء الواقع بخلافه اعتذروا لشيعتهم و قالوا لهم: بدا لله فى ذلك أمر.

و لكن «الاثنى عشرية» و إن قالوا بالبداء، فهم يفسرونه بمثل ما قال به بعض أهل السنّه، من قضاء مبرم و قضاء معلق، و ما أشارت إليه خواتيم سوره الرعد من محو و إثبات:

«يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» . (٣)

فأمّا القضاء المعلق فهو ما توجهت إليه الإراده من البدايه معلقاً على شرط حصوله، و كلاهما مراد منذ البدء دون بداء أو تغيير فى العلم أو الإراده، و ليس هذا من قبيل ما كان يلجأ إليه كذبه الغلاة تضليلاً لأتباعهم حين يتخلف بعض ما

ص: ١١٣

١- ١. طه: من: ٥٢.

٢- ٢. ق: ٢٩.

٣- ٣. الرعد: ٣٩. [١]

قالوا، ولا- هو مستلزم لنسبه الجهل أو تخلف المعلوم إلى الله تعالى و يقولون بأنّ النسخ في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع، فكما أنّ للنسخ حكماً و أسراراً قد تظهر أو لا تظهر، فللبداء بهذا المعنى حكم و مصالح قد تخفى على العباد.

٧. زواج المتعه:

و هو الزواج لمدته محدده، و كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد أباحه في بدء البعثة (١)، ثمّ حرمه تحريماً مؤبداً بعد ذلك و ثبت ذلك عنه صلى الله عليه و آله و سلم، كما حرمه الإمام «على بن أبي طالب» أيضاً و عمل الإمام حجه ملزمه عند الشيعة، و مع هذا فإنّ جمهور الشيعة و بعض علمائها يبيحونه و يستدلون له بآيه من سوره النساء كما يؤولونها، و هي قوله سبحانه:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» . (٢)

و إباحه زواج المتعه يُسبب اضطراب العلاقه الزوجيه، و يهز أركان الأسره المسلمه، و إن كانوا يبررونها بأمور، منها أنّها تحل مشاكل الشباب المسلم حين يرحل إلى خارج العالم الإسلامى، غير أنّ مسأله نكاح المتعه على كل حال حكم فرعى لا يتصل بالعقيد.

و قد ثبت عن النبی صلى الله عليه و آله و سلم نسخه، حيث قال:

«يا أيها الناس إنى قد كنت أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء. و إنّ الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شىء فليخّل سبيله، و لا تأخذوا مما آتتموهن شيئاً» . (٣)

ص: ١١٤

١- ١). الصحيح: فى دار الهجره.

٢- ٢). النساء: من ٢٤.

٣- ٣). صحيح مسلم: كتاب النكاح.

٨. بدع يوم عاشوراء:

يقوم عوام الشيعة بضرب ظهورهم بالسلاسل حتى يدموها، و ضرب أجسادهم بالسيوف حتى يقطعوها حزناً على استشهاد «الحسين» وفقده، أو تطهراً من مسئوليته خذلانه، وغالباً ما تؤدي هذه العادات المنكرة إلى حدوث صراع بين الشيعة والسنة في المجتمعات المشتركة، و ذهاب العديد من الأرواح البريئة. و ليست هذه الأمور من أصول المذهب أو فروعه، و لكنها شاعت بين جماهيره - و خاصة العوام منهم - في أقطار عديده.

و كانت السياسة الاستعمارية قد روجت لشيوع ذلك في العالم الإسلامي منذ (٢٠٠) عام، و بخاصه في شبه القاره الهنديه، و لا يزال لهذه العاده نفوذ بالغ و أثر سيئ هناك؛ و إن أخذت تقل حدتها و تختفى في مناطق أخرى. و يستغل أعداء الإسلام فرصه هذه المواكب المشينه في يوم عاشوراء، و يسجلونها، و يصفون المسلمين من أجلها بالوحشيه و الرجعيه.

٩. الخُمس:

يرى الاثنا عشرية وجوب دفع الخمس من دَخل كل اثني عشرى في كل عام إلى مراجع المذهب، و هم المجتهدون من قاده الطائفه الذين يتبعهم العوام و يقلدونهم و يلتزمون بفتاواهم، و ذلك لينفق منه على الشئون المذهبيه و المصالح الدينيه التي يقدرها هؤلاء القاده، و هم يرون ذلك بديلاً عن الزكاه و في بعض المجتمعات التي فرضت فيها الزكاه الشرعيه بحكم القانون - كباكستان - فرض الاثنا عشرية دفعها للدوله بسبب دفعهم هذا الخمس إلى مراجعهم الدينيه الخاصه.

هذا و قد أحدثت «الاثنا عشرية» في الصلاه أموراً منها «السجود على التربه

الحسينيه» و ذلك لأنهم يقدسون تراب مدينه كربلاء (النجف) التي استشهد فيها الإمام «الحسين بن علي» رضي الله عنهما، فلا يكاد يخلو بيت من بيوت الشيعة من تلك التربة.

و من مظاهر تقديسهم لها أنهم يقومون بالسجود عليها و تقيلها و تبرك بها، بل و أكل قليل منها للشفاء-على الرغم من أن الفقه الشيعي يحرم أكل التراب- كما يصنعون من هذه التربة أشكالاً مختلفه يحملونها في سفرهم و يسجدون عليها في صلواتهم التماساً للقبول و البركه.

و أهم تطور في حياه الفرقه «الاثني عشرية» في العصر الحديث هو اتجاههم إلى النشاط السياسي، و العمل على إقامة الدوله التي ترعى المذهب و تحقق أهدافه و تنشر مبادئه، و أهم مظهر لذلك هو قيام دولتهم المسماه «بالجمهوريه الإسلاميه» في إيران التي ينظمها دستور أعلنه الخميني قائد الثورة التي أقامت هذه الجمهوريه. و مارس فيها الخميني و من بعده خليفته-مرشد الجمهوريه- السلطه العليا نيابه عن الإمام الغائب حتى يظهر بناءً على ما للفقيه من سلطه و ولايه حال غياب الإمام، برغم أن الثورة قبل قيام الجمهوريه كانت تبدى وجهاً إسلامياً متسامحاً، و لا تتورط في مثل هذه الأمور الطائفية، و لكن بعض الشيعة من المجتهدين و غيرهم في بعض أنحاء العالم الإسلامي يرون أن ولايه الفقيه بهذا المفهوم السياسي ليست من مسلمات المذهب، و أن الأقرب إلى موقف الأئمه و خاصه «علي»-رضي الله عنه- تقديم وحده الأئمه على مسائل الإمامه، و جمع كل المسلمين على ما يحفظ مصالحهم في ظل الشريعة الخاتمه أياً كان شخص الحاكم القائم بذلك فيهم، فعسى أن يحقق الله ذلك و هو الغالب على أمره، و لكن أكثر الناس لا يعلمون.

كان هذا نص المقال المنشور في دائره المعارف الموسومه ب«السفير»، وقد بلغنا أنّ بعض المهتمين بهذه الموسوعه قد وقف على أنّ فيه بخصاً لبعض حقوق الاثنى عشرية فاستعدوا لتصحيحها بإرشادهم إلى مواقف الخطأ و الاشتباه حتى يستدركوا في الطبعه الثانيه فقمنا بعملين:

١- التنويه بمواضع الخطأ و الاشتباه في المقال المطبوع و ناقشناها بأرقام متسلسله. و هذا هو الذى نقدمه فى هذه الكراسه.

٢- تأليف مقال (١) يتضمن تاريخ الفرقه الاثنى عشرية و جذورهم و أصولهم و عقائدهم و دورهم فى بناء الحضاره الإسلاميه.

سوف يرسل إلى اللجنه التى ترأس دائره المعارف إذا طلبت منا. راجين أن ينشر بدلاً عن المقال المنشور سابقاً.

و نقتصر فى النقد و التحليل بما يمت إلى المذهب الاثنى عشرى بصله و أما ما طرحه فى ثنايا المقال من مسائل سياسيه و اشتباهات من تحالف الصفويه مع انكلترا، فنمر عليها مر الكرام.

ص: ١١٧

١-١). المراد الرساله الأولى فى هذه المجموعه و قد أُلّف بعد هذا المقال و نشر فى صحيفه اللواء.

اشاره

١. يقول: «من أسمائهم الرافضة لأنهم رفضوا نصره الإمام زيد بن علي زين العابدين (٧٩-١٢٢ هـ) حين طلبوا منه سب أبي بكر و عمر (رضي الله عنهما) فأبى».

مناقشتنا:

إنّ الرافضة مصطلح سياسى قد كان رائجاً قبل ولاده زيد بن علي بأعوام، و كان يطلق على من لم يعترف بشرعيه النظام السياسى الحاكم، و لأجل ذلك نرى أنّ معاويه يصف مخالفي علي عليه السلام بالرفض و يُسمّيهم بالرافضة.

ينقل نصر بن مزاحم المنقرى (٢١٢ هـ) فى كتابه «وقعه صفين» عن معاويه، أنّه كتب إلى عمرو بن العاص و هو فى البيع فى فلسطين، أمّا بعد: فأنّه كان من أمر عليّ و طلحه و الزبير ما قد بلغك و قد سقط إلينا مروان بن الحكم فى رافضة أهل البصره و قدّم علينا جريز بن عبد الله...» (١).

ترى أنّه يصف مروان بن الحكم و من كان معه بالرفض و ما ذلك إلّا لأنهم

ص: ١١٨

١-١). نصر بن مزاحم المنقرى، وقعه صفين: ٢٩، [١] ط: مصر.

لم يعترفوا بشرعيه حكومه الإمام على عليه السلام و هذا يعرب عن تقدم الاستعمال على ولاده زيد.

إنَّ الشيعة عن بكره أبيهم لم يعترفوا بشرعيه خلافه غير الإمام فصاروا رافضه، كما أنَّ الخوارج و الأمويين بما أنَّهم لم يعترفوا بشرعيه خلافه الإمام سُموا رافضه.

فلا يصح اسناد تسميه الشيعة بالرافضه إلى زيد بن على عليه السلام، فما جاء فى المقال مأخوذ من كتب المخالفين.

يقول البزدوى: «و إنما سُموا روافض، لأنهم وقعوا فى أبى بكر و عمر فزجرهم زيد فرفضوه فسُموا روافض» (١).

و التاريخ يشهد بأنَّ الشيعة كانت تسمى بالرافضه فى أعوام متقدمه على ميلاد زيد (٢).

٢. يقول الكاتب فى شأن الإمام الثانى عشر:

«محمد بن الحسن المتوفى سنة ٢٦٥ ٨٧٨ الخ».

مناقشتنا:

الإمام الثانى عشر عند الاثنى عشرية حتى يُرزق فكيف يقول بأنه المتوفى سنة ٢٦٥؟! و الظاهر أنه من هفوه القلم. كما أنَّ عدَّ الإمام الكاظم عليه السلام الإمام الخامس ناشئ من قله الإمعان فى دراسه الموضوع.

ص: ١١٩

(١-١). البزدوى، أصول الدين: ٢٤٨. [١]

(٢-٢). المرتضى، الأمالى: ٦٨/١، قسم التعليق، لاحظ: بحوث فى الملل و النحل: ١٢٢/١-١٢٥.

٣. يقول في عدد الشيعة:

«و يبلغ عدد الشيعة بعامة فرقها، قرابه ١٠٠ مليون شخص يمثلون حوالي ١٠٪ تقريباً من اجمالي عدد المسلمين».

مناقشتنا:

أنّ دوائر الاحصاء في العالم تحت نفوذ الصهاينة، و أعداء الإسلام و همّهم تقليل المسلمين و تكثير غيرهم.

و عدد الشيعة ما يقارب ٢٥٠ مليون شخص و هم يمثلون ٢٥٪ تقريباً من اجمالي عدد المسلمين لو صح أنّ عددهم في العالم يبلغ ميليارد مسلم.

٤. يقول: «و في أواخر عهد الإمام السادس، جعفر الصادق أخذ بعض الغلاة يتجمعون حول ولده إسماعيل مما دفعه إلى جمع الناس و إشهدهم على وفاه إسماعيل الذي مات في حياه أبيه عام ١٤٣».

مناقشتنا:

أنّ إسماعيل أعلى شأنًا و مقاماً من أن يجتمع حوله بعض الغلاة و يستغلوا مكانته الاجتماعية، و الدليل على ذلك «أنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان يحبه حباً كثيراً و عند ما توفي جزع أبو عبد الله عليه السلام جزعاً شديداً، و تقدم سريره بغير حذاء و لا رداء و أمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه، مراراً و استناب أجيراً ليحج عنه و كتب على كفنه: إسماعيل يشهد أن لا إله إلّا الله» (١).

فلو كان إسماعيل ممن تستغله الغلاة لما كال له الإمام الصادق بهذا الصاع الكبير.

ص: ١٢٠

١- ١). المفيد، الارشاد: ٢٨٤؛ [١] ابن شهر آشوب: المناقب: ٣٠٨/٤، و [٢] غيرهما.

و أمّا استشهاد الإمام على وفاته فلم يكن لأجل اجتماع الغلاة حوله، بل كان ردّاً لما اشتهر بين الشيعة فى ذلك اليوم، أنّ الإمامه للولد الأكبر و كان إسماعيل أكبر ولده، فلأجل إبطال تلك الفكره أشهد الإمام عليه السلام على وفاته، و مع ذلك ذهبت ثله من الشيعة- بعد وفاه الإمام الصادق عليه السلام- إلى إمامه ولده محمد بن إسماعيل.

٥. يقول فى حق الإمام الكاظم عليه السلام: «و قد قام بأمر الطائفة فى نطاق سياسه أبيه جعفر التى نزعته إلى السّلم».

مناقشنا:

انّ نسبة النزوع إلى السّلم إلى الإمام الصادق و ولده الكاظم عليهما السلام نسبة خاطئه مستنده إلى النظر إلى ظواهر الأحوال من دون فحص عمّا كان يقوم به الإمام عليه السلام سرّاً، فقد كان الإمام الصادق عليه السلام يدعم ثوره زيد و ثورات الآخرين التى تلت ثورته.

و كان الإمام الكاظم عليه السلام مسانداً لثوره الحسين بن على الخير (شهيد فخ).

نعم كانت المصالح يومذاك تستدعى كون الحركة ثقافيه فى الظاهر، و دعم الكفاح المسلّح ضد الطغاه سرّاً لا علانیه.

و بذلك يعلم عدم صواب كلامه الآخر، حينما قال: «و كان الشيعة الاثنا عشریه قد اتجهوا وجهه ثقافيه روحيه بتأثير جعفر الصادق و أعرضوا عن النشاط السياسى إلى حد كبير».

و لا نعود إلى نقده.

٦.يقول:«و على الرغم ممّا يؤخذ عليهم فى أثناء هذه الفتره فقد أسهموا فى تحويل بعض قاده المغول إلى الإسلام و إلى التشيع بطبيعه الحال،و لكنهم أحسوا ببعض القوه فى العهد الجديد الذى أعقب سقوط الخلافه العباسيه،ممّا كان له أثر فى إشعال الجدل الطائفى الذى يتمثل فى عده مؤلفات من أبرزها كتاب الحسن بن المطهر«منهاج الكرامه»الذى ردّ عليه ابن تيميه بكتابه«منهاج السنّه».

مناقشنا:

إنّ السقيفه التى تم فيها الانتخاب المسرحى للخلافه كان مبدأً لانفتاح باب الجدل الطائفى و ربّما أعقب حروباً داميه و لأجل ذلك يقول الشهرستانى:«و أعظم خلاف بين الأمه خلاف الإمامه إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعده دينيه مثل ما سلّ على الإمامه فى كلّ زمان»(١)،و قد اشتد الجدل الكلامى فى القرن الثانى فى عصر الإمام الباقر عليه السلام و الصادق عليه السلام يعلم ذلك من المناظرات التى دارت بين تلاميذهما كهشام بن الحكم،و مؤمن الطاق،و هشام بن سالم،مع مخالفينهم.و فى القرن الرابع و الخامس استفحل فيهما الجدل فى الإمامه بين المعتزله و الشيعه الإماميه و هذا هو عبد الجبار القاضى المتوفى عام ٤١٥ هـ ألف كتابه المغنى فى عشرين جزء و خص الجزء الأخير بمسأله الإمامه فى الردّ على الإماميه،و نقضه السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) بكتاب أسماه«الشافى»و قد طبع فى أربعه أجزاء و لخصه تلميذه الشيخ الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) إلى غير ذلك من المؤلفات الكلاميه قبل حلول القرن السابع.و الذى يدل على سبق الجدل أنّه ألف عشرات الكتب باسم الإمامه قبل حلول القرن الرابع.لاحظ الذريعه (٢).

ص: ١٢٢

١-١). الشهرستانى،الملل و النحل:١/٢٤ [١] دار المعرفه،بيروت-١٤٠٢ هـ.

٢-٢). آقا بزرك الطهرانى،الذريعه إلى تصانيف الشيعه:ج٢،ماده الإمامه.

٧.يقول:«و فى أواخر عهد الأئمه كان من بين الاثنى عشرىه رجل بلغ النشاط و الحماسه للمذهب،مع نزوع إلى الغلو اسمه محمد بن نصير النميرى...».

مناقشنا:

كان اللازم لمن يريد أن يكتب عن الاثنى عشرىه أن لا يكتب عن الغلاه شيئاً لأنّ الغلاه عندهم و عند جمهور المسلمين ليسوا بمسلمين.

٨.يقول:«انّ المرجعيه الدينيه بعد موت العسكرى و غيبه ولده المهدي ترجع إلى لجنه من أربعة أشخاص،هم:عثمان بن سعيد العمرى،و محمد ابن عثمان بن سعيد،و الحسين بن روح النوبختى،و على بن محمد السمرى».

مناقشنا:

انّ ما ذكره من غرائب الهفوات فأنّه لم تكن هناك أى لجنه بينهم لإداره أمور الشيعة بل كان كل واحد من الأربعة سفيراً عن الإمام فى عصر يختلف عن عصور الآخرين.

و إليك تاريخ سفارتهم:

- ١-عثمان بن سعيد العمرى و كانت سفارته ما بين ٢٦٠-٢٦٥ هـ.
- ٢-محمد بن عثمان العمرى و كانت سفارته ما بين ٢٦٥-٣٠٥ هـ.
- ٣-الحسين بن روح النوبختى و كانت سفارته بين ٣٠٥-٣٢٦ هـ.
- ٤-على بن محمد السمرى و كانت سفارته بين ٣٢٦-٣٢٩ هـ.

ص:١٢٣

٩. يقول: «و لكن الاثنى عشرية ينكرون مزاعم ابن نصير و يكفرون من اعتقد هذه الأقاويل بصرف النظر عن العلاقات العمليه التي قد تقوم بين الطائفتين».

مناقشنا:

انّ صدر هذا الكلام يناقض ذيله، فإذا كانت الاثنا عشرية يكفرون النصيريه فما معنى العلاقات العمليه التي تقوم بين الطائفتين!؟

١٠. يقول: «إلى أن قامت للاثنى عشرية دوله فى إيران لأول مره فى التاريخ على يد الشاه إسماعيل (٩٠٦-٩٣٠) الخ».

مناقشنا:

مضافاً إلى أنّ مبدأ الحكومه الصفويه كان عام ٩٠٥ لا ٩٠٦، أنّه قد سبقت الدوله الصفويه فى إيران، دوله البويهيين فى العراق، و ما اتصل بها من بلاد فارس و غيرها، و دوله السربداريه فى خراسان حوالى ٧٨٠، و قد طلب رئيس الدوله السربداريه و هو على بن مؤيد من الشهيد الأوّل محمد المكي العاملى (٧٣٤-٧٨٦) السفر إلى خراسان فامتنع الشهيد عن ذلك و أرسل إليهم رساله اللّمعه الدمشقيه و هى دوره فقهيه مختصره على أساس الفقه الإمامى.

و كذلك دوله السلطان خدابنده المغولى الذى تشيع على يد العلامه الحلى و أمر بذكر «حىّ على خير العمل» فى الاذان و ضرب السكه بأسماء أئمّه أهل البيت عليهم السلام. و كان حاكماً على البلاد بين سنه ٧٠٣-٧١٦.

ص: ١٢٤

١١. يصف الشاه إسماعيل بقوله: «الذى نزع هو و خلفاؤه إلى التشيع على الرغم من أصولهم السنيه الصوفيه».

مناقشنا:

أنه لم يكن الشاه إسماعيل و لا أبوه وجده سنيين و إنما طراً عليهم التشيع فى القرن الثامن و أول من تشيع منهم جدهم الأعلى صفى الدين الأردبيللى المتوفى عام ٧٣٥ أى قبل نشوء الدوله الصفويه بقرنين.

١٢. يصف حكم الصفويين بأنهم كانوا خلال حكمهم فى عدااء شبه مستمر مع الخلفه العثمانيه و نشبت بينهما الحروب التى أسهمت فى انحسار المد الإسلامى عن أوروبا و تمزق بلدان العالم الإسلامى و تفككها. الخ».

مناقشنا:

لا- شك أنه قامت بين الدولتين حروب طاحنه إنما المهم هو تعيين المعتدى، و الكاتب كتب و قد أغمض عينه عن الواقع التاريخى فانّ اعتداء الخلفه العثمانيه على الشيعة إلى عهد انقراضها، كالشمس فى رائعه النهار و قد قتل السلطان سليم العثمانى من الشيعة فى يوم واحد حوالى أربعين ألفاً، مضافاً إلى اعتداءات و جرائم نكراء بأيدى عمّاله فى العراق و الشام و لبنان ضد المواطنين الشيعة، و قصه الجزار معروفه فمن أراد أن يقف على تلك الاعتداءات و يتعرف على البادئ فليراجع كتاب «الشيعة و الحاكمون» و بما أنّ التفصيل فى المقام موجب لجرح العواطف نقصر على هذا الموجز.

ثم إنّ الخلفه العثمانيه كانت فى عهد الصفويين فى ذروه قدرتها و سلطانها، و لم يكن آنذاك أى انحسار للمد الإسلامى.

و إنّما بدأ الانحسار فى أواخر القرن الثالث عشر و أوائل القرن الرابع عشر الهجرى لعللٍ داخلية و خيانات فى البلاط العثمانى، و الضباط الأتراك العملاء للأحزاب العلمانية.

و لا- تنسَ يا كاتب! أنّ فكره العروبه و القوميه العربيه التى كان يتبنّاها سياسيو الأممه العربيه فى القرنين الأخيرين، كانت هى الضربه القاضيه على هيكل الخلافه العثمانيه، و هذه الفكره بعد لا تزال حيّه، و لما سقطت قلعه العثمانيين ارتفعت قلاع باسم الدول العربيه تحمل الشعارات القوميه بدل الإسلاميه. لا تكشفن مغطاً فلربّ - ما كشفت جيفه
تلك شقشقه هدرت ثمّ قرّت.

١٣. يقول عن عهد الشاه عباس الصفوى بأنّه: «توقف الحج إلى مكه فى عهده و وجبت زياره مدينه مشهد و هى مدينه طوس القديمه الخ».

مناقشتنا:

أنّه لو ثبت أنّ الحج توقف يوم ذاك فأنّما توقف لفقد شرط وجوبه و هو أمن السرب و الطريق و لم يكن المنع مختصاً بهذا العصر ففى عصر القرامطه مُنِع المسلمون من الحج لأجل فقد شرطه.

على أنّ عمل فرد من ملوك الشيعة لا يعتبر دليلاً على أنّه من عقائد الشيعة و الكاتب بصدد بيان مذهب الاثنى عشرية بما له من الأصول و الفروع.

١٤. يقول: «فبرغم أنّ عدد أهل السنّه فى إيران يصل إلى حوالى ٢٠٪ من اجمالى عدد السكان فى إيران إلّا أنّهم محرومون من تولى الوظائف الرئيسيه فى الدوله، و من صلاه العيدين، و من بناء مسجد لهم بطهران العاصمه الخ».

إنَّ الكاتب كأنَّه يكتب عن أمِّه بعيده عن أعين المسلمين و وكالات الأنباء العالميه، و نحن ندعو الكاتب لزياره إيران حتى يرى بأم عينه أنَّ إخواننا السنَّه أحرار في عقائدهم و شعائرهم كما أنَّ لهم مندوبين في مجلس الشورى الإسلامى، و أنَّ الجمهوريه الإسلاميه هى المتبنيَّه للتقريب بين المسلمين عن طريق مساهمتها فى تأسيس دار المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلاميه، و قد شارك فى تأسيس تلك الدار رجال من الشيعة و السنَّه من الداخل و الخارج، كما و تصدر عنها مجله رساله التقريب، و الكاتب إنَّما كتب هذه السطور لإثاره الفتنة بين الإخوه.

لكن نعود فنسأله إنَّ القاهره مكتظه بالشيعة، فهل لهم فيها مكتبه رسميه أو مسجد أو مدرسه؟ و هل تسمح الحكومه بإقامه شعائرهم علناً.

إنَّ الحرمين الشريفين لا يختصان بطائفه دون أخرى و إنَّما هما لجميع المسلمين «سواءً العاكف فيه و الباد...» . (١)

و لكن الشيعة محظور عليهم التظاهر بشعائر دينهم أو بناء مسجد أو مدرسه أو مكتبه لهم.

فدع عنك نهياً صحيحاً فى حجراته و لكن حديثاً ما حديث الرواحل

و أمَّا ما ذكر من عدد أهل السنَّه فلا أدري من أين جاء بتلك الاحصاءات فإنَّ احصاء عدد النفوس فى إيران لم يتم على أساس المذهب حرصاً على وحده الكلمه بين الطائفتين.

ص: ١٢٧

١٥.يقول:«وقد تطور مذهب الاثنى عشرية على مرّ الزمن و أسهم العدااء السياسى و الغلو المذهبى فى انفراد الطائفة بعقائد و مبادئ تتجافى عن روح الإسلام السمحه و مقتضيات المنطق السليم».

مناقشنا:

انّ عقائد الإماميه مأخوذه من الكتاب و أحاديث أئمّه أهل البيت عليهم السلام و العقل الصريح و لم يكن هناك أى تطور فيها.نعم نضجت المسائل الكلاميه عبر القرون كسائر العلوم الإسلاميه،و لأجل الاشاره إلى ذلك نذكر فيما يلى ما كتب حول عقائد الشيعة فى أواخر القرن الثانى و أوائل القرن الثالث:

الف-كتب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون رساله فى محض الإسلام (١).

ب-وقد عرض السيد عبد العظيم الحسنى عقائده على الإمام الهادى عليه السلام المتوفى عام ٢٥٤ هـ،و هو مكتوب (٢).

ج-و بعده توالى الرسائل العقائديه للشيعة و معارفهم.يقف عليها من تتبع كتبهم الكلاميه.

فهذا هو الصدوق (٣٠٦-٣٨١ هـ) له رساله فى عقائد الشيعة،و للشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) رساله أسماها«شرح عقائد الصدوق»،و للمرئضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) رساله«جمل العلم و العمل»و من تتبعها يرى أنّ الرسائل كلّها على غرار واحد و لو كان هناك خلاف فإنّما هو فى البحوث الكلاميه و التى لا تمت إلى ذات العقائد بصله.

نحن لا نريد المقابله بالمثل،و إلّا فإنّ الإمام الأشعري كتب عقائد أهل

ص:١٢٨

١-١). الصدوق،عيون أخبار الرضا:٢/١٢١. [١]

٢-٢). الصدوق،التوحيد:٨١ رقم الحديث ٣٧.

السنة في عده بنود في كتابه «الابانه عن أصول الديانه» و أفرد كل واحد منها، للرد على الفرق الإسلاميه فصارت عقائد أهل السنة حصيلة الردود على عقائد الآخرين، و لو لا هذه الفرق، لم يكن هناك سبب لعقدها.

١٦. يتعرض الكاتب إلى حديث الغدير و يؤوله بأنه لدى أهل السنة وصيه عامه لإكرام آل البيت و التنويه بمكانه على رضى الله عنه.

مناقشتنا:

ان من قرأ تاريخ حديث الغدير و تدبر في خطبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم قبل أن يدلى بقوله في حق على عليه السلام: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» لا يشك في ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم بصدد تعيين الوصى من بعده. و نحن نذكر مقتطفاً من خطبه النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم في ذلك الحشد العظيم حتى يعلم مدى صدق قول القائل بأنها بصدد إيضاء عام يا كرام آل البيت عليهم السلام؟

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «أيها الناس انه قد تبأني اللطيف الخبير انه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله، و انى لأظن انى يوشك أن أدعى فأجيب و انى مسؤل و انكم مسؤلون فما ذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد إنك قد بلغت و جهدت و نصحت فجزاك الله خيراً، فقال: «أليس تشهدون أن لا اله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله، و أن جنته حق، و أن نارَه حق، و أن الموت حق، و أن البعث حق بعد الموت، و أن الساعة آتية لا ريب فيها، و أن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى، نشهد بذلك، قال: «اللهم اشهد» ثم قال: «يا أيها الناس ان الله مولاي و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا-يعنى علياً-مولاة اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» ثم قال: «يا أيها الناس إننى فرطكم و أنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين

بُصرى، إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضه و أتى سائلكم حين تردون علىّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب، طرفه بيد الله و طرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا و لا تبدلوا، و عترتى أهل بيتى، فإنّه نبأنى اللطيف الخبير أنّهما لن ينقضيا حتى يردا علىّ الحوض» (١).

و أخرجه غير واحد من أئمّه الحديث منهم الإمام أحمد من حديث زيد بن أرقم، قال: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بواد يقال له وادى خم، فأمر بالصلاه فصلاها بهجير، قال: «فخطبنا و ظلل لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بثوب على شجره سمره من الشمس، فقال: «أ لستم تعلمون، أ و لستم تشهدون، أتى أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» (٢).

و أخرجه الحاكم فى مناقب على من مستدركه عن طريق زيد بن أرقم من طريقين صححهما على شرط الشيخين، قال: لما رجع رسول الله من حجه الوداع و نزل غدیر خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: «إنى دُعيتُ فأجبتُ، قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله و عترتى، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، ثمّ قال: إنّ الله عزّ و جلّ مولاي و أنا مولى كل مؤمن - ثمّ أخذ بيد علىّ فقال: - من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه...» (٣).

و أخرجه النسائى فى خصائصه عن زيد بن أرقم، قال: لما رجع النبى صلى الله عليه و آله و سلم من حجه الوداع و نزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن، ثمّ قال: «كأنى دُعيت

ص: ١٣٠

١- ١). الصواعق: ٤٣-٤٤ و [١] أخرجه عن طريق الطبرانى و غيره، و حكم بصحته.

٢- ٢). مسند الإمام أحمد: ٣٧٢/٤، و [٢] أخرجه الإمام أيضاً فى مسنده من حديث البراء بن عازب من طريقين، لاحظ الجزء الرابع الصفحه ٢٨١.

٣- ٣). المستدرک: ١٠٩/٣، [٣] مع أنّ الذهبى فى تعليقه على المستدرک يعلق على مواضع من تصحيحات الحاكم صرح فى هذا المقام بصحة الحديث.

فأجبت، و أنى تارك فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله و أهل بيته، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض- ثم قال: -إنّ الله مولاى و أنا وليّ كل مؤمن- ثم أخذ بيد عليّ فقال: -من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»؛ قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ؟ فقال: و أنّه ما كان فى الدوحات أحد إلّا رآه بعينه و سمعه باذنه (١).

إنّ سؤال أبى الطفيل يعرب عن حقيقه مرّه، و هو أنّه يرى التنافى بين مضمون الحديث و عمل أكثر الأمه، فإنّ الحديث نص على ولايته و خلافته، و أكثر الأمه صرفتها عن على، فلاجل ذاك عاد يتعجب و يسأل، و ليس التعجب مختصاً به، فهذا هو الكميت يصرح به فى هاشمياته و يقول: و يوم الدوح دوح غدیر خم

و لو أردنا استقصاء مصادر الحديث و أسانيده و رواته من الصحابه و التابعين و العلماء لأحوجنا ذلك إلى تأليف مفرد، و قد قام بحمد الله أعلام العصر و محققوه بذلك المجهود (٢).

و المهم هو دلالة الحديث على الولايه العامه و الخلافه الكبرى لعليّ بعد الرسول، و قبل الخوض فى ذلك نقدم الأمور التاليه:

ص: ١٣١

١- ١). الخصائص العلويه: ٢١.

٢- ٣). العبقات للسيد مير حامد حسين (المتوفى ١٣٠٦ هـ) و الغدير للعلامة الفذ عبد الحسين الأمينى (المتوفى ١٣٩٠ هـ) و كلاهما من حسنات الدهر.

١- أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبته: «إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا -يعنى علياً - مَوْلَاهُ» وهذا قرينه لفظيه على أَنَّ المراد من «مَوْلَاهُ» الثانيه عَيْنَ المراد من «مَوْلَاهُ» الأولى فالمعنى انَّ اللَّهَ أَوْلَى بِي مِنْ نَفْسِي، وَ أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ، وَ مَنْ كُنْتَ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، فَعَلَى أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، وَ هَذَا هُوَ مَعْنَى الْوَلَايَةِ الْكُبْرَى لِلْإِمَامِ.

٢- ذيل الحديث و هو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم وال من والاه و عاد من عاداه» و فى بعض الطرق «و انصر من نصره و اخذل من خذله» فأنه صلى الله عليه وآله وسلم لمّا نصبه إماماً على الأُمّة بعده، كان يعلم أنّ تطبيق هذا الأمر رهن توفر الجنود و الأعداء، و طاعه أصحاب الولايات و العمّال، مع علمه بأنّ فى الملامن يحسده و فيهم من يحقد عليه، و فى زمرة المنافقين من يضمّر له العداة، فعاد يدعو لمن والاه و نصره، و على من عاداه و خذله، ليتم أمر الخلافة و ليعلم الناس أنّ مولاته مولاة لله و أنّ عداة عداؤه، و الحاصل أنّ هذا الدعاء لا يناسب إلّا من نصب زعيماً للإمامه و الخلافة.

٣- أنه صلى الله عليه وآله وسلم صَدَّرَ كلامه بأخذ الشهادة من الحاضرين بأنّ لا إله إلّا الله و أنّ محمداً رسول الله، ثمّ قال: إنّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَ أَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ أَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ، فقال: «فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، و هذا يدلّ على أنّ التالى، من جنس المقدم و أنّه ركن من الدين كما هما ركنان.

٤- أنه صلى الله عليه وآله وسلم ذكر قبل بيان الولايه قوله: «كَأَنِّي دُعِيتُ فَأُجِبْتُ» أو ما يقرب من ذلك، و هو يعرب عن أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يبق من عمره إلّا قليل و يُحاذر أن يدركه الأجل، فأراد سدّ الفراغ الحاصل بموته و رحلته بتنصيب على إماماً و قائداً من بعده.

هذه القرائن و غيرها الموجوده فى كلامه، توجبّ اليقين بأنّ الهدف من هذا النبأ فى ذلك الحشد العظيم ليس إلّا إكمال الدين و اتمام النعمه من خلال ما أعلن

عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنّ علياً قائداً وإماماً للأمة، ومن أراد الحصول على المزيد من هذه القرائن فليرجع إلى كتاب الغدير القيم (١).

لا يشك من درس مضمون حديث الغدير وما احتف به من القرائن يقف على أنّ المراد منه هو نصب علي للإمامة والخلافه وهذا هو الذى فهمه الحضور من المهاجرين والأنصار فى ذلك المحفل كما فهمه من بلغه النبأ بعد حين، ممن يحتج بقوله فى اللغة، وتتابع هذا الفهم فىمن بعدهم من الشعراء ورجال الأدب إلى العصر الحاضر، وهذا هو حسان بن ثابت الذى حضر مشهد الغدير قد استأذن رسول الله أن ينظم الحديث فى أبيات منها قوله: وقال له قم يا على فاننى رضيتك من بعدى إماماً وهادياً (٢)

١٧. يقول: «و هذه الآثار لا تدل عند علماء السلف والخلف من أهل السنّه على ما ذهبوا إليه من وصيه الرسول لعلى بالخلافه من بعده إذ الولايه ترد بمعنى النصره و الموده و الولاء و الاخوه لا بمعنى الإمامه و الخلافه حتما».

مناقشنا:

أنه ورد فى الحديث لفظ المولى و ليس له إلا معنى واحد و هو الأولى، قال سبحانه: «فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ». (٣)

و قد فسر المولى فى الآية بمعنى الأولى، و إذا استعمل فى مورد الجار و ابن العم و العبد و غيرهم فبنفس ذاك الملاك فالجار أولى بأن يحمى الجار، و ابن العم

ص: ١٣٣

١-١. الغدير: ١/٣٧٠، و قد ذكر هناك ما يقرب من عشرين قرينه على ما هو المراد من الحديث.

٢-٢. رواه غير واحد من حفاظ الفريقين لاحظ الغدير: ٣٥/٢-٣٧ [١]

٣-٣. الحديد: ١٥. [٢]

أولى بنصر ابن عمه، و العبد أولى بإطاعه أمر مولاه و هكذا.

و الدليل على أنّ المولى فى حديث الغدير بمعنى الأولى هو كلام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قبل هذه الجملة فقد قال: «أ لستم تشهدون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فمن كنت مولاه فهذا علىّ مولاه» (١).

على أنّ ذكر التوحيد و المعاد و الرساله فى خطبه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و التنويه برحيله عن قريب و ذكر الثقلين، كل ذلك يعرب عن أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم بصدد بيان أمر خطير فيه اكمال الدين و اتمام النعمه لا بصدد الايضاء باكرام أهل بيته الذى لم يكن أمراً مستوراً على الأئمه.

أضف إلى ذلك أنه لو كان الهدف من كلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم هو الايضاء بالمحبه و الموده فلما ذا أخره إلى أخريات أيام حياته الشريفه؟ و لما ذا نوه به فى حشدٍ عظيم فى صحراء لا يخيم على الناس فيها إلّا حر الشمس؟ أ و ليس هذا بعيداً عن بلاغه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و رعايه مقتضى الحال؟

١٨. يقول: «و الشيعة يستشهدون أيضاً بآثار أخرى بعضها ضعيف و الآخر موضوع».

مناقشتنا:

ما ذا يريد بالآثار الموضوعه؟ فالشيعة تستدلّ بحديث الثقلين الذى مرّ فى كلام الرسول فى خطبه الغدير، و أخرجه الترمذى و النسائى فى سننهما، و أحمد فى مسنده، و الحاكم فى مستدركه فلاحظ المصادر التاليه:

الف- كتر العمال ١/٤٤.

ص: ١٣٤

١- ١). مسند الإمام أحمد: ٤/٣٧٤ و ٢٨١ و [١] غير ذلك.

ب-مسند أحمد ١٨٢/٥ و ١٨٩ و ج ١٧/٣ و ٢٦.

ج-المستدرک للحاکم ١٠٩/٣.

إلى غيرها من المصادر المتوفرة التي يضيق المقام عن بيانها.

وقد ألف غير واحد من المحققين رسائل في أسانيد هذا الحديث.

و تستدل الشيعة بحديث السفينه و فيه يقول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينه نوح من ركبها نجا و من تخلف عنها غرق».

يرويه الحاكم بسنده إلى أبي ذر، لاحظ ج ١٥١/٣، و بسنده إلى ابن عباس ج ١٤٩/٣، و يرويه النبهاني في أربعينه ص ٢١٦، نقله عن الطبراني في الأوسط، و يرويه ابن حجر في صواعقه الباب الحادي عشر ص ٩١ و ١٤٩.

و الشيعة تستدل بحديث الأئمة الاثنى عشر، فقد أخرج البخاري عن جابر ابن سمره، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمه لم أسمعها، فقال أبي: إنَّه قال: كلهم من قريش» (١).

و أخرج مسلم عنه أيضاً، قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه و آله و سلم فسمعته يقول: «إنَّ هذا الأمر لا ينتضى حتى يمضى فيهم اثنا عشر خليفه» قال ثم تكلم بكلام خفى علىّ، قال: فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلهم من قريش» (٢) إلى غير ذلك من الأحاديث التي جاءت في المجاميع الحديثيه. فما ظنك بحديث يرويه الشيخان؟ فهل ما يرويه الإمام البخاري موضوع فلو كان موضوعاً «فَبَأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ» ٣!!؟

إنَّ الأحاديث التي تنص على عدد خلفاء النبي صلى الله عليه و آله و سلم و تذكر سماتهم أكثر ممَّا

ص: ١٣٥

١-١. صحيح البخاري: ١٠١/٩، كتاب الأحكام، الباب ٥١ (باب الاستخلاف).

٢-٢. صحيح مسلم: ٣/٦. باب الناس تبع لقريش من كتاب الاماره.

نقلناه و نقتصر فى المقام على نقل السمات الوارده فىها حتى نتعرّف من خلالها على أصحابها فقد ورد فىها:

١- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفه.

٢- لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً.

٣- لا يزال الدين قائماً.

٤- لا يزال أمر أمتى صالحاً.

٥- لا يزال أمر هذه الأُمَّه ظاهراً.

٦- حتى يمضى فىهم اثنا عشر.

٧- ما وليهم اثنا عشر خليفه كلّهم من قریش.

٨- عددهم كعدد نعباء بنى إسرائيل.

و هذه السمات و الخصوصيات لا توجد مجتمعه إلا فى الأئمه الاثنى عشر المعروفين عند الفريقين، و تلك الأحاديث من أنباء الغيب و معجزات النبى صلى الله عليه و آله و سلم خصوصاً إذا ضُمَّت إليها أحاديث الثقلين و السفينه و كون أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم أماناً لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.

فالأئمه الاثنا عشر المعروفون بين المسلمين، أولهم على أمير المؤمنين عليه السلام، و آخرهم المهدي عليه السلام تنطبق عليهم تلك العلام، و من وقف على حياتهم العلميه و الاجتماعيه و السياسيه يجزم أو يقطع بأنهم هم المثل العليا فى سماء الأخلاق و العلم و الاحاطه بالقرآن و السنّه، و أنّه سبحانه بهم حفظ دينه عن التحريف و بهم اعتزّ الدين.

و أمّا ما ورد فى بعض هذه الطرق: «كلّهم تجتمع عليهم الأُمَّه» على فرض الصحّه، فالمراد تجتمع على الاقرار بإمامتهم جميعاً وقت ظهور آخرهم، و-على

فرض الإيهام-لا تمنع عن الأخذ بمضامين الحديث.

هلّم معى نقرأ ما ذا يقول غير الشيعة فى حق هذه الأحاديث، و كيف يفسّرُها بالخلفاء القائمين بالأمر بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم ؟ و لننقل إليك شيئاً من كلامهم:

إنّ قوله اثنا عشر إشارة إلى عدد خلفاء بنى أمية و أوّل بنى أمية يزيد بن معاوية و آخرهم مروان الحمار وعدتهم اثنا عشر و لا يعد عثمان و معاوية و لا ابن الزبير لكونهم صحابه، و لا مروان بن الحكم لكونه صحابياً أو لأنّه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير، و ليس على المدح بل على استقامه السلطنة و هم يزيد بن معاوية و ابنه معاوية ثمّ عبد الملك ثمّ الوليد ثمّ سليمان ثمّ عمر بن عبد العزيز ثمّ يزيد بن عبد الملك ثمّ هشام بن عبد الملك ثمّ الوليد بن يزيد ثمّ يزيد بن الوليد، ثمّ إبراهيم بن الوليد ثمّ مروان بن محمّد (١).

يلاحظ عليه: إذا كان الرسول أراد هذا و لم يكن فى مقام مدحهم فأى فائده فى الاخبار بذلك. ثمّ كيف يقول إنّها صدرت على غير سبيل المدح مع ما عرفت من السمات الواردة الصريحة فى المدح فيقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً قائماً»، أو «أمر أمتى صالحاً» و العجب أنّه جعل أوّل الخلفاء يزيد بن معاوية بحجّه أنّه استقامت له السلطنة، إذ كيف استتبّت له السلطنة و قد ثار عليه أهل العراق فى السنة الأولى و ثار عليه أهل المدينة فى السنة الثانية و كان مجموع أيامه مؤلف من حروب دامية و قتل و نهب و تدمير.

١٩. يقول: الإمامه عند الشيعة ركن و أصل من أصول الدين و لكنها (أى الإمامه) أصل مذهبي فى رأيهم فمن لم يعرف أمام زمانه و لم يبايعه عدّ

ص: ١٣٧

١- (١). فتح البارى فى شرح صحيح البخارى: ٢١٢/١٣ ط دار المعرفه. و فى المصدر: عدتهم ثلاثه عشر.

خارجاً عن المذهب و لكنّه في عامه المسلمين و ربّما غلا بعضهم فكفره الخ».

مناقشتنا:

إنّ الإمامه عند الشيعة من الأصول و لكن انكارها لا يلازم الخروج عن الإسلام بل يوجب الخروج عن حظيره التشيع ثمّ إنّ الكاتب يذكر في ذيل كلامه أنّ علياً لم يكفر الخوارج الذين كفّروه و حاربوه و ليس لكلامه هذا صلة بعقائد الشيعة. فإنّ الشيعة عن بكره أبيهم يعدون أهل السنّه إخواناً و إن كانوا خاطئين في مسأله الإمامه.

٢٠. قال: «و يزعم الاثنا عشرية أنّ أئمتهم معصومون من الخطأ و المعصيه، و لهم صفه المعرفة اللدنيّه، دون حاجه إلى تلقين الرواه فيصح لهم أن يرووا عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مباشره دون سند من الرجال، كما أنّهم يعلمون الغيب، و لا يموتون إلّا باختيار منهم، و لذا يعتبرون عهد الوحي مستمراً إلى غيبه الإمام الثاني عشر، و لا يباح الاجتهاد في وجود الإمام، و إنّما يبدأ الاجتهاد الفقهي بعد تلك الغيبه».

مناقشتنا:

إنّ هذه الفقره تشتمل على أمور صحيحه، و أخرى خاطئه نشير إليها على وجه الاجمال لأنّ التفصيل يحوجنا إلى أفراد رساله خاصه.

ألف- إنّ الأئمه الاثني عشر معصومون من الخطأ و المعصيه بدليل أنّهم عدل الكتاب و قرناؤه في قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إنّني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي، إنّ اقتران العتره بالقرآن يدل:

ص: ١٣٨

أولاً: على أن عندهم علم القرآن و فهمه فهماً لائقاً بشأنه.

و ثانياً: أن التمسك بالكتاب و العتره يعصم من الضلاله.

و ثالثاً: يحرم التقدم على العتره كما يحرم الابتعاد عنهم.

و رابعاً: أن العتره لا تفارق الكتاب إلى يوم القيامه.

و خامساً: أن الكتاب مصون من الخطأ و هكذا عدله.

مضافاً إلى قوله سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» . (١)

و المراد من الرِّجس هو العصيان و الاراده اراده كونه و هى التى لا- تنفك فيها الاراده عن المراد و المراد من أهل البيت هم الذين أدخلهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تحت الكساء، و قال: اللهم ان لكل نبى أهل بيت و هؤلاء أهل بيتى. و لما أرادت أم سلمه أن تدخل تحت الكساء منعها و قال: أنت على خير و لست من أهل البيت.

ب- أن علوم أئمة أهل البيت عليهم السلام مستنده إلى مصادر مختلفه فتاره يروون الحديث عن آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ما أكثر هذا القسم من الأحاديث فى رواياتهم. و أخرى يعتمدون على كتاب عليّ الذى أملاه الرسول و كتبه الوصى و هو فى سبعين ذراعاً. و ثالثه يعتمدون على تحديث الملك فهم محدثون و المحدث عباره عمن يسمع كلام الملك و لا- يرى عينه و قد عقد الإمام البخارى باباً للمحدث و عدّ منهم عمر بن الخطاب و المحدث غير الرسول و النبى و من أراد الوقوف على واقع المحدث فعليه بشرح صحيح مسلم للإمام النووى فقد أسهب فيه الكلام.

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريره، قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن

ص: ١٣٩

يكن من أمتي منهم أحد، فعمر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من نبي ولا محدث (١).

و بذلك يعلم مدى صحه كلمه الكاتب: من أنّ للأئمه أن يرووا عن رسول الله مباشرة من دون سند من الرجال.

و ذلك لما عرفت أنّ مصادر علومهم مختلفه فتاره يروون عن طريق آبائهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أخرى يروون عن كتاب عليّ و ثالثه يروون عن طريق التحديث.

ج-قال: إنّ الأئمه يعلمون الغيب.

مناقشتنا:

إنّ علم الغيب مختص بالله تبارك و تعالی، قال سبحانه: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ». (٢).

و أمّا تحديثهم عن الغيب فإنّما هو تعلم من ذي علم فلا مانع من أن يلهم الله سبحانه أولياءه أموراً غيبية كما ألهم يوسف و هو شاب غير مبعوث ثم استمر الالهام إلى آخر عمره.

و ليست أئمه أهل البيت عليهم السلام بأقل شأنًا من أم موسى فقد أخبرها سبحانه عن مصير ولدها، و قد علم مصاحب موسى بمصير الغلام الذي قتله، و قال: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» ٣ إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التي أوقف الله سبحانه عباده الصالحين عليها من دون أن يكونوا أنبياء كرامه لهم، و إعظاماً لمقامهم.

د-يقول: و لذا يعتبرون عهد الوحي مستمراً إلى غيبه الإمام الثاني عشر.

ص: ١٤٠

١-١. صحيح البخارى: ١٩٤/٢ باب مناقب عمر بن الخطاب.

٢-٢. النمل: ٦٥. [١]

مناقشتنا:

أنّه خلط في كلامه الوحي التشريعي المختص بالأنبياء و الرسل، بالتحديث الذي أطبقت الأمّة على حصوله و على وجود محدّثين في الأمّة الإسلاميّة، فالأئمّة ملهمون، محدّثون و ليسوا أنبياء يوحى إليهم.

هـ-يقول: ولا يباح الاجتهاد في وجود الإمام و إنّما يبدأ الاجتهاد الفقهي بعد تلك الغيبة.

مناقشتنا:

أنّ الاجتهاد كان موجوداً بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إلى يومنا هذا و مفتوحاً بابه في وجه الأمّة و لم يغلق أبداً و يحرم تقليد المجتهد لغيره و أمّا عدم الاجتهاد عند وجود الإمام فالمراد منه أن يكون الانسان في حضره الإمام، و أمّا البعيد عنه كمن يقطن خراسان و الإمام في المدينة فله أن يجتهد على ضوء الكتاب و السنّة و أحاديث أئمّه أهل البيت و قد كان بين أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام و الإمام الصادق عليه السلام مجتهدون كبار يعلم من رجع إلى أحوالهم.

٢١.يقول: «و فكره الإمامه على هذا النحو ترجع إلى آراء مغاليه ظهرت في الفترات الأولى من تاريخ المسلمين ثم ورثها الاثنا عشرية و اتخذوها أصولاً لهم و كان من نتائجها ايقاع العداوه و الشقاق بين جمهور المسلمين».

مناقشتنا:

أنّ فكره الإمامه ترجع إلى الكتاب و السنّة بشرط الفحص عن أسباب النزول، و التاريخ الصحيح، و الروايات الواردة حول الآيات.

إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى بذر فكره الإمامه فى حديث الدار عند ما نزل قوله سبحانه:

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (١).

ففى هذا اليوم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى على: «إنَّ هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا» (٢).

و لما نزل قوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام: «هو أنت و شيعتك يوم القيامة راضين مرضيين» (٣).

و فى روايه أخرى، قال: «و الذى نفسى بيده أن هذا (مشير إلى على) و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة» (٤).

إنَّ فكره الإمامه تمخضت من حديث الثقلين و حديث السفينه و حديث الغدير إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم و إذا كان ثمة اعتراض فأنما يتوجه إلى المعرضين عن هذه الأحاديث لا إلى المتمسكين بها.

إنَّ الذى أوقع العداوه و الشقاق بين جمهور المسلمين هو معاويه و حزبه الأموى. فقد أصدر بياناً قاطعاً حاسماً بقتل الشيعة و قطع مَنَحهم و بذلك أغرى الحزب الأموى و من والاه على الخوض فى دماء شيعة أهل البيت.

ص: ١٤٢

١-١. الشعراء: ٢١٤. [١]

٢-٢. مسند أحمد: ١١١/١، [٢] تاريخ الطبرى: ٦٢/٢-٦٣، [٣] تاريخ الكامل: ٤٠/٢-٤١، إلى غير ذلك من المصادر المتوفرة يقف عليها من سبر كتب السيره-عند سرد حوادث بدء الدعوه و كتب التفسير فى تفسير الآيه الآنفه فى سوره الشعراء.

٣-٣. الدر المنثور: ٥٨٩/٦. والآيه [٤] ٧ من سوره البيئنه.

٤-٤. نفس المصدر.

كتب معاويه نسخه واحده إلى عماله بدء عام الجماعه أن برئت الذمه ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب و أهل بيته. فقامت الخطباء في كل كوره و على كل منبر يلعنون علياً و يبرءون منه و يقعون فيه و في أهل بيته و كان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفه لكثره من بها من شيعه على عليه السلام فاستعمل عليها زياد بن سميه و ضم إليه البصره، و كان تتبع الشيعه و هو بهم عارف لأنه كان منهم أيام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر و مدر، و أخافهم و قطع الأيدي و الأرجل و سمل العيون و صلبهم على جذوع النخل، و طردهم و شردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم و كتب معاويه إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعه عليّ و أهل بيته شهاده (١).

نسأل الكاتب، فمن الذي أوقع العداوه و الشقاق بين جمهور المسلمين؟ و لو أردنا أن نسبر التاريخ لنرى قتلى الشيعه من صحابيههم إلى تابعيههم إلى تابعي التابعين لطل بنا المقام.

٢٢. يقول: «و مما يدل على بطلان مبدأ الإمامه بصيغته تلك عند الاثنى عشرية فعل الإمام على رضی الله عنه إذ بايع أبا بكر الصديق و نصره بنفسه و ولده و كذلك بايع كلاً من عمر و عثمان بالخلافه الخ».

مناقشتنا:

العجب كل العجب أن نترك النصوص الوارده في الكتاب و السنّه و التاريخ الصحيح و نستدل بفعل عليّ و بيعته التي لم تثبت قط و إنما يرويها رواه مدرسه الخلفاء و تكذبها رواه مدرسه أهل البيت. إن الإمام لم يبايع قط، و إنما تعاون مع

ص: ١٤٣

١- (١). ابن أبي الحديد، شرح النهج: ١١/٤٤-٤٦. [١]

الخلفاء لما رأى أنّ في ترك التعاون معهم ضرراً أعظم من ذهاب ولايته و هو سلام الله عليه يشرح لنا سبب مساهمته و سكوته و رفقته.

إذ يقول عليه السلام: «فو الله ما كان يُلقى في روعي، و لا يخطر ببالي، أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه و آله و سلم عن أهل بيته، و لا أنّهم مُنحّوه عنى من بعده. فما راعنى إلّا إنثيال الناس على فلان يباعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله، أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به على أعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب، أو كما يتفشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل و زهق، و اطمأن الدين و تنهته» (١).

فقد جاء في كتاب الإمامه و السياسه لابن قتيبه الدينوري: الذي ورد فيه ذكر حوادث حدثت في صدر الإسلام و الكتاب جدير بالمطالعه لطالبي الحقيقه و قد جاء فيه أنّ أبا بكر أرسل عمر و معه جماعه إلى بيت فاطمه الذي كان فيه عليّ و جماعه من بنى هاشم متخلفين عن البيعه فأزعجوا فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أيما ازعاج حيث نادت بأعلى صوتها: يا أبتا يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبي قحافه، فلما سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين و كادت قلوبهم تتصدع و أكبادهم تتفطر و بقي عمر و معه قوم فأخرجوا علياً و مضوا به إلى أبي بكر فقالوا له بايع، قال: ان أنا لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً و الله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، قال: أ تقتلون عبد الله و أخا رسوله؟ قال عمر: أمّا عبد الله فنعم و أمّا أخا رسوله فلا. و أبو بكر ساكت لا يتكلم. فقال عمر: أ لا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمه إلى جنبه (٢).

ص: ١٤٤

١-١. نهج البلاغه، [١] الكتاب: ٦٢.

٢-٢. الإمامه و السياسه: ١٣/١. [٢].

و هذا شاعر النيل حافظ إبراهيم المصرى (المتوفى ١٣٥١ هـ) يصف لنا كيف تم أخذ البيعه فى قصيدته العمريه و يقول: و قوله لعلى قالها عمر

ما كان غير أبى حفص يفوه بها أمام فارسِ عدنان و حاميتها (١).

أفبعد هذا يمكن أن يحتج بهذا الشكل من البيعه؟ و النار مؤججه تكاد أن تأكل الرطب و اليابس و هذا هو الطبرى (المتوفى ٣١٠ هـ) يصف لنا كيفيه أخذ البيعه و يقول:أتى عمر بن الخطاب منزل على فقال لأحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعه (٢).

و هذا ابن عبد ربه الأندلسى (المتوفى ٤٩٥ هـ) يقول:بعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمه و قال له:إن أبوا فقاتلهم. فأقبل بقبس من النار على أن يضرهم عليهم الدار. فقالت:يا ابن الخطاب أ جئت لتحرق دارنا؟ قال:نعم أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمه (٣).

٢٣. قال:«و لو وجد هذا النص لأخذ به الصحابه رضوان الله عليهم الذين كانوا أشد حرصاً على طاعه الله و رسوله».

مناقشتنا:

قد أخذ لفيف من الصحابه بنصوص الخلافه فى حق على عليه السلام من مشاهير بنى هاشم و غيرهم.

ص: ١٤٥

١-١. ديوانه: ٨٤/١

٢-٢. تاريخ الطبرى: ٢٠٢/٣ [١] ط: دائره المعارف.

٣-٣. العقد الفريد: ٢٦٠/٤؛ و [٢] لاحظ تاريخ أبى الفداء: ٣٥٦/١؛ و [٣] أعلام النساء: ١٢٠٧/٣.

وإليك فهرس أسماء خمسين صحابياً كانوا رواد التشيع في عصر النبي و ما بعده:

١- عبد الله بن عباس ٢- الفضل بن العباس ٣- عبيد الله بن العباس ٤- قثم بن العباس ٥- عبد الرحمن بن العباس ٦- تمام بن العباس ٧- عقيل بن أبي طالب ٨- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ٩- نوفل بن الحرث ١٠- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ١١- عون بن جعفر ١٢- محمد بن جعفر ١٣- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ١٤- الطفيل بن الحرث ١٥- المغيرة ابن نوفل بن الحرث ١٦- عبد الله بن الحرث ابن نوفل ١٧- عبد الله بن أبي سفيان ابن الحرث ١٨- العباس بن ربيعة بن الحرث ١٩- العباس بن عتبة بن أبي لهب ٢٠- عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث ٢١- جعفر بن أبي سفيان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهير بني هاشم، و أما غيرهم فإليك أسماء ثلثه منهم:

٢٢- سلمان المحمدي ٢٣- المقداد بن الأسود الكندي ٢٤- أبو ذر الغفاري ٢٥- عمار بن ياسر ٢٦- حذيفة بن اليمان ٢٧- خزيمه بن ثابت ٢٨- أبو أيوب الأنصاري مضيّف النبي ٢٩- أبو الهيثم مالك بن التيهان ٣٠- أبي بن كعب ٣١- سعد بن عباده ٣٢- قيس بن سعد بن عباده ٣٣- عدى ابن حاتم ٣٤- عباده بن الصامت ٣٥- بلال بن رباح الحبشى ٣٦- أبو رافع مولى رسول الله ٣٧- هاشم بن عتبة ٣٨- عثمان بن حنيف ٣٩- سهل بن حنيف ٤٠- حكيم بن جبلة العبدي ٤١- خالد بن سعيد بن العاص ٤٢- ابن الحصيبي الأسلمي ٤٣- هند بن أبي هاله التميمي ٤٤- جعده بن هبيرة ٤٥- حجر بن عدى الكندي ٤٦- عمرو بن الحمق الخزاعي ٤٧- جابر بن عبد الله الأنصاري ٤٨- محمد بن الخليفة أبي بكر ٤٩- أبان بن سعيد بن العاص ٥٠- زيد بن صوحان العبدي.

ص: ١٤٦

هؤلاء خمسون صحابياً من الطبقة الأولى للشيعة، فمن أراد التفصيل و الوقوف على حياتهم و تشييعهم فليرجع إلى الكتب المؤلفة في الرجال و لكن ببصيره نافذه.

و أما الذين لم يأخذوا به فهؤلاء هم الذين خالفوا الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في غير واحد من المواقف. فقد خالفوه في المواقف التاليه:

١- في الأنفال و الأسرى في غزوه بدر.

٢- في أحد حيث أعرضوا عن امتثال أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم في الوقوف في المضيق.

٣- في صلح الحديبيه حيث نسبوا صلحه إلى الدينه في الدين.

٤- في تجهيز جيش أسامه حيث لم يخرجوا معه و قاموا في معسكر المدينه حتى أتى قبض النبي صلى الله عليه و آله و سلم فرجعوا إلى البلد و فعلوا ما فعلوا.

٥- في احضار القلم و الدواه في أخريات عمره الشريف.

٦- زيادتهم في الأذان التثويب (أى الصلاه خير من النوم) حسب ما يرويه الإمام مالك في موطنه.

٧- حذف (حى على خير العمل) من فصول الأذان.

٨- الحيلوله بين فاطمه و ميراثها.

٩- النهى عن متعه الحج.

١٠- اسقاط أسهم ذوى القربى من الخمس بعد وفاه الرسول.

تلك عشره كامله خالف فيها بعض الصحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كم لها من نظير.

و العجب أن الكاتب و من لفّ لفّه ألبسوا الصحابه ثوب العصمه فصار صمتهم و سكوتهم حجه إلهيه فضلاً عن قولهم و كلامهم و فيهم المنافقون المندسون غير المعروفين حتى لدى النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

قال سبحانه: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» ١.

أنه لا يرضى من الشيعة القول بعصمه اثني عشر إماماً، ولكنّه و من لف لفة يرون أنّ الصحابه معصومون و لا يذكرون لهم أى ذنب و لا خطأ.

أنهم ينسبون فى تواريخهم و تفاسيرهم أموراً إلى الأنبياء من الخطأ و العصيان بارتياح و بلا تحرّج فلاحظ كتب التفسير و التاريخ فإنّها مليئه بنسبه الخطايا و الذنوب إلى يوسف و داود و سليمان و غيرهم. و عند ما يذكر أحد شيئاً فى حق الصحابه مما يعاب به عليهم، ثارت نائرتهم و ما هذا إلا لأنّ الصحابه بمنزله السائر الأوّل لهم و منهم أخذوا دينهم، فإذا دبّ الجرح إليهم انهار دينهم و فقههم، و لأجل صونهم عن أى ذنب و خطأ، حرّموا أى كلام حولهم و اتفقوا على عدالتهم المساويه لعصمتهم.

٢٤. يقول: «لو كانت الإمامه حُيِّدَت فى عليّ و أولاده كما يزعمون لعين الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ابنه الحسن رضى الله عنه خليفه للمسلمين من بعده».

مناقشنا:

أنّ ما ذكره تجاهل للواقع أو غفله عن حقيقه الحال أو ناشئ عن قله التتبع. فقد تضافر النص من على عليه السلام على وصيه و إمام المسلمين من بعده. و هو الحسن بن على عليه السلام فمن أراد الوقوف على النصّ فليرجع إلى مظانه (١).

ص: ١٤٨

(١-٢). الكافي: ٢٩٧/١، باب النص على الحسن بن على، و [١] اثبات الهداه: ٥٤٣/٢. [٢]

و أمّا ما نسب إلى علي من أنّه سئل عنم يستخلفه من بعده، فقال: و لكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: فهو موضوع على لسانه. فرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لم يترك الأمة سدى و هو الذى يأمر الأمة أن لا يموت واحد منهم بلا وصيه فكيف يموت هو صلى الله عليه و آله و سلم بلا وصيه؟

و قد كانت سيره الخلفاء على الايضاء فقد أوصى أبو بكر إلى عمر بن الخطاب كما أنّ عمر بن الخطاب لم يترك الناس على أن يختاروا لأنفسهم خليفه باختيارهم فقام بتشكيل شورى سداسيه أشبه بلعبه سياسيه منتهيه إلى خلافه من كان يهوى خلافته.

و هذه هى السیده عائشه حينما ضرب عمر فى بطنه و أشرف على الموت قالت لعبد الله بن عمر: «أبلغ أباك سلامى و قل له لا تدع أمّه محمد بلا راعٍ استخلف عليهم و لا تدعهم بعدك هملاً» (١).

و هذا هو معاويه بن أبى سفيان قد أخذ البيعه لابنه يزيد فى حياته بترغيب و ارهاب.

فلو كانت السنّه الموروثه فى الخلافه هى ترك الايضاء فلما ذا خالفها الخلفاء حيث لم يتركوا الأمه سدى و نصبوا قائداً لها بأشكال مختلفه؟ أ و ليس الرسول صلى الله عليه و آله و سلم هو الأسوه كما قال سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» ٢؟

و كل ذلك يشهد على أنّ الروايه موضوعه على لسان عليّ عليه السلام الذى لم يكن يتخلف عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قيد شعره.

ص: ١٤٩

(١-١). ابن قتيبه الدينورى المتوفى: ٢٧٦هـ، تاريخ الخلفاء الراشدين المعروف بالإمامه و السياسه: ٢٢/١.

٢٥. يقول: «بعد ما بويح الحسن بالخلافه و تنازل لمعاويه عن الخلافه حِقناً لدماء المسلمين مما يسقط دعاوى القوم فى بطلان ولايه أى إمام غير الاثنى عشر».

مناقشنا:

انّ الإمام الحسن عليه السلام لم يتنازل عن الخلافه إلّا بعد أن أتمّ الحجّه و أرسل كتائبه إلى ميادين الحرب فلما لم يجد فى جيشه من يناصره و كادت الحرب تنتهى إلى إهراق دماء الصلحاء من شيعة على عليه السلام بلا جدوى. اضافه إلى ما وصله من أخبار تهَيُّؤ الروم للوثوب على بلاد الإسلام و عزمهم على سحق المسلمين بلا فرق بين أموى و علوى فلم يكن أمامه عليه السلام مناص إلّا التنازل عن الخلافه لحفظ كيان الإسلام. كما تنازل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن كتابه «رسول الله» بعد اسمه الشريف فى صلح الحديبيه (١) فلم يكن التنازل حجه على أنه ليس برسول الله.

٢٦. يقول: «و يعتقدون برجعه الإمام المهدي المنتظر قبل القيامة».

مناقشنا:

انّ مسأله المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) مسأله إسلاميه لا تختص بطائفه دون طائفه فقد أطبقت الأمة على ظهور المهدي فى آخر الزمان و ليس حديث الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) حديثٌ روايه واحده أو اثنتين بل روايات متواتره ملأت الصحاح و المسانيد و من أراد فليرجع إلى الكتب المؤلفه فى هذا الصدد و لكن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عند الشيعة حتى يُرزق و ليس له رجوع و إنّما له ظهور بعد الغيبه

ص: ١٥٠

١-١). السيره النبويه لابن هشام: ٣١٧/٢ ط الحلبي [١] مصر، السيره الحلبيه: ١٩/٣ ط مصر. [٢]

فليرجع الكاتب إلى الكتب التالية:

- ١-«البيان في أخبار صاحب الزمان» للكنجى الشافعى.
 - ٢-«البرهان في علامات المهدي آخر الزمان»، لملا على المتقى صاحب كنز العمال.
 - ٣-«العرف الوردى في أخبار المهدي» للحافظ السيوطى.
 - ٤-«القول المختصر في علامات المهدي المنتظر» لابن حجر.
 - ٥-«عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر» للشيخ جمال الدين الدمشقى.
 - ٦- و أخيراً «بين يدي الساعة» للدكتور عبد الباقي إلى غير ذلك من المؤلفات.
٢٧. و يقول: «و يقول بعض غلاتهم ب رجوع الأئمة الاثنى عشر إلى الدنيا بعد أن يكون المهدي قد سبقهم إليها».

مناقشتنا:

القول بالرجعه عقيدة معروفة عند الشيعة و يعنون ب رجوع الأئمة عليهم السلام أحد الأمرين إما رجوع دولتهم لا أنفسهم كما عليه جماعه من أعلامهم كالسيد المرتضى و غيره، أو رجوع أعيانهم و ليس فيه أى بُعد و عجب فأنه سبحانه أحيا أناساً من الأمم السالفة.

يقول سبحانه: «أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...» ١.

وقد أحيا أصحاب الكهف بعد أن أنامهم نومه شبه الموت مئات السنين.

يقول سبحانه: «وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا لَهُمْ لَيَسَاءَ لِمَا بَيْنَهُمْ...» ١.

إلى أن قال سبحانه: «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا» ٢.

و من أنكر إمكان الرجعه فقد أنكر قدره الله، و أما الوقوع فإن كانت الروايات متواتره نأخذ بها فى مجال العقيدة و إلّا فروايات الآحاد لا تفيد فى مجالها و لا يؤخذ بها.

٢٨. يقول: «و أول من قال بفكره الرجعه و دعا إليها عبد الله بن سبأ اليهودى فأخذ يقول برجعه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مثل عيسى و استشهد بقول الله تعالى: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» (١).

مناقشتنا:

انّ من المؤسف جداً أن ينسب فكره الرجعه إلى شخصيه اسطوريه لم يثبت أى وجود لها بالوصف المذكور فى التاريخ حيث إنه يوصف فيه أنه بتجوّله فى البلاد استطاع أن يقلب وضع المسلمين رأساً على عقب و يثيرهم ضد الخليفه عثمان بن عفان و...، انّ ذلك ممّا لا يقبله العقل السليم، و لا سيره المسلمين أيام الخلفاء.

لم يكن ابن سبأ المزعوم بأعز من أبى ذر- ذلك الصحابى العظيم- عند عثمان فقد نفاه إلى الربذه فمات هناك وحيداً فلم لم يقم به الخليفه فى حق عدوه المزعوم حتى أفسد الجو و أثار الفتنة و انتهى الأمر إلى قتله فى عقر داره كل ذلك

ص: ١٥٢

يؤكد أنّ ما ذكر له من الصفات مما صنعه يد الوضع ضد الشيعة، وأنّ للمقال صله موكوله إلى محلها.

إنّ أول من قال بالرجعه هو الذكر الحكيم.

يقول سبحانه: «وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» ١.

و الآيه لا علاقته لها بيوم القيامة فإنّ الحشر هناك يتعلق بالجميع لا بالبعض على خلاف ما ورد في هذه الآيه.

قال سبحانه: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» ٢ .

ثمّ إنّ من أنكر موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال إنّه سيرجع ويقطع أيدي القائلين بموته هو عمر بن الخطاب.

فهذا ابن سعد يقول: «لما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكى الناس فقام عمر بن الخطاب فى المسجد خطيباً فقال: لا أسمعنّ أحداً يقول: إنّ محمداً مات و لكنه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى بن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة. و الله أتى لأرجو أن يقطع أيدي رجال و أرجلهم يزعمون أنّه مات».

فقال العباس: ادفنوا صاحبكم، أيميت أحدكم ميتة واحدة و ييميته إماتتين؟ و قد كان عمر بن الخطاب مصرّاً على أنّه سيرجع حتى خطب أبو بكر فأمره بالسكوت فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قرأ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» ٣ إلى آخر ما ذكر (١).

و قد ذكر ذلك ابن هشام فى السيره النبويه أيضاً.

ص: ١٥٣

٢٩. يقول: «أن البايه فرقه دينيه نشأت فى إيران منشعبه عن الاثنى عشرىه أبان القرن الثالث عشر و الميرزا حسن بهاء الله مؤسس البهائيه و هى صورته متطوره من البايه اختلفت عنها فى أهدافها و أساليبها».

مناقشتنا:

لم أزل أتعجب من الكاتب كيف ينسب البايه و البهائيه إلى الشيعة الاثنى عشرىه!! و ليست البايه و البهائيه إلا حزبين سياسيين أضفى عليهما طابع الدين أسسهما الاستعمار الغربى لإيجاد الفوضى الدينيه فى الأوساط الشيعيه كالحركه القاديانيه فى الأوساط السنيه.

البهائيه-بَدَّ الله شملهم-ينكرون الخاتميّه و يدعون النبوه بل الالوهيه لزعيمهم حسين على البهائى و قد ألف علماء الشيعة ردوداً عليهم و اقصوهم عن مجامع المسلمين و مجالسهم أ فهل يصح لنا أن ننسب إلى السنّه، المذهب القاديانى و هو فى حركته كحركه البايه و البهائيه، غير أنّهما حدثا فى إيران بين الشيعة، و القاديانيه حدثت فى الهند بين السنه.

٣٠. يقول: «و يستبيح الاثنا عشرىه سب بعض الصحابه و أزواج الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و بخاصه السيده حفصه و السيده عائشه-رضى الله عنهما-...».

مناقشتنا:

أنّه من المستحيل أن يحبّ الانسان النبى صلى الله عليه و آله و سلم و فى الوقت نفسه يبغض من ضحى بنفسه و نفيسه فى طريق رسالته، و الانسان العاقل لا يمكنه أن يجمع فى قلبه حالتين متضادتين.

و الذى دعا أهل السنّه إلى اتهام الشيعة بالسبّ هو اعتقادهم بعداله

ص: ١٥٤

الصحابه كلهم من أولهم إلى آخرهم، و الشيعة الاثنا عشرية لا- تعترف بذلك، بل أنّ الصحابه و التابعين و غيرهم من تابعي التابعين عندهم في صف واحد و لا ترى أى ملازمه بين كون الرجل صحابياً رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و بين كونه رجلاً مثالياً يكون القدوه و الاسوه للمسلمين إلى يوم القيامة. بل تعتقد أنّ مصير الصحابه كمصير الآخرين فيهم الصالح و التقى و المخلص، و فيهم الطالح و المنافق و يدل على ذلك أمور كثيره نذكر منها ما يلي:

١- أنّ المنافقين كانوا مندسّين بين الصحابه و حتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم لم يكن يعلم بهم. قال سبحانه: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَآلِهِ وَرَسُولِهِ حَسِبُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُخَالَفُوا شَيْئاً لِحُكْمِهِمْ فَذُكِّرُوا بِاللَّهِ وَنَجَّاهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ» ١ و مع ذلك كيف يصح أخذ الدين و الحكم الشرعى عن كل صحابى بمجرد أنّه رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم مع أنّه من المحتمل أن يكون منافقاً فلأجل ذلك يجب التمييز و التفريق بين من ثبت إسلامه و إيمانه و من ثبت نفاقه كعبد الله بن أبي، و الاجتناب عن من لم يعرف بأحد الأمرين: الايمان و النفاق.

٢- أنّه سبحانه يقول: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» ٢ فنسأل: من هذا الفاسق الذى جاء بخبر كاذب فى عصر النبي صلى الله عليه و آله و سلم فهل كان واحداً من الصحابه أم كان من غيرهم؟

إننا إذا راجعنا أسباب النزول نرى أنّ الروايات متفقّه على أنّ المراد بالفاسق هو الوليد بن عقبه الصحابى الذى كان عاملاً للخليفه عثمان فى الكوفه و قد ألقى إليه زمام المسلمين من قبل الخليفه هناك.

و من أراد أن يقف على رأى الشيعة فى الصحابه فعليه بما يقوله إمام المسلمين على عليه السلام فى حقهم، يقول: «أين اخوانى الذين ركبوا الطريق و مضوا على

الحق. أين عمار و أين ابن التيهان و أين ذو الشهادتين و أين نظرائهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية و أبرّد برءوسهم إلى الفجره. أوه على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، و تدبّروا الفرض و أقاموه، أحيوا السنّه و أماتوا البدعه، دُعا للجهاد فأجابوا و وثقوا بالقائد فاتبعوه» (١).

و هذا هو على بن الحسين عليهما السلام و هو الإمام الرابع للشيعة يذكر في بعض الأدعيه صحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و يقول: اللهم و أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم خاصه الذين أحسنوا الصحبه و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره و كانفوه، و أسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته و استجابوا له حيث أسمعهم حجه رسالاته و فارقوا الأزواج و الأولاد في اظهار كلمته و قاتلوا الآباء و الأبناء في تثبيت نبوته الخ» (٢).

أ فهل يمكن بعد كل هذه التصريحات أن يُنسب سبّ بعض الصحابه إلى عقائد الشيعة؟

نعم إذا كان للشيعة كلام حول بعض الصحابه فإنّما يذكرون أعمالهم و يصفون أفعالهم حسب ما ورد في القرآن و السنّه مثلاً السيده عائشه مع ما لها من المكانه بين المسلمين و لكنهم لا يمنعهم ذلك عن الحكم بخطئها في خروجها على عليّ عليه السلام لأنّها كانت مأموره بلزوم بيتها.

يقول سبحانه: «... وَ قَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَ لَا - تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...» ٣ فما للنساء و قياده الجيش الجرار ضد من أصفقت الأمّه على خلافته و إمامته و بايعه و جوه الصحابه من الأنصار و المهاجرين إلّا من شد من الذين لا يعبأ بهم أمام غاليه المسلمين.

ص: ١٥٦

١-١. نهج البلاغه، الخطبه ١٨٢. [١]

٢-٢. الصحيفه السجديه، الدعاء الرابع. [٢]

فتحليل حياه السيده عائشه على ضوء الكتاب و السنه و التاريخ الصحيح لا يعد سباً بل يعد فهماً للتاريخ و تعرفاً على الصحابيات عن كتب.

إنّ الذكر الحكيم قد تعرض إلى بعض أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال في حقهما: «إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صِيَغَتْ قُلُوبُكُما وَ إِنَّ تَظَاهَرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» ١ .

فمن يُضفي على أمهات المؤمنين ثوبَ العصمه فعليه دراسه هذه الآيه يامعانٍ بما لها من سببٍ للنزول.

إنّ أول من روج سبّ الصحابه هو معاويه بن أبى سفيان. فقد أمر بسبّ أول المؤمنين إسلاماً و إيماناً و أخا رسول الله علياً حتى سبّ على صهوات المنابر بأمره قرابه ستين سنه و مع ذلك كله هو صحابى يدعى له كلما ذكر ب-رضى الله عنه-. فما هذا التناقض فى حياه الصحابه يا ترى!؟

و تبرير أفعال السائين بالاجتهاد أشبه بالمهزله، أ فيصح الاجتهاد مع وجود الدليل القاطع؟ ما هذا الاجتهاد الذى يُبيح إراقه دماء آلاف من المسلمين فى حروب الناكثين و القاسطين فما قيمه صحابى أو صحابيه أثار أو أثارت فتنه قُتِل فيها الأبرار من الصحابه و التابعين.

و النبي الأعظم أعرف من كل الناس بصحابته و مكانتهم من الأمانه و الديانته فما هو يحدثنا عن حالاتهم يوم القيامه:

روى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إِنِّي فَرَطُكُمْ (١) على الحوض من ورد شرب، و من شرب لم يظماً أبداً و ليردّ على أقوام أعرفهم و يعرفونى

ص: ١٥٧

١- ٢). الفُطْرُ: المتقدم قومه إلى الماء و يستوى فيه الواحد و الجمع.

ثم يحال بينى وبينهم...» قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش و أنا أحدثهم بهذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول، فقلت: نعم قال: و أنا أشهد على أبي سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيقول: «إنهم منى» فقال: إنك لا- تدرى ما أحدثوا بعدك فأقول: «سحقاً سحقاً لمن بدل بعدى». أخرجه البخارى و مسلم (١).

و ظاهر الحديث أنّ المراد بقريته «بَدَل بعدى» أصحابه الذين عاصروه و صحبوه و بقوا بعده مده ثم مضوا. أخرج البخارى و مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: يرد علىّ يوم القيامة رهط من أصحابى- أو قال من أمّتى- فيحلبون عن الحوض فأقول: يا ربّ أصحابى، فيقول: إنّه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى (٢).

ثمّ قال: و للبخارى: إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «بيننا أنا قائم على الحوض إذا زمره، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال: هلم. فقلت: أين؟ فقال: إلى النار و الله، فقلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى، ثمّ إذا زمره أخرى، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى و بينهم فقال لهم: هلم. فقلت إلى أين؟ قال: إلى النار و الله، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على أديبارهم فلا أراه يخلص منهم إلّا همل النعم» (٣).

و ظاهر الحديث بقريته «حتى إذا عرفتهم» و قوله: «ارتدوا على أديبارهم القهقرى» أنّ الذين أدركوا عصره و كانوا معه هم الذين يرتدون بعده.

ص: ١٥٨

١-١. جامع الأصول لابن الأثير: ١٢٠/١١، كتاب الحوض فى ورود الناس عليه، رقم الحديث ٧٩٧٢.

٢-٢. جامع الأصول: ١٢٠/١١ رقم الحديث ٧٩٧٣.

٣-٣. جامع الأصول: ١٢١/١١، و «همل النعم» كناية عن أنّ الناجى عدد قليل، و قد اكتفينا من الكثير بالقليل و من أراد الوقوف على ما لم نذكره فليرجع إلى «جامع الأصول».

٣١. يقول: «يؤمن جمهور الاثنى عشرية بالمصحف الذي بين يدي المسلمين و يعتقد بعض غلاتهم أنّ الإمام علياً كرم الله وجهه و السيدة فاطمه الزهراء-رضى الله عنها-كان لهما مصحف يخالف هذا المصحف المتواتر بين المسلمين...».

مناقشتنا:

إنّ جمهور الشيعة الإمامية يعتقدون بصيانه القرآن عن التحريف كما اعترف به الكاتب و أمّا ما نسب إلى بعضهم فقد أخطأ فيه من وجهين:

ألف-إنّ القرآن الذي قام عليّ بجمعه هو نفس ذلك القرآن و لكن يختلف معه في ترتيب السور فقد جمع الإمام الذكر الحكيم حسب تاريخ النزول و هذا أمر مشهور بين المفسرين.

ب-و أمّا المصحف المنسوب إلى السيدة فاطمه الزهراء عليها السلام فلا يراد به القرآن بل المصحف بمعنى الكتاب و هو ما حدّثها به الملائكة من الحوادث المستقبلية و كتبه على عن لسانها. فالمصحف بمعنى القرآن مصطلح متأخر و هو في عصر النزول بمعنى مطلق الكتاب، يقول سبحانه: «وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِّرَتْ» ١ و الإمام الصادق عليه السلام يصف مصحف فاطمه و يقول: «و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد» (١).

و نحن بدورنا نتقدم بالشكر إلى الكاتب لأنّه لم ينسب التحريف إلى جمهور الإمامية كما فعله بعض المغفلين من الكُتّاب الجدد، و لكن يجب اضافة هذه النكته أنّه ليس كل من قال بالتحريف فهو غال و إنّما هو مخطئ في تلك الفكرة التي

ص: ١٥٩

تضاد الذكر الحكيم حيث تكفل الله تعالى بحفظ القرآن، وقال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» ١ .

فليس القول بالتحريف ملازماً للغلو هذا هو الإمام البخارى ينقل عن عمر بن الخطاب سقوط آية الرجم من القرآن الكريم (١). و قد روى أنّ السيدة عائشه تقول: إنّ سورة الأحزاب كانت مائتي آية (٢).

و لما كانت هذه الروايات تمس كرامه القائلين بالتحريف راحوا يؤوّلونها بأنّها من باب نسخ التلاوه. فإذا كان هذا التأويل صحيحاً فليكن صحيحاً في ما يقوله بعض الشواذ من الشيعة.

٣٢. يقول: «و يقصدون بالتقيه أن يظهر الانسان خلاف ما يُبطن... فالشيعة يتصرف بين خصومه كما لو كان يدين بعقيدتهم. وقد بدءوا العمل بهذا المبدأ منذ القرن الرابع الهجرى، وقد يصل العمل بهذه التقيه إلى حد استباحه الكذب و النفاق... و مع هذا فإنهم ينسبونّها إلى أئمتهم بل يرفعونها إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فيما زعموا، مع أنّه صلى الله عليه و آله و سلم - و أبناءه من علماء أهل البيت - كانوا أبعد الناس عن التقيه و كانوا من الشجاعه و الاقدام بحيث يتحملون المشاق الناجمه عن مواقفهم و آرائهم بلا خوف أو تردد».

مناقشنا:

إنّ الكاتب خلط بين النفاق و التقيه، و النفاق اظهار الإيمان و ابطان الكفر،

ص: ١٦٠

١- ٢). صحيح البخارى: ٢٠٨/٨-٢١١، باب رجم الحبلى؛ و راجع صحيح مسلم: ١٦٧/٤ و ١١٦/٥، و مسند أحمد: ٢٣/١ و ١٣٢/٥ و ١٨٣، و سنن أبى داود، الحدود: ٢٣ و....

٢- ٣). الجامع لأحكام القرآن، القرطبي في مقدمه تفسير سورة الأحزاب.

والتقيّه على خلافه فهي عبارته عن اظهار الكفر و ابطان الإيمان. و شتان ما بينهما.

إنّ التقيّه سلاح الضعيف في مقابل القوى الغاشم. سلاح من يتلى بمن لا يحترم دمه و عرضه و ماله، لا لشيء إلا لأنه لا يتفق معه في بعض المبادئ و الأفكار. أئما يمارس التقيّه من يعيش في بيئه صودرت فيها الحريه في القول و العمل و الرأي و العقيدته فلا ينجو المخالف إلا بالصمت و السكوت مرغماً أو بالتظاهر بما يوافق هوى السلطه و أفكارها و ربّما يتظاهر بموافقته السلطه لأجل أن ينجي مؤمناً كما كان عليه مؤمن آل فرعون.

فإذا كان هذا مفهوم التقيّه و عللها فهو مما يبزره و يمضيه الشرع في غير واحد من آياته.

قال سبحانه: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ١ .

و قال سبحانه: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» ٢ .

و قد فسرت الآيتان بالتقيّه:

قال جمال الدين القاسمي: «استنبط الأئمه مشروعيه التقيّه عند الخوف، و قد نقل الإجماع على جوازها عند ذلك الإمام مرتضى اليماني في كتابه ايثار الحق على الخلق» (١).

و مورد الآيات و إن كان هو التقيّه في مقابل الكافر و لكن العلماء فهموا المعنى العام حتى في مقابل المسلم الظالم.

ص: ١٤١

قال الرازى ناقلاً عن الإمام الشافعى: «إنَّ حاله بين المسلمين، إذا شاكلت حاله بين المسلمين و الكافرين حلت التقيه محاماه عن النفس» (١).

إنَّ الشيعة و السنه يتقون الكفار لصيانه النفس و النفيس غير أنَّ الشيعى ربّما يتقى أخاه المسلم لا لتقصير أو قصور فى الشيعى بل لخوفه بطش أخيه الذى دفعه إلى ذلك لأنه يدرك أنَّ الفتك و القتل مصيره إذا ما صرح بمعتقدده الذى هو موافق عنده للدليل و البرهان.

إنَّ الشيعى يتحاشى أن يقول: إنَّ الله ليس له جهه، و لا يُرى يوم القيامة و إنَّ المرجعيه العلميه و السياسيه لأهل البيت بعد رحيل النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أنَّ حكم المتعه غير منسوخ و ذلك لأنه إذا صرح بمعتقدده فقد عرّض نفسه و نفيسه للمهالك و المخاطر.

قال جمال الدين القاسمى: «و زاد الحق غموضاً و خفاءً، خوف العارفين مع قلتهم من علماء السوء و سلاطين الجور، و شياطين الخلق مع جواز التقيه عند ذلك بنص القرآن و اجماع أهل الإسلام. و ما زال الخوف مانعاً من إظهار الحق و ما برح المحقّ عدواً لأكثر الخلق و قد صح عن أبى هريره، أنه قال: فى ذلك العصر الأول: حفظتُ من رسول الله و عاءين أما أحدهما فبثته فى الناس و أما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم» (٢).

و من وقف على الظروف العصبيه التى مرّت بها الشيعة وجد المبرر الكافى لاعمالهم التقيه صيانه لوجودهم و كيانهم فلو كان فى التقيه غضاضه فهى تتوجه على من حمل الشيعة على التقيه.

ص: ١٦٢

١- ١). الرازى، مفاتيح الغيب: ١٣/٨ [١] فى تفسير الآيه.

٢- ٢). جمال الدين القاسمى، محاسن التأويل: ٨٢/٤. [٢]

٣٣.يقول:«يقول بعض الغلاة بأنّ الله سبحانه يبدو له أحياناً غير الذى أرادته الأولى إلى الذى بدا له...ولكن الاثنى عشرية و إن قالوا بالبداء فهم يفسرونه بمثل ما قال به أهل السنّه من قضاء مبرم و قضاء معلق».

مناقشتنا:

إنّ مسأله البداء من المسائل التى كان يُتّحامل بها على الشيعة،و ذلك لأنّ أهل السنّه يزعمون أنّ الشيعة يقولون بمقاله الغلاة (لو صحت النسبه إليهم) و لأجل ذلك ترى أنّ علماءهم يتحاملون على الشيعة فى كتبهم الكلاميه و التفسيريه بالبداء،و نحن نشكر الكاتب حيث خطا خطوه مباركه بتفسيره البداء تفسيراً صحيحاً.

و قد ورد البداء بهذا المعنى فى كتب أهل السنّه حتى فى صحيح البخارى فى حديث الأبرص و الأقرع و الأعمى حيث ينقل عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم،أنّه قال:«بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً الخ» (١).

و واقع البداء هو عبارته عن تغيير المصير بالأعمال الصالحه أو الطالحه.و هو من ضروريات الإسلام و الذكر الحكيم.

قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَ الْمَأْرُضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» ٢ .

فالقول بالبداء على طرف النقيض مما يزعم به اليهود قائلين: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» ٣ كما أنّ الكاتب أمعن النظر و وصل إلى الحق فى قضيه

ص: ١٤٣

١-١). صحيح البخارى: ١٧١/٤، باب ما ذكر عن بنى اسرائيل من كتاب بدء الخلق.

البداء، فالمرجو أن يعنى النظر فيما تقدمه إليه فى هذا الكراس لكى يرى أن و جهات نظرنا معه فى أكثر مواضع العقيدة و الأحكام متقاربه.

٣٤. و يقول فى حق زواج المتعه: «هو الزواج لمدته محدوده و كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد أباحه فى بدء البعته ثم حرمه تحريماً مؤبداً بعد ذلك و ثبت ذلك عنه كما حرمه الإمام على بن أبى طالب أيضاً و عمل الإمام حجه ملزمه عند الشيعة».

مناقشتنا:

إنّ الكاتب لا يملك المعرفه التامه حول زواج المتعه و اكتفى بقوله «الزواج لمدته محدوده» و واقعه: عباره عن تزويج المرأه الحره الكامله نفسها، إذا لم يكن بينها و بين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان أو عده أو غير ذلك من الموانع الشرعيه بمهر مسمى إلى أجل مسمى بالموافقه و الاتفاق. فإذا انتهى الأجل تبين الزوجه عنه من غير طلاق و يجب عليها مع الدخول بها- إذا لم تكن يائسه- أن تعتد عده الطلاق إذا كانت ممن تحيض و إلّا فبخمسه و أربعين يوماً، و ولد المتعه ذكراً كان أو انثى يلحق بهما و يرثهما كما يرثانه حسب ما أوصانا الله سبحانه به فى كتابه العزيز و تشمله جميع العمومات الوارده فى الآباء و الأبناء و الأمهات و الإخوه و الأخوات و الأعمام و العمات.

و قد اتفق المسلمون على أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم شرع زواج المتعه بعد الهجره حتى أنّ معظم المفسرين قالوا بنزول قوله سبحانه: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» ١ فى متعه النساء.

وإنما اختلفوا في نسخه و عدمه. فالشيعة الإمامية قالوا ببقائه على حكمه، وأهل السنّة ذهبوا إلى كونه منسوخاً و هذه مسأله فقهيه لا تمس إلى العقائد بصله، و إنما أوردتها الكاتب للازدراء بالشيعة، لكنه غفل عن النكات التاليه:

الف- أنّ تشريع المتعه دليل على كمال الدين و تمام النعمه على الأمه لأنّه حلٌّ شرعى لأزمه جنسيه تهدد دين الشباب و الفتيات بالخطر. فلنفترض أنّ طالباً يدرس في الغرب و له من الشبق الجنسي ما لا- يتركه ليلاً- و نهاراً و الذى يطلب غايته فأمامه طرق أربعه:

١- أن يتزوج نكاحاً دائماً و أنّى له ذلك إذ ليس له من المال و الامكانيات ما تفي بذلك مضافاً إلى أنّه ربّما لا يرغب الاقامه في ذلك البلد و إنّما يريد الرجوع إلى وطنه و التزوج هناك من بنات بلده.

٢- أن يكبح جماح الشهوه و هو و إن كان أمراً حسناً و آيه للتقوى لكنه لا- يقوم به إلّا الأمثل فالأمثل و ليس كل طالب على تلك الدرجه من العفاف.

٣- أن يتردد إلى بيوت الدعاره و هذا ما تمنعه منه كرامته و عزه نفسه و دينه.

٤- أن يتزوج نكاحاً مؤقتاً على الشرائط المذكوره.

إذ ليس هناك طريق خامس حتى يكون حلاً للأزمه.

أو لسنا نقول إنّ التشريع الإسلامى أغنانا عن كل تشريع بشرى، فعندئذ نساء ما هو الحل الإسلامى لهذه المشكله؟ و لا شك أنّ الحل منحصر بما قام به التشريع الإلهى فى قرآنه و سنته.

ب- إنّ أهل السنّه و إن كانوا ينكرون حليه المتعه بقاءً و لكنهم يقولون بها بصوره أخرى و قد أفتوا بصحه الزواج الدائم بتيه الطلاق بعد مدّه و هذا نفس المتعه ماده و معنى، و إن كان يختلف عنها بصوره بل المتعه أفضل من هذا النوع من

الزواج. لأن فيه خداعاً و تزويراً لا يوجد في المتعه.

ج- و الذى لا- ينقضى منه عجبى انّ الكاتب يقول «و كان الرسول صلى الله عليه و آله و سلم قد أباحه فى بدء البعته»، مع أنّ أقوالهم تنفى ذلك. لأنهم يقولون:

أُبيحت ثم نهى عنها عام خبير.

ما أُحلت إلّا فى عمره القضاء.

كانت مباحه و نهى عنها فى عام الفتح.

أُبيحت عام أوطاس ثم نهى عنها.

ثم إنّ سورة النساء مدنيه و حكم المتعه جاء فى تلك السوره فكيف يصح القول بأنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أحلها فى بدء البعته؟ على أنّ فى بدء البعته لم يكن هناك أى تشريع مدنى حتى تصل النوبه إلى زواج المتعه.

د- و العجب أيضاً أنّه يقول إنّ الإمام علياً عليه السلام حرّمه مع أنّ المنقول عن الإمام عليه السلام أنّه قال: «لو لا أنّ عمر نهى عن المتعه ما زنى إلّا شقيّ» و قد أخرج الطبرى بأسانيده (١).

نعم، أوّل من نهى عنه هو عمر بن الخطاب.

روى مسلم فى صحيحه عن ابن أبى نضره، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعه. و كان ابن الزبير ينهى عنها. فذكر ذلك لجابر فقال:

على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فلما قام عمر، قال: إنّ الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فاتموا الحجّ و العمره و أبتوا نكاح هذه النساء فلأن أوتى برجل نكح امرأه إلى أجلٍ إلّا رجمته بالحجاره» (٢).

ص: ١٦٦

١-١). تفسير الطبرى: ٩/٥. [١]

٢-٢). صحيح مسلم: ١٣٠/٤، باب نكاح المتعه، الحديث ٨، ط: محمد على صبيح؛ و مسند أحمد: ٥٢/١. [٢]

و هناك نصوص أخرى طوينا الكلام عن نقلها و كفاك ما أخرجه البخارى فى صحيحه عن عمران بن حصين.قال:«نزلت آيه المتعه فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لم ينزل قرآن يحرمها و لم ينه عنها حتى مات.قال رجل برأيه ما شاء» (١).

و قد تضافر النقل عن عمر،أنه قال:متعتان كانتا فى زمن النبى حلالاً و أنا أحرمهما و أعاقب عليهما.

٣٥- يقول حول يوم عاشوراء:«يقوم عوام الشيعة بضرب ظهورهم بالسلاسل حتى يدموها،و ضرب أجسادهم بالسيوف حتى يقطعوها حزناً على استشهاد الحسين،و فقده،و تطهراً من مسئوليته خذلانه».

مناقشتنا:

كان على الكاتب أن يشير إلى عظمه يوم عاشوراء و ما كان عليه سيد أهل الإباء الذى علم الناس الحميه،و الموت تحت ظلال السيوف اختياراً له على الدينيه.و قد عُرِض عليه الأمان،فأبى الذل و اختار الموت على ذلك.

إنّ ثوره الحسين منذ تفجرها صارت أسوه و قدوه للمضطهدين على وجه البسيطة و المعذبين تحت نير الطغاه،و للمعانين من حكومات الجور و العسف فى الأوساط الإسلاميه و انحراف الدول و الحكومات عن خط العدل و الاقتصاد.

لقد لمس الثائرون أنّ ثوره الحسين كانت ثوره مبدئيه إلهيه،لأجل صيانته الدين عن التحريف و المجتمع عن الانحراف و الاعتساف،فهذه الغايه دفعت

ص:١٦٧

١- (١). صحيح البخارى:٢٧/٦، كتاب التفسير، تفسير قوله تعالى:«فمن تمتع بالعمره إلى الحج...» من سوره البقره.

الإمام إلى الثورة و التضحيه بشيخه و كهله و شابه و طفله الرضيع حتى يتبين عمق الثورة فلما كانت ثورة الحسين ثورة منهجيه نابضه، فالشيعة بمواكبها و مظاهراتها يوم عاشوراء تريد أن يبقى المنهج حياً غُضاً مثمراً عبر القرون.

نعم يجب أن تكون المواكب و المظاهرات موافقه للأصول و الموازين الشرعيه. و هذا ما أهاب به غير واحد من علمائنا.

و لكن يا للأسف أن بعض الجهله، أعداء أئمه أهل البيت، حَمَلَه النزعه الأمويّه، شنوا هجوماً شنيعاً على المواكب الحسينيه أسفر عنه قتل الأبرياء من محبى أئمه أهل البيت عليهم السلام و هؤلاء هم أعداء الرسول و آله و بما أنهم لا يتجزءون على إظهار العداوه و البغضاء لصاحب الرساله و أهل بيته لذا يوجهون سهام حقدهم إلى شيعتهم و محبيهم. و هناك من يجد فى نفسه الجراه فيضيف إلى سب الشيعة و قتلهم، سب و قتل أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله و سلم من غير اكتراث و قد قتل بنوا أميه السبط الحسين عليه السلام تشفياً لغيليل قلوبهم من قتل آبائهم الكافرين فى بدر و أحد و ها هو يزيد الكافر يتشدد بهذه الأبيات و يقول: ليت أشياخى بيدر شهدوا

٣٦. يقول حول الخمس: «يرى الاثنا عشرية وجوب دفع الخمس من دخل كل اثنى عشرى فى كل عام إلى مراجع المذهب...»

و هم يرون ذلك بديلاً عن الزكاه، و فى بعض المجتمعات التى فرضت فيها الزكاه الشرعيه بحكم القانون - كباكستان - رفض الاثنا عشرية دفعها للدولة بسبب دفعهم هذا الخمس إلى مراجعهم الدينيه الخاصه.»

الشيعة تعتقد بأن الغنيمه الوارده فى قوله سبحانه: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ١ عامه لكل ما يفوز به الانسان سواء كان فى ساحه الحرب أو غيرها.

قال الأزهرى:«الغنم،الفوز بالشىء و الاغتنام،انتهاز الغنم»(١).

قال الراغب:الغنم معروف و الغنم اصابته و الظفر به،ثم استعمل فى كل مظفور به من جهه العدى و غيرهم.قال: «وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ»، «فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً» ٣ المغنم:ما يغنم و جمعه مغنم.قال: «فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» ٤.

إلى غير ذلك من النصوص لأهل اللغة العربيه عن كون الماده موضوعه لأوسع مما يفوز به الانسان فى ساحات الحروب،حتى أنه سبحانه يستعمله فى المغنم الاخروييه قال تعالى: «فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ» و قد استعملت الماده فى الحديث النبوى فى المعنى الأعم.

روى ابن ماجه فى سننه،أنه جاء عن رسول الله:«اللهم اجعلها (الزكاه) مغنماً و لا تجعلها مغرمًا»(٢).

و نزول الآيه فى الغنائم الحرييه لا- يكون مخصصاً،و لأجل ذلك لا- يختص الخمس عند أهل السنّه بما يفوز به الانسان فى الحروب.

ص:١٦٩

١- ٢). تهذيب اللغة،ماده غنم.

٢- ٥). سنن ابن ماجه،كتاب الزكاه،باب ما يقال عند اخراج الزكاه،الحديث ١٧٩٧.

ففى مسند أحمد و سنن ابن ماجه، و اللفظ للأول عن ابن عباس، قال: «قضى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى الركاز الخمس» (١).

و قد تضافر هذا الحديث فى غير واحد من المجاميع الحديثيه.

و أمّا أرباح المكاسب فقد ذهب الشيعة فيها إلى لزوم اخراج الخمس اقتداءً بأئمة أهل البيت، و قد ورد اخراج الخمس فيها فى روايات أهل السنّه، و إليك بعض ما ورد:

لما وفد عبد القيس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قالوا: إن بيننا و بينك المشركين و إننا لا نصل إليك إلّا فى الأشهر الحرم فمرنا بجمل الأمر، ان عملنا به دخلنا الجنّه و ندعو إليه من ورائنا. فقال: «أمركم بأربع و أنهاكم عن أربع:

أمركم بالإيمان بالله و هل تدرون ما الإيمان؟ شهاده أن لا إله إلّا الله و أقام الصلاه و ايتاء الزكاه و تؤتوا الخمس من المغنم» (٢).

و من المعلوم أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم لم يطلب من بنى عبد القيس أن يدفعوا غنائم الحرب كيف و هم لا يستطيعون الخروج من أحيائهم فى غير الأشهر الحرم خوفاً من المشركين فيكون المراد أن يدفعوا خمس ما يفوزون به و يربحونه.

و هناك روايات أخرى تدلّ على لزوم دفع خمس كل ما يفوز به الانسان تركنا ذكرها للاختصار.

فمن أراد التوسع فليرجع إلى كتابنا «الاعتصام بالكتاب و السنّه» ص ١٠٠-١٠٥.

فما ذنب الشيعة إذا عملت بروايات رواها اخوانهم أهل السنّه، و تركهم

ص: ١٧٠

١-١. مسند أحمد: ٣٠٤/١، [١] سنن ابن ماجه: ٨٣٩/٢ ط: ١٣٧٣.
٢-٢. صحيح البخارى: ١٦٠/٩، باب «و الله خلقكم و ما تعملون» من كتاب التوحيد.

العمل بها لا يكون مبرراً لترك غيرهم الذين قامت الحجج عندهم على لزوم دفع الخمس.

فما ذكره من أنّ الشيعة يرون الخمس بديلاً عن الزكاة فهو كذب وافتراء وهذه مئات الكتب الفقيهيه التي جاء فيها الخمس تالياً للزكاة.

و ما نقله عن بعض المجتمعات-على فرض الصحه-لا يكون دليلاً على أنّ منعهم يمت إلى المذهب بصله، و ما علّلوا به من أنّهم يدفعون الخمس إلى مراجعهم الدينيه غطاء و واجهه للمنع. و السبب الواقعي للمنع عباره عن أنّ للزكاة مصارف معيّنه عند الشيعة و هم يعلمون أنّ الحكومات لا تصرفها في مصارفها الواقعيه لعدم التزام أصحاب السلطه بالعمل بالواقع غالباً.

٣٧.يقول:«و قد أحدثت الاثنا عشرية في الصلاه أموراً منها»السجود على التربه الحسينيه«ذلك لأنهم يقدسون تراب مدينه كربلاء (النجف) التي استشهد فيها الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما فلا يكاد يخلو بيت من بيوت الشيعة من تلك التربه. و من مظاهر تقديسهم لها أنّهم يقومون بالسجود عليها و تقبيلها و التبرك بها، بل و أكل قليل منها للشفاء على الرغم من أنّ الفقه الشيعي يحرم أكل التراب كما يصنعون من هذه التربه أشكالاً مختلفه يحملونها في سفرهم و يسجدون عليها في صلواتهم التماساً للقبول و البركه».

مناقشنا:

أنّه سبحانه هو المسجود له و الأرض و ما ينبت منها عند الشيعة هو المسجود عليه، فيشترط في فقه الشيعة أن يكون المسجود عليه هو مطلق الأرض أو ما أنبتته مما لا يؤكل و لا يلبس، و لا تشترط في صحه الصلاه، السجود على التربه الحسينيه

ص: ١٧١

أخذاً بالمتصاف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «جعلت لى الأرض مسجداً و طهوراً» (١).

وليس المراد من الأرض كل ما يداس حتى يعم الفرش و السجاد بل المراد هو التراب و الحصى و الحجر و ما أشبهها و ذلك لأجل قوله صلى الله عليه وآله وسلم «و طهوراً»، بمعنى مطهراً من الحدث و من المعلوم أنه لا يجوز التيمم إنما على الصعيد الطيب. كما قال سبحانه: «فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً» ٢ و هو الأرض لا كل ما يُداس.

و هناك روايات تدل على أن السيره فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت جاريه على السجود على التربه لا على الثياب و لا على الفرش.

روى جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: كنت أصلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الظهر فأخذ قبضه من الحصى فأجعلها فى كفى ثم أحولها إلى الكف الأخرى حتى تبرد ثم أضعها لجيبي حتى أسجد عليها من شدّه الحر (٢).

يقول البيهقى معلقاً على الحديث: قال الشيخ: و لو جاز السجود على ثوب متصل به لكان أسهل من تبريد الحصى بالكف و وضعها للسجود.

و نقول: لو جاز السجود على مطلق غير الأرض سواء أ كان متصلاً أم منفصلاً كالمناديل لما وصلت النوبه إلى تبريد الحصى.

روى الحسن، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شدّه الحر فيأخذ أحدنا الحصباء فى يده، فإذا برد، وضعه و سجد عليه (٣).

و هناك روايات أخرى تدل على هذا الأمر.

فعن خالد الجهنى قال رأى النبي صُهبياً يسجد كأنه يتقى التراب، فقال

ص: ١٧٢

١-١. صحيح البخارى: ١/١٩١، كتاب التيمم، الحديث ٢.

٢-٣. سنن البيهقى: ١/٤٣٩، مسند أحمد: ٣/٣٢٧. [١]

٣-٤. سنن البيهقى: ٢/١٠٥، باب الكشف عن الجبهه.

له: تَرَبُّبٌ وَجْهَكَ يَا صَهِيبَ (١).

روت أم سلمه: رأى النبي غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال: يا أفلح، تَرَبُّبٌ (٢).

و هناك قسم ثالث من الروايات نرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها يحسر العمامه عن جبهه المصلى لكى لا يسجد عليها.

روى صالح بن حيوان السباعى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلاً يسجد بجنبه و قد اعتم على جبهته. فحسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبهته (٣).

و ما ذكرناه غيظ من فيض.

إنّ الشيعة لا يلتزمون بكون التربه التى يسجد عليها لا بد أن تكون من تربه كربلاء، بل يسوغون السجود على التربه من أى مكان كانت.

نعم يستحب أن يكون المسجود عليه من تربه كربلاء و ذلك لأنّ تلك التربه عجت بدم المجاهد الشهم أبى الشهداء الحسين بن على عليه السلام الذى ضحى بنفسه و نفيسه من أجل كسر جبروت الطواغيت و احياء الإسلام.

و أمّا الالتزام باتخاذ تربه طاهره طيبه فى البيوت فسببه عدم تمكّن المصلى من السجود فى جميع الأماكن على الأرض الطيبه.

لأنّ البيوت و المساجد مفروشه غالباً فلا مناص من اتخاذ أقراص ترايبه طاهره يتمكّن من السجود عليها.

و هذه القاعده كانت ثابتة عند السلف الصالح و إن غفل التاريخ عن نقلها فقد روى: أنّ التابعى الفقيه مسروق بن الأجدع

المتوفى عام ٦٢ كان

ص: ١٧٣

١-١. كتر العمال: ٧/٤٦٥ و ٤٥٩.

٢-٢. كتر العمال: ٧/٤٦٥ و ٤٥٩.

٣-٣. سنن البيهقى: ٢/١٠٥.

يصحب في أسفاره لبنه من المدينة يسجد عليها. كما أخرجه ابن أبي شيبة في كتابه المصنّف، باب من كان حمل في السفينه شيئاً يسجد عليه. فأخرج باسنادين أنّ مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينه لبنه يسجد عليها (١).

٣٨. ثم إنّ الكاتب ختم المقال بالنشاط السياسي الأخير للشيعة و انتهى كلامه إلى القول بولاية الفقيه بمفهومه السياسي و نقل عن يزعم أنّ ولاية الفقيه ليست من مسلمات المذهب و أنّ الأقرب إلى موقف الأئمة هو تقديم وحده الأئمة على مسائل الإمامه....

مناقشتنا:

انّ من مفاخر الشيعة الإماميه أنّهم قاموا بتشكيل دوله إسلاميه وسط أجواء سادها العداء السافر للدين و اعلان انتهاء عصر الحياه الدينيه.

فأثبتوا بعملهم هذا أنّ الإسلام دين صالح للماضي كما هو صالح للحال و المستقبل و أنّه لم ينته عصر الدين و أنّ الجوهر الديني له جذور راسخه لا يقهر أمام تلك التيارات الماديه.

و أمّا مسأله ولاية الفقيه فالبحت عنها لا يناسب هذا الكراس و اجمال القول فيها: أنّ الحكومه الإسلاميه حكوميه الهيئه منهجيه لا يليق بادارتها إلّا الحاكم الإلهي العارف بالكتاب و السنّه و الواقف على حاجات الأئمة و القادر على تطبيق الأحكام الشرعيه على الساحة الاجتماعيه و ليس هو إلّا المجتهد العارف بالإسلام، المعبر عنه بالفقيه و يعبر عن صلاحيته الشرعيه لإداره شؤون المجتمع، بولاية الفقيه، و ليس ذلك بدعاً فإنّ هناك جماعه من أهل السنّه يشترطون في الحاكم الاجتهاد و العرفان بالكتاب و السنّه.

ص: ١٧٤

١- ١). ابن أبي شيبة، المصنّف: ١/٤٠٠. [١]

و العجب أنّ الكاتب زعم أنّ ولاية الفقيه تراحم وحده الأُمّة مع أنّ ولاية الفقيه سلطه في يد الفقيه يمكنه استخدامها في سبيل تأليف الأُمّة و جمع كلمتهم و لمّ شملهم،فها نحن نرى أنّ قائد الجمهوريه الإسلاميه في إيران قام بتأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميه.و الذي قام باصدار مجله تحت عنوان:«رساله التقريب».

فهل كانت ولاية الفقيه مضادّه لوحده الأُمّة يا ترى!؟

هذا غيظ من فيض و قليل من كثير ذكرناه لإيقاف الكاتب على الهفوات و الأخطاء الواضحه في كلامه و فيه عبره لمن يأخذ بالقلم و يكتب عن الشيعة بلا مراجعه مصادرهم.

هذه التعاليق الموجزه ربما تثير حفاظ من لا يحب وحده الكلمه و اتفاق الامه لكنّها تقع موقع القبول ممن يحبّ تقريب الخُطى و تقارب المسلمين في الوقت الذي يئنّ المسجد الأقصى أولى القبلتين و مسرى سيد الثقلين من وطأه الصهاينه.

و في نهايه المطاف نحن على استعداد لإرسال مقال حول الفرقه الاثني عشرية يتضمّن تاريخ نشوئها و الأصول التي تتبناها، و الفروع التي تدين بها،و الخدمات التي قدّمتها إلى الأُمّة و تُبين مساهماتها في بناء الحضاره الإسلاميه.

و الحمد لله على ما هدانا.

جعفر السبحاني

قم-مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٠ صفر المظفّر عام ١٤١٧

ص: ١٧٥

الغايه من كتابه هذا المقال هو الدفاع عن حقيقه واضحه كتمها كاتب باسم جبرين في السعوديه في جوابه على سؤال شخص سأله عن حليه ذبائح الشيعه و طعامهم، فأجاب بما تقرءونه في رسالته المختصره.

و لما كانت الرساله قاسيه بمكان و بعيده عن أدب الإسلام و روحه معربه عن جهله بأصول الإسلام و فروعها و ما أطبق عليه أئمتته في مجال الإسلام و الإيمان، قمنا بتأليف هذه الرساله، و بعثنا بها إلى السعوديه، لتنشر هناك كي يقف المسلمون على الخطط التي يحيكها الاستعمار بغيه زرع بذور التفرقه في أوساطهم.

لا- يشك أيّ ذى مسكه إلى ضروره توحيد الصفوف و رصّها للحفاظ على كيان الإسلام و المسلمين و مواجهه المؤامرات الخطيره في الوقت الذي يتحالف فيه أعداء الإسلام، للقضاء على الصحوه الإسلاميه الصاعده...من خلال إثارة النعرات الطائفية التي تهدف إلى شق العصا و تفريق الصفوف، و الحيلولة دون تقارب طوائف المسلمين لتحقيق الوحده المطلوبه التي يخشاها المستعمرون، و يرهبها أعداء الإسلام من الصهاينه و الصليبيين الجدد.

نرى أن رجلاً يعد نفسه فقيهاً مفتياً يقوم بتكفير طائفه كبيره من المسلمين. لهم جذور في التاريخ، وخدمات جليله في الحضاره الإسلاميه. و يجب على سؤال بعثه إليه رجلٌ مجهول الاسم والهويه، وإليك السؤال و الجواب:

السؤال:

يوجد في بلدتنا شخص رافضى يعمل قصاب (1)، و يحضره أهل السنّه كى يذبح ذبائحهم. و كذلك هناك بعض المطاعم تتعامل مع هذا الشخص الرافضى و غيره من الرافضه الذين يعملون فى نفس المهنة..فما حكم التعامل مع هذا الرافضى و أمثاله؟ و ما حكم ذبحه و هل ذبيحته حلال أم حرام؟ أفتونا مأجورين، و الله ولى التوفيق.

الجواب:

و عليكم السلام و رحمه الله و بركاته.

و بعد فلا يحل ذبح الرافضى، و لا أكل ذبيحته فإنّ الرافضه غالباً مشركون، حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشده و الرخاء، حتى فى عرفات و الطواف و السعى، و يدعون أبناءه و أئمتهم كما سمعناهم مراراً. و هذا شرك أكبر، و رده عن الإسلام يستحقون القتل عليها كما هم يغالون فى وصف على -رضى الله عنه-، و يصفونه بأوصاف لا تصلح إلاّ لله، كما سمعناهم فى عرفات، و هم بذلك مرتدون حيث جعلوه ربّاً و خالقاً و متصرفاً فى الكون و يعلم الغيب و يملك الضر و النفع، و نحو ذلك كما أنّهم يطعنون فى القرآن الكريم، و يزعمون أنّ الصحابه حرّفوه، و حذفوا منه أشياء كثيره متعلّق بأهل البيت و أعدائهم. فلا يقتدون به و لا يروونه دليلاً.

ص: ١٧٨

١-١). هكذا وردت فى نص سؤال السائل و الصحيح (قصاباً) لكونها حال.

كما أنّهم يطعنون في أكابر الصحابه كالخلفاء الثلاثة و بقيه العشره و أمهات المؤمنين.فمشاهير الصحابه كأنس و جابر و أبى هريره و نحوهم فلا- يقبلون أحاديثهم لأنّهم كفّار في زعمهم،و لا- يعملون بأحاديث الصحيحين إلّا ما كان عن أهل البيت و يتعلّقون بأحاديث مكذوبه و لا دليل فيها على ما يقولون،و لكنّهم مع ذلك يفتون فيقولون بألستهم ما ليس في قلوبهم.

و يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك.و يقولون من لا تقيه له فلا دين له فلا تقبل دعواهم في الآخره و...الخ.

فالنفاق عقيدته عندهم كفى الله شرهم و صلى الله على محمد و آله و صحبه و سلم.

جبرين

١٤١٢/٢/٢٢

هذا هو نص السؤال و الجواب و قبل أن نخوض في الإجابة على ما ساق من التهم على الشيعة.نبه على أمور:

١-السنة الرائجة في الإجابة على الأسئلة الفقهية هو الاقتصار على نفس الفتوى.و كان على المفتى أن يقتصر على تحريم الأكل من دون حاجه إلى التفصيل.و ما جاء به يعرب عن أنّ هناك مؤامره،و أنّ السؤال و الجواب دبراً بليلاً.فالمقصود إيجاد القلق و إشاعة التهم ضد الشيعة سواء أ صحّ السؤال أو لا،و هل كان هناك سائل أم لا؟.

٢-إنّ الكلمة التي يستخدمها العوام في التعبير عن هذه الطائفة هو لفظ الشيعة،و أمّا الراضى و هى كلمة يستخدمها أصحاب المقالات و كتاب الملل

ص:١٧٩

و النحل. فاستخدام كلمه الرفضى بدل كلمه الشيعة يرشدنا إلى أنّ السؤال كان مصطنعاً ممّن لهم ممارسه فى تكفير الفرق.

٣- سواء أصحت تلك التهم أم لا فقد أسماهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم بشيعة على بن أبى طالب و قال: إنّ هذا-على عليه السلام- و شيعته لهم الفائزون، و هم اختاروا لأنفسهم تلك الكلمه. فاستخدام الرفضى فى هذا المجال من قبيل التناز بالألقاب، و هو أمر محرم على كل تقدير.

٤- إنّ المجيب يقول: فإنّ الرفضه غالباً مشركون، و هذا يدل على أنّ فيهم موحدين، أو ليس من واجب المفتى أنّ يسأل السائل عن القصاب الذى يذبح ذبائحهم هل هو من الغالب أو من غيرهم، فلا يحكم على البرىء بحكم المجرم. و من أدراه أنّ الذى يذبح هو من المشركين!؟

كل ذلك يسوقنا إلى أنّ الهدف لم يكن إرشاد العوام و لا الإجابة على السؤال و إنّما كان الهدف إيجاد البلوى و الشغب و ضرب المسلمين بعضهم ببعض لتصفو المياه للمستعمرين.

إذا وقفت على ذلك فترجع إلى الإجابة عن التهم الباطله التى أُجيب عنها عشرات المرات. و نحن نعلم أنّ خلافاً دام قرونًا لا يرتفع بهذه الرساله و أمثالها. غير أنّا نقوم بواجبنا الذى أدلى به الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فى كلامه المشرق: «إذا ظهرت البدع فى أمتى فليُظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» (١). و أى بدعه أفضع من تكفير أمه كبيره تعد ربع المسلمين أو أكثر و ليس لهم جريمه سوى حب أهل البيت الذين أمر الله سبحانه بمودتهم و سوى المشايعة للثقلين الذين أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بالتمسك بهما!!؟

ص: ١٨٠

(١-١). الكافى: ٥٤/١، باب البدع و الرأى، الحديث ١. [١]

إنَّ وحده الكلمه كانت أمنيته النبي صلى الله عليه وآله وسلم العلياء، فقد كان رسول الإسلام محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله و سلم يهدف دائماً إلى توحيد المسلمين و يحافظ أبداً على وحده صفوفهم، و يسعى إلى إطفاء أيه نائره أو تأثيره تهدد هذه الوحده.

فيوم دخل شاب يهودى مجتمع الأوس و الخزرج الذين جمعهم الإسلام بعد طول نزاع و تشاجر و تقاتل، و أخذ يذكرهم بما وقع بينهم فى عهد الجاهليه، من قتال، فأحى فيهم الحميه الجاهليه حتى استعدوا للنزاع و الجدل، و كادت نيران الفتنة تثور من جديد بينهم بعد أن أشعلها ذلك اليهودى المتأمر، و تواتب رجالان من القبيلتين و تقاولا، و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال:

«يا معشر المسلمين! الله الله أ بدعوى الجاهليه و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله بالإسلام و أكرمكم به و قطع عنكم أمر الجاهليه، و استنقذكم من الكفر، و ألف بين قلوبكم» (١).

فإذا كانت هذه هى أهميه الوحده فى الأمة الإسلاميه فما جزء من يرفع عقيرته يريد تفريق صفوف المسلمين بفتوى ظالمه مخالفه لنصوص الكتاب العزيز و السنه المحمديه الشريفه؟ و هو بذلك لا يخدم إلا القوى الاستعماريه الكافره المعاديه للإسلام و المسلمين إذ لا ينتفع من هذه الفتوى المفترقه، غيرهم.

ما جزء هذا المتسمى باسم أهل العلم المتصدى لمقام الدعوه و الإفتاء؟ ينبرى فى وقت أشد ما يكون فيه المسلمون إلى التآخى و التقارب ينجس و يكفر طائفه كبرى من طوائف المسلمين. فيقول: «لا يحل ذبح الرافضى- و يقصد به

شيعه الإمام على عليه السلام من أتباع الإسلام-و لا أكل ذبيحته،فإنّ الرافضه غالباً مشركون حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشده و الرخاء حتى فى عرفات و الطواف و السعى و يدعون أبناءه و أئمتهم كما سمعناهم مراراً و هذا شرك أكبر و ردّه عن الإسلام يستحقّون القتل عليها كما هم يغالون فى وصف على رضى الله عنه و يصفونه بأوصاف لا تصلح إلّا لله كما سمعناهم فى عرفات و هم بذلك مرتدون حيث جعلوه ربّاً و خالقاً و متصرفاً فى الكون!!

إنّ هذا الرجل يتناول على شيعه أهل البيت عليهم السلام و يذلّهم بلسان حادّ و يتّهمهم بالشرك و الارتداد بينما هو يسكت و يخرس فى قضيه سلمان رشدى الذى تجرّأ على رسول الله و أمّهات المؤمنين و أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و تجاسر عليهم و مسّ كرامتهم،و نال من شرفهم،و لا يشير إلى ارتداد سلمان رشدى،و هو ينشر تلك التّرهات و الإساءات إلى المقدّسات الإسلاميه.و ما هذا السكوت إلّا لأنّ أسيادهم يرفضون تكفير رشدى،بينما يتكلّفون خلق الشبهات الباطله لإلصاقها بشيعه أهل البيت عليهم السلام و تكفيرهم و يغمضون عيونهم عن الحقائق الناصعه التى تحكى إيمانهم الصادق بالله و رسوله و كتابه و أحكامه و إنّهم صفوه الله و رسوله و أهل بيته فى رفع شأن هذا الدين و حمل هموم المسلمين و الدفاع عنهم و العمل على ترسيخ وحدتهم على مرّ العصور و الأزمان.

كما أنّ الغايه من هذا التكفير هو التغطية على جريمه السماح باستيطان اليهود و النصارى فى أرض مكه و المدينه المقدسه،و بهذا أثبتوا صلّتهم بالأجانب المستعمرين.

أجل للتغطية على هذا العار و تحريفاً لأذهان و مشاعر الشعوب الإسلاميه الجريحه بسبب تدنيس الأمريكان و حلفاؤهم أرض المقدسات مكه و المدينه،عمد المدعو عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين إلى تكفير الشيعه و رميهم بالشرك،ليخفى

الحقيقه عن المسلمين غافلاً- عن أن الشعوب الإسلاميه قد أصبحت اليوم واعيّه تميّز بين الحق و الباطل و لم تعد تخفى عليها حقيقه المدعو «جبرين» و نظرائه من مفرّقى الصفوف الإسلاميه، تحت غطاء الدفاع عن التوحيد.

و إلّا فما ذنب الشيعة إلّا كونهم موالين لأئمه أهل البيت الذين «أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً». كما فرض فى الكتاب مودّتهم و جعلها أجراً للرساله المحمديه؟!!

ما ذنب الشيعة إلّا كونهم أمه مقاومه للاستعمار البغيض رافضه لخططه الجهنميه، أمه مجاهده امتزجت حياتهم بالجهاد و الدفاع عن حياض الإسلام الحنيف... و النبي و آله الكرام. و هو رمز معاداه الكفر لهم.

ما هو ميزان التوحيد و الشرك ؟

لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يكتفى فى قبول الإسلام من الذين يريدون الانصواء تحت رايته بمجرّد الشهاده بالوحدانيه و استقبال القبله و الصلاه.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من شهد أن لا- إله إلّا الله و استقبل قبلتنا و صلى صلاتنا و أكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ما للمسلم و عليه ما على المسلم» (١). و قال صلى الله عليه و آله و سلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلّا الله و أنّ محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا- إله إلّا الله و أنّ محمداً رسول الله و استقبلوا قبلتنا و أكلوا ذبيحتنا و صلّوا صلاتنا حرمت علينا دماؤهم و أموالهم إلّا بحقّها» (٢).

بهذا كان يكتفى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لإطلاق وصف الإسلام على الأشخاص من

ص: ١٨٣

١-١. جامع الأصول: ١/١٥٨.

٢-٢. جامع الأصول: ١/١٥٨-١٥٩.

دون أن ينبش في أعرافهم الاجتماعيه و ممارساتهم التقليديه،عند احترام شخصياتهم و تكريمهم.فما بال المدعو«جبرين» و أضرابه يكفرون بسهولة أمه كبيره من الموحدين المؤمنين بالرساله المحمديه،التابعين للعترة الطاهره المجاهدين للكفار و المستعمرين؟ مع أنّهم يشهدون بالوحدانيه و الرساله و المعاد و يصلّون و يصومون و يحجّون و يزكّون.

و هل يحق لهم التكفير و قد نهاهم رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم عن ذلك في أكثر من حديث صحيح تنقله مصادر السنّه و الشيعة:

«كفّوا عن أهل لا إله إلا الله لا تكفّروهم بذنوبهم، فمن كفر أهل لا إله إلا الله فهو إلى الكفر أقرب».

«من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله، و من قتل نفساً بشيء عذبه الله بما قتل».

«إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقتله، و لعن المؤمن كقتله» (١).

هل دعاء الصالحين عباده لهم و شرك؟

يقول صاحب هذه الفتوى الظالمه الباطله: إنّ الرافضه مشركون حيث يدعون على بن أبى طالب دائماً فى الشده و الرخاء.

إنّه يتمسك بهذه الحججه (أى دعاء الأولياء الصالحين فى الشده و الرخاء) لرمى الشيعة المسلمين المؤمنين بالكفر و الشرك. و هو أكبر حججهم لتكفير عامه المسلمين و ليس خصوص الشيعة و هو لا يدرك أن دعاء الأولياء يقع على وجهين:

الأول: دعاء الولي و نداؤه بما أنّه عبد صالح تستجاب دعوته عند الله إذا طلب منه تعالى شيئاً، و هو شيء أباحه القرآن بل أمر به إذ قال: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ

ص: ١٨٤

١-١). راجع جامع الأصول: ١ و ١٠ و ١١، و كنز العمال للمتقى الهندي ١.

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا» ١.

عن يعقوب عليه السلام أنه لما طلب منه أبناؤه أن يدعو لهم و يستغفر لذنوبهم قال:

«سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ» و هو أمر جائز و جار في حياه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته و حال مماته، إذ الموت لا يغير الموضوع كما أنه ليس دخيلاً في مفهوم التوحيد و الشرك، ما دام الداعي يؤمن بالله الواحد و يعتبره الرب الخالق و المدبر المستقل دون سواه.

روى الطبراني عن أبي أمامه بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجه له، فكان عثمان لا يلتفت إليه و لا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاه فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إني أسألك و أتوجه إليك بنينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضى لي حاجتي، فتذكر حاجتك و رح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان (رض) فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان (رض) فأجلسه معه على الطنفسه، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعه، و قال: ما كانت لك من حاجه فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي و لا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: و الله ما كلمته و لكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قد أتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي

صلى الله عليه وآله وسلم: فتصبر، فقال: يا رسول الله ليس لى قائد، فقد شق علىّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أنت الميضاء فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات».

قال ابن حنيف: فو الله ما تفرقنا و طال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرّ قط (١).

إن هذه الرواية و نظائرها تكشف عن أنّ الصحابه كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و يتوسّلون به حتى بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم من دون أن يعتبروا ذلك محرّماً بل و لا مكروهاً.

الثانى: لا- شك أنّ دعاء النبى أو الصالح و نداءهما و التوسّل بهما باعقاد أنه إله أو ربّ أو خالق أو مستقلّ فى التأثير أو ملك للشفاعه و المغفره شرك و كفر، و لكنّه لا يقوم به أى مسلم فى أقطار الأرض، بل و لا يخطر ببال أحد و هو يقرأ آيات الكتاب العزيز آناء الليل و أطراف النهار، و يتلو قوله سبحانه:

«هَلْ مِنْ خَالِقِ غَيْرِ اللَّهِ» ٢ .

«أَلِإِلَهِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ٣ .

«قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أَعْبُدُوا رَبَّاءَ...» ٤ .

«قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» ٥ .

إنّ المسلمين لا- يعتقدون فى النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته المطهرين: (فاطمه و على و الحسن و الحسين عليهم السلام) إلّا كونهم عباداً صالحين مقرّبين عند الله مستجابيه

ص: ١٨٤

دعوتهم. و لا يعتقدون بغير ذلك من ربوبيه أو ألوهيه أو مالكيه للشفاعه و المغفره أبداً.

و لكنّ القوم الذين عمدوا إلى تكفير الشيعة و غيرهم من المسلمين لم يفرّقوا بين الدعاءين و النداءين، فرموهما بسهم واحد.

ثمّ يقول المدعو جبرين: «حيث جعلوه -أى علياً عليه السلام- رباً و خالقاً و متصرفاً في الكون» و يا لها من كذبه و قحه، و فريه فاضحه، و تهمه للمسلمين الموحدين. فما الرب عند المسلمين شيعة و سنّه، و ما الخالق و ما المتصرف الحقيقي في الكون إلّا الله سبحانه دون سواه... و هذه كتبهم و مصنفاتهم في العقائد و الحديث و التفسير، فهي طافحه بالاعتراف و الإقرار بوحدانيه الله تعالى في الذات و الصفات و الخالقيه و التدبير و الحاكميه و التشريع و الطاعه، و العبوديه و الشفاعه و المغفره.

و كيف ترى يحق لجبرين و نظرائه أن يكفّروا المسلمين شيعة و سنّه الذين يوحدون الله، بشيء لم يعتقدوا به و لم يقولوا به؟

و لو صحّ أنّ دعاء أحد يستلزم القول بألوهيته أو ربوبيته و يعدّ هذا الدعاء و النداء شركاً و كفراً فكيف نادى و دعا إخوه يوسف، أخاهم يوسف و قالوا: «يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَ أَهْلَنَا الضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاهٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ» ١؟ و لم يعتبر القرآن هذا شركاً.

فهل النبي الأكرم محمد صلى الله عليه و آله و سلم أقل شأنًا و درجه من عزيز مصر يوسف الصديق عليه السلام!؟

و أمّا كون النبي محمد صلى الله عليه و آله و سلم يختلف عن العزيز بأنّه ميت فهو عذر تافه و كلام

باطل، إذ حياه النبي و أهل بيته الشهداء فى سبيل الله فى البرزخ أمر مسلم، كيف و القرآن الكريم يقول: «و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون» ١ و قال: «و لا تقولوا لمن يُقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء و لكن لا تشعرون» ٢.

مع العلم أن الشهداء يأتون فى المرتبه الثالثه فى قوله تعالى: «فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين» ٣.

لو كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ميتاً فما معنى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما من أحد يسلم على إلا رد الله عز و جل على روحى حتى أرد عليه السلام» (١)؟ و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «صلوا على فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» (٢).

إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و الأئمه الطاهرين من أهل بيته الذين يشاركونه فى الطهر و القداسه لآيه التطهير و المباله و الموده، و الذين قتلوا فى سبيل الله و دفاعاً عن حياض الشريعه المحمديه المقدسه، متمثلون فى الحياه بعد الموت، فكيف يكون نداؤهم و دعاؤهم دعاء للميت الذى لا يسمع؟

العلم بالغيب على نوعين:

و يقول جبرين فى فتواه: «و جعلوه -يعنى علياً- يعلم الغيب».

إن صاحب هذه الفتوى الباطله جاهل حتى باللغه العربيه

ص: ١٨٨

١-٤). سنن أبى داود: ٢/٢١٨، و [١] كنز العمال: ٣٨١/١٠، و غيرهما من كتب الحديث.

٢-٥). نفس المصدر. [٢]

والمصطلح الدينى، فإن العلم بالغيب فى الكتاب العزيز هو العلم النابع من الذات (أى من ذات العالم) غير المكتسب من آخر و هذا يختص بالله الواحد الأحد، و إليه يشير قوله سبحانه: «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» ١، و أما الإخبار بالغيب بتعليم من الله فالكتاب العزيز و السنه الشريفه مليان منه.

فهذه سوره يوسف تخبرنا بأن يعقوب و ابنه يوسف قد أخبرا عن حوادث مستقبله كثيره..أى أخبرا بالغيب:

١-لما أخبر يوسف والده بأنه رأى أحد عشر كوكباً و الشمس و القمر ساجدين له، قال يعقوب عليه السلام: «يَا بَنِيَّ لَا تَقْضِيْ صُ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا» ٢ و بذلك أخبر ضمناً عن مستقبله المشرق الذى لو عرف به إخوته لشارت عليه حفائظهم.

٢-لما أخبر صاحبها يوسف فى السجن يوسف برؤياهما قال عليه السلام لمن أخبره بأنه يعصر خمراً: «أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا» و قال للثانى-الذى قال إنه رأى يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه -: «وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ» ٣.

٣-لما فصلت العير قال أبوهم «يعقوب»: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْ لَا أَنْ تُفَنِّدُونِ» ٤.

٤-قال النبى عيسى عليه السلام لقومه فى معرض بيان معاجزه و بيناته:

«وَأَتَّبِعْكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» ١.

أليست كل هذه إخبارات بالغيب، ومغيبات أنبأ بها الرسل؟

وإذا هي ثبتت لنبيّ جاز نسبتها إلى العتره الطاهره لما لهم من المنزله والمكانه العليا، و هل عليّ عليه السلام أقلّ شأنًا من هارون عليه السلام وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأنه: «يا عليّ أمّا ترضى أن تكون منّي بمنزله هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدى»؟ (١) الذي يعنى أنّه له ما للرسول إلّا أنّه ليس نبيًّا، لختم النبوه برسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كيف لا، و عليّ عليه السلام وارث علم رسول الله يا جماع الأمة الإسلاميه، و هل عليّ عليه السلام أقلّ من كعب الأخبار الذي أخبر الخليفه الثاني بأنّه سيموت بعد ثلاثه أيام و تحققت هذه النبوءه فعلاً (٢).

و هلاً علم «جبرين» ما أخرجه قومه في أئمتهم من العلم بالغيب ففي مسند أحمد: أن عمر بن الخطاب أخبر بموته بسبب رؤيا رآها و كان بين رؤياه و بين يوم مصرعه اسبوع واحد (٣)؟

الشيعة و صيانه القرآن عن التحريف:

و يقول جبرين في فتواه الجائره على شيعة أهل البيت: «كما أنّهم يطعنون في القرآن الكريم..».

إنّ الشيعة أيّها الشيخ لا يطعنون في القرآن و لا يقولون بوقوع التحريف فيه.

ص: ١٩٠

١- (٢). ٢. جامع الأصول: ٦٥٠/٨.

٢- (٣). الرياض النضرة: ٧٥/٢.

٣- (٤). مسند أحمد: ٤٨/١ و ٥١.

و لكن غيرهم قال بهذا، راجع تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: و كانت هذه السوره (أى سوره الأحزاب) تعدل سوره البقره و كانت فيها آيه الرجم (الشيخ و الشيخه إذا زنيا فارجموهما البته نكالا من الله و الله عزيز حكيم). ذكره أبو بكر الأنبارى عن أبي بن كعب.

ثم قال: و قد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال: حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام قال: حدثنا ابن أبي مريم عن أبي لهيعه عن أبي الأسود عن عروه عن عائشه، قالت: كانت سوره الأحزاب تعدل على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مائتى آيه، فلما كُتِبَ المصحف لم يقدر منها إلّا على ما هي الآن (1).

و روى أيضاً عن أبي بن كعب قوله: «فو الذى يحلف به أبى بن كعب إنّها كانت لتعدل سوره البقره أو أطول و لقد قرأنا منها آيه الرجم: (و الشيخ و الشيخه إذا زنيا فارجموهما البته نكالا من الله و الله عزيز حكيم).

و فى موطأ مالك قال عمر بن الخطاب: و الذى نفسى بيده، لو لا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله تعالى لكتبتها:

«الشيخ و الشيخه إذا زنيا فارجموهما البته فإنّا قد قرأناها» (2).

إذن فأين ذهبت هذه الآيه؟!

و جاء فى صحيح البخارى و مسند أحمد: قال عمر بن الخطاب: ...ثمّ إنّنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّ كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم، أو إنّ كفرأ بكم أن ترغبوا عن آبائكم) (3).

فهذا هو الخليفه يصرح بسقوط آيه من القرآن الحكيم!

ص: ١٩١

١- ١). تفسير الجامع لأحكام القرآن: ١١٣/١٤. [١]

٢- ٢). الموطأ، كتاب الحدود: ٧١٤، الحديث ٩. [٢]

٣- ٣). صحيح البخارى: ١٦٩/٨ باب رجم الحبلى من الزنا من كتاب الفرائض، مسند أحمد: ٥٥/١. [٣]

أمّا ما يقوله الشيعة حول القرآن الكريم فإليك طائفه من أقوال أبرز شخصياتهم القدامى و المتأخرين نذكرها على سبيل المثال لا الحصر:

١- قال الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١هـ) فى رسالته التى وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإماميه: اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزله الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو ما بين الدفتين و هو ما بأيدي الناس ليس بأكثر من ذلك.

ثمّ قال: و من نسب إلينا أنا نقول إنّ أكثر من ذلك فهو كاذب (١).

٢- قال الشريف المرتضى (المتوفى عام ٤٣٦هـ): إنّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقائع العظام و الكتب المشهوره و أشعار العرب المسطوره، فإنّ العناية اشتدّت و الدواعى توفّرت على نقله و حراسته، و بلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزه النبوه و مأخذ العلوم الشرعيه و الأحكام الدينيه، و علماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه و حمايته الغايه حتى عرفوا كل شىء اختلف فيه من إعرابه و قراءته و حروفه و آياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً و منقوصاً مع العناية الصادقه و الضبط الشديدي؟ (٢)

٣- و قال الشيخ الطوسى (المتوفى ٤٦٠هـ): و أمّا الكلام فى زيادته و نقصانه فممّا لا يليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعانى القرآن، لأنّ الزيادة مجمع على بطلانها، و النقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا (٣).

٤- قال العلامة الحلّى (المتوفى ٧٢٦هـ) فى أحد مؤلفاته: الحق أنّه لا تبديل و لا تأخير و لا تقديم فيه (أى القرآن) و أنّه لم يزد و لم ينقص و نعوذ بالله تعالى من أن

ص: ١٩٢

١- ١). اعتقادات الإماميه المطبوعه مع شرح الباب الحادى عشر.

٢- ٢). مجمع البيان: ١/١٥.

٣- ٣). مقدّمه تفسير التبيان. [١]

يعتقد مثل ذلك و أمثال ذلك، فإنه يجب التطرّق إلى معجزه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم المنقوله بالتواتر (١).

٥- وقال السيد محسن الأمين العاملى (المتوفى عام ١٣٧١هـ): لا يقول أحد من الإماميه لا قديماً و لا حديثاً أنّ القرآن مزيد فيه قليل أو كثير فضلاً عن كلّهم، بل كلّهم متفقون على عدم الزيادة و من يعتدّ بقوله من محقّقيهم متفقون على أنّه لم ينقص منه، و من نسب إليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفتر مجترئ على الله و رسوله (٢).

٦- وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (المتوفى عام ١٣٧٣هـ): إنّ الكتاب الموجود فى أيدي المسلمين هو الكتاب الذى أنزله الله إليه صلى الله عليه و آله و سلم للإعجاز و التحدى و لتعليم الأحكام و لتمييز الحلال و الحرام، و أنّه لا نقص فيه و لا تحريف و لا زياده و على هذا إجماعهم (أى إجماع الشيعة الإماميه) (٣).

٧- وقال الإمام شرف الدين العاملى (المتوفى عام ١٣٧٧هـ): كل من نسب إليهم تحريف القرآن فإنّه مفتر ظالم لهم، لأنّ قداسه القرآن الحكيم من ضروريات الدين الإسلامى و مذهبهم الإمامى - إلى أن قال: - و تلك كتبهم فى الحديث و الفقه و الأصول صريحه بما نقول: و القرآن الحكيم الذى لا - يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه إنّما هو ما بين الدفتين و هو ما فى أيدي الناس لا - يزيد حرفاً و لا - ينقص حرفاً و لا - يتبدل لكلمه بكلمه و لا لحرف بحرف، و كل حرف من حروفه متواتر فى كل جيل تواتراً قطعياً إلى عهد الوحي و النبوه (٤).

ص: ١٩٣

١- ١. أجوبه المسائل المهتائيه: ١٢١، المسأله ١٣. [١]

٢- ٢. أعيان الشيعة: ٤١/١.

٣- ٣. أصل الشيعة و أصولها: ١٣٣. [٢]

٤- ٤. الفصول المهمه: ١٦٣. [٣]

٨- وقال السيد الإمام الخميني قدس سره: إنَّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب و حفظه و ضبطه قراءه و كتابه يقف على بطلان تلك المزعمه. و ما ورد فيه من أخبار-حسبما تمسكوا-إمّا ضعيف لا يصلح للاستدلال به أو مجعول تلوح عليه امارات الجعل، أو غريب يقضى بالعجب، أمّا الصحيح منها فيرمى إلى مسأله التأويل و التفسير و أنّ التحريف إنما حصل في ذلك لا في لفظه و عباراته.

و تفصيل ذلك يحتاج إلى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن و المراحل التي قضاها طيله قرون و يتلخص في أنّ الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفتين لا زياده فيه و لا نقصان، و أنّ الاختلاف في القراءات أمر حادث ناشئ عن اختلاف في الاجتهادات من غير أن يمس جانب الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين (١).

٩- وقال السيد الإمام الغلبايجاني قدس سره: الصحيح من مذهبنا أنّ كتاب الله الكريم الذي بأيدينا بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذي لا-ريب فيه من لدن عزيز حكيم، المجموع المرتب في زمانه (أي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عصره) بأمره بلا تحريف و تغيير و زياده و نقصان و الدليل على ذلك تواتره بين المسلمين، كلاً و بعضاً، ترتيباً و قراءه... (٢)

١٠- و للسيد الإمام الخوئي قدس سره: بحث مفصل يؤكد فيه على خلو القرآن الكريم من أيّه زياده أو نقيصه في مقدمه تفسيره البيان (٣).

هذه هي نماذج صريحه تعكس عقيدته الشيعه الإماميه منذ القديم و إلى الآن حول القرآن الكريم، و كلّها تؤكد على صيانته الكتاب العزيز من أيّه زياده أو

ص: ١٩٤

١- ١. تهذيب الأصول: ١٦٥/٢. [١]

٢- ٢. البرهان للبروجردى: ١٥٦-١٥٨.

٣- ٣. ارتحل الإمام الخوئي (قدس سره) إلى بارئه في ٨ صفر ١٤١٣ هـ ق. لاحظ مقدمه تفسير البيان.

نقيصه و خلّوه من كل تغيير أو تبديل، فكيف يتّهم «جبرين» الشيعة الإماميه بأنهم يطعنون في القرآن؟!!

و أمّا الروايات فهي مضافاً إلى كونها ضعيفه شاذه، أو مجعوله موضوعه لا- يأبه بها الشيعة الإماميه- لا تشكل عقيدته الشيعة الإماميه، إذ ليس كل ما في الروايات يعكس عقيدتهم، حتى يؤخذون عليها، حتى لو افترضت صحة بعضها سنداً- فكيف يؤخذون عليها و الحال أنّها- كما قلناه- ليست بصحيحه.

إنّ القرآن الكريم حسب عقيدته المسلمين سنّه و شيعة الذي بأيدي الناس هو ما نزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في جميع خصوصياته الحاضره.

و كما لا يعبأ أعلام السنّه بروايات التحريف الوارده في مصادرهم، كذلك لا يأبه علماء الشيعة أيضاً بما ورد في بعض مصادرهم لضعفها و شدوذها، و ظهور آثار الاختلاق عليها.

الصحابه من منظار القرآن و الحديث:

و أمّا قول «جبرين»: حول موقف الشيعة الإماميه من الصحابه ففيه مغالطه و تغطيه للحق إذ لا تجد على أديم الأرض مسلماً يعتنق الإسلام و يحب النبي الأكرم، يبغض أصحاب النبي الأكرم بما أنّهم أصحابه و أنصاره، بل الكل ينظر إليهم في هذا المجال بنظر التكريم و التبجيل، و من أبغضهم أو سبّهم بهذا المنظار، فهو كافر، أبعد الله. و لكن إذا صدر منهم فعل لا يوافق الكتاب و السنّه فقام أحد بذكر فعله و توصيف حاله حسب دلالة عمله و فعله عليه و قال: إنّه صدرت منه المعصيه، أو قتل نفساً بغير نفس، إلى غير ذلك من المحرّمات و الموبقات، فقد تبع القرآن الكريم و السنّه و النبويه و السلف الصالح.

فحب الصحابي بما هو صحابي أمر، و توصيف أعماله و أفعاله -إن خيراً فخير و إن شراً فشر- أمر آخر يهدف إلى الموضوعية في البحث، و القضاء و الابتعاد عن العشوائيه في الاعتقاد، «و جبرين» لا يفرّق بين الأمرين و يضر بهما بسهم واحد لغايات سياسيه.

إن صحبه الصحابه لم تكن بأكثر و لا أقوى من صحبه امرأه نوح و امرأه لوط فما أغتتهما من الله شيئاً، قال سبحانه: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ» ١.

إن التشرف بصحبه النبي لم يكن أكثر امتيازاً و تأثيراً من التشرف بالزواج من النبي، و قد قال سبحانه في شأن أزواجه: «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً» ٢.

و كما أنهم كانوا مختلفين في السن عند الانقياد للإسلام، كذلك كانوا مختلفين أيضاً في مقدار الصحبه، فبعضهم صحب النبي صلى الله عليه و آله و سلم من بدء البعثة إلى لحظه الرحله، و بعضهم أسلم بعد البعثة و قبل الهجره، و كثير منهم أسلموا بعد الهجره و ربما أدركوا من الصحبه سنه أو شهراً أو أياماً أو ساعات.

فهل يصح أن نقول: إن صحبه ما قلعت ما في نفوسهم جميعاً من جذور غير صالحه و ملكات رديئه و كوّنت منهم شخصيات ممتازة أعلى و أجل من أن يقعوا في إطار التعديل و الجرح؟

إن تأثير الصحبه عند من يعتقد بعداله الصحابه كلهم أشبه شيء بماده كيميائويه تستعمل في تحويل عنصر كالكالسيوم إلى عنصر آخر كالذهب، فكأن

الصحة قلبت كل مصاحب إلى إنسان مثالي يتحلّى بالعدالة، وهذا ممّا يرده المنطق والبرهان السليم، وذلك لأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدّم بتربيته الناس وتعليمهم عن طريق الإعجاز «فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» ١.

بل قام بإرشاد الناس ودعوتهم إلى الحقّ وصبهم في بوتقة الكمال مستعيناً بالأساليب الطبيعيه والإمكانات الموجوده كتلاوه القرآن الكريم، والنصيحه بكلماته النافذه، وسلوكه القويم وبعث رسله و دعاه دينه إلى الأقطار، ونحو ذلك. والدعوة القائمة على هذا الأساس، يختلف أثرها في النفوس حسب اختلاف استعدادها وقابليتها فلا يصح لنا أن نرعى الجميع بسهم واحد.

الصحابه في الذكر الحكيم:

إشارة

نرى أنّ الذكر الحكيم يصنّف صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويمدحهم ضمن أصناف تأتي ببعضها:

١- السابقون الأولون:

يصف الذكر الحكيم السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان بأنّ الله رضى عنهم وهم رضوا عنه. قال عزّ من قائل: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» ٢.

٢- المبايعون تحت الشجرة:

و يصف سبحانه الصحابه الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة بنزول

السكينة عليهم قائلًا في محكم كتابه: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» ١.

٣- المهاجرون:

و هؤلاء هم الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» ٢.

٤- أصحاب الفتح:

و هؤلاء هم الذين وصفهم الله سبحانه و تعالى في آخر سورة الفتح بقوله: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَاةً فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسِيتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا» ٣.

٥- الأصناف الأخرى للصحابة:

إشاره

فالناظر المخلص المتجرد عن كل رأى مسبق يجد في نفسه تكريمًا لهؤلاء الصحابه.

غير أن الرأى الحاسم فى عامه الصحابه يستوجب النظر إلى كل الآيات

القرآنيه الوارده فى حقهم، فعندئذ يتبين لنا أنّ هناك أصنافاً أخرى من الصحابه غير ما سبق ذكرها، تمنعنا من أن نضرب الكلّ بسهم واحد، و نصف الكل بالرضا و الرضوان. و هذا الصنف من الآيات يدل بوضوح على وجود مجموعات من الصحابه تضاد الأصناف السابقه فى الخلقيات و الملكات و السلوك و العمل، و هم:

أ- المنافقون المعروفون:

المنافقون المعروفون بالنفاق الذين نزلت فى حقهم سوره «المنافقون» قال سبحانه:

«إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ...» إلى آخر السوره (١).

فهذه الآيات تعرب بوضوح عن وجود كتله قويه من المنافقين بين الصحابه آنذاك، و كان لهم شأنٌ و دورٌ فى المجتمع الإسلامى فنزلت سوره قرآنيه كامله فى حقهم.

ب- المنافقون المختفون:

تدل بعض الآيات على أنه كانت بين الأعراب القاطنين خارج المدينه و من نفس أهل المدينه جماعه مردوا على النفاق و كان النبى الأ-عظم لا- يعرف بعضهم و من تلك الآيات قوله سبحانه: «وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ» ٣.

ص: ١٩٩

لقد بذل القرآن الكريم عنايه خاصه بعصبة المنافقين و أعرب عن نواياهم و ندد بهم في السور التاليه:البقره، آل عمران، المائده، التوبه، العنكبوت، الأحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادله، الحشر، و المنافقون.

و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ المنافقين كانوا جماعه هائله في المجتمع الإسلامى بين معروف، عرف بسمه النفاق و وسمه الكذب، و غير معروف بذلك مقنّع بقناع التظاهر بالإيمان و الحبّ للنبي صلى الله عليه و آله و سلم، فلو كان المنافقون جماعه قليله غير مؤثره لما رأيت هذه العنايه البالغه في القرآن الكريم. و هناك ثلّه من المحقّقين كتبوا حول النفاق و المنافقين رسائل و كتابات و قد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم (1)، و هذا يدل على كثره أصحاب النفاق و تأثيرهم يوم ذاك في المجتمع الإسلامى، و على ذلك لا يصح لنا الحكم بعداله كل من صحب الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مع غض النظر عن تلك العصابه، المتظاهره بالنفاق و المختفيه في أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

ج- مرضى القلوب:

و هذه المجموعه من الصحابه لم يكونوا من زمرة المنافقين بل كانوا يتلونهم في الروحيات و الملكات مع ضعف في الإيمان و الثقة بالله و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم، قال سبحانه بحقهم: «وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» ٢.

فأنتى لنا أن نصف مرضى القلوب الذين ينسبون خلف الوعد إلى الله سبحانه و إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالتقوى و العدالة؟

ص: ٢٠٠

(١- ١). النفاق و المنافقون: تأليف الأستاذ: إبراهيم على سالم المصرى.

تلك المجموعه كانت قلوبهم كالريشه فى مهبّ الريح تميل إلى هؤلاء تاره و إلى أولئك أُخرى، و ذلك بسبب ضعف إيمانهم و قد حدّر البارى عزّ و جلّ المسلمين منهم حيث قال عزّ من قائل، واصفاً إياهم بالسَّمَاعِينَ لأهل الريب: «إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ ارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ* وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَ لَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَجَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ* لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَ فِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ» ١ و ذيل الآيه دليل على كون السَّمَاعِينَ من الظالمين لا من العدول.

ه- خالطوا العمل الصالح بالسيئ:

و هؤلاء هم الذين يقومون بالصالح و الفلاح تاره، و الفساد و العبث أُخرى، فلأجل ذلك خالطوا عملاً صالحاً بعمل سيئ، قال سبحانه: «وَ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا» ٢.

و- المشرفون على الارتداد:

إنّ بعض الآيات تدل على أن مجموعه من الصحابه كانت قد أشرفت على الارتداد يوم دارت عليهم الدوائر، و كانت الحرب بينهم و بين قريش طاحنه فأحسوا بالضعف، و قد أشرفوا على الارتداد و قد عزّفهم الحق سبحانه بقوله: «وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا

مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا» ١.

ز-الفاسق:

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَحْتُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَفِي مَقَدِّمَتِهِمُ الصَّحَابَةَ، عَلَى التَّحَرُّزِ مِنْ خَبَرِ الْفَاسِقِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ التَّبَيُّنُ. فَمَنْ هَذَا الْفَاسِقُ الَّذِي أَمَرَ الْقُرْآنَ بِالتَّحَرُّزِ مِنْ خَبَرِهِ؟ أَقْرَأَ أَنْتَ مَا وَرَدَ حَوْلَ الْآيَةِ مِنْ شَأْنِ النُّزُولِ وَاحْكَمْ بِمَا هُوَ الْحَقُّ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» ٢.

فإن من المجمع عليه بين أهل العلم أنه نزل في حق الوليد بن عقبه بن أبي معيط و ذكره المفسرون في تفسير الآية فلا نحتاج إلى ذكر المصادر.

كما نزل في حقه قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» ٣.

نقل الطبري في تفسيره باسناده أنه كان بين الوليد و عليّ، كلام فقال الوليد: أنا أسلط منك لساناً، و أحدُّ منك سناناً و أردُّ منك للكتيبة. فقال علي: اسكت فانك فاسق، فأنزل الله فيهما: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» ٤.

و قد نظم الحديث حسناً بن ثابت (شاعر عصر الرسالة) و قال:

أفهل يمكن لباحث حرّ، التصديق بما ذكره ابن عبد البر و ابن الأثير و ابن حجر، و في مقدّماتهم أبو زرعه الرازي الذي هاجم المتفحصين المحقّقين في أحوال الصحابه و أنّهمهم بالزندقه؟

ح- المسلمون غير المؤمنين:

إنّ القرآن يعد جماعه من الأعراب الذين رأوا النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شاهدوه و تكلموا معه، مسلمين غير مؤمنين و أنّهم بعد لم يدخل الإيمان في قلوبهم، قال سبحانه: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا و لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الإيمان في قلوبكم و إن تطيعوا الله و رسوله لا يلتكنم من أعمالكم شيئاً إن الله غفورٌ رحيمٌ» ٢.

أفهل يصح عدّ عصابه غير مؤمنه من العدول الأتقياء؟!

ط- المؤلّفه قلوبهم:

اتفق الفقهاء على أنّ المؤلّفه قلوبهم ممّن تصرف عليهم الصدقات، قال سبحانه: «إنّما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عَلَيْهَا و المؤلّفه قلوبهم و في الرقاب و الغارمين و في سبيل الله و ابن السبيل فريضة من الله و الله عليمٌ

و«المؤلفه قلوبهم»: هم قوم كانوا فى صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقه إليهم لضعف يقينهم.

و هناك أقوال أخر فيهم متقاربه، و القصد بجميعها الإعطاء لمن لا يتمكن إسلامه حقيقةً إلا بالعطاء (١).

ى- المولون أمام الكفار:

إن التولى عن الجهاد و الفرار منه، من الكبائر الموبقه التى ندد بها سبحانه بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ* وَ مَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئِىَ الْمَصِيرُ» ٣.

إن التحذير من التولى و الفرار من الزحف، و الحث على الصمود أمام العدو، لم يصدر من القرآن إلا بعد فرار مجموعه كبيره من صحابه النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى غزوه «أحد» و «حنين».

٠ أميا الأول: فيكيفيك قول ابن هشام فى تفسير الآيات النازله فى أحد، قال: «ثم أنبهم بالفرار عن نبهم و هم يُدعون، لا يعطفون عليه لدعائه إياهم فقال: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَ لَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ» ٤.

و أما الثانى: فقد قال ابن هشام فيه أيضاً: فلما انهزم الناس و رأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من جفاه أهل مكة الهزيمه، تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من

الضعن فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وصرخ جيله بن حنبل: ألا بطلَ السحرُ اليوم... (١).

أبعد هذا يصح أن يعدّ جميع الصحابه، بحجه أنّهم رأوا نور النبوه، عدولاً أتقياء؟

قال القرطبي في تفسيره: قد فرّ الناس يوم «أحد» و عفا الله عنهم و قال الله فيهم يوم حنين: «ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ» ثم ذكر فرار عدّه من أصحاب النبي من بعض السرايا (٢).

هذه هي الأصناف العشره من صحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم ممّن لا يمكن توصيفهم بالعداله و التقوى، أتينا بها في هذه العجالة.

و لكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى الآيات الوارده في أوائل سورة البقره و سورة النساء و غيرها من الآيات القرآنيه فيرى فيها أنّ الإيمان بعداله الصحابه بأجمعهم خطأ في القول، و زلّه في الرأى، يضاد نصوص الذكر الحكيم، و لم يكن الصحابه إلّا كسائر الناس فيهم صالح تقى بلغ القمه في التقى و النزاهه، و فيهم طالح شقى سقط إلى هوّه الشقاء و الدناءه. و لكن الذى يميّز الصحابه عن غيرهم أنّهم رأوا نور النبوه و تشرفوا بصحبه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شاهدوا معجزاته فى حله المباره بأتم أعينهم، و لأجل ذلك تحمّلوا مسئوليّه كبيره أمام الله و أمام رسوله و أمام الأجيال المعاصره لهم و اللاحقه بهم، فإنّهم ليسوا كسائر الناس، فزيغهم و ميلهم عن الحق أشد و لا يعادل زيغ أكثر الناس و انحرافهم. و قد قال سبحانه فى حق أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» ٣ فإن انحراف هؤلاء فقد انحرّفوا فى حال شهدوا النور، و لمسوا الحقيقه، و شتان بينهم و بين غيرهم.

ص: ٢٠٥

١-١). سيره ابن هشام: ١١/٣ و ٤/٤٤٤، و [١] لاحظ التفاسير.

٢-٢). تفسير القرطبي: ٣٨٣/٧. [٢]

و نذكر فى المقام بعض ما ورد فى مصادر أهل السنه أنفسهم حول بعض الصحابه.

ففى صحيح البخارى: فى تفسير سوره المائده بسنده عن ابن عباس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... إلى أن قال: -و يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابى، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: «و كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ» ١. فيقال إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم (١).

و رواه الترمذى فى تفسير سوره الأنبياء أيضاً.

و جاء فى موطأ مالك: عن أبى النضر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بلى و لكن لا أدري ما تحدثون بعدى.

فبكى أبو بكر ثم قال: أإننا لكائنون بعدك؟ (٢).

و هل أتى الشيعة الإماميه بجديد إذا كانوا يفرقون فى الحب و الموده بين جماعه و أخرى، و قد أمر القرآن بذلك فى أكثر من آيه؟

ثم إن «جبرين» و أمثاله لما ذا يغمضون عيونهم عن حقائق القرآن و لا يصارحون الناس بها فهم بدل اتخاذ مواقف شريفه يملئها الحق و الإنصاف؟ يعمدون إلى تكفير طائفه كبرى من طوائف المسلمين و هم الشيعة الإماميه

ص: ٢٠٦

١- ٢). صحيح البخارى: ٥٥/٦، تفسير سوره المائده.

٢- ٣). الموطأ: ٣٠٧/١، كتاب الجهاد، [١] الشهداء فى سبيل الله.

و يرونهم مستحقين للقتل و الإباده، و لا يوجّه مثل هذه الفتوى ضد الصهاينه فى فلسطين، و الأمريكان الذين يدنّسون أرض المقدّسات؟

لما ذا لا يحارب الفساد الأخلاقى و السياسى فى مشرق الإسلام و مهجر الرسول، و لا يفكر فى تسيّب الشباب هناك و تسرّب اللادينيّه، و الانحراف العقائدى إلى قلوبهم البريئه؟!

لما ذا تصدر هذه الفتوى فى هذا الظرف الذى انهارت فيه الشيوعيه، و اعترف «غورباتشوف» بأن السبب الرئيسى وراء هذا المصير الذى آل إليه الاتحاد السوفيتى هو نسيان الله و تجاهل الفطره التى فطر الناس عليها كما قال فى خطاب الاستقاله مؤخرًا؟! و هو الأمر الذى ذكّره به الإمام الراحل الخمينى فى رسالته التاريخيه إليه.

لما ذا فى مثل هذا الظرف الهامّ الذى يتوجّه العالم إلى الإسلام و يتطلّع المستضعفون إلى المسلمين، و هو أمر يفرض العمل الجاد لتوحيد صفوف المسلمين و إظهارهم فى مظهر الأُمّه الواحده القويه على اختلاف مذاهبها و مسالكها التى تتمحور حول أصول الإيمان و تتفق فيها و إن اختلفت فى بعض الاجتهادات الفرعيه العلميه؟!

أقول:لما ذا ينبرى مجلسُ الإفتاء السعودى متمثلاً بالمدعو «جبرين» و بعض زملائه إلى شق عصا المسلمين و إثارة النعرات الطائفيه، و عزل أكبر قطعه من جسم الأُمّه الإسلاميه التى هى الآن صخره صماء أمام تلاطم أمواج الكفر و الاستكبار رافعه رايه لا إله إلا الله، كلمه و عملاً و ظهرها و متكأها هو البارى صاحب الكلمه، فأين يا ترى موقفه أمام أعداء الإسلام اليوم و كيف سيواجه خالقه و قد أفرح بفعلته هذه قلوب المستكبرين و الظلمه و المنافقين!!؟

و هل أذنب الشيعة إذا هم اتبعوا و أحبوا من أمر القرآن بتابعهم و محبتهم

من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و الذين فرض محبتهم و مودتهم بقوله: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ١ ؟

المطلوب مؤتمراً للحوار العلمى الدينى:

نحن ندعو علماء الوهابية إلى حوار علمى صريح و بنّاء يحضره علماء المسلمين لمناقشه ما يعتقدونه، أولاً و ما يرمون به المسلمين و يكفرونهم بسببه ثانياً، إنهاءً لهذه المواقف المضرّة بالمسلمين و قطعاً لدابر الفتنة و الاختلاف.

نحن نهيب بمفكرى الأمة الإسلاميه و بالشباب فى البلاد الإسلاميه أن يضغظوا على مجلس الإفتاء السعودى بغيه الدخول فى مناظره مع علماء الشيعة الإماميه بصوره خاصه، و علماء الطوائف الإسلاميه الأخرى بصوره عامه فى حوار علمى جاد... لوضع حدّ لمُسلّس التكفيرات و المذابح الناشئه عنها، و نحن نحتمل المسلمين كلّ الجرائم التى ستنشأ من هذه التكفيرات التى تعكس أهداف الاستعمار الحاقده، لو سكتوا و تركوا الأمر.

و إنّنا لنحدّر المسلمين بأنّ هذا الموقف الصادر من «الجبرين» و نظرائه الذين لا يهتمهم إلّا تكفير المسلمين و رميهم بالشرك تاركين الصهاينه و الصليبيين يسرحون و يمرحون فى بلاد الإسلام، لن يقتصر على الشيعة الإماميه بل سيشمل الطوائف الأخرى، لأنّ الوهابيين الذين يرفعون شعار التوحيد يكفرون عامه المسلمين إلّا أنفسهم، فهل من مدّكر؟!.

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٢٠٨

الحمد لله رب العالمين و الصلاه و السلام على نبيه و آله و صحبه المنتجبين

إلى إخواننا المسلمين فى اليابان وفقهم الله لمرضاته.

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته.

وصلتنا بعض المنشورات التى تتبنى إيجاد الفرقه بين المسلمين مكان الدعوه إلى الاعتصام بحبل الله و التمسك بالكتاب و السنّه،و العيش تحت ظلال الإيمان بالله تبارك و تعالى،و رساله نبيه صلى الله عليه و آله و سلم،اللذين يربطان عامه المسلمين بعضهم ببعض.

فى العصر الذى ترزح فيه أولى القبليتين تحت وطأه الصهاينه،و أصبحت بلاد الوحي و الرساله مركزاً لجيوش الغزو الغربى،و تجرى فى البوسنه و الهرسك مذابح عامه للمسلمين،نسائهم و أطفالهم.

و فى هذا العصر الذى يهاجم فيه الغرب المسلمين و يقتل مفكريهم و شبابهم و يفسد أخلاقهم و يدمر كيانهم قامت عدّه من العملاء بفصل طائفه كبيره من المسلمين عن كيان الأُمّه الإسلاميه و كأنّ الهجوم على أتباع أئمّه أهل البيت و تكفيرهم و رميهم بالابتداع هو الدواء الناجع.

إنّ المسلمين اليوم بحاجه ماسه إلى التماسك و الوحده و رصّ الصفوف أمام

الهجوم الثقافي و الفكري، فمن دعا إلى الوحده و الاعتصام فقد اقتفى الذكر الحكيم، قال سبحانه: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا» ١ و من دعا إلى الفرقة فقد ابتعد عمّا دعا إليه الكتاب و اقتفى سنّه المشركين قال سبحانه: «...وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» ٢ و لكننا نمرّ على كلماتهم و أعمالهم مرور الكرام و نركز على تحليل مسألتين في ضوء الكتاب و السنّه حتى يتبين المبتدع من المتمسك بهما و هما:

١- الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

٢- تكفير أهل القبلة.

فقد استعرض الأولى الشيخ صالح بن غانم السدلان و زميله الدكتور فهد السنيدى فتكريم النبي صلى الله عليه و آله و سلم يوم ميلاده و تعزيره عندهم بدعه و قد نشرت مجله الشرق الأوسط ما أدليا به، و ليس في كلاميهما شيء جديد سوى ما في كلام شيخهما ابن تيميه و مجدد مذهبه محمد بن عبد الوهاب و قد عاد المحاضران يجترّان نفس ما ورثاه من إماميهما.

و من العجب جداً أنّ اقامه الاحتفال لميلاد الملوك و الرؤساء تكريماً لهم أمرٌ غير محظور و لكن تكريم ميلاد النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم أمر مبتدع حرام و كأنّهم لم يسمعوا قوله سبحانه: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ وَ نَصَرُوهُ» ٣. فتعزيره غير نصره، و غير الإيمان به فكما أنّ الإيمان به لا يختص بوقت دون وقت فكذلك تكريمه و تعظيمه، فهذه الآيه الداعيه إلى تكريم النبي صلى الله عليه و آله و سلم مطلقه غير محدده بزمان خاص من حيث الدعوه و تخصيصه بيوم الميلاد من جهه ملاسبات تُسهل للمسلمين تجسيد الآيه في ذلك اليوم.

ص: ٢١٠

إنه سبحانه يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» ١ فالمحتفلون يوم ميلاده يجسدون ذلك الترفيع..أ. فيمكن أن يكون ترفيعه اتباعاً للذكر الحكيم حراماً؟!

و أمّا الثانيه:فإنّ القائلين بتكفير بعض الطوائف الإسلاميه هم الذين لا- يرغبون في وحده المسلمين،و هم لا يكفّرون الشيعة فحسب بل يكفّرون قاطبه المسلمين سوى أتباع محمد بن عبد الوهاب غير أنّهم كانوا يجهرون بتكفير جميع المسلمين في الأزمنه السابقه و يغزونهم و يقتلونهم و ينهبون أموالهم و لكنهم اليوم يتقون و لا- يبدون كل ما يضمرون غير تكفير الشيعة فهذا«موسى بايكي»أحد العملاء للوهابيه أخذ يكفر الشيعة و يحرم ذبائحهم،فهل درس القرآن الكريم و السنّه النبويه في تحديد الإيمان و الكفر أو أنّه أخذ مقياساً من عند نفسه دعماً لمبدئه فصار يكفر شيعة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً؟ و ها نحن ندرس في هذه الرساله المتواضعه حدود الكفر و الإيمان،حتى يقف القارئ على أنّ الطوائف الإسلاميه المشهوره بين السنّه و الشيعة كلّهم مسلمون مؤمنون حسب الضابطه التي نص عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم و جرى عليها السلف الصالح طيله القرون الماضيه و إليك البيان:

إشارة

الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من مظاهر حب النبي الأكرم الذي حبه و تكريمه و تعزيره أصل في الكتاب و السنه.

إنَّ لحب نبي الإسلام مظاهر و مجالى، إذ ليس الحب شيئاً يستقر فى صقع النفس من دون أن يكون له انعكاس خارجى على أعمال الإنسان و تصرفاته، بل أنّ من خصائص الحب أن يظهر أثره على جسم الإنسان و ملامحه، و على قوله و فعله، بصوره مشهوره و ملموسه.

فحب الله و رسوله الكريم لا- ينفك عن اتّباع دينه، و الاستئنان بسنّته، و الإتيان بأوامره و الانتهاء عن نواهيه، و لا يعقل أبداً أن يكون المرء محباً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشدّ الحب، و مع ذلك يخالفه فيما يبغضه و لا يرضيه، فمن ادعى حباً فى نفسه و خالفه فى عمله فقد جمع بين شيئين متخالفين متضادين.

و لنعم ما روى عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام فى هذا الصدد موجهاً كلامه إلى مدعى الحب الإلهى كذباً: تعصى الإله و أنت تظهر حبه

نعم لا يقتصر أثر الحب على هذا، بل له آثار أخرى في حياه المحب، فهو يزور محبوبه و يكرمه و يعظمه و يزيل حاجته، و يذب عنه، و يدفع عنه كل كارثة و يهيئ له ما يريحه و يسره إذا كان حياً.

و إذا كان المحبوب ميتاً أو مفقوداً حزن عليه أشد الحزن، و أجرى له الدموع كما فعل النبي يعقوب عليه السلام عند ما افتقد ولده الحبيب يوسف عليه السلام فبكاه حتى ابيضت عيناه من الحزن، و بقي كظيماً حتى إذا هب عليه نسيم من جانب ولده الحبيب المفقود، هبَّ له و بشَّ، و هفا إليه شوقاً و حُباً.

بل يتعدى أثر الحب عند فقد الحبيب و موته هذا الحد، فنجد المحب يحفظ آثار محبوبه، و كل ما يتصل به، من لباسه و أشياءه كقلمه و دفتره و عصاه و نظارته. كما و يحترم أبناءه و أولاده، و يحترم جنازته و مثواه، و يحتفل كل عام بميلاده و ذكرى موته، و يكرمه و يعظمه حُباً به و موده له.

إلى هنا ثبت، أنّ حب النبي و تكريمه أصل من أصول الإسلام لا- يصح لأحد إنكاره، و من المعلوم أنّ المطلوب ليس الحب الكامن في القلب من دون أن يُرى أثره على الحياه الواقعيه، و على هذا يجوز للمسلم القيام بكل ما يعد مظهراً لحب النبي شريطه أن يكون عملاً حلالاً بالذات و لا يكون منكراً في الشريعه، نظير:

١- تنظيم السنّه النبويه، و إعراب أحاديثها و طبعها و نشرها بالصور المختلفه، و الأساليب الحديثه، و فعل مثل هذا بالنسبه إلى أقوال أهل البيت و أحاديثهم.

٢- نشر المقالات و الكلمات، و تأليف الكتب المختصره و المطوله حول حياه

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته، وإنشاء القصائد بشتى اللغات والألسن في حقهم، كما كان يفعله المسلمون الأوائل.

فالأدب العربي بعد ظهور الإسلام يكشف عن أنّ إنشاء القصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ممّا يعبر به أصحابها عن حبهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فهذا هو كعب بن زهير ينشئ قصيده مطوله في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منطلقاً من إعجابه و حبه له صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

و يقول: مهلاً هداك الذي أعطاك نا

و قد ألقى هذه القصيده في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا هو حسان بن ثابت الأنصاري يرثي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويذكر فيه مدائحه، ويقول: بطيبه رسم للرسول و
معهّد مُنير و قد تعفو الرسوم و تهمدُ

إلى أن قال: يدل على الرحمن من يقتدى به

و هذا هو عبد الله بن رواحه ينشئ أبياتاً في هذا السياق فيقول فيها: خلّوا بني الكفار عن سبيله

هذه نماذج ممّا أنشأها الشعراء المعاصرون لعهد الرسالة في النبي صلى الله عليه وآله وسلم و نكتفى بها لدلالاتها على ما ذكرنا.

و لو قام باحث بجمع ما قيل من الأشعار و القصائد في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاحتاج في تأليفه إلى عشرات المجلدات.

إنّ مدح النبي كان الشغل الشاغل للمخلصين و المؤمنين منذ أن لبى الرسول دعوه ربّه، و لا أظن أنّ أحداً عاش في هذه البسيطة نال من المدح بمقدار ما ناله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من المدح بمختلف الأساليب و النظم.

و هناك شعراء مخلصون أفرغوا فضائل النبي و مناقبه في قصائد رائعة و خالده مستلهمين ما جاء في الذكر الحكيم و السنّه المطهره في هذا المجال، فشكر الله مساعيهم الحميده و جهودهم المخلصه.

٣- تقبيل كل ما يمت إلى النبي بصله كباب داره، و ضريحه و أستار قبره انطلاقاً من مبدأ الحب الذي عرفت أدلته.

و هذا أمر طبيعي و فطري فيما أنّ الإنسان المؤمن لا يتمكّن بعد رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تقبيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (١) فيقبّل ما يتصل به بنوع من الاتصال، و هو كما

ص: ٢١٥

١- ٢). دخل أبو بكر حجره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد رحيله و هو مسجّي ببرد حبره فكشف عن وجهه ثمّ أكبّ عليه فقبّله ثمّ بكى فقال: بأبي أنت يا نبي الله لا- يجمع الله عليك موتتين، أمّا الموتة التي كتبت عليك فقد مُتّها. لاحظ صحيح البخاري: ١٧/٢ كتاب الجنائز.

أسلفنا، أمر طبعى فى حياه البشر حيث يلثمون ما يرتبط بحبيهم و يقصدون بذلك نفسه. فهذا هو المجنون العامرى كان يقبل جدار بيت ليلى و يصرح بأنه لا يقبل الجدار، بل يقصد تقبيل صاحب الجدار، يقول: أمر على الديار ديار ليلى

٤- إقامه الاحتفالات فى موالدهم و إلقاء الخطب و القصائد فى مدحهم و ذكر جهودهم و درجاتهم فى الكتاب و السنه، شريطه أن لا تقترن تلك الاحتفالات بالمنهيات و المحرمات.

و من دعا إلى الاحتفال بمولد النبى فى أى قرن من القرون، فقد انطلق من هذا المبدأ أى حب النبى الذى أمر به القرآن و السنه بهذا العمل.

هذا هو مؤلف تاريخ الخميس يقول فى هذا الصدد: لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده، و يعملون الولائم، و يتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، و يظهرون السرور، و يزيدون فى المبرات، و يعتنون بقراءه مولده الشريف، و يظهر عليهم من كراماته كل فضل عظيم (١).

و قال أبو شامه المقدسى فى كتابه: و من أحسن ما يفعل فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه و آله و سلم من الصدقات و المعروف بإظهار الزينه و السرور، فإن فى ذلك مع ما فيه من الإحسان للفقراء شعاراً لمحبه (٢).

و قال القسطلانى: و لا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام، و يعملون الولائم، و يتصدقون فى لياليه بأنواع الصدقات، و يظهرون السرور، و يزيدون فى

ص: ٢١٤

١- ١). الديار بكرى: تاريخ الخميس: ٣٢٣/١. [١]

٢- ٢). الحلبي: السيره: ٨٣/١-٨٤. [٢]

المبَرَّات، و يعتنون بقراءه مولده الكريم، و يظهر عليهم من بر كاته كل فضل عميم... فرحم الله امرأً اتخذ ليالى شهر مولده المبارك أعياداً، ليكون أشدَّ علّه على من فى قلبه مرض و أعياء (١).

إذا عرفت ما ذكرناه فلا تظن أن يشك أحد فى جواز الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه و آله و سلم، احتفالاً دينياً فيه رضى الله و رسوله، و لا- تصح تسميته بدعه، إذ البدعه هى التى ليس لها أصل فى الكتاب و السنّه، و ليس المراد من الأصل؛ الدليل الخاص، بل يكفى الدليل العام فى ذلك.

و يرشدك إلى أن هذه الاحتفالات تجسيد لتكريم النبى؛ و جدانك الحر، فإنه يقضى- بلا مريه- على أنها إعلاء لمقام النبى و إشاده بكرامته و عظمته، بل يتلقاها كل من شاهدها عن كذب على أن المحتفلين يعزّرون نبيهم و يكرمونه و يرفعون مقامه اقتداءً بقوله سبحانه:

«وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» ٢.

السنّه النبويه و كرامه يوم مولده صلى الله عليه و آله و سلم:

١- أخرج مسلم فى صحيحه، عن أبى قتاده أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: «فيه ولدت، و فيه أنزل على» (٢).

يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى- عند الكلام فى استحباب صيام الأيام التى تتجدد فيها نعم الله على عباده- ما هذا لفظه: إن من أعظم نعم الله على هذه الأمّة إظهار محمد صلى الله عليه و آله و سلم و بعثته و إرساله إليهم، كما قال الله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ» ٤ فصيام يوم تجددت فيه هذه النعمه

ص: ٢١٧

١- ١). المواهب اللدنيه: ١٤٨/١. [١]

٢- ٣). مسلم: الصحيح: ١٦٨/٣ باب استحباب صيام ثلاثه أيام من كل شهر من كتاب الصيام.

من الله سبحانه على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابله النعم في أوقات تجددتها بالشكر (١).

٢- روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس-رضى الله عنه-قال:لما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء،فَسِئَلُوا عن ذلك،فقالوا:هو اليوم الذى أظفر الله موسى وبنى إسرائيل على فرعون،و نحن نصوم تعظيماً له،فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:«نحن أولى بموسى»و أمر بصومه (٢).

و قد استدل ابن حجر العسقلانى بهذا الحديث على مشروعيه الاحتفال بالمولد النبوى على ما نقله الحافظ السيوطى،فقال:

فيستفاد منه فعل الشكر لله تعالى على ما من به فى يوم معين من إسداء نعمه،أو دفع نقمه و يعاد ذلك فى نظير ذلك اليوم من كل سنة.

و الشكر لله يحصل بأنواع العباده،كالسجود و الصيام و الصدقه و التلاوه،و أى نعمه أعظم من نعمه بروز هذا النبى نبي الرحمة فى ذلك اليوم (٣).

٣- و للسيوطى أيضاً كلام آخر نأتى بنصه،يقول:و قد ظهر لى تخريج عمل المولد على أصل آخر،و هو ما أخرجه البيهقى عن أنس أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم عتق عن نفسه بعد النبوه مع أنه قد ورد أنّ جده عبد المطلب عتق عنه فى سابع ولادته،و العقيقه لا تعاد مره ثانيه،فيحمل ذلك على أنّ الذى فعله النبى صلى الله عليه وآله وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمه للعالمين و تشریفاً لأُمته كما كان يصلّى على نفسه،لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار الشكر بمولده بالاجتماع،و إطعام الطعام،و نحو ذلك من وجوه القربات و إظهار المسرات (٤).

ص: ٢١٨

١- ١). ابن رجب الحنبلى:لطائف المعارف:٩٨.

٢- ٢). مسلم:الصحيح:٣/١٥٠ باب صوم يوم عاشوراء من كتاب الصيام.

٣- ٣). السيوطى:الحاوى للفتاوى:١/١٩٦.

٤- ٤). السيوطى:الحاوى للفتاوى:١/١٩٦.

٤- أخرج البخارى عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود، قال له: يا أمير المؤمنين! آيه فى كتابكم تقرأونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. فقال: أى آيه؟ قال: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً» ١.

قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم و المكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو قائم بعرفه يوم جمعه (١).

و أخرج الترمذى عن ابن عباس نحوه و قال: فيه نزلت فى يوم عيد من يوم جمعه و يوم عرفه، و قال الترمذى: و هو صحيح (٢).

و فى هذا الأثر موافقه عمر بن الخطاب على اتخاذ اليوم الذى حدثت فيه نعمه عظيمه، عيداً لأن الزمان ظرف للحدث العظيم، فعند عود اليوم الذى وقعت فيه الحادثه كان موسماً لشكر تلك النعمه، و فرصه لإظهار الفرح و السرور (٣).

نرى أن المسيح عند ما دعا ربه أن ينزل مائده عليه و على حواربيه قال: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوْلِيَانَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنْكَ وَ ارزُقْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» ٥.

فقد اتخذ يوم نزول النعمه الماديه التى تشبع البطون عيداً، و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم نعمه عظيمه من بها الله على المسلمين بميلاده، فلم لا نتخذة يوم فرح و سرور؟

ص: ٢١٩

١- ٢). البخارى: الصحيح: ١٤/١ باب زياده الإيمان و نقصانه من كتاب الإيمان- ٥٠/٦ تفسير سوره المائده، و كما أخرجه الترمذى فى ٢٥٠/٥، و فى الروايات المتضافره أنها نزلت فى الثامن عشر من ذى الحجه فى حجه الوداع.

٢- ٣). البخارى: الصحيح: ١٤/١ باب زياده الإيمان و نقصانه من كتاب الإيمان- ٥٠/٦ تفسير سوره المائده، و كما أخرجه الترمذى فى ٢٥٠/٥، و فى الروايات المتضافره أنها نزلت فى الثامن عشر من ذى الحجه فى حجه الوداع.

٣- ٤). عيسى الحميرى: بلوغ المأمول: ٢٩.

إجماع المسلمين على تكريم مولده صلى الله عليه وآله وسلم:

ذكروا أنّ أول من أقام المولد هو الملك المظفر صاحب اربل، وقد توفي عام ٦٣٠هـ، وربما يقال: أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون؛ أولهم المعز لدين الله، توجه من المغرب إلى مصر في شوال ٣٦١هـ، وقيل في ذلك غيره، وعلى أيّ تقدير فقد احتفل المسلمون حقياً وأعواماً من دون أن يعترض عليهم أيّ ابن أنثى، وعلى أيّ حال فقد تحقّق الإجماع على جوازه و تسويغه و استحبابه قبل أن يولد باذر هذه الشكوك، فلما ذا لم يكن هذا الإجماع حجة؟! مع أنّ اتفاق الأمة بنفسه أحد الأدلّة، وكانت السيرة قائمه على تبجيل مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن جاء ابن تيميه، و عبد العزيز بن عبد السلام (١)، و الشاطبي فناقشوا فيه و وصفوه بالبدعه، مع أنّ الإجماع فيه انعقد قبل هؤلاء بقرنين أو قرون، أو ليس انعقاد الإجماع في عصر من العصور حجة بنفسه؟

إلى هنا وقفت على أنّ شرعيه الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يثبتها القرآن الكريم و السنّه النبويه و اتفاق المسلمين و من فارقهم فقد فارق الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، قال سبحانه: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَ نُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا» ٢ .

و إليك الكلام في المسأله الثانيه:

ص: ٢٢٠

١ - ١). هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى (٥٧٧-٦٦٠هـ): فقيه شافعى، له من الكتب «التفسير الكبير» و «مسائل الطريقه» و غيرها. انظر أعلام الزركلى: ٢١/٤. [١]

تكفير أهل القبلة

لا يصح تكفير فرقه من الفرق الإسلامية ما دامت تعترف بالشهادتين ولا تنكر ما يعد من ضروريات الدين التي يعرفها كل من له أدنى إلمام بالشريعة وإن لم تكن له مخالطة كثيره مع المسلمين. وعلى ذلك فالبلاء الذي حاق بالمسلمين في القرون الماضية و امتد إلى عصرنا الحاضر بلاء مبدد لشمل المسلمين أولاً ومحرم في نفس الكتاب والسنة وإجماع المسلمين ثانياً، ومن المؤسف أن التعصبات المذهبية الكلامية صارت أساساً لتكفير المعتزلة أصحاب الحديث والأشاعرة وبالعكس، وربما عم البلاء شيعة أئمة أهل البيت، فترى أن بعض المتعصبين أخذوا يكفرون الشيعة بأمر لو ثبتت لا تكون سبباً للتكفير، فضلاً عن كون أكثرها تهماً باطله كالقول بتحريف القرآن ونظيره وأن الثابت منها، مدعم بالكتاب والسنة، ولأجل أن يقف القارئ على مدى البلاء في العصور السابقة، نذكر ما يلي:

١- قال ابن حزم عند ما تكلم فيمن يكفر ولا يكفر: وذهبت طائفه إلى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قال في اعتقاد، أو فتيا، وإن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى أنه الحق فإنه مأجور على كل حال إن أصاب فأجران، وإن أخطأ فأجر واحد.

قال وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن

على، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رضى الله عنهم) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً (١).

٢- وقال شيخ الإسلام تقي الدين السبكي: إن الإقدام على تكفير المؤمنين عسر جداً، و كل من كان في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء و البدع مع قولهم لا- إله إلا الله، محمد رسول الله، فإن التكفير أمر هائل عظيم الخطر (إلى آخر كلامه و قد أطل في تعظيم التكفير و تعظيم خطره) (٢).

٣- وكان أحمد بن زاهر السرخسي الأشعري يقول: لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاء بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا على أنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب، لأنني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد و الإسلام يشملهم و يعتمهم (٣).

٤- وقال القاضي الإيجي: جمهور المتكلمين و الفقهاء على أنه لا- يكفر أحد من أهل القبلة و استدل على مختاره بقوله: إن المسائل التي اختلف فيها أهل القبلة من كون الله تعالى عالماً بعلم زائد على ذاته أو موجداً لفعل العبد، أو غير متحيز و لا في جهه و نحوها لم يبحث النبي عن اعتقاد من حكم بإسلامه فيها و لا- الصحابة و لا- التابعون، فعلم أن الخطأ فيها ليس قادحاً في حقيقه الإسلام.

ثم إن الإيجي ذكر الأسباب الستة التي بها كُفرت الأشاعرة المعتزلة، ثم ناقش في جميع تلك الأسباب و أنها لا تكون دليلاً للكفر.

ثم ذكر الأسباب الأربعة التي بها كُفرت المعتزلة الأشاعرة و ناقش فيها و أنها لا تكون سبباً للتكفير.

ثم ذكر الأسباب الثلاثة التي بها تكفر شيعة أهل البيت و ناقش فيها و أنها

ص: ٢٢٢

١- ١. ابن حزم: الفصل: ٢٤٧/٣. [١]

٢- ٢. الشعراني: اليواقيت و الجواهر: ٥٨. [٢]

٣- ٣. الشعراني: اليواقيت و الجواهر: ٥٨. [٣]

لا تكون سبباً للكفر (١).

و الحقّ أنّ القاضى قد نظر إلى المسأله بعين التحقيق و أصاب الحقّ إلّا فى بعض المسائل. فقد ناقش فى أسباب تكفير المجسمه و هو فى غير محلّه و التفصيل لا يناسب المقام.

٥- و قال التفتازانى: إنّ مخالف الحق من أهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم و حشر الأجساد، و استدللّ بقوله: إنّ النبى و من بعده لم يكونوا يفتشون عن العقائد و يتّبهن على ما هو الحق.

فإن قيل: فكذا فى الأصول المتفق عليها.

قلنا: لا شهرها و ظهور أدلتها على ما يليق بأصحاب الجمل.

ثمّ أجاب بجواب آخر و قال:

قد يقال ترك البيان إنّما كان اكتفاءً بالتصديق الإجمالى إذ التفصيل إنّما يجب عند ملاحظه التفاصيل، و إلّا فكم مؤمن لا يعرف معنى القديم و الحادث.

فقد ذهب الشيخ الأشعرى إلى أنّ المخالف فى غير ما ثبت كونه من ضروريات الدين ليس بكافر، و به يشعر ما قاله الشافعى - رحمه الله -: لا أرد شهاده أهل الأهواء إلّا الخطايه لاستحلالهم الكذب.

و فى المنتقى عن أبى حنيفه أنّه لم يكفّر واحداً من أهل القبلة و عليه أكثر الفقهاء، ثمّ ذكر بعض الأقوال من الأشاعره و المعتزله الذين كانوا يكفّرون مخالفهم فى المسأله (٢).

قال ابن عابدين: نعم يقع فى كلام أهل المذهب تكفير كثير، لكن ليس من

ص: ٢٢٣

١- ١). الإيجى: المواقف: ٣٩٢-٣٩٤. [١]

٢- ٢). التفتازانى، شرح المقاصد: ٢٢٧/٥-٢٢٨. [٢]

كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون، بل من غيرهم ولا عبره بغير الفقهاء، والمنقول عن المجتهدين ما ذكرنا (١).

ولعل بعض البسطاء يتصور أنّ العاطفه و المرونه الخارجه عن إطار الإسلام هي التي صارت مصدراً لهذه الفتيا، ولكنّه سرعان ما يرجع عن قضائه إذا وقف على الأحاديث المتوفره الوارده في المقام الناهيه عن تكفير أهل القبله، وإليك سردها:

السنة النبويه و تكفير المسلم:

قد وردت أحاديث كثيره تنهى عن تكفير المسلم الذى أقر بالشهادتين فضلاً عمّن يمارس الفرائض الدينيه، وإليك طائفه من هذه الأحاديث:

١- «بني الإسلام على خصال: شهاده أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله، والجهاد ماض منذ بعث رسله إلى آخر عصابه تكون من المسلمين... فلا تكفروهم بذنب و لا تشهدوا عليهم بشرك».

٢- «لا تكفروا أهل ملّتكم و إن عملوا الكبائر» (٢).

٣- «لا تكفروا أحداً من أهل القبله بذنب و إن عملوا الكبائر».

٤- «بني الإسلام على ثلاث:.... أهل لا إله إلا الله لا تكفروهم بذنب و لا تشهدوا لهم بشرك».

٥- عن أبي ذر: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «لا يرمى رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك».

ص: ٢٢٤

١- (١). ابن عابدين: رد المختار: ٢٣٧/٤.

٢- (٢). نعم الكبائر توجب العقاب لا الكفر.

٦- عن ابن عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما».

٧- «من قذف مؤمناً بكفر فهو كقاتله، و من قتل نفساً بشيء عذبه الله بما قتل».

٨- «من كفر أخاه فقد باء بها أحدهما».

٩- «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فهو كقاتله، و لعن المؤمن كقاتله».

١٠- «أيما رجل مسلم كفر رجلاً مسلماً فإن كان كافراً و إلّا كان هو الكافر».

١١- «كفّوا عن أهل لا إله إلّا الله لا تكفّروهم بذنوبهم، فمن كفر أهل لا إله إلّا الله فهو إلى الكفر أقرب».

١٢- «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال و إلّا رجعت عليه».

١٣- «ما أكفر رجل رجلاً قط إلّا باء بها أحدهما».

١٤- «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما إن كان الذي قيل له كافراً فهو كافر، و إلّا رجع إلى من قال».

١٥- «ما شهد رجل على رجل بكفر إلّا باء بها أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، و إن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه».

١٦- عن علي عليه السلام: في الرجل يقول للرجل: يا كافر يا خبيث يا فاسق يا حمار؟ قال: «ليس عليه حد معلوم، يعزر الوالي بما رأى» (١).

ص: ٢٢٥

١- (١). هذه الأحاديث مبثوثة في جامع الأصول: ١، و ١١، ١٠ كما أنها مجموعها بأسرها في كنز العمال للمتقى الهندي: ج ١.

١٧- حدثنا أسامه بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سريه إلى الحرقات، فنذروا بنا فهربوا فأدر كنا رجلاً فلما غشينا قال: لا إله إلا الله، فضر بناه حتى قتلناه فعرض في نفسى من ذلك شيء فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «مَنْ لَكَ بِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قال:

قلت: يا رسول الله، إنما قالها مخافه السلاح و القتل، فقال: «أ لا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك أم لا؟ مَنْ لَكَ بِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» قال: فما زال يقول ذلك حتى وددت أنى لم أسلم إلا يومئذ (١).

١٨- لما خاطب ذو الخويصره الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بقوله اعدل، ثارت ثائره من كان فى المجلس و منهم خالد بن الوليد قال:

يا رسول الله! ألا أضرب عنقه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فلعله يكون يصلّى»، فقال: إنّه ربّ مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس فى قلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنى لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس و لا أشق بطونهم» (٢).

ما هو المقوم للإسلام:

إنّ دخول الإنسان فى حظيره الإسلام رهن الإقرار بالشهادتين و التصديق بالتوحيد و الرساله و فى بعض الروايات يضاف إليهما إقامة الصلاة و إيتاء الزكاه و الحج و صوم رمضان، و إليك الصنفين:

ص: ٢٢٤

-
- ١- ١). صحيح مسلم: ١/٦٧، باب تحريم قتل الكافر من كتاب الإيمان؛ سنن أبى داود: ٣/٤٥ برقم ٢٦٤٣؛ [١] مسند أحمد: ٥/٢٠٧؛ [٢] سنن ابن ماجه: ٢/١٢٩٦ برقم ٣٩٣٠.
- ٢- ٢). صحيح مسلم: ٣/١١١ باب ذكر الخوارج و صفاتهم من كتاب الزكاه مسند أحمد: ٣/٤.

الصف الأول، وهو ما اقتصر على إظهار الشهادتين:

١- أخرج البخارى عن عمر بن الخطاب أن علياً صرخ: «يا رسول الله على ما ذا أقاتل الناس؟» قال صلى الله عليه وآله وسلم: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (١).

٢- ما أخرجه الإمام الشافعى عن أبي هريره أن رسول الله قال: «لا- أزال أقاتل الناس حتى يقولوا: لا- إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» (٢).

٣- روى التميمى عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن عليّ، قال: «قال النبي: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا- إله إلا الله، فإذا قالوا حرمت على دماؤهم وأموالهم» (٣).

٤- روى البرقى مسنداً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الإسلام يحقن به الدم، وتؤدى به الأمانه، ويستحل به الفرج، والثواب على الإيمان» (٤).

٥- وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الإسلام شهاده أن لا- إله إلا الله و التصديق برسول الله، به حقت الدماء، و عليه جرت المناكح و المواريث» (٥).

٦- قال الإمام الشافعى: فأعلم رسول الله أنه سبحانه فرض أن يقاتلهم

ص: ٢٢٧

١- ١). البخارى: الصحيح: ١٠/١، باب «فإن تابوا وأقاموا الصلاة و آتوا الزكاه» من كتاب الإيمان؛ و صحيح مسلم: ١٢١/٧، باب فضائل على بن أبى طالب عليه السلام.

٢- ٢). الشافعى: الأم: ١٥٨، ١٥٧/٦.

٣- ٣). المجلسى: البحار: ٢٤٢/٦٨. [١]

٤- ٤). المجلسى: البحار: ٢٤٣/٦٨ ح ٣ و ٢٤٨ ح ٨. [٢]

٥- ٥). المجلسى: البحار: ٢٤٣/٦٨ ح ٣ و ٢٤٨ ح ٨. [٣]

حتى يُظهِرُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا مَنَعُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا (١).

٧- قال القاضي عياض: اختصاص عصم النفس و المال بمن قال: لا إله إلا الله، تعبير عن الإجابة إلى الإيمان، أو أنّ المراد بهذا مشركو العرب و أهل الأوثان و من لا يؤخذ، و هم كانوا أوّل من دُعي إلى الإسلام و قوتل عليه، فأما غيرهم ممّن يقوّر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقوله لا إله إلا الله إذا كان يقولها في كفره و هي من اعتقاده، و لذلك جاء في الحديث الآخر: و أنّي رسول الله، و يقيم الصلاة و يؤتي الزكاة (٢).

و أمّا الصنف الثاني فنأتي ببعض نصوصه:

٨- ما أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله، و إقامة الصلاة، و إيتاء الزكاة، و الحج، و صوم شهر رمضان» (٣).

٩- ما تضافر عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من شهد أن لا إله إلا الله، و استقبل قبلتنا و صلّى صلاتنا، و أكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم و عليه ما على المسلم» (٤).

١٠- روى أنس بن مالك عن رسول الله قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أنّ لا إله إلا الله و أنّ محمداً رسول الله و استقبلوا قبلتنا، و أكلوا ذبيحتنا، و صلّوا صلاتنا، حرمت علينا دماءهم و أموالهم إلا بحقّها» (٥).

ص: ٢٢٨

١- (١). الشافعى: الأم: ٢٩٦/٧-٢٩٧.

٢- (٢). المجلسى: البحار: ٢٤٣/٦٨. [١]

٣- (٣). البخارى: الصحيح: ١٦/١، باب أداء الخمس، من كتاب الإيمان.

٤- (٤). ابن الأثير: جامع الأصول: ١٥٨/١-١٥٩.

٥- (٥). ابن الأثير: جامع الأصول: ١٥٨/١-١٥٩.

و هذه النصوص -و ما أكثرها- تُصرِّح بأنَّ ما تُحقِّق به الدماء و تُصان به الأعراض و يدخل به الإنسان في عداد المسلمين و يتخيَّم بخيمه الإسلام، هو الاعتقاد بتوحيده سبحانه و رساله الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و هذا ما نعبر عنه ببساطه العقيدة و سهوله التكاليف الإسلاميه.

إذا عرفت هذين الصنفين من الروايات فاعلم أنَّ الجميع يهدف إلى أمر واحد و هو أنَّ الدخول في الإسلام و الدخول تحت مظلته ليس بأمر عسير بل سهل جداً، و ليس في الإسلام ما هو معقَّد في المعارف، و لا معسور في الأحكام، و شتان بين بساطه العقيدة فيه، و التعقيد الموجود في المسيحيه من القول بالتثليث و في الوقت نفسه الاعتقاد بكونه سبحانه إلهاً واحداً.

و على ضوء هذا البحث فالمسلمون في أقطار العالم إخوه بكل طوائفهم تربطهم شهاده التوحيد و رساله فتحرم دماؤهم و نواويسهم و أموالهم و تحل ذبائحهم، و بالجمله فالكل مسلمون مؤمنون لهم من الأحكام ما للمسلم و المؤمن.

فهذه المنشورات التي تهدف إلى فصل طائفه من المسلمين باتهامهم بالشرك، أوراق ضاله مضله يُضرب بها عرض الجدار و لا يقام لها في سوق الدين قيمه.

اللَّهِمَّ إِنَّا نرغب إليك في دوله كريمه تعزُّ بها الإسلام و أهله و تدلُّ بها النفاق و أهله.

جعفر السبحاني

قم المشرفه

تحريراً في ٤ جمادى الأولى

عام ١٤١٦ هـ

ص: ٢٢٩

إن السيده عائشه من زوجات النبي و أمهات المؤمنين لها من الشرف و الكرامه ما لسائر نساءه صلى الله عليه و آله و سلم غير خديجه-رضى الله عنها- فقد رأت النور في بيتها، و عاشت معه فتره طويله، و لم يشك أحد من المسلمين القدامى و الجدد في براءتها من الافك الذى صنعه يد النفاق، و نشره عميد المنافقين و أذنابه «عبد الله بن أبى سلول» فى عصر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حدث عنه القرآن فى آيات، يقول سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ١.

«وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ» ٢.

و كفى فى براءتها أنه سبحانه سَمى النسبه إفكاً و بهتاناً عظيماً و أوعد من

تولّى كبره بعذاب أليم.

و لأجل إيقاف إخواننا أهل السنّة على موقف الشيعة من هذه المسألة نأتى بنص أحد أقطاب التفسير من علماء الإمامية فى القرن السادس، أعنى: الشيخ الطبرسى (٤٧١-٥٤٨هـ) مؤلف «مجمع البيان فى علوم القرآن»، الذى طبق اسمه و كتابه أقطار العالم الإسلامى، يعرفه كل من له صلة بالتفسير و علومه.

يقول رحمه الله بعد نقل آيات من سورة النور فيما لها صلة بالموضوع:

«روى الزهرى، عن عروه بن الزبير و سعيد بن المسيب و غيرهما، عن عائشه أنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهنّ خرج سهمها خرج بها، فأقرع بيننا فى غزوه غزاها، فخرج فيها سهمى، و ذلك بعد ما أنزل الحجاب، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى فرغ من غزوه و قفل.

و روى أنها كانت غزوه بنى المصطلق من خزاعه قالت: و دنونا من المدينة، فقامت حين أذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل، فلمست صدرتى فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدى، فحسبى ابتغاؤه، و أقبل الرهط الذين كانوا يرحلونى فحملوا هودجى على بعيرى الذى كنت أركب و هم يحسبون أنى فيه، و كانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهنّ اللحم و لم يغشهنّ اللحم إنّما يأكلن العلقه من الطعام، فبعثوا الجمل و ساروا، و وجدت عقدى، و جئت منازلهم و ليس بها داع و لا مجيب، فسموت منزلى الذى كنت فيه، و ظننت أنّ القوم سيفقدونى فيرجعون إلىّ، فبينما أنا جالسه إذ غلبتنى عيناي فممت، و كان صفوان، المعطل السلمى قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلى، فرأى سواد إنسان نائم فعرفنى حين رآنى، فخمرت وجهى بجلبابى و و الله ما كلمنى بكلمه حتى أناخ راحلته، فركبتها، فانطلق يقود الراحله حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى حر الظهيره فهلك من هلك فى.

ص: ٢٣٢

و كان الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمتها شهراً و الناس يفيضون فى قول أهل الإفك و لا- أشعر بشيء من ذلك و هو يرثينى فى وجعى، غير أننى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اللطف الذى كنت أرى من حين اشتكى إنما يدخل فىسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ فذلك يحزننى و لا- أشعر بالسر- إلى أن قالت:- استأذنت رسول الله إلى بيت أبى فاذن لى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فجئت أبوى و قلت لأمى: يا أمّاه ما ذا يتحدث الناس؟ فقالت: أى بنيه هونى عليك، فو الله لقلّ ما كانت امرأه قط و ضيئه عند رجل يحبها و لها ضرائر إلّا أكثرن عليها، قلت: سبحان الله أو قد يحدث الناس بهذا؟ قالت: نعم، فمكثت تلك الليله حتى أصبحت لا يرقأ لى دمع و لا اكتحل بنوم.

ثم أصبحت أبكى، و دعا رسول الله أسامه بن زيد و على بن أبى طالب عليه السلام حين استلبت الوحى يستشيرهما فى فراق أهله، فأما أسامه فأشار على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالذى علم من براءه أهله و بالذى يعلم فى نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك و لا نعلم إلّا خيراً، فأما على بن أبى طالب- عليه أفضل الصلوات- فقال: لم يضيق الله عليك و النساء سواها كثيره، و إن تسأل الجاربه تصدقك، فدعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بريره، فقال: يا بريره! هل رأيت شيئاً يريبك من عائشه؟ قالت بريره: و الذى بعثك بالحق إن رأيت عليها امرأً قط أغمضه عليها أكثر من أنّها جاربه حديثه السن تنام عن عجين أهلها.

قالت: و أنا و الله أعلم أنّى بريئه، و ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى، و لكننى كنت أرجو أن يرى رسول الله رؤيا يبرئنى الله بها، فأنزل الله تعالى على نبيه و أخذه ما كان يأخذه من برحاء الوحى حتى أنّه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق فى اليوم الثانى من ثقل القول الذى أنزل عليه، فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: أبشرى يا عائشه أما الله فقد برأك، فقالت لى أمى: قومى إليه، فقلت: و الله لا أقوم

إليه و لا أحمد إلا الله، فهو الذى أنزل براءتى فأنزل الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» الآيات العشر (١).

هذه مقاله الشيعة و لو كان لهم و لغيرهم من سائر الطوائف الإسلاميه كلام فى حقّ السيده فإتّما يرجع إلى وقعه الجمل و هى ذى شجون و لأعلام المسلمين و محققى التاريخ كلمات حولها و من أراد فليرجع إليها.

اللهم ارزق المسلمين توحيد الكلمه، كما رزقتهم كلمه التوحيد

جعفر السبحانى

قم المقدسه

٨ جمادى الآخره عام ١٤١٥هـ

ص: ٢٣٤

(١-١). الطبرسى: مجمع البيان: ٤/١٣٠، ط صيدا، لبنان.

كانت مجله «مكتب إسلام» (1) قد نشرت فى عددها الخاص (2) مقالاً ضافياً حول مذهب الشيعة باللغات العالميه الحيه:العرييه و الانكليزيه و الفارسيه.

و لما كان المقال على منهج جديد،تجاوب مع شعور كثير من القراء و المفكرين فى العالم الإسلامى و قد ألحوا علينا أن نفرّد المقال بالطبع و النشر.

و ممّا لا يشكك أى ذى مسكه فيه،أنّ السلطات الجائره فى غابر الزمان و الدعايات المسمومه من جانب أعداء الإسلام أوجدت ستاراً و ألقّت أسدالاً على وجه الحقيقه،حالت دون وقوف المسلمين على مذهب الشيعه.

فلأجل هذا و ذاك قامت الهيئه التحريريه للمجله بتليه نداء هذا الصنف من القراء بإفراد المقال بالطبع و توزيعه فى مختلف الأقطار على نطاق واسع بعد إعاده النظر فيه.

فها نحن نقدم للأمة الإسلاميه و سائر الأمم أمّهات عقائد الشيعه و لباب أصولها بغيه تقريب الخطى،و حفظاً للوحده و الوئام بين الأمم جمعاء.

قم:ايران-مجله «مكتب اسلام»

ص: ٢٣٥

١-١). مجله شهريه،علميه،دينيه،ثقافيه،تصدر عن الجامعه الإسلاميه بقم المقدسه تهدف إلى بث روح الإيمان و العمل و معالجه المعضلات الخلقيه و الاجتماعيه،أسست عام ١٣٧٨هـ.ق و ما زال عطاؤها العلمى مستمرّاً إلى سنتنا هذه ١٤١٩هـ.ق.

٢-٢). العدد السابع سنه ١٣٨٦هـ.ق.

ليس الغرض من وضع هذا المقال سرد عقائد الشيعة و ما لها من أصول و مبادئ و أفكار، لأنّ ذلك يدفعنا إلى تأليف كتاب مفرد، و إنّما الهدف إيقاف القارئ على مبادئ التشيع و أسسه على وجه الإجمال بأوضح العبارات و أخصرها كي يرجع إليه من ليس له إمام صحيح و معرفه وافية بأصول تلك الطائفة و لا يكون من الذين أخذوا مبادئ التشيع عن كُتاب مغرضين.

و لما كان هذا المقال يصدر عن معهد علمي له تاريخه الحافل بين معاهد الشيعة الكبيره، فسيجده القارئ كافياً في ازاحه الستار عن كثير من المختلقات و المبهمات التي حامت حول مذهب الشيعة و فيه أجوبه لكثير من الأسئلة التي قد تتبادر إلى الأذهان.

و إليك الإشارة إلى العناوين المطروحه في المقال:

*الشيعة في الوقت الحاضر*الجامعات العلميه للشيعة

*نشوء مذهب الشيعة*مكانه القرآن الكريم عند الشيعة

*الشيعة و سائر الفرق الإسلاميه*عقائد الشيعة

*مميزات الشيعة*المصادر الدينيه للشيعة

*نماذج من الوظائف الأخلاقيه و الاجتماعيه عند الشيعة

و ذلك ضمن فصول:

الشيعة في الماضي والحاضر

تدلنا الإحصاءات الدقيقة على أنّ التشييع في الوقت الحاضر يدين به أكثر من مائتين و خمسين مليون نسمة و هم متفرّقون في أقطار العالم و أرجاء الدُّنيا يقطنون غالباً في إيران و العراق و باكستان و الهند و اندونيسيا و سوريا و لبنان و المملكة السعوديّه و أفغانستان و تركيا و القفقاس و مصر و أمارات الخليج و إفريقيه الشرقيه و المركزيه و الأمريكتين و الصين، إلى غيرها من البلاد، و تشكّل الشيعة رُبع فرق المسلمين.

و لهذه الطائفة مساهمه فعاله في تأسيس الحضاره الإسلاميه، فإنّهم حازوا قصب السبق على غيرهم في حفظ التراث الإسلامى.

و مع الأسف الشديد لم تُعرف الشيعة حقّ المعرفه حتّى أنّ إخواننا أهل السنّه على الرغم من تعايشهم مع الشيعة لا يعرفون عن مذهب الشيعة إلّا النزر اليسير.

و ليس ذلك جديداً فإنّ المستعمرين و أذئابهم وجدوا أهدافهم و تحقّق مآربهم في فصل السنّه عن الشيعة و تأجيج نار الشحناء و البغضاء بينهما، و لم يقتصروا على ذلك فحسب بل استعانوا بتشويه الحقائق و تحويرها بغيه ترسيخ ذلك التعصّب البغيض.

وقد خلّفت تلك العوامل مضاعفات سيّئه، أعقبها حروب طاحنه بين الفئتين غير أنّ تلك القلاقل و الفتن لم تُنتج سوى وهن الإسلام و ضرب المسلم أخاه المسلم.

لكن الله أبطل سعيهم و أفسد كيدهم بيقظه المسلمين بعد طول سبات، و تقدّمهم في معترك الحياه فتعارفوا بعد ما تناكروا و تآلفوا بعد ما تباغضوا.

و قد قام عدد كبير من أساتذه جامعه الأزهر بمعارضده بعض مفكرى الشيعة بتأسيس دار للتقريب بين المذاهب الإسلاميه و الهدف الاسمى لتلك الجمعيه الثقافيه كما ينبى عنه عنوان «دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه» هو التقريب بين فرق المسلمين و القيام على جمع كلمه الطوائف الإسلاميه الّذين فرقتهم آراء لا- تتصل بالعقائد الّتي يجب الإيمان بها و قد تألفت الجمعيه من أعلام السنّه و الشيعة، و السكرتير العامّ للجماعه هو شيعيّ إيرانيّ.

كما قامت الجمعيه بإصدار مجلّه علميه سمّتها «رساله الإسلام» لنشر دعوتها و رسالتها، و هى صحيفه حافله بالمواضيع العلميه الحيه الّتي تلائم روح دعوتها و يساهم فى كتابتها عدّه من كتاب علماء السنّه و الشيعة و قد قطعت فى ذلك المضممار شوطاً كبيراً.

و من نتائج دعوتها الفتوى التاريخيه الّتي أصدرها فضيله الأستاذ الأكبر الفقيه الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر فقال:

إنّ مذهب الجعفريه المعروف بمذهب الشيعة الإماميه الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّه فينبغى للمسلمين أن يعرفوا ذلك و أن يتخلّصوا من العصبية بغير الحقّ. (1)

ص: ٢٣٨

(١- ١). راجع العدد الثالث من رساله الإسلام السنه الحاديه عشره.

و لم يكن شيخ الأزهر الفقيه وحيداً في فتواه فقد سبقه إلى هذا الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم، شيخ الأزهر في وقته و إن لم يكن مجاهراً مثله.

و قد كان لتلك الفتوى التاريخيّة صدى واسع في المجتمع الإسلاميّ حيث أحكمت أواصر الأخوّه و كرسّت روح التفاهم بين الطائفتين و تلقاها أعلام السنّه و الشيعة بصدور رحبه.

الجامعات العلميّه للشيعة

للشيعة الإماميّة جامعات علميّة مكتظّه بالأساتذه و رواد العلم و التحقيق و أخصّ بالذكر جامعتين كبيرتين لهما منزله و مكانه عظيمه:

1. جامعه النجف الأشرف ذلك المركز العلميّ العريق الذي أسّس منذ قرابه ألف عام عند مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.
2. جامعه قم و هي جامعه كبيره لها الأثر الكبير في نشر المذهب الشيعي إضافة إلى جامعه مشهد التي تأسّست عند مرقد الإمام الطاهر عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام و تضمّ الجامعات المذكوره أكابر مراجع الشيعة و أعظم زعمائها الدينيين و قادتها الروحانيين و مهمّتهم تحمّل أعباء الزعامه و المرجعيّه الروحانيّه العامّه مع بذل جهدهم في صيانه الجامعه و تربيّه طلابها بإلقاء الدروس في أنديه البحث و التدريس وراء ما يقومون به من مهمّه الإفتاء.

و قد اكتظت الجامعات منذ تأسيسها بألاف من رواد العلم و المعرفه في كافه الاختصاصات، كلّ حسب استعداده و كفايته إلى أن يقضى وطره و ينال من التحصيل بغيته فتحوّله المرجعيّه الدينيه مهمّه من المهمّات إمّا بالتخصّص في الوعظ و الارشاد، و إمّا بتمثيل الزعيم الدينيّ في بلد أو قطر، و إمّا بإقامه الجماعه في مسجد، أو بالتدريس في نفس الجامعه إلى غير ذلك من الصلاحيات.

و من مفاخر الشيعة أنهم حازوا قصب السبق في تأسيس فنون الإسلام و تدوينها يقف على ذلك كل من سبر تاريخ العلوم الإسلامية و أمعن النظر في نشوئها و تكاملها ففي طيات التاريخ و المعاجم دلائل واضحة على أن جُلّ العلوم الإسلاميّة أُسست بيد الفطاحل من الشيعة و الأعلام من أقدميهم. (١)

و للشيعة منهج خاص في تربيته الخطيب و المبلغ فترى الخطيب واقفاً أمام حشد عظيم يلقي خطابه حماسيه أو كلمه اجتماعيه ارتجالاً بأحسن العبارات و أفصحها.

كان الزعيم الديني الأكبر الإمام البروجردي قدس الله سرّه (١٢٩٢ - ١٣٨٠ هـ.ق) باذلاً تمام جهده في تعريف الشيعة على وجهها الصحيح ساعياً في هذا الطريق بكل ما أوتى من حول و قوه، لإيمانه بأن التشيع قائم على أسس منطقيه و أنه الملقب الوحيد لحلّ المشاكل الاجتماعيه و الأخلاقيه التي حاقت بالغرب.

كان الإمام المغفور له على إيمان بأنه لو وقف العالم الغربي و الشبيه المتربّيه في أحضانه على مبادئ التشيع و أصوله و معتقداته للجئوا إليه بخاطر رحب و صدر منشرح.

و قد نجح رحمه الله بعض النجاح في أهدافه فقام بإزاحة العقبات و العراقيل التي وضعت امامه ببعث رجال العلم إلى البلاد النائية مثل «واشنطن» و «هامبورغ» في أمريكا و ألمانيا، فقاموا بأعباء التبليغ و الإشاده بمذهب الشيعة و تشكيل أنديه الوعظ و الإرشاد، و إقامة المؤتمرات حتّى وفق لبناء مسجد عامر في ساحل بحيره «الستر» في هامبورغ، و قد قام البناء على مزيج من الفنون المعماريه الشرقيه

ص: ٢٤٠

(١ - ١). تجد تلك الدلائل و الشواهد في كتاب «تأسيس الشيعة لفنون الإسلام» تأليف المرجع الديني الأكبر السيد حسن الصدر.

الإسلاميّة و الغريبه على أرض تربو مساحتها على أربعه آلاف متر تقام فيه الصلاه و تعقد فيه المؤتمرات و الندوات يحضرها العديد من الجامعيين و التجار و من أسلم من الغربيين من غير فرق بين الشيعي و السنّي و الأبيض و الأسود بل الجميع يقفون في صفّ واحد.

و للشيعه مكتبات عامره ذات عظمه و شأن و في طليعتها مكتبات النجف الأشرف و قم و مشهد و طهران تحفظ فيها النفائس و المخطوطات و الآثار الإسلاميه.

و ممّا هو جدير بالذكر أنّ جامعتي الأزهر و القرويين في القاهره و المغرب من أقدم الجامعات التي أُسِّست بيد الشيعه، فقد قام المعزّ لدين الله أحد الخلفاء الفاطميين المجاهرين بالتشيع بتأسيس الأزهر الشريف في أواسط القرن الرابع كما أنّ جامعه القرويين من آثار «الأدارسه» الحسنيين ملوك مراکش.

نشوء مذهب الشيعه

لقد فسح المجال لذوى الأقلام المستأجره لتشويه سمعه الشيعه و رمى التشيع بأنّه فكره خاصّه لطائفه انطوت على نفسها لا تمتّ إلى المسلمين و الإسلام بصله، و إن اتّسمت بطابع الإسلام مع أنّها هي الإسلام نفسه.

إذ ليس التشيع مبدأ خاصاً وراء الإسلام، و لا الإسلام مبدأ يغيّر التشيع، إنّما التشيع هو نفس الإسلام الذي جاء به نبيّنا الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم، و الشيعه تدّعي أنّ أحسن الطرق و أبعدها عن الريب إلى معرفه الإسلام و ما فيه من تعاليم إنّما هو أوصياؤه و أهل بيته الذين تربّوا في مهبط الوحي فصاروا أقرب الناس إلى رسول الله من غيرهم، فالإسلام و التشيع حقيقه واحده حدثا و تكوّنا في آن واحد.

إنَّ القرآن الكريم هو المصدر الأوَّل لدى الشيعة كما هو عند المسلمين كافَّة و لم يتطرَّق إليه تحريف أو تشويه، و هو عندهم المقياس الوحيد لتمييز الموضوع من الصحيح في الأحاديث الإسلاميَّة، و أنَّ كلَّ حديث خالف كتاب الله فهو زخرف يضرب به عرض الحائط.

الشيعة و سائر الفرق الإسلاميَّة

لعلَّك تقول: لما ذا افرقت السنَّة عن الشيعة؟ و ما هي أسباب ذلك؟ فنقول: إنَّ الفارق الأساسيَّ إنّما هو موضوع الإمامة، فإنَّ الخلافة الإسلاميَّة عند الشيعة منصب إلهيٌّ خطير لا يقوم به إلَّا الأُمثَل فالأُمثَل من الأُمَّة، و ليس تشخيص ذلك إلَّا لله و لرسوله من بعده، فلاجله ذهبت الشيعة إلى أنَّ الإمامة كالنبوَّة لا تتعدَّد إلَّا بتنصيب و تعيين من الله.

اتَّفقت الشيعة على أنَّ الأئمَّة الاثني عشر خلفاء الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أنَّهم منصوبون من الله لقيادته الأئمَّة و زعامتها و قد نصَّ الرسول على عددهم و أسمائهم و نصَّ كلَّ خليفه سابق منهم على الخليفه من بعده، و دونك أسماءهم:

الإمام عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ابن عمِّ الرسول و صهره تربى في حجره و لم يزل يقفو أثره طول حياته، و هو أوَّل النَّاس إسلاماً، و أشدَّهم استقامه في مصالح الدين الإسلامي و تفانياً في تثبيته و تركيزه، بلغ في علمه و تقواه رتبة تقاصر عنها الأقران و تراجع عنها الأكفء.

نصَّ النبيُّ الأعمم صلى الله عليه و آله و سلم في حشد عظيم على خلافته و ولايته، عند منصرفه من مكَّة عام حجِّه الوداع في موضع يقال له «غدِير خم» و لم تكن أوَّل مرَّة شاد

فيها الرسول بمقام وصيه فقد كان طول حياته ينوّه بوصايته و خلفته، من بدء إظهار الدعوه إلى مرضه الذي توفى فيه.

كان الإمام أفضل الناس و أمثلهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا يبلغ شأوه أحد من الصحابه، و لم يكن يوم ذاك رجل أليق بزعامه الأُمّه و قيادتها منه.

غير أنّ قريشاً قد تملأت على تداول الخلافه في قبائلها، و اشرأبت إلى ذلك أطماعها فتصافق الأغلب منهم على تناسى النصّ، و أجمعوا على صرف الخلافه من أوّل أيامها عن وليها المنصوص عليه.

نعم تصافقت مع عليّ عليه السلام ثله جليله من الشخصيات البارزه من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم بإحسان فبقوا على منهاج نبيهم و لم يرضوا إلّا بولايته و خلفته التي صدع بها نبيهم صلى الله عليه و آله و سلم في حياته، و لم يبائعوا غيره و نصروا إمامهم بتضحيه نفوسهم و بذل أموالهم و قد حفظ التاريخ أسماءهم و ما لهم من مواقف، غير أنّ شيعه عليّ تحفظاً للوحده و الوثام خطوا خطوه إمامهم من ترك التعرّض لمتقمصي الخلافه، و المماشاه معهم في مهامّ الأمور و مصالح الدين و المسلمين.

و لم ير الإمام بدءاً لحفظ مصالح الدين من تسليم الأمر إلى المجليين على الخلافه فلزم عقر داره مدّه تربو على خمسّه و عشرين عاماً إلى أن رجعت إليه الخلافه، فتصافقت على قيادته و زعامته جبهه الأنصار و المهاجرين و ألقوا إليه مقاليد الخلافه، فأحيا الإمام عليه السلام سنّه النبيّ الأَعْظم صلى الله عليه و آله و سلم في عدله و إنصافه و مساواته بين الناس و لم يكن لأحد فيه مطمع، و لا عنده هواده، و لم يكن يُقيم وزناً لغير الحق، و لم يحكم بين الأُمّه إلّا بالحقّ و العداله، و هذه الحكومه الإلهيه و إن لم تطل أيامها و لم تتجاوز خمسّه أعوام، و انتهت باغتياله عليه السلام إلّا أنّها كانت مثلاً نموذجياً لحكومه الحقّ و العداله و المثل الراقيه، و هذه خطبه و رسائله توقفنا على أصاله رأيه و سداد منطقته و عدله.

و الإمام مفخره من مفاخر المسلمين على الإطلاق، لا بل الإنسانيه جمعاء، وليست الشيعة إلا من تابع الإمام و شايعه فى أقواله و أفعاله، و ما أُطلق لفظ الشيعة على هذه الفئه إلا لمشايعتهم الإمام فيما كان يأخذ و يذر.

فالإمام عليّ أول الأئمة الاثنى عشر، و يليه الحسن بن عليّ، فالحسين بن عليّ، فعلى بن الحسين، فمحمد بن عليّ، فجعفر بن محمد، فموسى بن جعفر، فعليّ بن موسى، فمحمد بن عليّ، فعلى بن محمد، فالحسن بن عليّ، فمحمد بن الحسن عليهم السلام هؤلاء أئمة الشيعة و قادتهم، نقتبس من أنوارهم، و نهتدى بهداهم، و قد حُفظت تواريخهم و آثارهم و دوّنت أحاديثهم و ما روى عنهم.

اتفقت الشيعة على أنّ الأرض لا تخلو من قائم لله بحجه، إمّا ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً يسلك بالمجتمع طريق المكارم، و يرفع لهم أعلام الهدايه، و يرثيهم و يرشدهم إلى صراط الحقّ، و تلکم الحجج فى عامه الأدوار تمثّل إمّا فى نبىّ أو وصىّ نبىّ، هذا منهج الشيعة تسير عليه فى أبحاثها الكلاميه، و تبرهن عليه بالوجوه العقليه و النصوص المتضافره، كما و تعتقد أنّ الإمام الثانى عشر عليه السلام آخر الأئمة حتىّ يرزق، منحه الله من العمر أطوله، و ليس ذلك فى عقيدته الشيعة بجديد، فقد قالت جمهره المسلمين بأنّ المسيح حتىّ يرزق بعد مرور عشرين قرناً على ميلاده لحدّ الساعة هذه، و ليس على الله بعسير فهو القادر على كلّ شىء فله أن يمنح عبداً من عباده أىّ قدر شاء من العمر، فلا- قُدره الله متناهيه و لا- طول العمر محال فى نفسه، و لا- الأصول المحرّره فى علم الحياه تعانده و ما جاء العلم لحياه البشر بحدّ لا يتجاوزه.

و قد ادّخره الله ليوم يتظاهر فيه الزمان بالجور و العدوان، و يشاع فيه القتل و سفك الدماء و الفساد و يحيق بالمجتمع ألوان العذاب و البلاء حتىّ تضيق بهم الحياه.

غير أن هذه المصائب و المكاره تهيئ المجتمع و تدفعه إلى ثوره عارمه ضدّ الظلم و العدوان تقلع و تقطع جذور الجبابره عن أديم الأرض إلى أن ترفرف أعلام العدل و السلام في شرق الأرض و غربها و هذه الثوره الإلهيه الموعوده التي تغير الزمان و أهله ستتحقق بإذن الله بقياده آخر الخلفاء من أئمه الشيعه فيملاً الله به الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً.

و عقيدته الشيعه في الإسلام أنه ليس دين رهبانيه و تزمت و لا ديناً يصب اهتمامه على النفعيه و الانتهازيه و العمل غير المشروع و إنما هو دين انطلاق مع المثل الراقيه و أصول الحياه. و دونك بيان عصاره عقائد الشيعه تحت أصول ثلاثه:

ص: ٢٤٥

إشارة

عقائد الشيعة:

الأصل الأول: التوحيد

إشارة

أقامت الشيعة براهين قيمه على أنه تعالى واحد لا شريك له ولا نظير ولا شبيه له لم يلد ولم يولد وهي تكافح كل لون من ألوان الشرك وأي انحراف عن صراط التوحيد.

أجمعت الشيعة على أن العالم مخلوق لله ومصنوع له لم يشاركه فيه أحد من خلقه، ولم ينازعه أحد في ملكه ولا خالق إلا الله. وهذا الأصل هو الذي أرشدهم إلى القول بأن كل ما في الكون من حقير وخطير ليس فيه إلا الخير والصلاح وأن كل انحراف وفساد فهو من فعل الإنسان.

اتفقت الشيعة على تنزيه الله تبارك وتعالى عن الجسم ولوازم الجسمانيات وأنه تعالى فوق المادة والماديات، فليس هو في حيز ولا يحيط به شيء، وعلمه قد أحاط بكل شيء، وهو أقرب إلى عبده من حبل الوريد، بصير سميع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وهو محيط بكل الأزمنة والأمكنه، فالماضي والمستقبل والعالي والداني عنده سواء، والموجودات بهوياتها وحقائقها الخارجي حاضره لديه منكشفه له أتم الانكشاف، يعلم خائنه الأعين وما تخفى الصدور.

الشيعة توحد الله أتم التوحيد، فالله جلّ وعلا عندهم بسيط لا جزء له؛

حتّى أنّ صفاته الجماليّة كعلمه و قدرته عين ذاته لا زائده عليها، فليست هاهنا ذات وراء الصفات حتّى تكون معروضه لها كما فى غيره من الممكنات، وهذا لا يعنى خلوّ ذاته سبحانه عن العلم و القدره كما عليه بعض الفرق الإسلاميه، بل يعنى أنّ الذات بلغ فى الكمال بمكان صار نفس العلم و القدره. كما أنّه لا حدّ لوجوده فهو أزليّ أبدى غير متناه من جميع الجهات.

و هو جلّ و علا لا يجانس أحداً من مخلوقاته فى صفاته و أوصافه، إذ لا سنخيّه بينه و بين مصنوعاته و لا تشابه بين المتناهى و غير المتناهى.

اتّفقت الشيعه على أنّ الله هو الغافر لذنوب عباده و زلّات خلائقه دون غيره، و لا يشاركه فى ذلك أحد، و لا يشفع أحد من أنبيائه و أوليائه إلّا بإذنه.

الأصل الثانى: النبوه و بعثه الرسل

اتّفقت الشيعه على أنّ الله تعالى بعث رسله و أنبياءه إلى عباده و هم خيار خلائقه ليهدوهم إلى صراطه و يخرجوهم من ظلام الجهل إلى نور العلم و الإيمان، لأنّه لم يخلقهم إلّا للفوز بالسعاده، و قد جبلهم على مؤهلات فى أنفسهم تحبّب إليهم الخير و السعاده و تبعثهم إلى الابتعاد عن الظلم و الانحراف و ما شابه ذلك من مساوى الأخلاق.

ثمّ إنّ الله تعالى عزّز الفطره و كملها ببعث رسله وقاده هدايه، و أمرهم بإبلاغ أحكامه و نصح خلائقه حتّى يتسنّى لهم الارتقاء إلى قمه الكمال الممكن، و هذا يعنى أنّ الشرائع السماويه لا تفارق الفطره قط بل تماشيها، و كلّ ما يطرق سمعك ممّا هو منسوب للدين و تتجافى عنه الفطره فاعلم أنّه ليس من الدين و أنّه مختلق مصنوع.

أجمعت الشيعه على أنّ ما تحمّلته الرسل من المحن و المكاره و ما أصابهم فى

جنب الله من الأذى لم يكن لفداء أمتهم و تأمين أتباعهم ممّا اقترفوا من ذنب و ارتكبوا من خطيئته، بل كان لمرضاه الله و خدمه المجتمع، و قد نوّه القرآن على ذلك غير مرّه.

تعتقد الشيعة أنّ الأنبياء و الرسل صفوه الناس و خيرتهم و أفضلهم و أنّه يجب على كلّ إنسان تكريمهم، غير أنّ أيدي السوء عبثت بالكتب السماويه ما سوى القرآن، فحرّفت منها ما كان حقّاً لا شائبه فيه، و ثبتت فيها خرافات هي أشبه بقصص القصاصيين لا تنسجم مع المنطق السليم.

و العصمه عند الشيعة أصل مبرهن عليه، و الأنبياء عندهم معصومون من الذنوب نزيهون عن الخطأ و النسيان.

أجمعت الأئمة الإسلاميه على أنّ نبيّ الإسلام أعظم الأنبياء منزله، و هو خاتمهم، و دينه خاتمه الشرائع.

الأصل الثالث: المعاد

و هو أصل إسلامي خطير، و قد اتفقت السنّه و الشيعة على أنّ الله يحيى الناس يوم القيامة و يضع الموازين القسط فلا يُظلم أحد مثقال ذره، و وفيت كلّ نفس ما عملت، فإمّا إلى النعيم الدائم و إمّا إلى العذاب المقيم.

ميزات الشيعة

هذه الأصول الثلاثه تشترك فيها عامّه فرق المسلمين غير أنّ للشيعة أصولاً اختصّت و انفردت بها عن سائر الفرق و هي:

١. الإمامه و الخلافه: الإمامه كما قلنا منصب إلهي يمنحه الله لخاصّه عباده و هم الأئمه الاثنا عشر خلفاء الله و خلفاء نبيه صلى الله عليه و آله و سلم.

٢.العدل:اتفقت الشيعة على عدله تعالى فلا- يظلم عباده مثقال ذرّه لأنّ الظلم ينشأ إمّا عن الجهل بقبحه و إمّا عن الحاجه إليه و كلاهما آيه النقص و هو تعالى منزّه عن كلّ ذلك لكماله المطلق و على هذا الأساس قالت الشيعة ببطلان الجبر في أفعال العباد و أنّ المكلفين غير مجبورين في أفعالهم و أقوالهم،خلقهم الله مختارين في ما يفعلون و يتركون غير مضطّرين في طاعه أو معصيه،و جعل الإنسان تامّ التصرّف في ما يسعد به و يشقى،و أنّه «لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» ١ و «أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» ٢ و «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» ٣ .

لكن إخواننا أبناء السنّه لما لم يعترفوا بالحسن و القبح العقليين و لم يعتقدوا بأنّ النفس تدرك حسن العدل و قبح الظلم،قالوا بأنّ ما حسنه الشرع فهو حسن،حتّى لو أمر بالظلم و العدوان،و كلّ ما قبحه الشرع فهو قبيح حتّى لو نهى عن العدل و الإحسان،و آلت النتيجة أنّه لا مفهوم للحسن و القبح و لا للعدل و الظلم بالنسبه إليه تعالى.

المصادر الدينيه للشيعة

الشيعة كسائر الفرق الإسلاميه تعتمد على كتاب الله العزيز،الذى هو مقياس يوزن به الحقّ و الباطل،و تعتمد على السنّه المأثوره عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم عن طريق الثقات و على ما اتفق عليه المسلمون في الأجيال السالفه و الحاضره،و على الأحاديث المأثوره عن الأئمّه الاثنى عشر الذين هم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و عنه أخذوا علومهم و معارفهم بلا واسطه أو بواسطه آبائهم.

و المصدر الأخير عند الشيعة من أهمّ مصادر التشريع تعتمد عليه في غالب شئونها،و هم يتمسكون في حجّيه هذا المصدر بقول الرسول الأعظم-:«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله،و عترتي أهل بيتي،و لن يفترقا حتى يردا عليّ

الحوض» فجعل أئمة الشيعة أعدل الكتاب وقرناه، و الشيعة تتمسك بأهداب ولائهم و يروون أقوالهم و أفعالهم كقول نبيهم صلى الله عليه و آله و سلم و فعله و تقريره.

و الشيعة تعتمد على ما يحكم به العقل حكماً باتاً و هذه المصادر الأربعة: (كتاب الله، و سنه رسوله، و ما أجمع عليه المسلمون و ما حكم به العقل) هي مدارك الشيعة و مصادر أحكامها و لا تعتمد على الأقيسه و الاستحسانات و غيرها من الوجوه الظنيه.

كما يجب على من تصدّى للإفتاء و القضاء استنفاد وسعه فى استنباط الحكم الشرعى من الأدله المذكوره، و لا يجوز له أن يرتجل الأحكام ارتجالاً خارجاً عن المصادر المذكوره.

إنّ باب الاجتهاد عند الشيعة مفتوح على مصراعيه إلى يوم القيامة، و لا- يختصّ بفرد دون فرد أو جمع دون جمع، و الشيعة لا تسلب العقول المستنيره حرّيتها و لا تلزمها بالرجوع إلى مجتهد خاصّ، و من بلغ رتبه الاجتهاد عندهم حرّم عليه العمل بالتقليد و لزمه العمل وفق رأيه سواء وافق سائر المذاهب أم خالفها، و الشيعة فى هذا الجانب تخالف السنّه فى انسداد باب الاجتهاد بعد الأئمة الأربعة.

بيد أنّ السنّه و الشيعة و إن اختلفوا فيما تقدّم من الأمور فإنّهم لا يختلفون فى أصول الأحكام الإسلاميه و أمهاتها و هذه الفوارق لا تخرجهما عن كونهما أمّه واحده و ذات دين واحد.

الإسلام عند الشيعة شريعه سهله سمحه تحقّق سعادته الإنسان فى جميع نواحيه و فى كافه أدوار حياته و فيه مرونة تماشى جميع الأزمنه و الأجيال.

دوّنت الشيعة أصول الإسلام و فروعها و ما يرجع إلى المسؤوليات الفرديه و الاجتماعيه و تحمّلوا فى سبيل ذلك جهوداً مضنيه و قد اضطرّوا فى هذا المضمار (الاجتهاد فى الأحكام الفرعيه) إلى تأسيس علوم تعدّ مبادئ له حيث لا يتّم

و ها نحن نشير إلى قليل من كثير من الفروع التي تعدُّ أسساً و أركاناً للإسلام:

١.الصِّيَلاه:و هو ركن عظيم إسلامي،فيجب على كلِّ مسلم أن يقيم الصلوات اليوميّه في أوقاتها الخاصّه إلى الجبهه (القبله) التي نصّ عليها القرآن و أطبق المسلمون عليها.

٢.الصوم:يجب على كلِّ مسلم أن يصوم شهر رمضان كلّه بادئاً برؤيه الهلال و خاتماً بهلال شوال.

٣.الحجّ:يجب على كلِّ مسلم مستطيع أن يحجّ بيت الله الحرام و يجتمع مع سائر إخوانه في ذلك المشهد العظيم الذي ينعقد كلّ سنه مرّه واحده.

٤.الزكاه:و هي عند الشيعه ركن اجتماعي بارز،لها صلّه و ثيقه بسياسه المال في الإسلام،و هي حقُّ الجماعه في عنق الفرد و ضريبه إسلاميه على عاتق المكلفين-و قد حدّد لها الإسلام نصاباً و جعل لها شرائط،و أوضح مواضع صرفها،التي منها الفقراء و المساكين و في«سبيل الله»و هو مصرف عامّ تحدّده الظروف،و منها تجهيز المجاهدين و علاج المرضى و كلّ ما يمت لصالح الإسلام و المسلمين بصله.

٥.الخمس:و هو ضريبه إسلاميه أُخرى تتعلّق بأموال المسلمين و له شرائط و حدود محرّره في مواضعها.

٦.الجهاد:و هو ركن من أركان الإسلام،فيجب على كلِّ مسلم جهاد العدوّ و طرده إذا حاول القضاء على الإسلام بتضحيه النفوس و الأموال.

٧ و ٨.الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر:هما لدى الشيعه من أفضل القربات أساسهما الدعوه إلى الحقّ و نبذ الباطل و مكافحه الفساد بألوانه المختلفه الفرديّه و الاجتماعيه على ضوء العلم و المنطق الصحيح و هو وظيفه الشعب المسلم كلّه و لا يختصّ بطائفه دون أُخرى.

نماذج من الوظائف الأخلاقية و الاجتماعية عند الشيعة

المسلم من يكون متذكراً لخالقه، صادقاً في أقواله، أميناً في أفعاله، محباً لإخوانه، مستطلعاً عن أحوالهم، معيناً لهم بما في وسعه بنفسه و ماله، معتقداً بأن المسلم أخو المسلم و أنّ لكلّ أخ على أخيه حقوقاً متقابلة متساوية و الأخوة من أوثق الوشائج بين أفراد الإنسان، و لذلك أسماهم كتاب الله إخوه، كما قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» ١.

الإنسان عند الشيعة يرجع بجميع ألوانه و أنسابه إلى أصل واحد لا فضل لفرد على آخر بلون أو نسب أو جنس إلّا بالتقوى و الإيمان، و أنّ الناس جميعاً كأسنان المشط سواسية في ما لهم و ما عليهم.

و قد أفرد غير واحد من علماء الشيعة كتباً فيما يرجع إلى الوظائف الفردية و الاجتماعية و بحثوا في دقائق الحقوق صغیرها و كبيرها، و قد توسّعوا في التحقيق، فلم يدعوا في القوس منزعاً حتى حرّروا حقوق الحيوان على مقتنيه، حين لم يكن لهذه البحوث في الجوامع الغربية وزن و لا- قيمه، و قد احتذوا في ذلك حذو صاحب الرسالة صلى الله عليه و آله و سلم و أهل بيته عليهم السلام.

ص: ٢٥٢

يجب على كلِّ مسلم عند الشيعة أن يعوّل نفسه و عياله، و يسعى لتأمين قوته و لا يجوز له ترك السعى، نعم يجب عليه في سعيه مراعاة أصول الفضيله و الأخلاق و لا يجوز له الاسعاف و الرخص إلى كلِّ مظنه و لو كانت ساقطه، فإنّ شرف النفس فوق شرف الترفه في المعاش.

اتفقت الشيعة على أنّ المسكرات و لحم الخنزير و الميسر و الربا و كلِّ ما يمسُّ بكرامه الإنسان حرام إلّا أنّ المحرّمات غير منحصره فيما مرّ.

المواساه و التعاون من أهمّ الأصول الاجتماعيه لدى الشيعة، إذ بالتعاون يقوم صرح الاجتماع، و قد ندب إليه الإسلام لما قال صلى الله عليه و آله و سلم: «من أصبح و لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس بمسلم».

إنّ الشيعة كسائر الفرق الإسلاميه يجعلون للإنسان و كلِّ ما يمت إليه وزناً و قيمه و بالأخص لدمه، فمن قتل نفساً أو سفك دمماً أو جرح إنساناً، فقد جعل الله لوليه سلطاناً إمّا أن يقتصّ منه أو يأخذ اليه المقرّره.

و يهتم المذهب الشيعي بفرض نظم خاصّه بالنسبه إلى الأدب البيتي و العائليّ فقد فرض على الرجل المسلم القيام بتربيته أولاده و تهذيبهم و أوصى المسلمين بمواصله الأقارب و الأرحام سواء القريب منهم أو البعيد، و عدّ تجافى القريب عن قريبه من قطع الرحم و الانحراف عن الجاده المنشوده للإسلام، كما ركّز على حقوق الجار و آداب الجوار و توثيق الصله بين أفراد المجتمع بالدعوه للألفه و الوثام.

اتفقت الشيعة و السنّه على أنّ الإسلام نهى عن الاسترسال في الشهوات، غير أنّه أباح لكلِّ مسلم أن يتزوَّج بأكثر من واحده «مثنى و ثلاث و رباع» لكن

مشروطاً بشروط كثيره لا يتسنى لكل إنسان تحمّلها.

و تتصوّر الدواعى الدافعه للإنسان إلى تعدّد الزوجات فى عدّه أمور، فربّما يكون الرجل شبقاً فلا تقوم الزوجه الواحده بحاجته، أو تكون الزوجه خامده الشهوه، أو تكون ناحله الجسم، أو تكون عقيماً، إلى غير ذلك من العوامل الدافعه إلى تعدّد الزوجات.

و لا- نزال نلمس من الغربيين روح استنكار للشرقيين فى تزوّجهم لأ-كثّر من زوجه واحدّه ظناً منهم أنّ ذلك إرخاص لحقوق المرأه فى حين أنّ الواقع خلافه.

فالمسلم لثقتّه بنفسه فى إقامه العدل و المساواه يقدم على التزوّج بأكثر من واحدّه، على أنّ الروابط المشروعه لا تقاس بالسفاح و مطارده النساء كما تلوح على الجيل المائع فى عصرنا الحاضر.

اتفقت الشيعه على أنّه يلزم على كلّ مسلم أن يساهم مع سائر الأممه فى المسائل الاجتماعيه و السياسيه فإنّ الإسلام ليس دين رهبانيه.

ص: ٢٥٤

إنّ الذي أكّد عزمي على الكتابه في هذا الموضوع، ما وقفتُ عليه في كلام المستشرق «آدم متز» مؤلف كتاب «الحضاره الإسلاميه في القرن الرابع» (1)، وقد خصّ الفصل الخامس من كتابه بالشيعة، و لم يكن عنده من كتبهم إلّا مخطوط علل الشرائع للصدوق (٣٠٦ - ٣٨١هـ) و قد عثر عليه في مكتبه برلين، و لم يذكر في هذا الفصل شيئاً مهماً عن هذه الطائفة سوى المعارضاتِ و الفتنِ التي دارت بين السنّه و الشيعة في القرن الثالث و الرابع في عاصمه الخلافه «بغداد» و غيرها، و قد جمع تلك المعارضات بجد و حماس، و كأنّه يريد أن يلخص الشيعة في إثارة الفتنة و الفساد، كأنّهم لم يلعبوا دوراً كبيراً في الدين و الأدب، و لم يشاركوا المسلمين في بناء الحضاره الإسلاميه، و إن أشار في ثنايا كتابه إلى بعض الشخصيات اللامعه منهم كنصير الدين الطوسي، وليته يقتنع في ترسيم تلك الطائفة بما ذكر، و لم يتّهمهم بكونهم تبعاً للمعتزله في الأصول و الآراء، و أنّه لم يكن لهم في القرن الرابع مذهب كلامي مدوّن، و إليك نصّ كلامه:

ص: ٢٥٥

١ - ١). نقله إلى العرييه محمد عبد الهادي أبو ريده، و له طبعات، منها الطبعة الثالثه التي نقل منها، و حاول المؤلف أن يسجّل حضاره الإسلام في القرنين الثالث و الرابع مع العناية الخاصه بالقرن الرابع ليكون كتابه مقابلاً و مشابهاً لما كتب عن حضاره عصر النهضه في اوربا، (لاحظ مقدمه المترجم، ص ١).

«إنَّ الشيعة هم ورثه المعتزله، ولا بدَّ أن تكون قَله اعتداد المعتزله بالأخبار المأثوره ممَّا لائم أغراض الشيعة، و لم يكن للشيعة في القرن الرابع (٣٠٠-٤٠٠) مذهب كلاميَّ خاصَّ بهم، فتجد مثلاً أنَّ عضد الدوله (المتوفى ٣٧٢هـ) و هو من الأمراء المتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزله، و لم يكن هناك مذهب شيعي للفاطميين، و يصرح المقدسيَّ بأنهم يوافقون المعتزله في أكثر الأصول، و على العكس من هذا نجد الشيعة الزيديه يرتقون بسند مذهب المعتزله حتى ينتهي إلى علي بن أبي طالب «رضى الله عنه»، و يقولون: إنَّ واصلاً أخذ عن محمّد بن علي ابن أبي طالب، و أنَّ محمّداً أخذ عن أبيه، و الزيديه، يوافقون المعتزله في أصولهم إلما في مسأله الإمامه، و يدلُّ على العلاقه الوثيقه بين المعتزله و الشيعة أنَّ الخليفه القادر جمع بينهما حينما نهى في عام (٤٠٨) عن الكلام و المناظره في الاعتزال و الرفض (مذهب الشيعة)، و المقالات المخالفه للإسلام. ثمَّ إنَّ الطريقه التي سار عليها ابن بابويه القميَّ أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري في كتابه المسمي بكتاب «العلل» تذكّرنا بطريقه علماء المعتزله الذين يبحثون عن علل كلِّ شيء. (١)

إنَّ في كلام الأستاذ موارد للتأمل و النقاش:

١. اتّهام الشيعة بقله الاعتداد بالأخبار المأثوره كقله اعتداد المعتزله بها.

يلاحظ عليه: أنَّ الشيعة أوّل من اهتمّ بتدوين الحديث و دراسته و نقله حينما كانت كتابه الحديث ممنوعه و نقلها أمراً مكروهاً يعرف ذلك من درس تاريخ الحديث عند الشيعة، و لهم في كلِّ قرن من القرون الأربعة- التي يكتب هو عن القرن الأخير منها- محدّثون كبار، منهم: الشيخ الصدوق الذي وقف على كتابه

ص: ٢٥٦

١- (١). آدم متر: الحضاره الإسلاميه في القرن الرابع الهجري: ١٠٧، ١٠٦/١.

«علل الشرائع»، فقد أُلّف عشرات الكتب و الرسائل في الحديث (١)، وقد أُلّفَت الشيعة في عصر الإمام علي عليه السلام إلى عصر الإمام العسكري عليه السلام (المتوفى ٢٦٠هـ) في حقل الحديث ما يتجاوز الأُلُوف يقف عليها من سبر الكتب الرجاليه (٢)، و بما أنّ الموضوع واضح جداً لا نطيل الكلام فيه.

٢. إنّ عضد الدوله و هو من الأمراء المتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزله.

يلاحظ عليه: أنّه لم يكن للمعتزله آنذاك مذهب فقهي حتى يعمل على وفقه أمير الشيعة في عصره، و الاعتزال مذهب كلامي لا مذهب فقهي. فلا صله له بالعمل، و تفسيره بالاعتقاد بمذهب المعتزله يناقض كونه من المتشيعين، لأنّ الطائفتين تفترقان في مسأله الإمامه افتراقاً واضحاً، و تخصيصه بالاعتقاد بسائر الأصول غير الإمامه كما ترى.

٣. إنّ الزيديه يرتقون بسند مذهب المعتزله إلى علي بن أبي طالب، و يقولون: إنّ واصلاً أخذ عن محمد بن الحنفية.

يلاحظ عليه: أنّ واصلاً ولد عام ٥٨٠هـ، أو بعده بقليل - و تُوفّي محمد بن الحنفية ذلك العام أو بعده بسنه، فكيف يصح له أن يأخذ عنه واصل بن عطاء؟! و الصحيح أن يقول: إنّ واصلاً أخذ عن أبي هاشم: عبد الله بن محمد ابن الحنفية و هو عن أبيه محمد، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام. (٣)

ص: ٢٥٧

١- ١. رجال النجاشي: ٣٢٥/٢ برقم ١٠٦٦.

٢- ٢. راجع الوسائل: ٤٩/٢، الفائدة الرابعه.

٣- ٣. لاحظ ذكر المعتزله للبلخي ٦٨، طبقات المعتزله للقاضي عبد الجبار: ٢٣٤، و [١] طبقات المعتزله [٢] لابن المرتضى في ما نقله عن الحاكم، و أمّا ما ذكره هو نفسه أولاً فقد تخبط فيه كتخبط ذلك المستشرق، قال الحاكم: إنّ واصلاً و عمرو بن عبيد أخذا عن عبد الله بن محمد، و عبد الله أخذه عن أبيه محمد ابن علي ابن الحنفية، و محمد أخذه عن أبيه علي عليه السلام و علي أخذ عنه صلى الله عليه و آله و سلم.

٤. إنَّ الخليفة القادر منع الطائفتين عن الكلام عام ٤٠٨هـ.

يلاحظ عليه: أنَّ الشيعة و المعتزله يتوافقان في التمسك بالعقل و تحليل العقائد عن طريق الدليل العلمى، و يخالفون الحنابلة و الأشاعره بالجمود على ظواهر النصوص، و كانوا يناظرون القشريين، و لأجل ذلك منعهما الخليفة عن الكلام و الجدل، و هذا لا يكون دليلاً على اتّفاقهما فى جميع الأصول سوى الإمامه، بل الجامع بينهما هو التعويل على العقل فى مجال العقيدة.

٥. إنَّ الطريقة التى سار عليها ابن بابويه القمى فى كتابه «العلل» تذكّرنا بطريقة علماء المعتزله.

يلاحظ عليه: أنَّ المؤلّف وقف على كتاب الصدوق و قوفاً عابراً. فإنَّ الصدوق جمع فيه الأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و آله حول علل الأحكام و مصالحها الواردة عن طريق الشرع، و أين ذلك من صيغ المعتزله الذين قاموا بتحليل الأصول الاعتقادية عن طريق العقل و حكموه فيما لا مجال فيه؟ و لأجل ذلك عادوا إلى تأويل كثير من ظواهر الكتاب و السنّه التى لا تلائم عقائدهم و أصولهم.

و على أية حال، فلنعد إلى كلامه الذى لأجله عقدنا هذا المقال و هو: «إنَّ الشيعة ورثه المعتزله و إنّه لم يكن للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاص بهم».

و قد اغترّ بكلامه هذا بعض من تأخّر عنه من الكتاب، كأحمد أمين المصرى فى «فجر الإسلام» و غيره و هو الذى وقف على كتاب «الحضاره الإسلاميه» باللغه الألمانيه، و اختار هذا الكتاب للترجمه و شجّع محمّد عبد الهادى أبو ريده على ترجمته. (١)

ص: ٢٥٨

(١ - ١). لاحظ مقدّمه المترجم.

ففى هذا المقال نعالج المواضيع التالىة:

١. المنهج الصحيح فى تفسير المعارف القرآنية.

٢. علم الكلام و عوامل نشأته الداخلىة و الخارجىة.

٣. بدايات المسائل الكلامية فى القرنين الأول و الثانى.

٤. الدفاع عن العقيدة و الشريعة، و فهرس أسماء متكلمي الشيعة فى القرون الأربعة.

٥. الجدل المستمر بين الشيعة و المعتزلة.

٦. الفوارق الفكرية بين الشيعة و المعتزلة.

فيقع الكلام فى فصول ستة:

ص: ٢٥٩

إشاره

يتميز الإنسان عن كل ذي روح و شعور، بقوة التفكير و التعقل، و الجوهره الفريده التي بها يهتدى في ظلمات الحياه. فتنظيم المقدمات البديهيه لغايه الاهتداء إلى حلّ المجاهيل من خصائصه و ميزاته، فلو كرمه ربّه، و حمله في البر و البحر و فضّله على كثير ممّن خلق (١)، فإنّما هو بفضل تلك القوه التي لها الرئاسة التامه على سائر القوى الجزئيه الكامنه فيه.

إنّ الإنسان مهما أسفّ إلى الأمور الدنيه، فلا- يستطيع إخلاء نفسه عن التعقل و الاستدلال حتى أنّ الطغمه المنكره للبرهنه، و الداعيه إلى الاقتصار على الحسّ و تجربه، تراهم يبرهنون على ذلك بالدليل و بالتالي يبطلون الاستدلال بالاستدلال. و هذا يعرب عن أنّ التفكير و حلّ المجهولات في ظلّ المعلومات من الأمور الفطريه التي لا تنفكّ عن الإنسان في حياته أبداً و إن تظاهر برفض القيم العقليه، و الاقتصار في الحياه العلميه على مجال الحواس.

ص: ٢٦٠

١- ١). اقتباس من قوله سبحانه: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ [١] رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» (الإسراء ٧٠). [٢]

جاء القرآن يدعو الإنسان إلى التفكير والاستدلال المنطقي، ويصدّه عن تقليد الآباء و يحزّر عقله عن الأغلال التي خلّفتها له الأجيال الغابرة حتى يكون على بصيره في حياته و أمر دينه و أخراه، و نسمع هتافه و صراخه و دويّه في آيات كثيرة نقتصر منها على ما يلي:

قال سبحانه: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» ١ .

و قال عزّ و جلّ: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ٢ ، فإذا كان الشكر هو صرف النعمه في موضعها، فشكر السمع و البصر هو إدراك المسموعات و المبصرات بهما. و شكر الفؤاد، درك المعقولات غير المشهوده الخارجه عن إطار الحسّ به، فمن فتح عينه على الكون الفسيح و تدبّر أسراره و دقائقه فقد شكره، و من أقفل عقله و فؤاده، فقد كفر بنعمته. فلوح نفس كلّ إنسان يوم خلقت، خالٍ عن كلّ علم و إدراك، ثمّ تنتقش فيها الأشياء و المعلومات شيئاً فشيئاً عن طريق الحسّ و العقل.

و قال سبحانه حاكياً عن المشركين: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّهٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ* قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ» . (١)

و هذا ديدنه في غير واحد من الآيات، اكتفينا بما ذكر، روماً للاختصار.

ص: ٢٤١

إنَّ القرآنَ يخاطبُ العقلَ و يدعوه إلى التأمُّلِ و التفكيرِ، و يخاطبُ القلبَ و الضميرَ و يدعوه إلى التدبُّرِ في ما حوله من الأدلِّه الناطقه، و لأجل ذلك ترى أنَّ يستعملُ مادَّه العقلَ بصورٍ مختلفه «٤٧» مرَّه، و التفكيرَ كذلك «١٨» مرَّه، و اللبَّ «١٦» مرَّه، و التدبُّرَ «٨» مرات، و النهى مرتين، و بذلك يرفع الإنسانَ من حضيضِ الجهلِ إلى أوجِ العلمِ و المعرفه.

إنَّ القرآنَ لم يقتصر على الدعوهِ إلى التفكيرِ و البرهنه بل طبَّقها في غير واحد من مجالات العقيدهِ و التشريع، فأثبت مقاصدَه بناصح بيانه، و ساطع برهانه تأتي بنموذجين منها.

الأوَّل: قال سبحانه: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ* أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ* نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ* وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ* أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ* إِنَّا لَمُعَزِمُونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ* أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ* أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ». (١)

فاللَّه سبحانه يذكر في هذه الآيات شواهد ربيَّته، و أنَّه هو الخالق و المدبِّر، و لا خالق و لا مدبِّر سواه، و أنَّ من يزعم أنَّ هناك خالقاً أو مدبِّراً غيره، فقد قصر فهمه أو قصر في تفكيره.

فما أروع بيانه و أتقن برهانه، يذكر فيها أمر الخلق و الزرع و الماء و النار و يذكر دور الإنسان فيها، فأمره في الأوَّل، لا يزيد على أن يودع الرجل ما يمْنى، رحمَ امرأه ثمَّ ينقطع عمله و عملها، فالعقل يحكم بأنَّ هناك قدره غيبه تأخذ في

ص: ٢٤٢

العمل، تعمل في هذا الماء المهيّن، في تنميته و بناء هيكله و نفخ الروح فيه.

و أمره في الثاني لا- يزيد على الحرث و إلقاء الحَبّ و البذر الذي هو من صنعه سبحانه ثم ينتهي دوره فلا محيص عن وجود قدره تحميه تحت التراب و الطين و تجعله سنبلاً أو سنابل فيها حَبّات كثيره.

و أمّا الماء فليس للإنسان فيه أى دور لكنّه أصل الحياه و عنصرها، لا تقوم إلّا به، فمن الذى خلقه و أنزله من المزن و أسكنه في الأرض، و مثله النار فليس له فيها شأن سوى أنّه يوقدها، و لكن من الذى خلق و قودها و انشأ شجرها الذى توقد.

فقد عرض الذكر الحكيم هذه الأمور لغايه الاهتداء بها إلى الحقيقه التى تنتهى إليها كافه الحقائق و التى ينحصر بها التأثير فى هذه الظواهر الكونيه و لأجل ذلك ختم الآيات بقوله:

«فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» .

فكأنّ عالم الكون عُمَله لها و جهان: صورته حسّيّه لامعه تخدع البسطاء الذين يقفون عليها و لا يتجاوزون عنها إلى غيرها، و صورته غيبية التى هى روحها و بها قوامها، و هى التى خلقها و اتقنها، «صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ» . (١)

الثانى: قال سبحانه: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِلَا يُوقِنُونَ» . (٢) فلو فسرنا «الشىء» فى الآيه بالسبب و العله فالجزء الأوّل من الآيه يشير إلى برهان الإمكان الذى يقوم على لزوم سبب موجب

ص: ٢٦٣

١- (١). النمل: ٨٨. [١]

٢- (٢). الطور: ٣٥-٣٦. [٢]

لخروج الشيء من العدم إلى الوجود، و الجزء الثاني منها يشير إلى بطلان كونهم خالقين أنفسهم، الذي يستقل العقل ببطلانه قبل أن يستقل بطلان الدور اللازم عليه.

و من سبر هذه الآيات و تدبر فيها يقف على مدى صحه قوله سبحانه: «سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ». (١)

فيتخلص لنا من عرض هذه الآيات، أن القرآن، يحث على المعرفة من طريق الحسّ و العقل، و يدعو إلى استغلالهما في مجاليهما، فالإقتصار على الحسّ، بخس و خسران، كما أن الاكتفاء بالعقل و إلغاء الحسّ، مغالاه في حقّ العقل. فاليمين و الشمال مضلّه، و الطريق الوسطى هي الجاده (٢). فيستهدى إلى ما في القرآن من العلوم و المعارف القرآنيه الباحثه عن ذاته سبحانه و أسمائه و صفاته و أفعاله، بالحسّ و العقل، فهما جناحا الإنسان في سماء العلم و المعرفة و مجال التدبر و التفكير قال سبحانه: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ». (٣)

المعارف القرآنيه بين التعطيل و التشبيه

إنّ هناك من حبسوا أنفسهم في اطار الماده و الماديات و جدران الزمان و المكان فتجدهم لا يأنسون بالمعارف العقليه إلّا عن طريق التشبيه و المحاكات، فصعب عليهم فهم المعارف القرآنيه، و عسر عليهم تصوّر أنّ في صحيفه الوجود

ص: ٢٦٤

١-١. فصلت: ٥٣. [١]

٢-٢. لاحظ نهج البلاغه: الخطبه ١٦. [٢]

٣-٣. ص: ٢٩.

موجوداً ليس له جسم ولا وجه ولا مكان، ولا يحويه زمان ولا مكان، ولا يوصف بالكيف والكم، وما هذا إلا لأنهم أساءوا
الماده والجسمانية، فوقعوا فريسه لمخالب التجسيم، وتورطوا في مخاطر التشبيه، فصاروا من المشبهه والمجسمه لا يتورعون عن
وصفه سبحانه بكل ما توحى إليهم القوه الخياليه الأسيره لعالم الحس والماده، فأثبتوا لله سبحانه يداً ورجلاً و عيناً وغير ذلك
مما جاء في الذكر الحكيم، وفسدروها بالمعاني الافراديه الملازمه للتجسيم، وكانهم لم يسمعا قول الله سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ
شَيْءٌ» ١، أو لم يسمعا قول الله سبحانه: «مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ». (١)

و في مقابل هؤلاء، المعطله (٢)، وهم وإن تورعوا عن التجسيم والتشبيه ولكنهم عطّلوا العقول عن المعارف بحجّه أنّ البشر
أعطى العقل لإقامه العبوديه لا لإدراك الربوبيه، فمن شغل ما أعطى لإقامه العبوديه بإدراك الربوبيه فاتته العبوديه ولم يدرك
الربوبيه. (٣)

و كأنّ القائل يفشّر العبوديه بالقيام والقعود، والإمساك والصيام التي هي من واجبات الأعضاء، وغفل عن أنّ لها ركناً آخر
يرجع إلى العقل واللبّ، فتعطيل العقول عن معرفه المعبود، بالمقدار المستطاع تعطيل لإقامه العبوديه أو لجزئها، فلو اقتصر الإنسان
في إقامه العبوديه على الجزء الأوّل من دون إدراك ما للمعبود من صفات الجمال والجلال، لكانت عبوديته كعبوديه الحيوان و
النبات والجماد، بل تكون أنزل منها. قال سبحانه: «وَإِنَّ مِنْ الْجِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا

ص: ٢٤٥

١- ٢). الحج: ٧٤. [١]

٢- ٣). المعطله في مصطلح الأشاعره هم المعتزله لتعطيلهم الذات عن التوصيف بالصفات. و المقصود في المقام غير هؤلاء بل
الذين عطّلوا العقول عن معرفه على النحو الذي جاء في المتن.

٣- ٤). رضا نعتان: علاقه الإثبات و التفويض: ٣٣، نقلاً عن الحجّه في بيان المحجّه.

لَمَا يَشَقُّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» . (١)

فالحجر يستشعر بعظمته سبحانه حسب قابليته، و لكن الإنسان تُفرض عليه تلاوه كتاب الله سبحانه ثم السكوت عليه.

قد ورد في الذكر الحكيم مسائل، لا يحيط بها الحسّ، و لا تقع في إطار الطبيعه، و ليست الغايه من طرحها، هو التلاوه و السكوت حتى تصبح تلاوه الآيات لقلقه لسان، لا تخرج عن تراقي القارئ بدل أن تتسرب إلى صميم الذهن و أعماق الروح.

و إن كنت في ريب من وجودها، فلاحظ الآيات التاليه:

١. «فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» . (٢)

٢. «هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» . (٣)

٣. «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ» . (٤)

٤. «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» . (٥)

٥. «مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ» . (٦)

ص: ٢٤٤

١-١ . البقره: ٧٤. [١]

٢-٢ . البقره: ١١٥. [٢]

٣-٣ . الحديد: ٣. [٣]

٤-٤ . الحديد: ٤. [٤]

٥-٥ . الحشر: ٢٣. [٥]

٦-٦ . المؤمنون: ٩١. [٦]

٦. «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» . (١)

إلى غير ذلك من الآيات الواردة حول ذاته و صفاته و أفعاله، التي هي من أمهات المعارف القرآنية.

فلرواد العلم و المعرفة التدبّر و التفكير فيها من خلال الاستعانة بالقضايا البديهية و النظرية المعتبره و التدبّر في الآيات الواردة في هذا الشأن، و بما أنّ المقدمات بديهيه الصدق أو قطعيه لدى العقل، و الآيات الواردة حول موضوع واحد خاليه عن التناقض و الاختلاف، تكون النتيجة أمراً قطعياً و حجّه بين الإنسان و ربّه.

إنّ تعطيل العقول عن التدبّر فيها إسدال الستار على المعارف القرآنيه، و خساره عظمى للعلم و أهله، و عدم خوض السلف من الصحابه و التابعين، لا يكون دليلاً على حرمة الخوض، و ليس السلف قدوه في التروك لو سلّمنا كونهم قدوه في الأفعال، كما ليس الخلف بأقل منهم في صحّه الاقتداء.

القول الحاسم في المقام

إنّ هؤلاء أى الذين يحزّمون الخوض في المعارف العقلية، و يقولون: إنّ واجبنا هو الإيمان و الإقرار أو التلاوه و السكوت، خلطوا مرحله الإيمان القلبي المطلوب من جميع الناس، بمرحله الفهم و النظر العقلي الذي لا يقوم به إلّا الأماثل من الناس، و صاحب المواهب و المؤهلات الفكرية الخاصه، و ما ذكره راجع إلى المرحله الأولى فإنّ الإيمان المنقذ من الضلال و العذاب، هو الاعتقاد بصحّه ما جاء في الكتاب العزيز حول أسمائه و صفاته و أفعاله، حتى في مجالات

ص: ٢٤٧

الصفات الخبرية من اليد و الوجه و العين و الاستواء على العرش، و بما أنّ الأكثرية الساحقه لا يستطيعون فهم ما فيها من الدقائق و المعارف و ربما يكون الخوض منتهياً إلى ما لا يحمد، كفى لهم الإيمان و الإقرار و الإمرار و السكوت، و ما نقل عن الإمام مالك (المتوفى ١٧٩هـ): إياكم و البدع، قيل: يا أبا عبد الله ما البدع؟ قال: أصحاب البدع هم الذين يتكلمون فى أسمائه و صفاته و كلامه و علمه و قدرته، و لا- يسكتون عمّا سكت عنه الصحابه و التابعون لهم بإحسان (١). لعلّه ناظر إلى هذه الطائفة الذين لو خاضوا فيها، فسدوا و أفسدوا، و لم يأتوا بشيء.

و أمّا إذا انتقل إلى المرحله الثانيه أى مرحله الفهم و الدرايه و البحث و النظر و صياغه العقائد فى ضوء الكتاب و السنّه و العقل، فلا يصحّ له الاكتفاء بالإقرار و الإمرار، فإنّ الاستطلاع أمر طبيعى للبشر، و هو أحد الأبعاد الأربعة الروحيه له، فلا يمكن كبح جماح فهمه و نظره بحجّه أنّ الصحابه و التابعين سكتوا عنه، و كأنّ السلف هم القدوه دون الذكر الحكيم، و دون النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عترته الذين تكلموا فيها، و أضاءوا الطريق لسالكيه، و كأنّ قوه التفكير و النظر و المواهب العقلية المودعه فى الإنسان خلقت سدىً و بلا غايه.

و هل يمكن أن يفرض على عمالقه الفكر و أصحاب المواهب العقلية أن يقفوا دون هذه المعارف و يُطفئوا نور عقلمهم و فى التالى يكونوا كأجلاف البيداء لا همّ لهم سوى الأكل و الشرب و السير طلباً للماء و العشب؟!

و على هذا فيجب تصنيف الناس على صنفين؛ قابل و غير قابل، مستعدّ و غير مستعدّ، فلو صحّ الحرمان فإنّما للسوقه من الناس دون من أوتى تفكيراً قوياً و استعداداً وقّاداً.

ص: ٢٤٨

١ - ١). الدكتور أحمد محمود صبحى، فى علم الكلام: ٢١/١ نقلاً عن تمهيد لتاريخ الفلسفه الإسلاميه، لمصطفى عبد الرزاق: ١٥٥، طبعه ١٩٤٤م.

ثم إنه كما يجب تصنيف الناس يجب تصنيف المسائل بين ما يمكن للإنسان الخوض فيه و الرجوع بفكر صحيح، و ما لا يمكن للإنسان دركه و فهمه، فإنّ البحث عن ذاته سبحانه أمر غير ممكن إذ ليس كمثل شىء حتى يعرف الذات به، و لأجل ذلك ورد النهى الأكيد عن البحث و الجدل فى ذاته، و مثله البحث عن حقيقه الوحي و النبوه، أو عن حقيقه الجنه و النار، إلى غير ذلك من الأمور الغيبية التى لا- يلمسها و لا- يدركها إلّا نبي يوحى إليه أو إنسان خرج من الدنيا و دخل الآخرة و الواجب فيها الإيمان فقط، قال سبحانه: «الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ» ١. فإنّ الإنسان المحبوس فى سجن المادة، لا- يمكن له درك حقيقتها، و إن كان له البحث عن آثار الوحي و النبوه و خصائصهما.

ثم إنه لا محيص للمانعين عن الخوض فى المعارف القرآنية بل العقلية على الإطلاق، عن سلوك أحد طريقين:

١. التلاوه و السكوت و الإمرار و الإقرار و تفويض معانيها إلى مُنزلها.

٢. الأخذ بظواهر الآيات الحرفية و تفسيرها بظواهرها الحرفية.

أمّا الأوّل فينتهى إلى تعطيل العقول عن المعارف و بالتالى يتنزّل الإنسان إلى حدّ الحيوان و يكون وظيفه الحكيم العارف المقتدر على درك دقائق التوحيد و رقائقتها نفس وظيفه الجاهل البائل على عقبه، فى مجال العقيدة و التفكير، و هو كما ترى.

و أمّا الثانى فهو ينتهى إلى التشبيه و التجسيم، و أقصى ما عند هؤلاء الذين يأخذون بالظواهر الحرفية هو ضمّ كلمه «بلا كيف و لا تمثيل» إلى مفاد هذه الآيات، فيقولون: إنّ لله يداً و رجلاً و عيناً و استواءً على العرش بنفس المعنى اللغوى، و لكن بلا كيف و لا تمثيل.

يلاحظ عليه أولاً: أنه لم ترد تلك الجملة في نص قرآني ولا سننه نبويه، فمن أين لهم هذه الجملة و تفسير الآيات على ضوءها، أ ليس الواجب هو تعطيل الفهم، و الجمود على ما ورد في النصوص؟ و المفروض أنه لم يرد فيها هذه الجملة.

و ثانياً: أن اليد و أضرابها موضوعه حسب اللغة للأعضاء المحسوسة، التي لها هيئات و مواصفات و هي مقوماتها، فإجراؤها على الله سبحانه مع حفظ المقومات، يستلزم التشبيه و التمثيل، و مع عدمها، يستلزم التأويل، فاليد في «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ١ إما مستعمله في اليد المحسوسة فهو مثار التشبيه، و إما في غيرها فهو مثار التأويل الذي يفرون منه فرار المزكوم من المسك.

و هذه المضاعفات ناشئة عن الجمود على الظواهر الحرفية و الأخذ بالظهور التصوري، دون الظهور التصديقي الذي لا يخالف العقل قيد شعره في آيه من الآيات.

إن الدعوه السلفيه التي أحدثت ضجه هذه الأيام قد طرحت الصفات الخبريه على صعيد البحث في الآونه الأخيره، و تصرّ على الأخذ بمعانيها الحرفيه، و قد عرفت أنها تنتهي إلى التجسيم أو التأويل.

و من المؤسف جداً إن أكثر السلفيين كانوا يصرون على الأخذ بحرفيه الصفات، و إليك بعض نصوصهم:

١. قيل لعبد الله بن مبارك: كيف يعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق السماء السابعة و على العرش بائن من خلقه.

٢. و قال الأوزاعي: إن الله على عرشه، و نؤمن بما وردت به السنه من صفاته.

٣. وقال الدارمي في مقدمه كتابه «الرد على الجهميه» استوى على عرشه فيان من خلقه.

٤. وقال القرطبي في تفسير قوله سبحانه: «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» ١ و قد كان السلف لا يقولون بنفى الجهمه و لا ينطقون بذلك بل نطقوا هم، والكافه بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه و أخبرت رسله و لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقه. (١)

«ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى». (٢)

شبهات عقيمه

إن للمانعين عن الخوض في المسائل العقلية شبهات طرحوها أمام السالكين، نذكرها مع التحليل:

١. إذا كان الإنسان قادراً على فهم المسائل، فما معنى قوله سبحانه: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» ٤. و قوله سبحانه: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ». (٣)

٢. إن البحث و الحوار في المسائل الغيبية يورث الشقاق و التخاصم بين

ص: ٢٧١

١-٢. لاحظ في الوقوف على مصادر هذه الأقوال كتاب «علاقه الإثبات و التفويض»: ١١٥، ٤٨، ٤١، ٤٨.

٢-٣. النجم: ٣٠. [١]

٣-٥. آل عمران: ٧. [٢]

المسلمين، قال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» . (١)

و الإجابة عن هذه الشبه واضحة، أما الآية الأولى فَإِنَّ الإنسان مهما بلغ من العلم فعلمه بالنسبه إلى الأسرار الكامنه فى صحيفه الكون و الوجود، ضئيل جداً، فأين عقله المحدود من العالم اللامحدود ؟ فَإِنَّ نسبه ما يعلمه إلى ما لا يعلمه كنسبه الذره إلى المجرّه، فهو لم يعرج من سلم العلم و المعرفة إلّا درجات معدوده لا يعتدّ بها.

و أما الآية الناهيه عن اتّباع المتشابه: فهي على عكس المقصود أدلّ، فَإِنَّ الأخذ بحرفيه الظواهر فيما يرجع إلى الله سبحانه و صفاته و أفعاله اتّباع للمتشابه و إن لم يكن ابتغاءً لفتنه، بخلاف ما إذا قلنا بجواز الخوض فَإِنَّ الواجب عندئذٍ هو إرجاع المتشابهات إلى المحكمات و تفسيرها بها، لأنها أمّ الكتاب كما قال سبحانه: «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ» .

و أما الدليل الثانى؛ أعنى كون البحث عن المعارف القرآنيه مورثاً للشقاق فهو تجاهل بقيمه ذلك العلم، فَإِنَّ الذى يورث الشقاق هي العوامل النفسيه الكامنه فى ذات المجادل التى تصدّه عن اتّباع الحقّ فيلقى أشواكاً فى طريق الحقيقه. و لو سَلِمَتْ نفسه عن الأهواء لحسم الخلاف و انعدم الشقاق.

إِنَّ الجدل إذا انتهى إلى المراء فى الدين، يحرم بلا- إشكال، و لكن إذا كانت المجادله على أساس علمى، و دافع موضوعى، و قصد منها كشف المجاهيل فى ظلّ تلاقى الأفكار، فليس بحرام قطعاً، و عليها بنيت الحضاره العلميه فَإِنَّه من قبيل دراسه العلم و مذاكرته التى أمر بها الإسلام.

إِنَّ الله سبحانه، أمر نبيّه بالمجادله بالتي هي أحسن، و قال: «وَ جَادِلْهُمْ

ص: ٢٧٢

(١ - ١). الأنعام: ١٥٩. [١]

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» . (١)

و قال عزّ وجلّ: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» . (٢)

و قال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» . (٣)

و قد نقل سبحانه احتجاج إبراهيم على عبده الأجرام السماويه و الأصنام الأرضيه و قال: «وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيُكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا» - إلى أن قال: - «وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» . (٤) و قد تضمّنت تلك الآيات أروع البراهين و أتقن الأدلّه في إبطال ربوبيه الأجرام و الأصنام و حصرها في الله سبحانه. إلى غير ذلك من الحجج و الحوار الوارد في الذكر الحكيم.

إنّ «أهل السنّه» نسبوا إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، النهي عن الخوض في موضوعات عالم الغيب، و لكنّه يعارض سيره النبي صلى الله عليه و آله و سلم و جداله مع الوثنيين و الأجرار و الرهبان بوحي من الله سبحانه، و يكفي في ذلك دراسه الآيات الوارده في ذلك المجال، و قد جمعنا احتجاجات النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حواراه مع المشركين و أهل الكتاب في موسوعتنا «مفاهيم القرآن» (٥) و هي مبثوثة في السور القرآنيه.

ص: ٢٧٣

[١ - ١] . النحل: ١٢٥ . [١]

[٢ - ٢] . العنكبوت: ٤٦ . [٢]

[٣ - ٣] . البقره: ٢٥٨ . [٣]

[٤ - ٤] . الأنعام ٧٥ - ٨٣ . [٤]

[٥ - ٥] . جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن: الجزء السابع.

و حصيله البحث؛ أنّ النهى عن الخوض فى المعارف الإلهيه التى للعقل فيها مجال النظر، تجميد للعلم و المعرفة، و إيقاف للركب الحضارى عن المسير فى طريق التكامل الفكرى، و إنّ الصراع العلمى إذا كان بدافع كشف الحقيقه فهو من أدوات المعرفة، و عليه جرت سيره العلماء المحققين.

و إذا أردت أن تلمس ذلك بوضوح قارن بين ما يدرسه السلفيون فى مجال العقائد فى عصرنا هذا، مع ما كتبه الشيخ الرئيس فى الشفاء، أو المحقق الطوسى فى التجريد ترى البساطه و السذاجه فى الأول، و العمق و التحقيق فى الآخرين.

إنّ كتب العقائد عند السلفيه لا- تتجاوز عن نقول عن ذلك الصحابى، و هذا التابعى، بلا تحليل و مثل هذه لا تفيد إلّا للطبقه الساذجه المثقفون الجامعيون الذين يريدون تحليل العقائد و تبينها على أسس منطقيه فلا تفيدهم تلك الكتب أصلاً لو لم نقل أنّها تنفّرهم عن الإسلام.

و لو كان ما ذكره صحيحاً، لعَمّ البلاء جميع الشرائع السماويه، فإنّ نزول شريعته تلو الأخرى، أورث ذلك الخلاف و الجدل.

زَلَهُ لَا نَسْتَقَال

إلى هنا تبين أنّ الخوض فى المسائل العقلية لمن له أهليه أمر معقول و كمال للنفس و عمل بالقرآن.

ثمّ إنّ بعض رواد التفكير الحنبلى و السلفى زعم صحّه نهى الرسول و الصحابه عن الخوض فى موضوعات عالم الغيب و قال: و كان أحرى بالمتكلمين أن ينتهجوا نفس النهج إلّا أنّ الحقّ أن يقال: ما كان ذلك منهم عن زيغ فى القلوب أو ابتغاء فتنه و إنّما أكرهوا على ذلك إكراهاً و اضطرّوا إلى ذلك اضطراراً

يلاحظ عليه: أنّ الكتاب العزيز هو الذى فتح باب التفكير فى المعارف الإلهيه، فكيف يمكن للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم النهى عنه، و أين هذا النهى، و من نقله و أين يوجد؟ و أما الصحابه و التابعون لهم بإحسان كانوا على صنفين: فعلىّ عليه السلام و عترته و شيعته، فقد فتحوا أبواب المعارف فى وجوه المسلمين، و من سبر خطب الإمام علىّ عليه السلام و رسائله و كلمه القصار، أو رجع إلى أدعيه الإمام زين العابدين و الأحاديث المرويّه عن الصادقين يجد فيها كمّيّه هائله من البحوث القيمه حول المبدأ و المعاد، و أفعال العباد، و أمّا غيرهم فكانوا يمرون علىّ المعارف و يرون أنّ الفريضة تلاوتها و قراءتها لا الخوض فى معانيها و حقائقها، و عند ذلك فالاستدلال بسكوت قسم من السلف و إسدال الستار علىّ تكلم الآخريين خروج عن طور الانصاف.

ثمّ إذا كان خوض السابقين فى هاتيك المسائل من باب الاضطرار و الضروره المبيحه للمحظور، فقد ارتفع المسوّغ فى هذه الأيام بعد تأليف مئات الكتب فى الكلام و العقائد، فما هو المسوّغ لارتكاب المؤلف للمحظور، و مخالفه النهى الصريح عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؟!!! و التمرّد علىّ سيره السلف الصالح، بوضع كتاب فى علم الكلام فى عدّه أجزاء.

ص: ٢٧٥

إشاره

إنّ علم الكلام كسائر العلوم الإنسانيه، ظاهره علميه نشأت بين المسلمين في ظلّ أسباب سيوافيك بيانها، و لا يقتصر هذا العلم على المسلمين فحسب بل كانت للأمم السابقه مذاهب كلاميه و مدارس دينيه يُبحث فيها عن اللاهوت و الناسوت، و قد أُلّف غير واحد من علماء اليهود و النصارى كتباً كلاميه يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس و السادس. و أمّا عوامل نشأته بين المسلمين فتتلخّص في عامل داخلي و آخر خارجي، و إليك البيان:

١. القرآن هو المنطلق الأوّل لنشوء علم الكلام:

إنّ القرآن المجيد هو المنطلق الأوّل لنشوء علم الكلام و نضجه و ارتقائه عند المسلمين، و إليه يرجع كل متكلم إسلاميّ باحث عن المبدأ و أسمائه و صفاته و أفعاله، و قد تضمّن القرآن إشارات فلسفيه و عقليه قامت على أسسٍ منطقيه مذكوره في نفس الآيات أو معلومه من القرائن. فمن سبر القرآن الكريم فيما يرجع إلى التوحيد بأنواعه يجد الحجج الملزمه، و البيّنات المسلّمه التي لا تدع لباحث الشك فيها. كما أنّه أرفق الدعوه إلى المعاد و الحياه الأخرويه بالبراهين المشرقه، و الدلائل الواضحه التي لا تقبل الخدش.

إن القصص الواردة في القرآن الكريم تتضمن احتجاجات الأنبياء و صراعمهم الفكرى مع الوثنيين و المعاندين من أهل اللجاج،فهى ممّا يستند إليها المتكلم فى آرائه الكلاميه. كما تتضمن بحثاً فى الإنسان و أفعاله و مسيره و مصيره،و غير ذلك ممّا جعل القرآن الكريم المنطق الأول لنشأه علم الكلام فى الإسلام.

٢. السنه هى المنطق الثانى:

إن النبى صلى الله عليه و آله و سلم ناظر المشركين و أهل الكتاب بمرأى و مسمع من المسلمين،و هذه احتجاجاته مع نصارى نجران فى العام العاشر من الهجره،حتى أنه صلى الله عليه و آله و سلم بعد ما أفحمهم دعاهم إلى المباهله،و قد حفل التاريخ و كتب السير و التفسير بما دار بين الرسول و بطارقه نجران و قساوستهم،و قد استدلوا على ألوهية المسيح بقولهم:هل رأيت ولداً من غير ذكر؟ فأفحمهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بإيحاء من الله:إنّ مثل عيسى فى عالم الخلقه كمثل آدم،و قد خُلق من غير أبٍ و لا أمّ،فليس هو أبداع و لا أعجب منه (١).

إنّ النهى عن كتابه الحديث نجم عنه خساره فادحه أدت إلى ضياع الكثير من احتجاجات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و مناظراته مع المشركين و أهل الكتاب،فقد ذهبت كذهاب سائر خطبه،و لكن الشيعة اقتداءً بالعترة احتفظت بكثير من هذه المناظرات فى كتبهم الحديثيه،فمن سبرها يرى فيها بحثاً و مناظرات تصلح لأن تكون هى المنطق فى الصدر الأول لأهل الكلام من الشيعة و غيرهم (٢).

ص: ٢٧٧

١- ١). لاحظ تفسير قوله سبحانه: «إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثمّ قال له كن فيكون» (آل عمران ٥٩). [١]
٢- ٢). لاحظ احتجاجات النبى فى كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن على بن أبى طالب المعروف بالطبرسى المتوفى حدود عام (٥٥٥هـ).

٣. خطب الإمام على عليه السلام هي المنطلق الثالث:

إنَّ خطب الإمام و رسائله و كلمه القصار، التي حفظها التاريخ عن العصف و الضياع لأوضح دليل على أنَّ الإمام كان هو المؤسس للاصول الكلاميه خصوصاً فيما يرجع إلى التوحيد و العدل، و بين يديك نهج البلاغه الذي جمعه الشريف الرضى ممَّا وصل إليه من خطبه، تجد فيه من الأصول الكلاميه ما لا تجده في غيره، و إلى ذلك يشير السيد المرتضى في أماليه فيقول: «اعلم أنَّ أصول التوحيد و العدل مأخوذه من كلام أمير المؤمنين -صلوات الله عليه- و خطبه، فإنَّها تتضمَّن من ذلك ما لا زياده عليه و لا -غايه وراءه. و من تأمَّل المأثور في ذلك من كلامه، علم أنَّ جميع ما أسهب المتكلِّمون من بعد في تصنيفه و جمعه إنَّما هو تفصيل لتلك الجمل و شرح لتلك الأصول، و روى عن الأئمَّه من أبنائه عليهم السلام في ذلك ما لا يكاد يحاط به كثره، و من أحبَّ الوقوف عليه فطلبه من مظانِّه أصاب منه الكثير الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيه و لقاح للعقول العقيمه» (١).

و قال ابن أبي الحديد: «إنَّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف، و من كلامه عليه السلام اقتبس، و عنه نقل، و منه ابتدئ و إليه انتهى، فإنَّ المعتزله -الذين هم أصل التوحيد و العدل و أرباب النظر و منهم من تعلَّم الناس هذا الفن- تلامذته و أصحابه، لأنَّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمَّد بن الحنفية و أبو هاشم تلميذ أبيه و أبوه تلميذه، و أمَّا الأشعريه فإنَّهم ينتمون إلى أبي الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري و هو تلميذ أبي على الجبائي، و أبو

ص: ٢٧٨

على أحد مشايخ المعتزله فالأشعريه ينتهون بالآخره (١) إلى أستاذ المعتزله و معلّمهم، و هو على بن أبي طالب» (٢).

٤. العتره الطاهره و دورهم فى نشوء هذا العلم:

إشاره

إنّ العتره الطاهره و إن أقصيت عن القيادة الإسلاميه، إلّا أنّه أُتحت لهم الفرصه فى آخر عهد الأمويين و أوائل حكمه العباسيين، فى شرح المعارف و توضيح الحقائق و تربيه رواد الفكر، و ارشاد الحكيم إلى دلائل و براهين لا يقف عليها إلّا الأوحدى من الناس و التلميح إلى نكات عرفانيه، لا- يدركها إلّا العارف المتألّه. ففى أدعيه الإمام زين العابدين إشارات كلاميه و تلميحات عرفانيه، كما أنّ فى الأحاديث المرويّه عن الصادقين و الكاظمين كمّيه هائله من البحوث الكلاميه، و المناظرات العلميه التى أدّت إلى نضوج علم الكلام الإسلامى بوجه واضح، و ها نحن نذكر احتجاجين قصيرين للإمامين الصادق و الرضا عليهما السلام ليكونا نموذجين لما لم نذكره:

مناظره الإمام الصادق عليه السلام مع أحد القدرية:

روى العياشى: أنّه طلب عبد الملك بن مروان من عامله بالمدينه أن يوجه إليه محمّد بن على بن الحسين (الباقر) عليه السلام حتى يناظر رجلاً من القدرية و قد أعيى الجميع، فبعث أبو جعفر ولده مكانه، فقدم الشام و تسامع الناس بقدمه لمخاضمه القدرية، فقال عبد الملك لأبى عبد الله: إنّّه قد أعيانا أمر هذا القدرى،

ص: ٢٧٩

١- ١). و الصحيح أن يقول: أخيراً، و قد تسرّب هذا اللحن إلى الكتب العربيه حتى استعمله سعد الدين التفتازانى فى مطوّله.

٢- ٢). شرح ابن أبى الحديد: ١٧/١. [١]

فقال الإمام: «إِنَّ اللَّهَ يَكْفِينَاهُ» فلما اجتمعوا، قال القدرى لأبى عبد الله عليه السلام: سل عما شئت؟ فقال له: «اقرأ سورة الحمد». قال: فقرأها، فلما بلغ قول الله تبارك و تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» فقال جعفر: «قف! من تستعين؟ و ما حاجتك إلى المئونه أن الأمر إليك»، فبهت الرجل (١).

إنَّ القدرية هم أسلاف المعتزلة، و قد تبنّت فكره استغناء الممكن فى فعله (لا فى ذاته) فى عصر خلافة عبد الملك (٦٥-٨٦هـ) و كان لها دوى فى عصره، و قد أخذتها المعتزلة عنهم و صقلتها و جعلتها من توابع القول بالعدل و غفلت عن أن القول بالحرية إلى حدّ الاستغناء عن الواجب ينسجم مع التنزيه لكنه يهدم التوحيد الذاتى، فىكون الممكن مثل الواجب فى الاستغناء عن غيره فى مقام الإيجاد، و لأجل ذلك تضافرت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام:

«لا جبر و لا تفويض و لكن أمرٌ بين أمرين» (٢).

احتجاج الإمام الرضا عليه السلام مع أبى قرّه:

قال أبو قرّه للإمام الرضا عليه السلام: إنا روينا أن الله عزّ و جلّ قسّم الرؤيه و الكلام بين اثنين، فقسّم لموسى عليه السلام الكلام، و لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم الرؤيه. فقال أبو الحسن عليه السلام: «فمن المبلّغ عن الله عزّ و جلّ إلى الثقلين: الجن و الإنس «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» ٣ و «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» ٤ و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ٥ أ ليس محمداً صلى الله عليه و آله و سلم؟! قال: بلى. قال: «فكيف يجىء رجل إلى الخلق

ص: ٢٨٠

١- ١). المجلسى: البحار: ٥٥/٥-٥٦. [١]

٢- ٢). الصدوق: التوحيد: ٣٦٢.

جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله، وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله، ويقول: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» و«وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ثم يقول: أنا رأيتُه بعيني وأحطت به علماً، وهو على صورته البشر! أما تستحيون، ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون يأتي عن الله بشيء، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر» (١).

و من وقف على كتب أهل الحديث و الأشاعره، يقف على أن لهم في إثبات الرؤيه، إصراراً عجيباً، و ترى أن الإمام كيف قطع الطريق على أبي قزّه الذي اغترّ بأحاديث مدسوسه اختلقتها اليهود و أنصارهم و بثّوها بين المسلمين، و لو لا ضيق المجال لنقلت قسماً وافرأ من خطبهم و مناظراتهم عليهم السلام في مجال العقائد حتى تقف على أن حديثهم هو المنطلق الرابع لنشوء علم الكلام و نضوجه و تكامله.

فمن المؤسف جداً أن يتّهم شيعه العتره الطاهره بما في كلام المستشرق (آدم متز) فقد وصفهم بأنه لم يكن للشيعه مذهب كلامي إلى القرن الرابع، مع أن فيهم أئمه المسلمين وقاده الأئمه الذين يصدق فيهم قول الشاعر: من تلق منهم، تلق كهلاً أو فتى علم الهدى بحر الندى المورودا

إلى هنا، تبين أن أحد الأسباب لنشوء علم الكلام هو العامل الداخلي الذي لا يتجاوز عن إطار القرآن و السنّه النبويه و كلمات العتره الطاهره، و هناك عامل خارجي صار سبباً لنمو الأفكار الكلاميه المأخوذه عن الأصول الموجوده في الكتاب و السنّه و هو وجود الصراع الفكري بين المسلمين و غيرهم، و إليك بيانه:

ص: ٢٨١

إذا كان الكتاب و السنّه و حديث العتره الطاهره هو المنطلق لنشوء علم الكلام و ظهوره بين المسلمين، فقد كان للاحتكاك الثقافى و اللقاء الحضارى دور خاص فى ذلك المجال، و هو أنه دفع عجله علم الكلام إلى الامام، و صار سبباً لنموه و نضوجه بين المسلمين، و لو لا- هذا الصراع الفكرى لما نمت تلك البذور الطيبه الكامنه فى الكتاب و السنّه، و ما استوت على سوقها، و هذان العاملان (الداخلى و الخارجى) و إن صارا سبباً لنشوء هذا العلم و تكامله إلا أنّ دور الأوّل، يخالف دور الثانى، فالأوّل يعد مصادر علم الكلام و منابعه و مناشئه، و أمّا الثانى، فهو الذى أيقظ المفكرين من المسلمين حتّى ينمّوا ما تعلموه فى مدرسه الدين من الأصول و العقائد، و إليك بيان ذلك العامل الخارجى.

بُعِثَ النبى صلى الله عليه و آله و سلم بدين عالمى، و نبوه خاتمته، و كتاب خاتم للكتب، و المهيمن عليها، و بثّ شريعته الغراء فى ربوع الجزيره العربيه فى بضع سنين، إلى أن مضى إلى جوار ربّه، و رايه الإسلام خفّاقه عاليه، تدين أهلها بالتوحيد، و تكافح الثنويه، و تُؤمّن بالحياه الأخرويه و تعمل بسنن الإسلام و طقوسه.

و قد أحسّ المسلمون بواجبهم- بعد رحلته- و هو نشر الإسلام و بسطه فى العالم كلّه و دعوه جميع البشر على مختلف قومياتهم إلى الانضواء تحت رايه الإسلام، بالحكمه و الموعظه الحسنه، ثم كسر الأصنام و الأوثان بالجهاد المتواصل، و بذل النفس و النفيس فى سبيله، حتى تُصَيِّح الأ-جواء صافيه، و الظروف حرّه، و ترتفع العوائق و الموانع بغيه دخول الناس فى دين الله زرافات و وحداناً عن طوع و رغبه، بلا خوف و لا رهبه من طواغيت العصر.

قام المسلمون بواجبهم ففتحوا البلاد، و نشروا الثقافه الإسلاميه بين الأمم المتحضره و التى كانت تتمتع-وراء الآداب و الفنون و العلوم و الصناعات-

بمناهج فلسفيه، و آراء كلاميه لا يدعن بها الإسلام.

و قد كان فى ذلك الاحتكاك الثقافى و اللقاء الحضارى تأثير بالغ عاد على الإسلام و المسلمين بالخير الكثير إلا أن هذا الاحتكاك لا يخلو عن مضاعفات، و هى انتقال تلك الآراء و الأفكار إلى الأوساط الإسلاميه و هم غير متدرّعين تجاه تلك الشبهات و المشاكل.

و أعان على ذلك أمر ثان و هو انتقال عدّه من الأسرى إلى العواصم الإسلاميه فانتقلوا إليها بأرائهم و أفكارهم و عقائدهم المضادّه للإسلام و أسسّه، و كان بين المسلمين من لم يتورّع فى أخذ هاتيك العقائد الفاسده، نظراء: عبد الكريم ابن أبى العوجاء، و حماد بن عجرد، و يحيى بن زياد، و مطيع بن اياس، و عبد الله بن المقفّع إلى غير ذلك بين غير متدرّع أو غير متورّع، فأوجد ذلك بلبه فى الأفكار و العقائد بين المسلمين.

أضف إلى ذلك أمراً ثالثاً كان له التأثير الحاسم فى بسط الإلحاد و الزندقه و هو نقل الكتب الرومانيه و اليونانيه و الفارسيه إلى اللغه العربيه من دون نظاره و رقابه و جعلها فى متناول أيدي الناس، و قد ذكر ابن النديم تاريخ ترجمه تلك الكتب فقال:

« كان خالد بن يزيد بن معاويه مجباً للعلوم، فأمر بإحضار جماعه من فلاسفه اليونان ممّن كان ينزل مدينه مصر، و أمرهم بنقل الكتب فى الصنعه من اللسان اليونانى و القبطى إلى العربى، و هذا أول نقل كان فى الإسلام من لغه إلى لغه، ثم نقل الديوان و كان باللغه الفارسيه إلى العربيه فى أيام الحجاج، و كان أمر الترجمه يتقدم ببطء، إلى أن ظهر المأمون فى ساحه الخلافه، فراسل ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمه المخزون، المدّخره فى بلد الروم، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع، فبعث المأمون جماعه، منهم:

الحجاج بن مطر، و ابن

ص: ٢٨٣

بطريق، و محمد بن أحمد و الحسين بنو شاكر المنجم، فجاءوا بطرائف الكتب، و غرائب المصنّفات فى الفلسفه و الهندسه و غيرهما، ثم ذكر ابن النديم أسماء النقله من اللغات المختلفه إلى اللغه العربيه، و جاء بأسماء كمّيه هائله (١) فأخذوا يصبون ما وجدوه من غث و سمين فى كتب الوثنيين و المسيحيين على رءوس المسلمين، و هم غير متدرّعين و غير واقفين على جذور هذه الشبهه، مع أنها كانت تززع أركان الإسلام.

فقد أثار انتقال هذه الشبهه و العقائد و الآراء إلى أوساط المسلمين ضجّه كبرى بينهم، فافترقوا إلى فرقتين:

فرقه اقتصرت فى الذب عن حياض الإسلام بتضليلهم و تكفيرهم و توصيفهم بالزندقه و تحذير المسلمين من الالتقاء بهم و قراءه كتبهم و الاستماع إلى كلامهم، إلى غير ذلك مما كان يعدّ مكافحه سلبيه و التى لا تصمد أمام ذلك السيل الجارف.

و فرقه قد أحسّوا بخطوره الموقف و أنّ المكافحه السلبيه لها أثرها المؤقت، و إنّ ذلك الداء لو لم يعالج بالدواء الناجع سوف يعمّ المجتمع كلّه أو أكثره، فقاموا بمكافحه إيجابيه أى الدعوه بالحكمه و الموغظه الحسنه و الجدال الذى يستحسنه الإسلام، فأزالوا شبهاتهم، و نقدوا أفكارهم فى ضوء العقل و البرهان، و قد نجحوا فى ذلك نجاحاً باهراً، و هؤلاء هم الشيعه خريجو مدرسه أهل البيت أولاً، و المعتزله أتباع واصل بن عطاء ثانياً الذين أخذوا أصول مذهبهم عن على عليه السلام بواسطتين:

١. أبى هاشم ابن محمد بن الحنفيه.

٢. محمّد ابن الحنفيه ابن على بن أبى طالب.

ص: ٢٨٤

(١ - ١). ابن النديم: الفهرست: ٣٥٦، ٣٥٢. [١]

ففى تلك الأءواء المشءونه بالبعء و البءل اسءءءل أمر الكلاء، أى العلم الباءء عن المباء و أسماءه و صفاءه و أفعاله لءابه الءب عن الإسلام، فكان علم الكلاء و لباء الءابه، و رهن الصراء الفكرى مع الأباراء الإلءاءبه المءءءبه للإسلام و المسلمبن، و فى هءه الظروف العصببه قام أهل الببء علبهم السلام بءرببه ءموع ءفبره من أصحاب المواهب للءب عن الإسلام و أصوله أوّلاً، و ءرهم الولا به ءانباً، فى ضوء العقل و البرهان، فصاروا بناظرون كل فرقه و نءله بأمنن البراهبن و أسلمها، و قد ءفظ الأاربء أسماء لقفب من الرافلبن فى ءلل الفضائل و المعارف، و سوف بوابك أسماءهم لاءقاً.

قد عرفت أنّ القرآن و السنّه، و أحاديث العتره الطاهره هي المنطلق الحقيقى لنشوء علم الكلام و أنّ المسلمين بطوائفهم المختلفه كانوا يصدرّون عنها، نعم كان للقاء الحضارى و الاحتكاك الثقافى دور هام فى تكامل علم الكلام و كثره مسائله، فالكتاب و السنّه كانا مرجعين للاهتمام إلى موقف الإسلام فيها، و اللقاء الحضارى كان سبباً لطرح المسائل فى الأوساط، و انتقال الأذهان إليها، و على كل حال أصبح الأمران سبباً لنشوء علم الكلام و نضوجه بين المسلمين على نزعاتهم المختلفه.

إنّ كتاب الملل و النحل يصرّون على أنّ الاختلاف فى الإمامه كان أول اختلاف دينى و أعظم خلاف بين الأمم.

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري: أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاه نبيهم اختلافهم فى الإمامه (١).

و يقول الشهرستاني: إنّ الاختلاف فى الإمامه أعظم خلاف بين الأمم، إذ ما سلّ سيف فى الإسلام على قاعده دينيه مثل ما سلّ على الإمامه فى كل زمان (٢).

ص: ٢٨٤

١- ١. مقالات الاسلاميين و اختلاف المصلين: ٣٤/١، نشر محيى [١] الدين عبد الحميد.

٢- ٢. الملل و النحل: ٢٤/١. [٢]

يلاحظ عليه: أن الاختلاف في الإمامه بعد أيام الخلفاء و إن أصبح اختلافاً كلامياً، فذهبت الشيعة إلى أنها تنصيبية و السنّه إلى غيرها، لكن الاختلاف يوم ارتحل الرسول لم يكن اختلافاً في قاعده دينيه، و جدالاً في مسأله كلاميه بل كان جدالاً سياسياً محضاً، لم يكن مبنياً على قاعده دينيه، إذ كان على عليه السلام و أهل بيت النبي و لفيق من شيعة الإمام بعيدين عن السقيفه و ما جرى فيها، مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و أمّا الأنصار فكانوا يرون أنفسهم أولى بإداره الأمور لأنهم آووا النبي و نصره، و كان المهاجرون يرون أنفسهم أولى بها لأنهم أصل النبي صلى الله عليه و آله و سلم و عشيرته، من دون أن يبحث أحد من الفئتين عن القاعده الدينيه في مجال الإمامه، و أنها هل هي التنصيب، أو الشورى أو غيرهما، و ما هو الملاك فيها؟ بل كانت هذه الأمور مغفولاً عنها يوم ذاك، و كان الهدف هو تسنّم منصّه الخلافه و تداول كرتها بين أبنائهم و عشيرتهم، حتى لو لم تكن حكومه الرسول حكومه دينيه و كان الرسول قائداً بشرياً مات عنها، لقام المهاجرون و الأنصار بنفس ذلك الجدل، و كلُّ سعى إلى جرّ النار إلى قرصه.

فما في أكثر الكتب الكلاميه من تصوير الاختلاف في مسأله الإمامه، اختلافاً كلامياً ناشئ عن النظر إليها فيما بعد السقيفه، و أمّا إذا نظرنا إليها من منظار المهاجرين و الأنصار، فالاختلاف بينهم لم يكن نزاعاً كلامياً و دينياً بل سياسياً بحثاً، مبنياً على تناسي النص، و تصوير الخلافه الإسلاميه كخلافه موروثه من القائد لأُمَّته، و إلما فلو كان النزاع على أساس ديني، لما كان للاختلاف مجال، و كفتهم هتافات الرسول في بدء الدعوه، و يوم ترك المدينه لغزوه تبوك، و يوم الغدير و غيرها.

و إليك نماذج من بدايات المسائل الكلاميه في القرنين الأولين:

١. مسألة التحكيم:

إنَّ أول خلاف ظهر بين المسلمين، و صيرهم فرقتين، هو مسألة التحكيم فى وقعه صفيين، و المسألة يوم ذاك و إن اصطبغت بصبغه سياسيه لكن كان لها أساس ديني، و هو أنَّ الخوارج خالفوا علياً عليه السلام و انزلوا عن جنده بحجّه أنّ حكم الله فى الباغي، هو مواصلة الحرب و الجهاد حتى يفى إلى حكم الله لا التصالح و إيقاف الحرب، و حجّتهم و إن كانت مردوده لأجل أنّ التحكيم إنّما فرض على الإمام، لا أنّه قبله عن اختيار و حريه، و الخوارج هم الذين فرضوه عليه، و لم يكتفوا بذلك حتى فرضوا عليه صيغته التحكيم و وثيقته، و حتى المُحكّم الذى يشارك فيه مع مندوب معاويه، إلّا أنّ هذا الاعوجاج الفكرى صار سبباً لتشكّل فرقتين متخاصمتين إلى عهود و قرون.

و بذلك يفترق اختلافهم مع اختلاف أمثال طلحه و الزبير و معاويه إذ لم يكن اختلافهم حول المبادئ و إنّما طمعوا أن يكونوا خلفاء و... و لذلك لم يثيروا إلّا مشاكل سياسيه دمويه، بخلاف اختلاف الخوارج فإنّ اختلافهم كان حول المبادئ و كانوا يردّون كلمه «لا حكم إلّا لله» و كان على عليه السلام و حواريه ابن عباس يحتجّان عليهم بالقرآن و السنّه.

و بظهور الخوارج على الصعيد الإسلامى، و رفضهم التحكيم، طرحت مسائل أخرى بين المسلمين شكّلت مسائل كلاميه عبر القرون، و هى:

٢. حكم مرتكب الكبيره:

إنّ الخوارج كانوا يحبّون الشيخين و يبغضون الصهرين، بمعنى أنّهم كانوا يوافقون عثمان فى سنى خلافته إلى ستّ سنين، و لما ظهر منه التطرّف و الجنوح إلى

النزعه الأمويه، و استئثار الأموال أبغضوه، و أمّا على عليه السلام فقد كانوا مصدّقيه إلى قضيه التحكيم، فلما فرض عليه التحكيم و قبل هو ذلك المخطّط عن ضروره و اضطرار، خالفوه و وصفوه باقتراف الكبيره، -فعند ذاك- نجمت مسأله كلاميه و هى ما هو حكم مرتكب الكبيره؟ و قد استفحل أمرها أيام محاربه الخوارج مع الأميين الذين كانوا معروفين بالفسق و الفجور، و سفك الدماء و غصب الأموال، فكان الخوارج يحاربونهم بحجّه أنّهم كفره لا- حرمة لدمائهم و لا أعراضهم و لا نفوسهم لاقترافهم الكبائر.

و على أى تقدير ففى المسأله أقوال:

ألف. مرتكب الكبيره كافر.

ب. مرتكب الكبيره فاسق منافق.

ج. مرتكب الكبيره مؤمن فاسق.

د. مرتكب الكبيره لا مؤمن و لا فاسق بل منزله بين المنزلتين.

فالأوّل خيره الخوارج، و الثانى مختار الحسن البصرى، و الثالث مختار الإماميه و الأشاعره، و الرابع نظريه المعتزله.

٣. تحديد مفهوم الإيمان:

و قد انبثق من هذا النزاع، نزاع كلامى آخر و هو: تحديد مفهوم الإيمان، و إنّ العمل داخل فى حقيقه الإيمان أو لا؟ فعلى قول الخوارج و المعتزله، فالعمل مقوّم للإيمان، بخلافه على القول الآخر، و قد صارت تلك المسأله ذات أهميه فى الأوساط الإسلاميه و انتهت إلى مسأله أخرى، و هى زياده الإيمان و نقصه بصالح الأعمال و عدمها.

ص: ٢٨٩

٤. إرجاء و المرجئه:

إن فكره إرجاء حكم مرتكب الكبيره إلى الله سبحانه تعالى، أو إرجاء حكم الصهرين إلى الله سبحانه، حتى لا- ينبس فيهما المسلم بنت شفه، أخذت تنمو حتى تحوّلت إلى الإباحيه التي تنزع التقوى من المسلم و تفتح أمامه أبواب المعاصي، و هو تقديم الإيمان و تأخير العمل، و إن المهم هو الاعتقاد القلبي و العمل ليس شيئاً يعتدّ به، و إن التعذيب إنّما يكون على الكفر، و إنّما التعذيب على اقتراف المعاصي فغير معلوم، و قد اشتهر عنهم قولهم: لا تضرّ مع الإيمان معصيه، كما لا تنفع مع الكفر طاعه.

٥. مسأله القضاء و القدر:

اشاره

إنّ مسأله القضاء و القدر و إن كان لها جذور قبل بزوغ نجم الإسلام و بعده، لكنّها أخذت لنفسها أهميه خاصه في عصر الأمويين حيث كانوا يبررون استشارهم و أعمالهم الإجراميه بالقضاء و القدر، فصار ذلك سبباً، لوقوع المسأله مثاراً للبحث و النقاش بين المفكرين المسلمين.

فالمسأله و إن كانت مطروحه بين المسلمين قبل الأمويين لكنها لم تشكّل تياراً فكرياً و لا مذهباً كلامياً.

روى الواقدي في مغازيه عن أم الحارث الأنصاريه و هي تحدّث عن فرار المسلمين يوم حنين قالت: مرّ بي عمر بن الخطاب (منهزماً) فقلت: ما هذا؟ فقال عمر: أمر الله (١).

ص: ٢٩٠

وقد كانت تلك الفكره سائده حتى بعد رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى عبد الله بن عمر أنه جاء رجل إلى أبي بكر فقال: أ رأيت الزنا بقدر؟ قال: نعم. قال: الله قدره على ثم يعدّيني؟ قال: نعم يا ابن اللخناء، أما والله لو كان عندي انسان أمرته أن يجأ أنفك (١).

استغلال الأمويين للقدر:

لقد اتخذ الأمويون مسأله القدر أداءه تبريره لأعمالهم السيئه وكانوا ينسبون وضعهم الراهن بما فيه من شتى ضرور العيث و الفساد إلى القدر. قال أبو هلال العسكري: إن معاويه أوّل من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلّها (٢).

و لأجل ذلك لما سألت أم المؤمنين عائشه، معاويه عن سبب تنصيب ولده يزيد للخلافه والإمامه أجابها: أن أمر يزيد قضاء من القضاء و ليس للعباد الخيره من أمرهم (٣).

و بهذا أيضاً أجاب معاويه عبد الله بن عمر عند ما استفسر معاويه عن تنصيبه يزيد فقال: إنني أحذرك أن تشقّ عصا المسلمين و تسعى في تفريق ملثهم و أن تسفك دماءهم و أن أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء و ليس للعباد خيره من أمرهم (٤).

وقد كانت الحكومه الأمويه الجائره متحمسه إلى تثبيت هذه الفكره في المجتمع الإسلامي و كانت تواجه المخالف بالشتيم و الضرب و الإبعاد.

ص: ٢٩١

١-١. السيوطي: تاريخ الخلفاء: ٩٥. [١]

٢-٢. الأوائل: ١٢٥/٢٢. [٢]

٣-٣. الإمامه و السياسه لابن قتيبه: ١٦٧/١. [٣]

٤-٤. الإمامه و السياسه لابن قتيبه: ١٧١/١، طبعه مصر. [٤]

قال الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظريه الإمامه»: إن معاويه لم يكن يدعم ملكه بالقوه فحسب، و لكن بايدولوجيه تمس العقيده في الصميم، فلقد كان يعلن في الناس أن الخلافه بينه و بين على عليه السلام قد احتكما فيها إلى الله، و قضى الله له على على، و كذلك حين أراد أن يطلب البيعه لابنه يزيد من أهل الحجاز أعلن أن اختيار يزيد للخلافه كان قضاء من القضاء و ليس للعباد خيره في أمرهم، و هكذا كاد يستقر في أذهان المسلمين، أن كل ما يأمر به الخليفه حتى لو كانت طاعه الله في خلافه (فهو) قضاء من الله قد قدر على العباد (١).

و قد سرت هذه الفكره إلى غير الأمويين من الذين كانوا في خدمه خلفائهم و أمرائهم فهذا عمر بن سعد بن أبي وقاص قاتل الإمام الشهيد الحسين عليه السلام لما اعترض عليه عبد الله بن مطيع العدوي، بقوله: اخترت همدان و الرى على قتل ابن عمك، فقال عمر: كانت أمور قضيت من السماء، و قد اعذرت إلى ابن عمى قبل الوقعه فأبى إلا ما أبى (٢).

و يظهر أيضاً مما رواه الخطيب عن أبي قتاده عند ما ذكر قصه الخوارج في النهروان لعائشه، فقالت عائشه: ما يمنعنى ما بينى و بين على أن أقول الحق سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «تفترق أمتى على فرقتين تمرق بينهما فرقه محلّقون رءوسهم، يحقّون شواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم يقرءون القرآن لا يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إلى، و أحبهم إلى الله». قال فقلت: يا أم المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذى منك؟! قالت: يا أبا قتاده و كان أمر الله قدراً مقدوراً و للقدّر أسباب (٣).

ص: ٢٩٢

١-١. نظريه الإمامه: ٣٣٤.

٢-٢. طبقات ابن سعد: ١٤٨/٥، طبع بيروت. [١]

٣-٣. تاريخ بغداد: ١٦٠/١. [٢]

و قد كان حماس الأمويين فى هذه المسأله إلى حدّ قد كبح ألسن الخطباء عن الإصحاح بالحقيقه، فهذا الحسن البصرى الذى كان من مشاهير الخطباء و وجوه التابعين و كان يسكت أمام أعمالهم الإجراميه، و لكن كان يخالفهم فى القول بالقدر بالمعنى الذى كانت تعتمد عليه السلطه آنذاك. فلما خوّفه بعض أصدقائه من السلطان، فوعد أن لا يعود، روى ابن سعد فى طبقاته عن أيوب قال: نازلت الحسن فى القدر غير مرّه حتى خوّفته من السلطان، فقال: لا أعود بعد اليوم (١).

كيف و قد جُلد محمد بن إسحاق صاحب السيره النبويه المعروفه فى مخالفته فى القدر قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب: إن محمد بن إسحاق أتهم بالقدر، و قال الزبير عن الدراوردى: و جلد ابن إسحاق يعنى فى القدر (٢).

إذا كانت العوامل الداخليه سبباً لإثاره المسائل السابقه، فقد أثار العامل الخارجى أى الاحتكاك و الصراع الفكرى بين المسلمين و أهل الكتاب مسائل أخرى نشير إلى أهمّها:

٦. مسأله التشبيه و التنزيه:

تلتقى اليهوديه مع الإسلام فى التوحيد و النبوه، لكنها تفارقها فى أوصاف الربّ، فالتوراه تصف الإله بصوره بشر و له صورته، و يقول: خلق الله آدم على صورته (٣)، و إذا عمل يتعب فيحتاج إلى الاستراحه، يقول: و فرغ الله فى اليوم السادس فى عمله الذى عمل فاستراح فى اليوم السابع (٤) و أنه يمشى بين رياض الجنه و له نداء (٥) إلى غير ذلك ممّا ورد فى العهد القديم من التشبيه و التجسيم

ص: ٢٩٣

١- ١. طبقات ابن سعد: ١٦٧/٧، طبع بيروت. [١]

٢- ٢. تهذيب التهذيب: ٣٨/٩-٤٦. [٢]

٣- ٣. العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح الأوّل.

٤- ٤. العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح الأوّل.

٥- ٥. العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح الأوّل.

و التمثيل، و قد دسّت الأحبار كثيراً من البدع بين الأحاديث لاعتماد الرواه على أناس نظراء: كعب الأحبار، و وهب بن منبه، و تميم الدارى و غيرهم.

فأصبحت مسأله التشبيه و حديث الصفات الخبريه الوارده ذات أهميه كبرى فرقت المسلمين إلى طوائف و استفحل أمرها بوجود روايات التشبيه و التجسيم فى الصحاح و المسانيد التى عكف على روايتها المحدثون السدج، غير العارفين بدسائس اليهود و مكرهم.

فحسبوا حقائق راهنه، و الخلاف فى تفسير الصفات الخبريه بعد باق إلى يومنا هذا.

٧. النسخ فى الشريعه:

إنّ مسأله إمكان النسخ فى مجال التشريع اكتسبت لنفسها مكانه بين المسائل الكلاميه، و بما أنّ طائفه اليهود كانت منكروه لنبوه المسيح و النبى الخاتم صلى الله عليه و آله و سلم، عادت إلى انكار إمكان النسخ متمسكه بما جاء فى التوراه: «إنّ هذه الشريعه مؤبده عليكم و لازمه لكم ما دامت السموات لا نسخ لها و لا تبديل» و مستدله بأنّ النسخ مستلزم للبداء أى الظهور بعد الخفاء.

فصارت تلك الفكره سبباً لطحها فى المحافل الإسلاميه، فأخذ المتكلمون بالبحث و النقد و أنّ النص فى التوراه إمّا منحول أو مؤوّل، و إنّ النسخ لا يستلزم البداء المستحيل و إمّا هو إظهار بعد إخفاء، و إنّه من قبيل الدفع لا الرفع.

٨. عصمه الأنبياء:

إنّ أبرز ما يفترق فيه القرآن عن العهدين هو مسأله حياه رجال الوحي و الهدايه الذين وصفهم الله سبحانه بقوله: «وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ

الأخيار» ١ وقد ذكر من قصصهم الشيء الكثير فلا- تجد فيه شيئاً يمسّ كرامتهم أو يحطّ من مقامهم و أمّا التوراه و الإنجيل (المحرّفتان) فقد جاء بأساطير خياليه تمسّ كرامه الله أوّلاً، و كرامه أنبيائه ثانياً، فالأنبياء فيها يشربون الخمر (١) يمكرون (٢) و يقتربون الزنا (٣) إلى غير ذلك ممّا يخجل القلم عن بيانه.

فصار ذلك سبباً لطرح مسأله العصمه بين المسلمين، فهم بين مثبت و ناف و مفضّل، و إن كان النافى بينهم أقل.

٩. حدوث القرآن و قدمه:

كان أهل الحديث ملتزمين بعدم اتخاذ موقف خاص فيما لم يرد فيه نص عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أو عهد من الصحابه إلّا أنّهم خالفوا منهجهم فى هذه المسأله و قد كانت تلعب وراءها يد الأجنب، فقد طرحها يوحنا الدمشقى فى كتابه فعلم أتباعه المسيحيين أن يسألوا المسلمين عن السيد المسيح فإذا أجابوهم بنصّ قرآنهم: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ» ٥ فيقولوا هل كلمه الله و روحه مخلوقه أم غير مخلوقه؟ فإن قالوا مخلوقه، فألزموهم بأنّ معناه أنّ الله كان و لم تكن له كلمه و لا روح و إن قالوا قديمه يثبت قدم المسيح، و كونه ابن الله و أحد الثلاثة (٤).

و قد كان للتخطيط المسيحي أثره الخاص فأوجدت تلك المسأله ضجّه

ص: ٢٩٥

١- ٢). العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح التاسع، الجملات ٢٠- ٢٥.

٢- ٣). العهد القديم، سفر التكوين، الاصحاح التاسع و العشرون ١٨- ٣٨.

٣- ٤). العهد القديم، صموئيل الثانى، الاصحاح الحادى عشر ٤٩٧.

٤- ٦). تاريخ المذاهب الإسلاميه: ٣٩٤/٢.

كبرى بين المسلمين، فالمحدثون على عدم كونه مخلوقاً و المتفكرون كالشيعة و المعتزله على الحدوث.

فهذه المسائل الأربع، دخلت أوساط المسلمين و تناولها المفكرون بالبحث و النقاش، لدافع خارجي، كما عرفت.

هذه نماذج من المسائل الكلامية التي طرحت في القرن الأوّل و الثاني، و لم تزل المسائل تطرح واحده بعد الأخرى حسب امتداد الصراع الفكري بين المسلمين و سائر الشعوب من مسيحيه و يهوديه و مجوسيه و بوذيه، فقد دفع هذا الاحتكاك الثقافي عجله علم الكلام إلى الامام، فأصبح المتكلمون يبحثون عن مسائل أُخرى ربّما تقع ذريعه للردّ على الإسلام، إلى أن صار علم الكلام، علماً متكامل الأركان متشعب الفنون ناضج الثمار داني القطوف.

إشاره

قد تعرفت على رءوس المسائل الكلاميه التي شغلت بال المفكرين المسلمين عبر القرنين: الأول والثاني، و من حسن الحظ أنّ أئمه أهل البيت عليهم السلام، أخذوها بالبحث و التحليل في خطبهم و رسائلهم و قصار كلمهم، و إنهم و إن أقصوا عن سده الحكم و الخلافه لكن الأئمه عكفت على بابهم فيما يتعلق بالعقيده و الشريعه، و اعترفت بمرجعيتهم فيهما حتى المتقّمصين للخلافه.

و لو أنّك سبرت ما أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام و ولديه السبطين، و ما ورد في أدعيه السجاد عليهم السلام لوجدت في كلامهم إشارات لتلك المسائل، نذكر بعض النماذج منها.

كان لمسأله القضاء و القدر دويّ في العقد الثالث و الرابع من الهجره و كان القدر بمعنى السالب عن الاختيار متفشياً بين المسلمين، و قد سأل الإمام علياً عليه السلام أحد أصحابه عند منصرفه من صفين - و كان انطباعه عن التقدير أنّه لا دور للإنسان في محاسن أفعاله و مساويها - و قال:

أخبرنا عن خروجنا إلى أهل الشام أ بقضاء من الله و قدر؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أجل يا شيخ، فوالله ما علوتم تلعه و لا هبطتم بطن وادٍ إلّا بقضاء

من الله و قدر». فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي (١) يا أمير المؤمنين، فقال: «مهلاً يا شيخ: لعلك تظنّ قضاءً حتماً و قدراً لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب، و الأمر و النهى و الزجر، و لسقط معنى الوعيد و الوعد، و لم يكن على مسيء لائمه و لا لمحسنٍ مَحْمَيدِهِ، و لكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، و المذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبده الأوثان، و خصماء الرحمن و قدره هذه الأئمة و مجوسها، يا شيخ إنّ الله عزّ و جلّ كلّف تخييراً، و نهى تحذيراً، و أعطى على القليل كثيراً، و لم يعص مغلوباً، و لم يطع مكرهاً، و لم يخلق السموات و الأرض و ما بينهما باطلاً «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» ٢.

قال: فنهض الشيخ و هو يقول: أنت الإمام الذى نرجو بطاعته

و فى كلام آخر له ينهى فيه البسطاء عن الخوض فى القدر فقال عليه السلام: «طريق مظلم فلا تسلكوه، و بحر عميق فلا تلجوه، و سرّ الله فلا تتكلفوه» (٢).

إنّ خطب الإمام أو رسائله و قصار كلمه، مملوءه بالمعارف الالهيه، و الأجوبه

ص: ٢٩٨

-
- ١ - ١). أى إن كان خروجنا و جهادنا بقضائه تعالى و قدره لم نستحق أجراً، فرجائى أن يكون عنائى عند الله محسوباً فى عداد أعمال من يتفضّل عليهم بفضله يوم القيامة.
- ٢ - ٤). الرضى: نهج البلاغه: [١] قسم الحكم برقم ٢٨٧.

على هذه المسائل و أشباهها، وقد عرفت كلام الشارح الحديدي أنّ المتكلمين أخذوا أصولهم عن خطبه.

استشهد الإمام بسيف الجور و الظلم، و جاء دور السبب الأكبر، فقد قام بنفس الدور، و كان مرجعاً للمسائل و الأحكام، نذكر نموذجاً مما أثر عنه.

رسالة الحسن البصري إلى السبب الأكبر:

كان الحسن البصري خطيب القوم و متكلمهم، و كان يشار إليه بالبنان خصوصاً في أواخر القرن الأول، و وقع كثير من أهل الحديث في ورطه الجبر زعماء منهم أنّ القول بالقضاء و القدر، يسلب الحريه عن الإنسان، و يجعله مكتوف الأيدي في الحياه؛ هذا، و من جانب آخر، فإنّ تلك الفكره تضادّ الفطره الإنسانيه و تجعل جهود الأنبياء و الأولياء و علماء الترييه تذهب سدى.

فكتب الحسن البصري إلى السبب يسأله عن تلك المعضله، و إليك السؤال و الجواب:

أمّا بعد: فإنّكم معشر بني هاشم، الفلك الجاربه في اللجج الغامره، و الأعلام التيره الشاهره، أو كسفينه نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون، و نجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر و حيرتنا في الاستطاعه، فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأى آبائك عليهم السلام، فإنّ من علم الله علمكم، و أنتم شهداء على الناس و الله الشاهد عليكم «ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ١.

فأجابه الحسن عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصل إلى كتابك، و لو لا ما

ذكرته من حيرتك و حيره من مضى قبلك إذا ما أخبرتك، أما بعد: فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شرّه و إنّ الله يعلمه فقد كفر، و من أحال المعاصى على الله فقد فجر، إنّ الله لم يُطع مكرهاً، و لم يُعص مغلوباً، و لم يهمل العباد سدى من المملكه، بل هو المالك لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخيراً، و نهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعه لم يجدوا عنها صاداً، و إن انتهوا إلى معصيه فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم و بينها، فعل، و إن لم يفعل فليس هو الذى حملهم عليها جبراً، و لا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم و عرّفهم و حدّهم و أمرهم و نهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكه، و لا جبراً لهم على ما نهاهم عنه، و لله الحجه البالغه، فلو شاء لهداكم أجمعين، و السلام على من اتبع الهدى» (١).

مكافحه السبطين للتشبيه:

قد كان للأجبار و الرهبان دور مهم فى بثّ أحاديث التجسيم بين المسلمين، فكان القول به متفشياً بين أهل الحديث و لكن السبطين كافحاه بخطبهم و كلامهم.

و قد خطب الحسن بن على عليه السلام و قال: «الحمد لله الذى لم يكن فيه أول معلوم، و لا آخر متناه، و لا قبل مدرك، و لا بعد محدود، فلا تدرك العقول أو هامها، و لا الفكر و خطراتها، و لا الأبواب و أذهانها صفتة فتقول: متى و لا بدئ ممّا، و لا ظاهر على ما، و لا باطن فيما» (٢).

ص: ٣٠٠

(١-١). ابن شعبه الحرّانى: تحف العقول: ٢٣٢؛ [١]المجلسى: بحار الأنوار: ٤٠/٥ ح ٤٣؛ [٢]الكرجى: كنز الفوائد: ١١٧، [٣] ط ١.

(٢-٢). نور الثقلين: ٢٣٦/٥. [٤]

سؤال نافع بن الأزرق عن الإله الذي يُعبد:

كان نافع بن الأزرق من رءوس الخوارج و متطرفيهم، و كان يتعلم من ابن عباس ما يجهله من مفاهيم القرآن، نقل عكرمه عن ابن عباس أنه بينما كان يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس تفتى الناس في النملة و القملة، صف لى إلهك الذى تعبد؟! فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله، و كان الحسين بن على جالساً ناحيه فقال: «إلى يا ابن الأزرق»، قال ابن الأزرق: لست إِيَّاك أسأل. قال ابن عباس: يا ابن الأزرق، إنَّه من أهل بيت النبوه و هم ورثه العلم، فأقبل نافع نحو الحسين عليه السلام، فقال له الحسين عليه السلام: «يا نافع إنَّ من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر فى الالتباس، سائلاً- ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل.

يا ابن الأزرق أصف إلهى بما وصف به نفسه، و أعرفه بما عرّف به نفسه: لا- يُدرك بالحواس، و لا- يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، و بعيد غير منقص، يوحّد و لا يتبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال».

فبكى ابن الأزرق، و قال: يا حسين ما أحسن كلامك! قال له الحسين عليه السلام: «بلغنى أنك تشهد على أبى و على أخى بالكفر و علىّ؟» قال ابن الأزرق: أما و الله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام و نجوم الأحكام، فقال له الحسين عليه السلام: «إنى سائلك عن مسأله»، قال: أسأل، فسأله عن هذه الآيه: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ» ١.

يا ابن الأزرق من حفظ فى الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما. قال

الحسين: «فأبوهما خيرٌ أم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟» قال ابن الأزرقي: قد أنبأنا الله تعالى أنكم قوم خصمون (١).

دور الإمام السجاد في الدفاع عن العقيدة:

إشاره

قام الإمام السجاد بنفس الأمر الذي قام به جدّه وأبوه وعمّه، فقال لما سئل عن التوحيد: إنّ الله عزّ وجلّ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون فأنزل الله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والآيات الست من أوّل سورة الحديد وهي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ «سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» ٢.

روى الشيخ المفيد أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام كان في مسجد رسول الله ذات يوم إذ سمع قوماً يشبهون الله بخلقه، ففزع لذلك وارتاع له، ونهض حتى أتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فوقف عنده، ورفع صوته يناجي ربّه، فقال في مناجاته له:

«إلهي بدت قدرتك، ولم تبدّ هيئته جلالك، فجهلوك، وقدروك بالتقدير على غير ما أنت به، شبّهوك و أنا برىء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك

ص: ٣٠٢

١ - ١). ابن عساکر: تاريخ مدينه دمشق، [١] قسم حياه الإمام الحسين: ١٥٨، تحقيق محمد باقر المحمودي؛ و المجلسي: بحار الأنوار: ٢٩٧/٤ (و [٢] ذيل الحديث يحتاج إلى توضيح).

شئ إلهى و لم يُدر كوك، و ظاهر ما بهم من نعمه دليلهم عليك لو عرفوك، و فى خلقك يا إلهى مندوحه عن أن يناولوك، بل سووك بخلقك، فمن ثم لم يعرفوك و اتخذوا بعض آياتك رباً، فبذلك و صفوك، فتعاليت يا إلهى عمّا به المشبهون نعتوك» (١).

و قد ضاق المجال على الإمام، و كانت السلطه لا- تسمح له بالكلام و الخطاب، فتفرّغ إلى العباده و مناجاه ربّه، و خلف أذنيه ضمّت فى طياتها، بحراً من المعرفه و دقائق العرفان.

هذا دور أئمّه الشيعه الأربعة فى القرن الأوّل و قد تربّى فى مدرستهم رجال ذبّوا عن حياض العقيدته، بكلّ ما يملكون من حول و قوه، و إليك أسماء بعضهم:

١. سلمان الفارسى:

و له مشاهد و مواقف جليله لا سيما بعد انتزاع الخلافه من أهل بيت النبى الأكرم، و قد خطب بعد رحله النبى صلى الله عليه و آله و سلم خطبه مطوّله قال فيها:

ألا إنّ لكم منايا تتبعها بلايا، فإنّ عند على علم المنايا و علم الوصايا و فصل الخطاب على منهاج هارون بن عمران، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أنت وصيى و خليفتى فى أهلى بمنزله هارون من موسى»، و لكنّكم أصبتم سنّه الأولين، و أخطأتم سبيلكم، و الذى نفس سلمان بيده لتركبّ طبقاً عن طبق سنّه بنى إسرائيل، القذه بالقذه، أما و الله لو وليتموهما عليّاً لأكلتم من فوقكم و من تحت أرجلكم فابشروا بالبلاء، و اقنطوا من الرخاء، و نابذتكم على سواء و انقطعت العصمه فيما بينى و بينكم من الولااء... (٢).

ص: ٣٠٣

١- ١). المفيد: الإرشاد: ٢٦٠، طبعه النجف. [١]

٢- ٢). المامقانى: تنقيح المقال: ٤٧/٢ رقم ٥٠٥٩. [٢]

٢. أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة:

جندب بن جنادة ذلك الصحابي الجليل الذي كانت له مواقف مشهودة بعد رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أيام خلافه عثمان، حتى لفظ نفسه في صحراء لا ماء فيها ولا كلاء لأجل تلك المواقف، وقد قال في حقّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أضلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجه أصدق من أبي ذر»، وهو الذي أخذ بحلقه باب الكعبة و نادى بأعلى صوته: «أنا جندب بن جنادة لمن عرفني، و أبو ذر لمن لم يعرفني، إنني سمعت رسول الله يقول: «إنّ مثل أهل بيتي في هذه الأُمّة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، و من تخلف عنها غرق»، ألا هل بلّغت؟» (١).

و له مواقف حاسمه مع كعب الأحمار في مجلس الخليفة في تفسير آية الكنز و غيرها، و قد حفظها كتب التاريخ و التفسير.

٣. عبد الله بن عباس:

حبر الأُمّة و عالم الشريعة، تلميذ الوصي المعروف بحجاجة و مناظراته مع الخوارج و غيرهم، و قد حفلت كتب التفسير بآرائه و أفكاره في العقائد و التفسير، و قد ذكر السيوطي في إتقانه مناظره الخوارج معه في لغات قرآنيه (٢).

٤. جبر بن عدّي الكندي:

من أصحاب عليّ عليه السلام و يصفه الإمام أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام بقوله مندداً بعمل معاويه حيث قتله بشهادة مزوره حاكها زياد بن أبيه، «أ لست القاتل

ص: ٣٠٤

١ - ١). المامقاني: تنقيح المقال: ٢٣٥/١ رقم ١٩٠٠. [١]

٢ - ٢). السيوطي: الاتقان: ٣٨٣/١-٤١٦، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا، و لو صحّ النقل يدل على سعه اطلاع ابن عباس على ديوان العرب.

حجراً أخا كنده، و المصلين الذين كانوا ينكرون الظلم و يستعظمون البدع، و لا يخافون في الله لومه لائم، قتلهم ظلماً و عدواناً من بعد ما كنت أعطيتهم الأيمان المغلظه و المواثيق المؤكده» (١) و قد استشهد في مرج عذراء عام ٥١ هـ.

قال ابن الأثير في أسد الغابه بعد عدّه من الصحابه: هو المعروف بحجر الخير، شهد القادسيه و كان من فضلاء الصحابه، و كان على كنده بصفين، و على الميسره يوم النهروان، و شهد الجمل أيضاً مع عليّ عليه السلام و كان من أعيان صحابته (٢).

٥. كميل بن زياد النخعي:

الذي يعرفه ابن حجر و غيره بقوله: كميل بن زياد بن نهيك بن الهيثم النخعي، حدث عن عليّ و غيره، شهد صفين مع عليّ، و كان شريفاً مطاعاً، ثقه عابداً على تشيعه، قليل الحديث قتله الحجاج و وثقه ابن سعد و ابن معن (٣).

أقول: كان كميل من خيار الشيعة و خاصه أمير المؤمنين، طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال:

أنا شيخ كبير و قد نفذ عمري، و لا ينبغي أن أكون سبياً في حرمان قومي، فاستسلم للحجاج، فلما رآه قال له: كنت أحب أن أجد عليك سيلاً، فقال له كميل: لا تبرق و لا ترعد!، فو الله ما بقي من عمري إلّا مثل الغبار، فاقض فإن الموعد الله عزّ و جلّ، و بعد القتل الحساب، و لقد أخبرني أمير المؤمنين أنك قاتلي، فقال الحجاج: الحجة عليك إذأ!، فقال: ذلك إن كان القضاء لك، قال: اضربوا عنقه (٤).

ص: ٣٠٥

١- ١. ابن قتيبة: الإمامه و السياسه: ١/١٦٤-١٦٥، ط مصر. [١]

٢- ٢. ابن الأثير: أسد الغابه: ١/٣٨٥. [٢]

٣- ٣. الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣/٤١٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٨/٤٤٧ برقم ٨١١. [٣]

٤- ٤. الخوئي: معجم رجال الحديث: ١٤/١٢٨ برقم ٩٧٥٣. [٤]

كفى فى وعيه و معرفته و عرفانه أنّ الإمام علّمه دعاءه المعروف باسمه، و فيه من النكات البديعه و الإشارات اللطيفه التى لا يتحمّلها إلّا الأوحديّ.

٦. الأصبغ بن نباته:

التميميّ الحنظليّ المجاشعيّ الكوفيّ من خاصّه أمير المؤمنين و عمّر بعده. روى عنه عليه السلام عهد الأشر و وصيته إلى ابنه، قال المفيد: كان رحمه الله من خواصّ أصحابه عليه السلام، و كثير الحبّ له، و كان رجلاً فاضلاً، كثير الروايه، متفقاً فى حديثه من كبار التابعين، و كان أكثر رواياته عن أمير المؤمنين عليه السلام و له روايات كثيره فى فنون العلم، و أبواب الفقه و التفسير و الحكم و غيرها (١).

٧. زيد بن صوحان العبدى:

عدّه الشيخ الطوسى من أصحاب أمير المؤمنين قائلاً: كان من الأبدال، قتل يوم الجمل، و قيل استرجعت عائشه حين سمعت أنّه قتل (٢) و لما صرع يوم الجمل جلس علىّ عند رأسه فقال: «رحمك الله يا زيد، لقد كنت خفيف المؤنه، عظيم المعونه»، فرفع زيد رأسه ثمّ قال: و أنت فجزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين... و الله ما قاتلت معك على جهاله، و لكن سمعت أمّ سلمه زوج رسول الله تقول: سمعت رسول الله يقول: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله»، فكرهت أن أخذك فيخذلنى الله.

ص: ٣٠٦

١ - (١). النجاشى: الرجال: ١/٦٠ برقم ٥، و ابن سعد فى الطبقات الكبرى: ٦/٢٥٥، و [١] المفيد فى الاختصاص: ٦٥، و الكشى فى الرجال برقم ٤٢.

٢ - (٢). الطوسى: الرجال: ٦٤ برقم ٥٦٦، أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

و كتبت عائشه من البصره إلى زيد بن صوحان: من عائشه زوج النبي إلى ابنها زيد بن صوحان أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك و خذّل الناس عن علي بن أبي طالب، حتى يأتيك أمرى، فلما قرأ كتابها قال: أمرت بأمر و أمرنا بغيره، فركبت ما أمرنا به، و أمرتنا أن نركب ما أمرت به، أمرت أن تقرّ في بيتك و أمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة (١).

٨. صعصعه بن صوحان:

صعصعه بن صوحان العبدي روى عهد مالك بن الحارث الأشتر (٢). و قال ابن عبد البر: أسلم في عهد رسول الله و لم يره (٣).

و قال ابن الأثير: إن صعصعه كان من سادات قومه «عبد القيس» و كان فصيحاً خطيباً ديناً فاضلاً يعدّ في أصحاب عليّ و شهد معه حروبه، و هو القائل لعمر بن الخطاب حتى قسّم المال الذي بعث إليه أبو موسى و كان ألف ألف درهم و فضلت فضله فاختلفوا أين يضعها، فخطب عمر الناس و قال: أيها الناس قد بقيت لكم فضله بعد حقوق الناس، فقام صعصعه و هو غلام شاب و قال: إنما نشاور الناس فيما لم ينزل فيه قرآن، فأما ما نزل به القرآن فضعه في مواضعه التي وضعها الله عزّ و جلّ فيها، فقال: صدقت أنت مني و أنا منك، فقسّمه بين المسلمين، و هو من سيّره عثمان إلى الشام و توفي أيام معاوية و كان ثقة، جليل الحديث، أخرجّه الثلاثة (٤).

ص: ٣٠٧

١- ١. الكشي: الرجال: ٦٣-٦٤.

٢- ٢. النجاشي: ٤٤٨/١ برقم ٥٤٠.

٣- ٣. الاستيعاب: ١٨٥/٢. [١]

٤- ٤. ابن الأثير: أسد الغابه: ٢٠/٣. [٢]

التابعي المعروف بالعفة والزهد والعبادة، وكان يصلي خلف الإمام زين العابدين. و ذكر أنه لما دخل على الحجاج قال له: أنت شقي بن كسير، فقال: أمي أعرف باسمي منك، ثم بعد ردّ و بدل أمر الحجاج بقتله، فقال سعيد: «وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» ١، فقال الحجاج: شدّوه إلى غير القبلة، فقال: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ» ٢ فقال: كبوه على وجهه، قال: «مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» ٣، ثم ضربت عنقه (١).

١٠. قنبر مولى أمير المؤمنين:

صاحب سرّه و مستودع علمه. قال الحجاج لبعض جلاوزته: أحبّ أن أُصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب، فقال: ما نعلم أحداً كان أطول صحبه له من مولاة قنبر، فبعث في طلبه فقال: أنت قنبر؟ قال: نعم. قال له: ابرأ من دين عليّ. فقال له: هل تدلّني على دين أفضل من دينه؟ قال: إنني قاتلك فاختر أيّ قتله أحبّ إليك؟ قال: أخبرني أمير المؤمنين: أن ميتي تكون ذبحاً بغير حق، فأمر به فذبح كما تذبح الشاه (٢).

ص: ٣٠٨

١-٤). الكشي: الرجال: ١١٠، برقم ٥٥؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب: ١٢/٤.

٢-٥). الكشي: الرجال: ٦٧-٧٠ برقم ٢١.

هو صاحب أمير المؤمنين و أمره في الجلاله، و رفعه المنزله و علو الشأن مستغن عن البيان، كان عبداً لامرأه فاشتراه عليّ فأعتقه، قال: «ما اسمك؟» قال: له سالم. قال: «حدّثني رسول الله أنّ اسمك الذي سمّاك أبوك في العجم: ميثم؟» قال: صدق الله و رسوله فرجع إلى ميثم و اكتبنّ بأبي سالم، و قد أخبره عليّ بأنّه يصلب على باب عمرو بن حريث عاشر عشره هو أفصرهم خشبه، و أراه النخله التي يصلب على جذعها، و كان ميثم يأتي و يصلّي عندها.

و قال لابن عباس: سلني عمّا شئت من تفسير القرآن فإنّي قرأت تنزيله عند أمير المؤمنين و علّمني تأويله، فقال: يا جاريه هات الدواه و القلم، فأقبل يكتب (١).

١٢. مالك بن الحارث الأشتر النخعي:

عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام أمير المؤمنين و قائد قوّاته في حرب الجمل و صفين، أمره في الجلاله و الوثاقه و الشجاعه و المناظره أظهر من أن يبيّن، و لما بلغ عليّاً عليه السلام موته، قال: «رحم الله مالكا، لو كان صخرًا لكان صلدًا، و لو كان جبلاً لكان فندًا».

لم يزل يكافح النزعات الأمويه، من عصر الخليفه عثمان إلى أن استشهد في مصر بيد أحد عملاء معاويه (٢).

و من نماذج كلامه ما ذكره عند تجهيز أبي ذر، حيث خرج مع رهط إلى الحج

ص: ٣٠٩

١- ١). الكشي: الرجال: ٤٧، برقم ٢٤.

٢- ٢). المامقاني: تنقيح المقال: ٣/٢٦٢ برقم ١٢٣٤٤. [١]

فإذا امرأه على قارعه الطريق تقول: يا عباد الله، هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد هلك غريباً ليس لى أحد يعينى عليه، فنزل و نزل الرهط، فلما جهّزوه، وصلى عليه الأشر قام على قبره و قال: اللهم هذا أبو ذر صاحب رسول الله عبدك فى العابدين، و جاهد فيك المشركين، لم يغير و لم يبدل، لكنه رأى منكراً فغيره بلسانه و قلبه، حتى جفنى و نفى و جرم و احتقر ثم مات وحيداً، اللهم فاقصم من حرمه و نفاه من حرم رسولك. فقال الناس: آمين (١).

هؤلاء اثنا عشر رجلاً من رجال الدعوه و الإصلاح و الذبّ و الدفاع عن حريم العقيدة، المعروفون بنفسياتهم الكريمة، و ملكاتهم الفاضله، و سعيهم وراء الدعوه إلى الحق، و مع ذلك نراهم ما بين قتيل و شريد و سجين، إلى غير ذلك من ألوان العذاب التى عمّت هؤلاء الذائين عن حريم العقيدة.

و ما نعموا منهم، سوى الاصحار بالحقيقه، و الإجهار بالولايه، و السعى وراء العقيدة الحقه.

فبعض هؤلاء إن لم يكونوا متكلمين بالمعنى المصطلح، لكن كانوا ذائين عن حريم العقيدة بالكتاب و السنه، و البعض الآخر كان من أكبر متكلمى عصرهم لا يشقّ غبارهم و لا يدرك شأوهم.

ص: ٣١٠

١. زراره بن أعين بن سنسن:

مولى (بنى عبد الله بن عمرو السمين بن أسعد بن همام بن مرّه بن ذهل بن شيبان)، أبو الحسن، شيخ أصحابنا في زمانه، و متقدمهم، و كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خلال الفضل و الدين، صادقاً في ما يرويه.

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه: رأيت له كتاباً في الاستطاعة و الجبر (١). و قال ابن النديم: و زراره أكبر رجال الشيعة فقهاً و حديثاً و معرفةً بالكلام و التشيع. (٢) و هو من الشخصيات البارزة للشيعة التي اجتمعت العصابة على تصديقهم، هو غنى عن التعريف و التوصيف.

٢. محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفه البجلي:

يُعرفه النجاشي بقوله: مولى، الأ-حول «أبو جعفر» كوفى، صيرفى، يلقب مؤمن الطاق و «صاحب الطاق» و يلقبه المخالفون «شيطان الطاق»... و كان دكانه في طاق المحامل بالكوفة، فيرجع إليه في النقد فيردّ ردّاً فيخرج كما يقول فيقال «شيطان الطاق»، فأما منزلته في العلم و حسن خاطر، فأشهر، و قد نسب إليه أشياء لم تثبت عندنا و له كتاب «افعل لا تفعل» رأيتُه عند أحمد بن الحسين بن عبيد الله رحمه الله، كتاب حسن كبير و قد أدخل فيه بعض المتأخرين أحاديث تدلّ على فساد، و يذكر تباين أقاويل الصحابه، و له كتاب «الاحتجاج في إمامه أمير

ص: ٣١١

١ - ١). النجاشي: الرجال ٣٩٧/١ برقم ٤٦١؛ الطوسى: الفهرست: برقم ٣١٤؛ [١] الكشى: الرجال: برقم ٦٢؛ الذهبى: ميزان الاعتدال: ٢/ برقم ٢٨٥٣.

٢ - ٢). ابن النديم: الفهرست: ٣٢٣. [٢]

المؤمنين عليه السلام»، وكتاب كلامه على الخوارج، وكتاب مجالسه مع أبي حنيفة و المرجئه... (١)، و قد توفي الإمام الصادق عليه السلام عام ١٤٨، و أبو حنيفة عام ١٥٠، فالرجل من متكلمي القرن الثاني.

و قال ابن النديم: و كان متكلماً حاذقاً، و له من الكتب كتاب الإمامه، كتاب المعرفه، كتاب الردّ على المعتزله في إمامه المفضول، كتاب في أمر طلحه و الزبير و عائشه (٢).

٣. هشام بن الحكم:

قال ابن النديم: هو من متكلمي الشيعة الإماميه و بطانتهم، و ممن دعا له الصادق عليه السلام، فقال: «أقول لك ما قال رسول الله لحسان:

لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك»، و هو الذي فتح الكلام في الإمامه، و هدّب المذهب، و سهّل طريق الحجاج فيه، و كان حاذقاً بصناعه الكلام، حاضر الجواب (٣).

يقول الشهرستاني: و هذا هشام بن الحكم، صاحب غور في الأصول لا ينبغي أن يغفل عن إزماته على المعتزله، فإنّ الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، و دون ما يظهره من التشبيه و ذلك أنّه ألزم العلاف... (٤).

و قال النجاشي: هشام بن الحكم، أبو محمد مولى كنده، و كان ينزل بني شيبان بالكوفه، انتقل إلى بغداد سنه ١٩٩، و يقال أنّ في هذه السنه مات، له كتاب يرويه جماعه. ثمّ ذكر أسماء كتبه على النحو التالي:

ص: ٣١٢

١ - ١). النجاشي: الرجال: ٢٠٣/٢ برقم ٨٧٨؛ الطوسي: الرجال: أصحاب الكاظم برقم ١٨؛ الفهرست للطوسي: برقم ٥٩٤؛ الكشي: الرجال: برقم ٧٧.

٢ - ٢). ابن النديم: الفهرست: ٢٦٤، و أيضاً [١] ص ٢٥٨.

٣ - ٣). ابن النديم: الفهرست: ٢٥٧. [٢]

٤ - ٤). الشهرستاني: الملل و النحل: ١/١٨٥. [٣]

١. علل التحريم ٢. الإمامه ٣. الدلالة على حدوث الأجسام ٤. الرد على الزنادقه ٥. الرد على أصحاب الاثنين ٦. الرد على هشام الجواليقي ٧. الرد على أصحاب الطبائع ٨. الشيخ و الغلام في التوحيد ٩. التدبير في الإمامه ١٠. الميزان ١١. إمامه المفضول ١٢. الوصيه و الرد على منكريها ١٣. الميدان ١٤. اختلاف الناس في الإمامه ١٥. الجبر و القدر ١٦. الحكمين ١٧. الرد على المعتزله و طلحه و الزبير ١٨.

القدر ١٩. الألفاظ ٢٠. الاستطاعه ٢١. المعرفه ٢٢. الثمانيه أبواب ٢٣. الأخبار ٢٤. الرد على المعتزله ٢٥. الرد على ارسطاطاليس في التوحيد ٢٦. المجالس في التوحيد ٢٧. المجالس في الإمامه (١).

يقول أحمد أمين: أكبر شخصيه شيعيه في الكلام، و كان جدلاً قوياً الحجّه، ناظر المعتزله و ناظروه، و نقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيره متفرقه تدلّ على حضور بديهته و قوّه حجته (٢).

ثمّ إنّه كان في بدايه أمره من تلاميذ أبي شاعر الديصاني، صاحب النزعه الإلحاديه في الإسلام، ثمّ تبع الجهم بن صفوان، الجبري المتطرّف المقتول بترمد، عام ١٢٨ هـ، ثمّ لحق بالإمام الصادق عليه السلام و دان بمذهب الإماميه، و ما تنقل منه من الآراء التي لا توافق أصول الإماميه، فإنّما هي راجعه إلى العصرين اللذين كان فيهما على النزعه الإلحاديه أو الجهميه، و أمّا بعد ما لحق بالإمام الصادق عليه السلام، فقد انطبعت عقلتيه بمعارف أهل البيت إلى حدّ كبير، حتى صار أحد المدافعين عن عقائد الشيعه الإماميه (٣).

ص: ٣١٣

١-١. النجاشي: الرجال: ٣٩٧/٢ برقم ١١٦٥.

٢-٢. عبد الله نعمه: هشام بن الحكم: ٧٥.

٣-٣. إنّ للعلامه الحجّه الشيخ عبد الله نعمه كتاباً في حياه هشام بن الحكم، فقد أغرق نزعاً في التحقيق و أغنانا عن كل بحث و تنقيب.

٤. قيس بن الماصر:

أحد أعلام المتكلمين، تعلم الكلام من علي بن الحسين عليه السلام، روى الكليني أنه أتى شامي إلى أبي عبد الله الصادق ليناظر أصحابه، فقال عليه السلام ليونس بن يعقوب: انظر من ترى بالباب من المتكلمين... إلى أن قال يونس: فأدخلت زواره بن أعين و كان يحسن الكلام، و أدخلت الأحول و كان يحسن الكلام، و أدخلت هشام بن الحكم و هو يحسن الكلام، و أدخلت قيس بن الماصر، و كان عندي أحسنهم كلاماً و قد تعلم الكلام من علي بن الحسين عليهما السلام (١).

٥. عيسى بن روضه حاجب المنصور:

كان متكلماً، جيد الكلام، و له كتاب في الإمامه و قد وصفه أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد، و ذكر أنه رأى الكتاب و قال بعض أصحابنا رحمهم الله: إنه رأى هذا الكتاب، و قرأت في بعض الكتب: أن المنصور لما كان بالحيرة، تسمع على عيسى بن روضه، و كان مولاه و هو يتكلم في الإمامه، فأعجب به و استجاد كلامه (٢) و بما أن المنصور توفي عام ١٥٨، فالرجل من متكلمي القرن الثاني.

٦. الضحاک، أبو مالك الحضرمي:

كوفي، عربي، أدرك أبا عبد الله عليه السلام، و قال قوم من أصحابنا: روى عنه، و قال آخرون: لم يرو عنه، روى عن أبي الحسن، و كان متكلماً، ثقة في الحديث، و له كتاب في التوحيد رواه عنه علي بن الحسين الطاطري (٣)، فالرجل من متكلمي

ص: ٣١٤

١-١. الكليني: الكافي: ١/١٧١. [١]

٢-٢. النجاشي: الرجال: ١٤٥/٢ برقم ٧٩٤.

٣-٣. النجاشي: الرجال: ١/٤٥١ برقم ٥٤٤.

القرن الثاني، وقال ابن النديم: من متكلمي الشيعة، وله مع أبي عليّ الجبائي مجلس في الإمامه و تشيبتها بحضرة أبي محمد القاسم بن محمد الكرخي، وله من الكتب: كتاب الإمامه، نقض الإمامه على أبي عليّ و لم يتمّه (١).

٧. علي بن الحسن بن محمد الطائفي:

المعروف ب«الطاطري» كان فقيهاً، ثقه في حديثه، له كتب، منها: التوحيد، الإمامه، الفطره، المعرفه، الولايه (٢) و غيرها. و عدّه ابن النديم من متكلمي الإماميه و قال: «و من القدماء: الطاطري و كان شيعياً و اسمه... و تنقل في التشيع و له من الكتب كتاب الإمامه حسن. (٣)

و بما أنّه من أصحاب الإمام الكاظم فهو من متكلمي القرن الثاني.

٨. الحسن بن علي بن يقطين بن موسى:

مولى بنى هاشم، و قيل مولى بنى أسد، كان فقيهاً متكلماً روى عن أبي الحسن و الرضا عليهما السلام، و له كتاب مسائل أبي الحسن موسى عليه السلام (٤) و بما أنّ أبا الحسن الأوّل توفي عام ١٨٣، و الثاني توفي عام ٢٠٣، فالرجل من متكلمي القرن الثاني و أوائل القرن الثالث؛ و ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الرضا (٥) و هو الذي سأل الإمام الرضا عليه السلام بأنّه لا يقدر على لقائه في كل وقت فعمن يأخذ معالم دينه؟ فأجاب الإمام عليه السلام: «خذ عن يونس بن عبد الرحمن» (٦).

ص: ٣١٥

١-١. ابن النديم: الفهرست: ٢٦٦. [١]

٢-٢. النجاشي: الرجال: ٧٧/٢ برقم ٦٦٥.

٣-٣. ابن النديم: الفهرست: ٢٦٦. [٢]

٤-٤. النجاشي: الرجال: ١٤٨/١ برقم ٩.

٥-٥. الشيخ الطوسي: الرجال: برقم ٧.

٦-٦. النجاشي: ٤٢١/٢ برقم ١٢٠٩.

٩. حديد بن حكيم:

أبو علي الأزدي المدائني، ثقة، وجه، متكلم، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام، له كتاب يرويه محمد بن خالد (١).

و بما أنه من تلاميذ الصادق و الكاظم عليهما السلام فالرجل من متكلمي الشيعة في القرن الثاني.

١٠. فضال بن الحسن بن فضال:

و هو من متكلمي عصر الصادق عليه السلام، و ذكر الطبرسي في احتجاجه مناظرته مع أبي حنيفة، فلاحظ (٢).

و ما ذكرناه نماذج من مشاهير المتكلمين في عصر الصادقين و الكاظم عليهم السلام، و هناك من لم نذكرهم و لهم مناظرات و احتجاجات احتفلت بها الكتب التاريخيه و الكلاميه، كحمران بن أعين الشيباني، و هشام بن سالم الجواليقي، و السيد الحميري، و الكميت الأسدی (٣).

متكلمو الشيعة في القرن الثالث:

١. الفضل بن شاذان بن الخليل أبو محمد الأزدي النيشابوري:

كان أبوه من أصحاب يونس، و روى عن أبي جعفر الثاني و قيل الرضا عليهما السلام، و كان ثقة، أحد أصحابنا الفقهاء، و المتكلمين، و له جلاله في هذه الطائفة، و هو في

ص: ٣١٦

١- ١). النجاشي: الرجال: ٣٧٧/١ برقم ٣٨٣، و ذكره الخطيب في تاريخه: ج ٨ برقم ٤٣٧٧.

٢- ٢). التستري: قاموس الرجال: ٣١٣/٤.

٣- ٣). لاحظ أعيان الشيعة: ١/١٣٤-١٣٥. [١]

قدره أشهر من أن نصفه، و ذكر الكنجي أنه صنّف مائه و ثمانين كتاباً.

و ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب الإمام الهادي و العسكري عليهما السلام، و قد توفي عام ٢٦٠ هـ، فهو من متكلمي القرن الثالث، و قد ذكر النجاشي فهرس كتبه نقّبتس منه ما يلي:

النقض على الاسكافي في تقوية الجسم، الوعيد، الردّ على أهل التعطيل، الاستطاعة، مسائل في العلم، الاعراض و الجواهر، العلل، الإيمان، الردّ على الثنويه، إثبات الرجعه، الردّ على الغاليه المحمديه، تبيان أصل الضلاله، الردّ على محمد بن كرام، التوحيد في كتب الله، الردّ على أحمد بن الحسين، الردّ على الأصم، كتاب في الوعد و الوعيد آخر، الردّ على بيان (يمان) بن رباب (الخارجي)، الردّ على الفلاسفه، محنه الإسلام، أربع مسائل في الإمامه، الردّ على المنّانيه، الردّ على المرجئه، الردّ على القرامطه، الردّ على البائسه، اللطيف، القائم عليه السلام، كتاب الإمامه الكبير، كتاب حذو النعل بالنعل، فضل أمير المؤمنين عليه السلام، معرفه الهدى و الضلاله، التعزّي و الحاصل، الخصال في الإمامه، المعيار و الموازنه، الردّ على الحشويه، الردّ على الحسن البصري في التفضيل، النسبه بين الجبريه و البتريه (١).

٢. حكم بن هشام بن الحكم:

أبو محمّد، مولى كنده، سكن البصره، و كان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، و حكى عنه مجالس كثيره، ذكر بعض أصحابنا أنه رأى له كتاباً في الإمامه (٢)، و قد توفي والده ٢٠٠ أو ١٩٩، فهو من متكلمي أواخر القرن الثاني، و أوائل القرن الثالث.

ص: ٣١٧

١- (١). النجاشي: الرجال: ١٦٨/٢ برقم ٨٣٨، و الطوسي: الرجال: برقم ١ و ٢ في أصحاب الهادي و العسكري، و الكشي: الرجال: برقم ٤١٦.

٢- (٢). النجاشي: الرجال: ٣٢٨/٢ برقم ٣٤٩.

٣. داود بن أسد بن أعفر:

أبو الأَحوص البصرى (رحمه الله) شيخ جليل، فقيه متكلم، من أصحاب الحديث، ثقة ثقة، وأبوه من شيوخ أصحاب الحديث الثقات، له كتب، منها: كتاب فى الإمامه على سائر من خالفه من الأمم، والآخر مجرّد الدلائل و البراهين، و ذكره الشيخ الطوسى فى فهرست فى باب الكنى، و قال: إنّه من جملة متكلمى الإماميه، لقيه الحسن بن موسى النوبختى، و أخذ عنه، و اجتمع معه فى الحائر على ساكنه السلام، و كان ورد للزياره فيما أنّه من مشايخ الحسن بن موسى النوبختى المعاصر للجبائى (المتوفى ٣٠٣ هـ) فهو من متكلمى القرن الثالث (١).

٤. محمّد بن عبد الله بن مملك الاصبهاني:

أصله من جرجان، و سكن اصبهان، جليل فى أصحابنا، عظيم القدر و المنزله كان معتزلياً و رجع على يد عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه (رحمه الله)، له كتب منها: كتاب الجامع فى سائر أبواب الكلام كبير، و كتاب المسائل و الجوابات فى الإمامه، كتاب مواليده الأئمه عليهم السلام، كتاب مجالسه مع أبى على الجبائى (٢٣٥-٣٠٣ هـ) (٢).

٥. ثبيت بن محمّد، أبو محمّد العسكري:

صاحب أبى عيسى الوراق (محمّد بن هارون) متكلم حاذق، من أصحابنا العسكريين، و كان أيضاً له اطلاع بالحديث و الروايه، و الفقه، له كتب:

ص: ٣١٨

[١-١]. النجاشى: الرجال: ٣٦٤/١، و فهرست الشيخ: ٢٢١. [١]

[٢-٢]. النجاشى: الرجال: ٢٩٧/٢ برقم ١٠٣٤.

١. كتاب توليدات بنى أميّه فى الحديث، و ذكر الأحاديث الموضوعه.

٢. الكتاب الذى يعزى إلى أبى عيسى الوراق فى نقض العثمانيه له.

٣. كتاب الأسفار.

٤. دلائل الأئمه عليهم السلام (١).

و بما أنه من أصحاب أبى عيسى الوراق، و قد توفى هو فى ٢٤٧، فالرجل من متكلمى القرن الثالث.

٦. إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن هلال المخزومى:

أبو محمّد، أحد أصحابنا، ثقّه فيما يرويه، قدم العراق، و سمع أصحابنا منه، مثل أيوب بن نوح، و الحسن بن معاويه، و محمّد بن الحسين، و على بن حسن بن فضال، له كتاب التوحيد، كتاب المعرفه، كتاب الإمامه.

و بما أنّ الراوى عنه كعلّى بن حسن بن فضال من أصحاب الهادى و العسكرى عليهما السلام، و قد توفى الإمام العسكرى عام ٢٦٠، فهو فى رتبه حسن بن على ابن فضال، الذى هو من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام فيكون من متكلمى القرن الثالث (٢).

٧. محمد بن هارون:

أبو عيسى الوراق: له كتاب الإمامه، و كتاب السقيفه، و كتاب الحكم على سوره لم يكن، و كتاب اختلاف الشيعه و المقالات. و قال ابن حجر: له تصانيف

ص: ٣١٩

١- (١). النجاشى: الرجال: ٢٩٣/١ برقم ٢٩٨، و ثبت على وزان زبير.

٢- (٢). النجاشى: الرجال: ١٢٠/١ برقم ٦٦.

على مذهب المعتزله. وقال المسعودي: له مصنّفات حسان في الإمامه و غيرها و كانت وفاته سنه ٢٤٧ (١).

٨. إبراهيم بن سليمان بن أبي داحه المزني، مولى آل طلحه بن عبيد الله:

أبو إسحاق، و كان وجه أصحابنا البصريين في الفقه و الكلام و الأدب و الشعر، و الجاحظ يحكى عنه، و قال الجاحظ (في البيان و التبيين): حدّثني إبراهيم ابن داحه عن محمد بن أبي عمير (٢).

و بما أنّ استاذه ابن أبي عمير توفي عام ٢١٧، و الجاحظ، الراوى عنه توفي عام ٢٥٥، فهو من متكلّمي القرن الثالث.

٩. الشّكّال:

قال ابن النديم: صاحب هشام بن الحكم و خالفه في أشياء إلّا في أصل الإمامه، و له من الكتب: كتاب المعرفه، كتاب في الاستطاعه، كتاب الإمامه، كتاب على من أبي و جوب الإمامه بالنص (٣)، و بما أنّ هشاماً توفي عام ١٩٩، فالرجل من متكلّمي أوائل القرن الثالث.

١٠. الحسين بن اشكيب:

شيخ لنا، خراساني ثقة مقدّم، ذكره أبو عمرو في كتاب الرجال في أصحاب

ص: ٣٢٠

١- ١). النجاشي: الرجال: ٢/٢٨٠ برقم ١٠١٧، ابن حجر: لسان الميزان: ج ٥ برقم ١٣٦٠، المحقق الداماد: الرواشح السماويه: ٥٥ و [١] مرّ ذكره في ترجمه ثبت، و ما في كلام ابن حجر من عدّه من المعتزله، ناش عن الخلط بين المعتزله و الإماميه.

٢- ٢). النجاشي: الرجال: ١/٨٧ برقم ١٣؛ و ٢/٢٠٥ برقم ٨٨٨؛ البيان و التبيين: ١/٦١. [٢]

٣- ٣). ابن النديم: الفهرست: ٢٦٤. [٣]

أبي الحسن، صاحب العسكر عليه السلام، وصفه بأنه عالم متكلم مؤلف للكتب، المقيم بسمرقند و كاش، و له من الكتب: كتاب الردّ على من زعم أنّ النبي كان على دين قومه، و الردّ على الزيديه، و بما أنّه من أصحاب أبي الحسن المتوفّي عام ٢٦٠، فهو من متكلمي القرن الثالث (١).

و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام (٢).

١١. عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه، أبو محمّد العسكري: ٧

متكلم من أصحابنا، حسن التصنيف، جيّد الكلام، و على يده رجح محمد ابن عبد الله بن مملك الاصبهاني عن مذهب المعتزله، و قد كلّم عباد بن سليمان و من كان في طبقتّه، وقع إلينا من كتبه: كتاب الكامل في الإمامه، كتاب حسن (٣).

و بما أنّ محمد بن عبد الله معاصر للجبائي (٢٣٥-٣٠٣ هـ) و له مجالس معه (٤)، فالرجل من متكلمي القرن الثالث، و لعله أدرك أوائل القرن الرابع.

١٢. علي بن منصور:

أبو الحسن، كوفي سكن بغداد، متكلم من أصحاب هشام، له كتب، منها: كتاب التدبير في التوحيد و الإمامه (٥)، و قال النجاشي في ترجمه هشام بن الحكم، كتاب التدبير في الإمامه، و هو جمع على بن منصور من كلامه (٦)، و بما أنّ هشام توفّي عام ١٩٩، فالرجل من متكلمي القرن الثاني، و أوائل القرن الثالث.

ص: ٣٢١

١-١. النجاشي: الرجال: ١٤٦/١ برقم ٨٧.

٢-٢. الشيخ الطوسي: الرجال: برقم ١٨. [١]

٣-٣. النجاشي: الرجال: ٤٧/٢ برقم ٦٢٣.

٤-٤. النجاشي: الرجال: ٢٩٧/٢ برقم ١٠٣٤. [٢]

٥-٥. النجاشي: الرجال: ٧١/٢ برقم ٦٥٦.

٦-٦. النجاشي: الرجال: ٣٩٧/٢ برقم ١١٦٥.

١٣. علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار:

أبو الحسن، مولى بني أسد، كوفى، سكن البصره، و كان من وجوه المتكلمين من أصحابنا، كَلَّمَ أبا الهذيل (١٣٥-٢٣٥ هـ) و النظام (١٦٠-٢٣١ هـ) له مجالس و كتب، منها: كتاب الإمامه، كتاب مجالس هشام بن الحكم، و كتاب المتعه. (١) و عدّه الشيخ فى رجاله من أصحاب الرضا برقم ٥٢، فهو من متكلمى القرن الثالث.

و قال ابن النديم: أوّل من تكلم فى مذهب الإمامه على بن إسماعيل بن ميثم التمار، و ميثم (جدّه) من جلّه أصحاب على رضى الله عنه، و لعلّى من الكتب: كتاب الإمامه، كتاب الاستحقاق (٢).

متكلمو الشيعة فى القرن الرابع:

١. الحسن بن على بن أبى عقيل:

أبو محمد العماني، الحذاء، فقيه متكلم ثقة، له كتب فى الفقه و الكلام منها: كتاب «التمسك بحبل آل الرسول»، قال النجاشى:

و قرأت كتابه المسمّى: الكزّ و الفرّ، على شيخنا أبى عبد الله المفيد (رحمه الله)، و هو كتاب فى الإمامه، مليح الوضع.

و ذكره الشيخ فى الفهرست و الرجال (٣)، و بما أنّه من مشايخ أبى القاسم جعفر بن محمد المتوفّى عام ٣٦٨ هـ، فالرجل من أعيان القرن الرابع، المعاصر للكلىنى، المتوفّى عام ٣٢٩ هـ.

ص: ٣٢٢

١- ١). النجاشى: الرجال: ٧٢/٢ برقم ٦٥٩.

٢- ٢). الفهرست لابن النديم: ٢٦٣. [١]

٣- ٣). النجاشى: الرجال: ١٥٣/١ برقم ٩٩، و لاحظ فهرست الشيخ: رقم ٢٠٤، و رجاله فى باب من لم يرو عنهم عليهم السلام برقم

٢. إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت:

كان شيخ المتكلمين من أصحابنا وغيرهم، له جلاله في الدنيا والدين، يجري مجرى الوزراء في جلاله الكتاب، صنّف كتباً كثيرة، منها: كتاب الاستيفاء في الإمامه، التنبيه في الإمامه - قال النجاشي: قرأته على شيخنا أبي عبد الله المفيد (رحمه الله) - كتاب الجمل في الإمامه، كتاب الردّ على محمد بن الأزهري في الإمامه، كتاب الردّ على اليهود، كتاب في الصفات للردّ على أبي العتاهيه (١٣٠-٢١١هـ) في التوحيد في شعره، كتاب الخصوص والعموم والأسماء والأحكام، كتاب الإنسان والردّ على ابن الراوندي، كتاب التوحيد، كتاب الأرجاء، كتاب النفي والإثبات، مجالسه مع أبي علي الجبائي (٢٣٥-٣٠٣هـ) بالأهواز، كتاب في استحاله رؤيه القديم، كتاب الردّ على المجبره في المخلوق، مجالس ثابت بن أبي قرّه (٢٢١-٢٨٨هـ)، كتاب النقض على عيسى بن أبان في الاجتهاد، نقض مسأله أبي عيسى الوراق في قدم الأجسام، كتاب الاحتجاج لنبوه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كتاب حدوث العالم (١).

وقال ابن النديم: أبو سهل إسماعيل بن علي بن نوبخت من كبار الشيعة وكان أبو الحسن الناشئ يقول: إنّه أستاذه وكان فاضلاً، عالماً، متكلماً، وله مجالس بحضره جماعه من المتكلمين... وذكر فهرس كتبه (٢).

٣. الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه:

أخو الصدوق القمي أبو عبد الله، ثقة روى عن أبيه إجازة، وله كتب، منها: كتاب التوحيد ونفي التشبيه، وكتاب عمله للصاحب أبي القاسم بن عباد (٣٢٦)

ص: ٣٢٣

١- ١). النجاشي: الرجال: ١/١٢١ برقم ٦٧ (وهو خال الحسن بن موسى مؤلف فرق الشيعة).

٢- ٢). ابن النديم: الفهرست: ٢٦٥. [١]

٣٨٥هـ) و قد توفّي أخوه عام ٣٨١هـ، فهو من أعيان القرن الرابع، وهو و أخوه ولدا بدعوه صاحب الأمر، ترجمه ابن حجر في لسان الميزان (١).

٤. محمد بن بشر الحمدوني «أبو الحسن السوسنجردى»:

متكلم جيد الكلام، صحيح الاعتقاد، كان يقول بالوعيد، له كتب منها: كتاب المقنع في الإمامه، كتاب المنقذ في الإمامه (٢).
وقال ابن النديم: السوسنجردى من غلمان أبي سهل النوبختي، يكنى أبا الحسن، ويعرف بالحمدوني منسوباً إلى آل حمدون، وله من الكتب: كتاب الإنقاذ في الإمامه (٣).
وقال ابن حجر: كان زاهداً ورعاً متكلماً، على مذهب الإماميه، وله مصنّفات في نصره مذهبه (٤).

٥. يحيى أبو محمد العلوي من بني زياره:

علويّ، سيّد، متكلم، فقيه، من أهل نيشابور، قال الشيخ الطوسي: جليل القدر، عظيم الرئاسة، متكلم، حاذق، زاهد، ورع، لقيت جماعه ممن لقوه و قرءوا عليه، له كتاب إبطال القياس، و كتاب في التوحيد (٥)، و على هذا فالرجل في درجه شيخ مشايخ الطوسي، فهو من متكلمي القرن الرابع.

ص: ٣٢٤

١-١). النجاشي: الرجال: ١٨٩/١ برقم ١٦١، ابن حجر: لسان الميزان: ٣٠٦/٢ برقم ١٢٦٠.

٢-٢). النجاشي: الرجال: ٢٩٧/٢ برقم ١٠٣٧.

٣-٣). ابن النديم: الفهرست: ٢٦٦. [١]

٤-٤). ابن حجر: لسان الميزان: ٩٣/٥ برقم ٣٠٤.

٥-٥). النجاشي: الرجال: ٤١٣/٢ برقم ١١٩٢، و قد جاءت ترجمته أيضاً برقم ١١٩٥؛ الشيخ الطوسي: الفهرست: برقم ٨٠٣. [٢]

٦. محمد بن القاسم، أبو بكر:

بغدادى، متكلم، عاصر ابن همام، له كتاب فى الغيبه، كلام (١) و ابن همام هو محمد بن أبى بكر بن سهيل الكاتب الاسكافى الذى ترجم له النجاشى فى رجاله برقم ١٠٣٣.

و ذكره الخطيب فى تاريخه (٣/٣٦٥)، و قال: أحد شيوخ الشيعة، ولد عام ٢٥٨ هـ، و توفى عام ٣٣٨. و على هذا فالمترجم من متكلمى أوائل القرن الرابع.

٧. محمد بن عبد الملك بن محمد التبان:

يكنى أبا عبد الله، كان معتزلياً، ثم أظهر الانتقال، و لم يكن ساكناً له كتاب فى تكليف من علم الله أنه يكفر، و له كتاب فى المعدوم، و مات لثلاث بقين من ذى القعدة سنة ٤١٩ هـ (٢). و على هذا فهو من متكلمى القرن الرابع و أوائل الخامس.

٨. محمد بن عبد الرحمن بن قبه الرازى أبو جعفر:

متكلم، عظم قدره، حسن العقيدة، قوى فى الكلام، كان قديماً من المعتزله، و تبصير و انتقل، له كتب فى الكلام، و قد سمع الحديث، و أخذ عنه ابن بطه و ذكره فى فهرسته الذى يذكر فيه من سمع منه فقال: و سمعت من محمد بن عبد الرحمن بن قبه.

له كتاب الانصاف فى الإمامه، و كتاب المستثبت نقض كتاب أبى القاسم البلخى (المتوفى ٣١٩ هـ)، و كتاب الرد على الزيديه، و كتاب الرد على أبى على الجبائى، المسأله المفرده فى الإمامه.

ص: ٣٢٥

١- (١). النجاشى: الرجال: ٢/٢٩٨ برقم ١٠٣٦.

٢- (٢). النجاشى: الرجال: ٢/٣٣٣ برقم ١٠٧٠.

قال النجاشي: سمعت أبا الحسين السوسنجردى (رحمه الله) و كان من عيون أصحابنا و صالحهم المتكلمين، و له كتاب فى الإمامه معروف به، و قد كان حجّ على قدميه خمسين حجّه، يقول: مضيت إلى أبى القاسم البلخى إلى بلخ بعد زيارتى الرضا عليه السلام بطوس فسلمت عليه و كان عارفاً بى و معى كتاب أبى جعفر بن قبه فى الإمامه المعروف بالانصاف، فوقف و نقضه بالمسترشد فى الإمامه فعدت إلى الرى، فدفعت الكتاب إلى ابن قبه فنقضه بالمستثبت فى الإمامه، فحملته إلى أبى القاسم فنقضه بنقض المستثبت، فعدت إلى الرى فوجدت أبا جعفر قد مات رحمه الله (١).

و قال ابن النديم: أبو جعفر بن محمد بن قبه من متكلمى الشيعة و حذاقهم، و له من الكتب: كتاب الانصاف فى الإمامه، كتاب الإمامه (٢).

و قال العلامة: و كان حاذقاً شيخ الإماميه فى عصره (٣).

٩. على بن وصيف، أبو الحسن الناشئ (٢٧١-٣٦٥ هـ):

الشاعر المتكلم، ذكر شيخنا (رضى الله عنه) أنّ له كتاباً فى الإمامه (٤).

قال الطوسى: و كان متكلماً شاعراً مجوّداً، و له كتب... (٥).

قال ابن خلكان: من الشعراء المحييين، و له فى أهل البيت قصائد كثيره، و كان متكلماً بارعاً، أخذ علم الكلام عن أبى سهل إسماعيل بن على بن نوبخت

ص: ٣٢٦

١-١. النجاشي: الرجال: ٢/٢٨٨ برقم ١٠٢٤.

٢-٢. ابن النديم: الفهرست: ٢٦٢. [١]

٣-٣. العلامة: الخلاصه: ١٦٣، القسم الأول.

٤-٤. النجاشي: الرجال: ٢/١٠٥ برقم ٧٠٧.

٥-٥. الطوسى: الفهرست: ١١٥، ط النجف. [٢]

المتكلم، و كان من كبار الشيعة، و له تصانيف كثيرة، و قال ابن كثير: إنه كان متكلماً، بارعاً، من كبار الشيعة، فهو من متكلمي القرن الرابع (١).

١٠. الحسن بن موسى، أبو محمد النوبختي:

شيخنا المبرز علي نظرائه في زمانه قبل الثلاثمائة و بعدها، له على الأوائل كتب كثيرة، منها: ١. كتاب الآراء و الديات، يقول النجاشي: كتاب كبير حسن يحتوى على علوم كثيرة قرأت هذا الكتاب على شيخنا أبي عبد الله المفيد - رحمه الله - ٢. كتاب فرق الشيعة ٣. كتاب الرد على فرق الشيعة ما خلا - الإماميه ٤. كتاب الجامع في الإمامه ٥. كتاب الموضح في حروب أمير المؤمنين ٦. كتاب التوحيد الكبير ٧. كتاب التوحيد الصغير ٨. كتاب الخصوص و العموم ٩. كتاب الأرزاق و الآجال و الأسعار ١٠. كتاب كبير في الجبر ١١. مختصر الكلام في الجبر ١٢. كتاب الرد على المنجمين ١٣. كتاب الرد على أبي علي الجبائي في رده على المنجمين ١٤. كتاب النكت على ابن الراوندي ١٥. كتاب الرد على من أكثر المنازله ١٦. كتاب الرد على أبي الهذيل العلاف في أن نعيم أهل الجنة منقطع ١٧. كتاب الانسان غير هذه الجملة ١٨. كتاب الرد على الواقفه ١٩. كتاب الرد على أهل المنطق ٢٠. كتاب الرد على ثابت بن قزّه ٢١. الرد على يحيى بن أصفح في الإمامه ٢٢. جواباته لأبي جعفر بن قبه ٢٣. جوابات أخر لأبي جعفر ٢٤. شرح مجالسه مع أبي عبد الله بن مملك ٢٥. حجج طبيعیه مستخرجه من كتب ارسطاطاليس في الرد على من زعم أن الفلك حيّ ناطق ٢٦. كتاب في المرايا وجهه الرؤيه فيها ٢٧. كتاب في خبر الواحد و العمل به ٢٨. كتاب في الاستطاعه على مذهب هشام و كان يقول به

ص: ٣٢٧

٢٩. كتاب في الردّ على من قال بالرؤيه للبارى عزّ و جلّ ٣٠. كتاب الاعتبار و التمييز و الانتصار ٣١. كتاب النقض على أبى الهذيل فى المعرفه ٣٢. كتاب الردّ على أهل التعجيز، و هو نقض كتاب أبى عيسى الوراق ٣٣. كتاب الحجج فى الإمامه ٣٤. كتاب النقض على جعفر بن حرب (١٧٧ - ٢٣٦ هـ) فى الإمامه ٣٥. مجالسه مع أبى القاسم البلخى (المتوفى ٣١٩ هـ) ٣٦. كتاب التنزيه و ذكر متشابه القرآن ٣٧. الردّ على أصحاب المنزله بين المنزلتين فى الوعيد ٣٨. الردّ على أصحاب التناسخ ٣٩. الردّ على المجسّمه ٤٠. الردّ على الغلاه ٤١. مسائله للجبائى فى مسائل شتى (١).

و الرجل من أكابر متكلمى الشيعة، عاصر الجبائى (المتوفى ٣٠٣)، و البلخى (المتوفى ٣١٩)، و أبى جعفر بن قبه المتوفى قبل البلخى، فهو من أعيان متكلمى الشيعة فى أواخر القرن الثالث، و أوائل القرن الرابع.

و قال ابن النديم: أبو محمد الحسن بن موسى ابن أخت بن سهل بن نوبخت، متكلم، فيلسوف كان يجتمع إليه جماعه من نقله لكتب الفلسفه، مثل: أبى عثمان الدمشقى، و إسحاق، و ثابت و غيرهم و كانت المعتزله تدعيه، و الشيعة تدعيه، و لكنه إلى حيز الشيعة ما هو (كذا) لأنّ آل نوبخت معروفون بولايه علىّ و ولده عليهم السلام فى الظاهر، فلذلك ذكرناه فى هذا الموضوع... و له مصنّفات و تأليفات فى الكلام و الفلسفه و غيرها، ثم ذكر فهرس كتبه و لم يذكر إلّا القليل من الكثير (٢).

إنّ بيت «نوبخت» من أرفع البيوتات الشيعيه خرج منه فلاسفه كبار، و متكلمون عظام، و من أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المؤلفه فى هذا الصدد.

ص: ٣٢٨

١ - ١). النجاشى: الرجال: ١/١٧٩ برقم ١٤٦، ترجمه ابن حجر فى لسان الميزان: ٢/٢٥٨ برقم ١٠٧٥، و ترجمه هبه الدين الشهرستانى

فى مقدمه فرق الشيعة. [١]

٢ - ٢). ابن النديم: الفهرست: ٢٦٥-٢٦٦: [٢] الفن الثانى من مقاله الخامسه.

بلغ علم الكلام في أوائل القرن الخامس إلى ذروه الكمال، وظهر في الأوساط الشيعيه رواد كبار، نشير إلى ثله منهم:

١. الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٥٤١٣)

الشيخ المفيد من الشخصيات البارزه في العالم الإسلامي، الذي احتفلت بذكره و ذكر آثاره كتب التاريخ و التراجم و الذي لا يرضن بمثله الدهر إلما في فترات يسيره، فهو في حقل الكلام متكلم بارع له آراء و نظريات جعلته صاحب منهج فيه، و في حقل الفقه سيد الفقهاء و أستاذهم و الذي هذب و أشاد بنيانه و رفع قواعده بكتبه و رسائله الفقهيّه التي من أبرزها كتاب المقنعه، و في مجال الحديث و التاريخ أستاذ بلا منازع، إلى غير ذلك من صلاحيات ممّا تعرب أنّه من أصحاب المواهب الكبيره و المؤهلات العظيمه التي منحها الله له في مجال العلم و الكمال.

و قد سارت بذكره الركبان في حياته من قبل معاصريه فعطروا كتبهم بذكره الجميل و سطرت أقلامهم له أنصع الصفحات.

١. هذا هو ابن النديم معاصره يعرفه في الفهرست بقوله: «ابن المعلم، أبو عبد الله، في عصرنا انتهت رئاسه متكلمى الشيعة إليه، مقدّم في صناعه الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنه، ماضى الخاطره شاهدته، فرأيته بارعاً...» (١).

و المعروف أنّ ابن النديم أَلّف الفهرست عام ٣٧٧ هـ، و على ضوء هذا فالمفيد انتهت إليه رئاسه متكلمى الشيعة و له من العمر ما لا يجاوز الخمسين.

٢. و قال الحافظ أحمد بن على الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ):

«أبو عبد الله المعروف بابن المعلم، شيخ الرافضه، و المتعلم على مذهبهم،

ص: ٣٢٩

صنّف كتباً كثيرة» (١).

٣. وقال عبد الرحمن ابن الجوزي (المتوفى ٥٩٧هـ):

«شيخ الإماميه و عالمها، صنّف على مذهبه، و من أصحابه المرتضى، كان لابن المعلم مجلس نظر بداره، بدرج رياح، يحضره كافة العلماء، له منزله عند أمراء الأطراف، لميلهم إلى مذهبهم» (٢).

٤. وقال أبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (المتوفى ٧٦٨هـ):

«و في سنة ثلاث عشره و أربعمائه توفي عالم الشيعه، و إمام الرافضه صاحب التصانيف الكثيره، شيخهم المعروف بالمفيد، و ابن المعلم أيضاً، البارع في الكلام و الجدل و الفقه، و كان يناظر أهل كل عقيدته مع الجلاله و العظمه في الدوله البويهيه، قال ابن أبي طي: و كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاه و الصوم، خشن اللباس، و قال غيره: كان عضد الدوله ربّما زار الشيخ المفيد، و كان شيخاً ربّعه نحيفاً أسمر، عاش ستاً و سبعين سنه و له أكثر من مائتي مصنّف و كانت جنازته مشهوده و شيعة ثمانون ألفاً من الرافضه و الشيعه» (٣).

٥. و وصفه أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ) بقوله:

«شيخ الإماميه الروافض، و المصنّف لهم، و المحامي عن حوزتهم، و كان يحضر مجلسه خلق كثير من العلماء و سائر الطوائف» (٤).

٦. و قال الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ):

«محمد بن محمد بن النعمان، الشيخ المفيد، عالم الرافضه، أبو عبد الله ابن

ص: ٣٣٠

١- ١. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ٣/٣٣١ برقم ١٧٩٩. [١]

٢- ٢. ابن الجوزي: المنتظم: ١٥/١٥٧. [٢]

٣- ٣. اليافعي: مرآة الجنان: ٣/٢٨، طبع الهند. [٣]

٤- ٤. ابن كثير: البدايه و النهايه: ١١/١٥. [٤]

المعلّم، صاحب التصانيف، و هي مائتا مصنف» (١). و يعرفه في كتاب آخر بقوله:

عالم الشيعة، و إمام الرافضة و صاحب التصانيف الكثيره، قال ابن أبي طيّ في تاريخه (تاريخ الإماميه): هو شيخ مشايخ الطائفة، و لسان الإماميه، و رئيس الكلام و الفقه و الجدل، و كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلاله و العظمه في الدوله البويهيه (٢).

٧. و قال ابن حجر (المتوفى ٨٥٢هـ) -بعد نقل ما ذكره الذهبي:

«كان كثير التعقيب و التخشع و الاكباب على العلم، تخرّج به جماعه، و برع في مقاله الإماميه حتى يقال: له على كل إمام منّه، و كان أبوه معلماً بواسطه، و ما كان المفيد ينام من الليل إلّا هجعه، ثم يقوم يصلى أو يطالع أو يدرس أو يتلو القرآن» (٣).

٨. و قال ابن العماد الحنبلي (المتوفى ١٠٨٩هـ) في حوادث سنه ٤١٣هـ:

«و فيها (توفى) المفيد، ابن المعلّم، عالم الشيعة، إمام الرافضة، و صاحب التصانيف الكثيره، قال ابن أبي طيّ في تاريخ الإماميه:

هو شيخ مشايخ الطائفة و لسان الإماميه، رئيس في الكلام، و الفقه و الجدل، و كان يناظر أهل كل عقيدة مع الجلاله و العظمه في الدوله البويهيه» (٤).

هذا ما قاله علماء السنّه، و أمّا الشيعة فنقتصر على كلام تلميذيه: الطوسي و النجاشي، و نترك الباقي لمترجمي حياته:

١. يقول الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) في الفهرست:

«المفيد يكنى أبا عبد الله، المعروف بابن المعلّم، من أجله متكلمى الإماميه،

ص: ٣٣١

١- (١). الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣٠/٤ برقم ٨١٤٣.

٢- (٢). الذهبي: العبر: ٢/٢٢٥. [١]

٣- (٣). ابن حجر: لسان الميزان: ٣٦٨/٥ برقم ١١٩٦.

٤- (٤). عماد الدين الحنبلي: شذرات الذهب: ٣/١٩٩، و [٢] في مكان الطائفة الصوفيه و هو لحن. و قد نقل ما ذكره في كتابه مما ذكره الذهبي حرفياً.

انتهت إليه رئاسه الإماميه فى وقته فى العلم، و كان مقدماً فى صناعه الكلام، و كان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنه، حاضر الجواب، و له قريب من مائتى مصنف كبار و صغار، و فهرست كتبه معروف ولد سنه ٣٣٨، و توفى لليلتين خلتا من شهر رمضان سنه ٤١٣، و كان يوم وفاته يوماً لم ير أعظم منه من كثره الناس للصلاه عليه و كثره البكاء من المخالف و المؤلف» (١).

٢. و يقول تلميذه الآخر النجاشى (٣٧٢-٤٥٠ هـ):

«شيخنا و استاذنا (رضى الله عنه) فضله أشهر من أن يوصف فى الفقه و الكلام و الروايه و الوثاقه و العلم» ثم ذكر تصانيفه (٢).

و هذه الكلمات توقفنا على حقيقه الحال، و أنه لم يكن يومذاك للشيعه متكلم أكبر منه، و كفى فى ذلك أنه تخرج على يديه لفيف من متكلمي الشيعه نظير السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ)، و الشيخ الطوسى، و هما كوكبان فى سماء الكلام، و حاميان عظيمان عن حياض التشيع، بالبيان و البنان.

٢. على بن الحسين الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ)

تلميذ الشيخ المفيد، عرفه تلميذه النجاشى بقوله: حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد فى زمانه، و سمع من الحديث فأكثر، و كان متكلماً شاعراً، أديباً، عظيم المنزله فى العلم و الدين و الدنيا، و من كتبه الكلاميه: «الشافى» فى نقض المغنى للقاضى عبد الجبار فى قسم الإمامه، و كتاب «تنزيه الأنبياء و الأئمه» و «الذخير» فى علم الكلام، و غيرها من الرسائل (٣) و شرح جمل العلم و العمل.

ص: ٣٣٢

١- ١. الشيخ الطوسى: الفهرست: برقم ٧١٠. [١]

٢- ٢. النجاشى: الرجال: ٣٢٧/٢ برقم ١٠٦٨.

٣- ٣. النجاشى: الرجال، برقم ٧٠٦.

مؤلف «تقريب المعارف» في الكلام مطبوع.

٤. وأخيرهم لا آخرهم محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٥٤٦٠هـ)

يعرفه زميله النجاشي بقوله: جليل من أصحابنا، ثقة، عين، من تلاميذ شيخنا أبي عبد الله.

و يعرفه العلامة بقوله: شيخ الإمامية ورئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار و الرجال و الفقه و الأصول، و الكلام و الأدب، و جميع الفضائل تنتسب إليه، و له في الكلام كتب كثيرة منها:

الجمال و العقود، تلخيص الشافى في الإمامه، و مقدمه في المدخل إلى علم الكلام (١)، و الاقتصاد، و الرسائل العشر.

متكلمو الشيعة في القرن السادس

إشاره

ما إن أطلّ القرن السادس إلّا و قد أفل نجم المعتزله حيث وُضِعَ فيهم السيف من قبل الخلفه العباسيه، و كان غيابهم عن المسرح الفكرى خساره جسيمه للمنهج العقلى، و قد بلغ التعصب بمكان أنّه أحرقت كتبهم، و قتل اعلامهم، و شُرِّدَ لفيف منهم، و الحديث ذو شجون. (٢)

و مع إطلاله هذا القرن بدأت تلوح علامات الضغط و الكبت على الشيعة، و قد وضع صلاح الدين الأيوبي السيف على عنق الشيعة فى حلب و غيرها، و على الرغم من ذلك فقد ظهر فى هذا القرن أفذاذ فى علم الكلام، نذكر منهم على سبيل المثال:

ص: ٣٣٣

١- ١. النجاشي: الرجال، برقم ١٠٦٩، و الخلاصه: ١٤٨.

٢- ٢. لاحظ الجزء الثالث من كتابنا بحوث فى الملل و النحل.

١. محمد بن أحمد بن علي القتال النيسابوري (المتوفى ٥١٣هـ)

المعروف بابن الفارسي، عرفه ابن داود في رجاله بقوله: متكلم جليل القدر، فقيه، عالم، زاهد، ورع، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيشابور الملقب بشهاب الإسلام. (١)

اشتهر في أيام شبابه وارتفع شأنه فاستفتى، و سئل عن مسائل في الكلام، و صنف كتاب «التنوير في معاني التفسير» و كتاب «روضه الواعظين و بصيره المتعظين» في علم الكلام و الأخلاق و الآداب، و هو كتاب قيم، طبع أكثر من مره. استشهد في أيام وزاره أبي المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله بن أخي نظام الملك سنه ٥١٣ أو ٥١٥هـ.

٢. قطب الدين المقرئ النيسابوري

من مشايخ السيد ضياء الدين أبي الرضا فضل الله الراوندي (المتوفى حدود ٥٤٧هـ) مؤلف كتاب الحدود (المعجم الموضوعي للمصطلحات الكلاميه) و قد طبع، و له كتاب كلامي قيم مخطوط عسى أن نقوم بنشره بإذن الله سبحانه.

٣. الفضل بن الحسن الطبرسي

مؤلف مجمع البيان (المتوفى ٥٤٨هـ) و له في تفسيره بحوث كلاميه مهمه.

ص: ٣٣٤

٤. الحسين بن علي بن محمد بن أحمد (المتوفى ٥٥٢هـ)

المعروف بـ«أبي الفتوح الرازي» و كتابه المعروف بـ«روض الجنان» مشحون بالبحوث الكلاميه.

٥. قطب الدين سعيد بن هبه الله الراوندى (المتوفى ٥٧٣هـ)

مؤلف كتاب «تهافت الفلاسفه» و جواهر الكلام فى شرح مقدمه الكلام.

٦. سيد الدين الشيخ محمود الحمصى (المتوفى فى أواخر القرن السادس)

مؤلف «المنقذ من التقليد» مطبوع.

٧. أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسى

صاحب «الاحتجاج» توفى فى أواسط القرن السادس.

٨. السيد حمزه بن علي بن زهره الحلبى (٥١١ – ٥٨٥هـ)

له كتاب «غنيه النزوع فى علمى الأصول و الفروع» يقع فى جزئين، و الكتاب يشتمل على علوم ثلاثه: الكلام و الفقه و أصوله، و قد طبع الكتاب أخيراً بتحقيق الشيخ إبراهيم البهادرى شكر الله مساعيه، و ترجمنا المؤلف فى الجزء الأول ترجمه و افيه.

٩. محمد بن علي بن شهر آشوب المازندرانى (المتوفى ٥٨٨هـ)

أخذ عن المتكلم أبى سعيد عبد الجليل بن أبى الفتح الرازى.

قال الصفدى: أحد شيوخ الشيعة، حفظ القرآن و له ثمان سنين، و بلغ النهايه فى أصول الشيعة، كان يرحل إليه فى البلاد، توفى عام

٥٨٨هـ. (١)

ص: ٣٣٥

لقد تزامن طلوع القرن السابع مع اضطراب الأوضاع السياسيّة الحاكمه على معظم الأمصار الإسلاميه لا سيما الحروب الصليبيه التي تركت مضاعفات خطيره في الحواضر الإسلاميه، وقد تزامن هذا الوضع مع هجوم شرس من قبل الوثنيين من المشرق الذين جرّوا الويل و الدمار على المسلمين في المشرق الإسلامي، وامتدّ سلطانهم إلى بغداد و أعقبها انقراض الدوله العباسيه.

و على الرغم من تلك الأوضاع العصييه، كان للعلوم العقليه نشاط ملموس في الأوساط الشيعيه، نذكر من متكلميهم ما يلي:

١. سديد الدين بن عزيزه الحلّي (المتوفّي حوالي ٥٦٣٠هـ)

سالم بن محفوظ بن عزيزه بن وشاح، شيخ المتكلمين، سديد الدين السوراوي الحلّي، و يقال له: سالم بن عزيزه.

كان من كبار متكلمي الشيعة، صنّف كتاب «التبصره» و كتاب «المنهاج» في علم الكلام، و أخذ عنه المحقّق جعفر بن الحسن الحلّي (المتوفّي ٥٦٧٦هـ) علم الكلام و شيئاً من الفلسفه و قرأ عليه المنهاج.

٢. الشيخ كمال الدين علي بن سليمان البحراني (المتوفّي حوالي ٥٦٥٦هـ)

أستاذ الشيخ ميثم البحراني، له كتاب الإشارات في الكلام و الحكمه.

وصفه السيد الصدر بقوله: كان وحيد عصره، و فريد دهره في العلوم العقليه و النقليه، صنّف الإشارات في الكلام، و شرحها تلميذه المحقّق ميثم البحراني، و له رساله العلم التي شرحها المحقّق نصير الدين الطوسي (١) (المتوفّي عام ٥٦٧٢هـ).

ص: ٣٣٦

٣. نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ)

و هو شخصيه فذه يعجز القلم عن وصفه، فقد كان علامه عصره فى الكلام و الحكمه و العلوم الرياضيه و الفلكيه.

له «شرح الإشارات» الذى فرغ منه عام ٦٤٤هـ، و هو شرح لإشارات الشيخ الرئيس ابن سينا، و قد فُند فيها أكثر ما أورده الرازى من الشكوك التى أُثيرت حول آراء الشيخ.

و يعد كتاب شرح الإشارات من أفضل الكتب الدراسيه فى الحكمه إلى يومنا هذا، و يكفى فى حقّ مترجمنا ما قاله العلامة فى هذا المضمّار.

قال: كان هذا الشيخ أفضل أهل عصره فى العلوم العقليه و النقليه، و له مصنفات كثيره فى العلوم الحكميه و الأحكام الشرعيه على مذهب الإماميه، و كان أشرف من شاهدناه فى الأخلاق-نصر الله مضجعه-قرأت عليه إلهيات الشفاء لأبى على بن سينا، و بعض التذكره فى الهيئه.

٤. كمال الدين ميثم بن على بن ميثم البحرانى

المعروف بالعالم الربانى المبرز فى جميع الفنون الإسلاميه لا سيما فى الحكمه و الكلام و الأسرار العرفانيه، اتفقت كلمه الجميع على إمامته ولد عام ٦٣٦هـ و توفى عام ٦٩٦هـ، له كتاب «قواعد المرام فى علم الكلام» المطبوع و له «شرح نهج البلاغه» الذى صنّفه للصاحب خواجه عطاء الملك الجوينى، و هو شرح مشحون بالمباحث الكلاميه و الحكميه و العرفانيه، فرغ منه عام ٦٧٦هـ.

٥. الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الأسدى (٦٤٨-٧٢٦هـ)

شيخ الإسلام، المجتهد الأكبر، المتكلم الفذ، الباحث الكبير، جمال الدين

أبو منصور المعروف بالعلامة الحلبي، و بآيه الله على الإطلاق، و باين المطهر، ولد في شهر رمضان سنة ٦٤٨ هـ و أخذ عن والده الفقيه المتكلم البارع سديد الدين يوسف، و عن خاله شيخ الإماميه المحقق الحلبي الذي كان له بمنزله الأب الشفيق، فحظي باهتمامه و رعايته، و لازم الفيلسوف الكبير نصير الدين الطوسي مده و اشتغل عليه في العلوم العقلية و برع فيها و هو لا يزال في مقتبل عمره.

يعرفه معاصره أبو داود الحلبي، بقوله: شيخ الطائفة، و علامه وقته، و صاحب التحقيق و التدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسه الإماميه إليه في المعقول و المنقول. (١)

و قال الصفدي: الإمام العلامة ذو الفنون، عالم الشيعه و فقيهم، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته... و كان يصنف و هو راكب... و كان ريفض الأخلاق، مشتهر الذكر... و كان إماماً في الكلام و المعقولات. (٢)

و قال ابن حجر في لسان الميزان: عالم الشيعه و إمامهم و مصنفهم، و كان آيه في الذكاء... و كان مشتهر الذكر، حسن الأخلاق. (٣)

إن شخصيه كل إنسان رهن الآثار التي خلفها على الصعيد التربوي و العلمي.

أمّا الجانب الأوّل فكفى أنّه ربّي جيلاً كبيراً من رواد العلم في المنقول و المعقول، و يشهد على ذلك كثره المتخرجين على يديه في كلا الحقلين.

ففي حقل الفقه و الأصول تخرّج عليه: ولده فخر المحققين، و زوج أخته مجد الدين أبو الفوارس محمد بن علي بن الأعرج الحسيني، و ولدا أبي الفوارس:

ص: ٣٣٨

١-١. رجال أبي داود: ١١٩ برقم ٤٦١.

٢-٢. الوافي بالوفيات: ٨٥/١٣ برقم ٧٩. [١]

٣-٣. لسان الميزان: ٣١٧/٢.

عميد الدين عبد المطلب و أخوه ضياء الدين، و مهنا بن سنان بن عبد الوهاب الحسينى المدنى، و قد أَلّف كتاب باسمه أسماه «المسائل المهنايّه»، و تاج الدين محمد بن القاسم بن معيه الحسنى، و ركن الدين محمد بن على بن محمد الجرجانى، و الحسين بن إبراهيم بن يحيى الاسترابادى، و الحسين بن على بن إبراهيم بن زهره الحسينى الحلبي، و أبو المحاسن يونس بن ناصر الحسينى الغروى المشهدى، و على ابن محمد بن رشيد الآوى.

و فى حقل المعقول ربّى جيلاً كثيراً فى طليعتهم: محمد بن محمد قطب الدين أبو عبد الله الرازى (٦٩٤-٧٦٦هـ) مصنف كتاب «تحرير القواعد المنطقيه فى شرح الشمسيه» و «لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار»، «تحقيق معنى التصور و التصديق» و «المحاكمات بين الإمام و النصير»، كلها مطبوعه.

هذا كلّه فى الجانب التربوى، و أمّا الجانب العلمى فالآثار و المصنّفات التى خلفها و بقيت خالده على جبين الدهر كثيره يضيق المجال عن ذكر جميعها.

و لا نبالغ لو قلنا بأن آثاره تعد موسوعه كبيره فى جل العلوم الإسلاميه، فقد أَلّف فى الفقه عدّه دورات ك «تبصره المتعلمين» و «إرشاد الأذهان»، و «تحرير الأحكام الشرعيه» و «قواعد الأحكام»، و «تذكره الفقهاء»، و «منتهى المطلب» فالكتب الأربعة الأولى تعد دوره فقهيه كامله، و لكنّه قدس سره لم يُتم الكتابين الأخيرين.

و أمّا فى حقل المعقول و الكلام فكفى فى حقّه أنّه أَلّف قرابه عشرين كتاباً و رساله فى ذلك المضمار، و بما أنا بصدد التقديم لموسوعته الكلاميه المسماه «نهايه المرام» نشير إلى أسماء كتبه التى أَلّفها فى حقل الكلام و العقائد و إليك بيانها.

قد وقفت على مكانه العلامة الحلّي في علم الكلام، و أنّه أحد الروّاد الأفاضل في ذلك المضمار فقد خلف تراثاً كلامياً ضخماً أثرى المكتبة الإسلاميه حيث ألف كتباً كلاميه على مستويات مختلفه، بين موجز اقتصر فيه على بيان رءوس المسائل، و متوسط أردف المسائل الكلاميه بنوع من البرهان، و مسهب بسط الكلام في نقل الآراء و نقدها و البرهنه على مذهبه و مختاره.

و ها نحن نستعرض أسماء كتبه الكلاميه:

١. الأبحاث المفيده في تحصيل العقيد

رساله موجزه أورد فيها المباحث الكلاميه في ثمانية فصول، و قد عبّر عنها بنفس ذلك الاسم في رجاله (١) و في الوقت نفسه عبّر عنها في أجوبه المسائل المهنائيه ب«الأبحاث المفيده في تحقيق العقيد» و شرحها الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهى الأحسائي (المتوفى ١٨٥٣هـ) و الحكيم السبزواري (المتوفى ١٢٨٩هـ) و توجد النسختان مع الشرح في المكتبه الرضويه (٢) و قمنا بنشر هذه الرساله بتحقيق العلامة الشيخ يعقوب الجعفرى على صفحات مجله علم الكلام. (٣)

٢. استقصاء النظر في البحث عن القضاء و القدر

رساله موجزه أورد فيها مباحث القضاء و القدر، و طرح فيها المذاهب

ص: ٣٤٠

١- (١). الخلاصه للعلامة الحلّي: ٤٥.

٢- (٢). لاحظ فهرس المكتبه الرضويه في مشهد: ٣٢٠.

٣- (٣). مجله علم الكلام، السنه الأولى، العدد الثالث، مجله فصليه تصدرها مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام للبحوث و الدراسات العليا و هي في سنتها السابعه.

المختلفه فى أفعال العباد، ثم أقام البراهين العقلية على مذهب العدلية، كما أردف براهينه بما ورد فى الكتاب العزيز.

وقد طبعت الرسالة عام ١٣٥٤هـ بتحقيق الشيخ على الخاقانى فى النجف الأشرف، ووقفنا على نسخه خطيه فى مكتبه مدرسه الطالبية بتبريز، فقوبلت النسختان المطبوعه و المخطوطه، و طبعت بتحقيق شيخنا يعقوب الجعفرى على صفحات مجله الكلام الإسلامى السنه الثانيه، العدد الثانى.

٣. الألفين الفارق بين الصدق و المين

وقد ألفه لولده محمد المعروف بفخر المحققين (المتوفى ٥٧٧٢هـ)، ذكر فى مقدمته انّ الكتاب يشتمل على ألف دليل على إمامه الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، و ألف دليل على إبطال شبهات الطاعنين.

وقد طبع غير مرّه و طبع أخيراً ببيروت بطبعه منقحه رشيقه و النسخه الخطيه متوفره، بيد انّ المطبوع منه طبع تحت عنوان الألفين فى إمامه أمير المؤمنين، و لكن العلامه الحلى عبّر عنه فى فهرس مصنفاته و مقدمه الكتاب بما ذكرنا.

٤. أنوار الملكوت فى شرح الياقوت

أمّا الياقوت فهو تأليف أبى إسحاق إبراهيم بن نوبخت (المتوفى ٥٣١٠هـ) كما ذكره العلامه فى مقدمه الكتاب (١) و الشرح للعلامه الحلى، و قد طبع بتحقيق محمد النجمى الزنجانى عام ١٣٧٨هـ، و لا- يخلو المطبوع من هن و هنات، لا سيما و أنّه حذف الفصل الأخير من الكتاب ممّا يرجع إلى أحكام المخالفين

ص: ٣٤١

١- ١). و قيل أنّه تأليف إسماعيل بن إسحاق بن أبى سهل بن نوبخت كما عليه التبريزى فى رياض العلماء: ٣٨/٦. [١]

و البغاه.

و لما كان الكتاب المطبوع مبتوراً حاول الشيخ يعقوب الجعفرى نشر الفصل الأخير منه فى مجله الكلام الإسلامى (1) فى ضمن عددین.

و قد أوعز العلامة فى كتابه هذا، إلى كتاب «مناهج اليقين» و كتاب «معارض الفهم» و «نهايه المرام» و الجميع من تأليفه.

٥. الباب الحادى عشر

و هو رساله مختصره فى العقائد الإماميه كتبه حينما اختصر «مصباح المتهجد» للشيخ الطوسى التى ألفها فى الأدعيه و العبادات، اختصره العلامة فى أبواب عشره و أضاف إليها «الباب الحادى عشر» فى العقائد. و أسمى الجميع «مناهج الصلاح فى مختصر المصباح»، و هذه الرساله لم تزل مطمحةً للأنظار فكتب عليها شروح و تعليقات، أشهرها ما كتبه الفاضل المقداد الذى أسماه ب «النافع يوم الحشر فى شرح الباب الحادى عشر» و هى رساله دراسيه فى الحوزات الشيعيه إلى يومنا هذا.

و قد قام الفاضل المقداد (المتوفى ٥٨٢٨هـ) بشرحها فى سبعة فصول.

٦. تسليك النفس إلى حظيره القدس

و هذا الكتاب كما حكاه المحقق الطهرانى (المتوفى ١٣٨٩هـ) يحتوى على نكات فى علم الكلام، و هى فى مراصد، و المرصد الأول فى الأمور العامه، و توجد نسخه منه فى الخزانة الغرويه بخط تلميذ العلامة الشيخ حسن بن على المزيدي استنسخه عام (٥٧٠٧هـ) و على النسخه خط العلامة الحللى، كما شرحها نظام الدين

ص: ٣٤٢

الأعرجى ابن أخت العلامه (المتوفى ٧٤٥هـ) أسماه «إيضاح اللبس فى شرح تسليك النفس». (١)

٧. الرسالة السعديه

وهى رساله بين الإيجاز والإطناب، ألفها العلامه الحلّى لسعد الحقّ والمّله و الدين المعروف ب«المستوفى الساوجى» الذى كان وزيراً ل«غازان خان» وقد ساهم فى عهد«الجايو» مع رشيد الدين فضل الله فى إداره أمور البلد إلى أن قتل عام ٧١١هـ. (٢)

و الرساله تحتوى على مقدمه و فصول، و قد استوفى فيها حقّ مسائل ثلاث:

أ. استحاله رؤيه الله سبحانه.

ب. كلامه سبحانه حادث.

ج. صفاته عين ذاته.

و قد طبعت الرساله عام ١٣١٥هـ ضمن مجموعه باسم «كلمات المحققين»، و«الرساله السعديه»هى الرساله العاشره.

٨. كشف الفوائد فى شرح قواعد العقائد

الكتاب شرح لكتاب قواعد العقائد للمحقّق الطوسى، شرحه نزولاً عند رغبه ولده فخر المحققين و قد طبع عام ١٣٠٥هـ، كما طبع أخيراً بتحقيق المحقق الشيخ حسن مكى العاملى عام ١٤١٣هـ، نشرته دار الصفوه فى بيروت، و الكتاب مع اختصاره مشتمل على مجموع المسائل الكلاميه، نظير الكتاب الآتى.

ص: ٣٤٣

١- ١). الذريعه: ١٨٠/٤. [١]

٢- ٢). انظر تاريخ أدبيات إيران: ١٥٠/٣، للدكتور ذبيح الله صفاء.

و هذا الكتاب شرح لكتاب تجريد الاعتقاد للمحقق نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (٥٩٧-٦٧٢هـ) و هو من أوجز المتون الكلامية وفق العقائد الإمامية و يكفي في رفعه منزلته، قول شارحه علاء الدين القوشجي الأشعري حيث وصفه، بقوله:

«تصنيف مخزون بالعجائب، و تأليف مشحون بالغرائب، فهو و إن كان صغير الحجم، و جيز النظم، لكنه كثير العلم، عظيم الاسم، جليل البيان، رفيع المكان، حسن النظام، مقبول الأئمة العظام، لم يظفر بمثله علماء الأعصار، و لم يأت بمثله الفضلاء في القرون و الأدوار، مشتمل على إشارات إلى مطالب هي الأمهات، مشحون بتنبهات على مباحث هي المهمات، مملوء بجواهر كلها كالفصوص، و محتو على كلمات يجرى أكثرها مجرى النصوص، متضمن لبيانات معجزه، في عبارات موجزه» إلى آخر ما ذكره.

(١)

و قد شرحه جمع غفير من المحققين منذ تأليفه إلى يومنا هذا، و أول من شرحه: تلميذه المشهور بالعلامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦هـ) الذي أسماه «كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد»، ثم توالى الشروح بعده، فشرحه ثانياً: شمس الدين محمد الاسفرائيني البيهقي و أسماه «تعريف الاعتماد في شرح تجريد الاعتقاد» و ثالثاً: الشيخ شمس الدين محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني (المتوفى ٧٤٦هـ) و أسماه «تسديد القواعد في شرح تجريد العقائد» و رابعاً: علاء الدين علي بن محمد المعروف بالفاضل القوشجي (المتوفى ٨٧٩هـ) ألفه للسلطان أبي سعيد گوركان.

و يسمّى الشرح الثالث بالشرح القديم، و الرابع بالشرح الجديد، و قد كتب على الشرحين تعاليق و حواشٍ كثيرة، يقف عليها من تتبع المعاجم.

ص: ٣٤٤

ثم توالى الشروح بعد هذه الشروح الأربعة إلى عصرنا هذا.

إن كتاب كشف المراد تبعاً لمتنه يدور على محاور ثلاثة:

الأول: فى الأمور العامه التى تطلق عليها الإلهيات بالمعنى الأعم، و يبحث فيه عن الوجود و العدم و أحكام الماهيات، و المواد الثلاث: الوجود و الإمكان و الامتناع، و القدم و الحدوث، و العله و المعلول، و غيرها من المسائل التى تبحث عن أحكام الوجود بما هو هو.

الثانى: فى الجواهر و الأعراض التى يطلق عليها الطبيعيات، و يبحث فيه عن الأجسام الفلكيه و العنصريه و الأعراض التسعه، على وجه التفصيل.

الثالث: فى الإلهيات بالمعنى الأخص، و يبحث فيه عن الأصول الخمسه.

و بما أن المحور الأول هو المقصد الأهم للحكماء من المشائين و الإشراقيين، و قد بحثوا عنه فى الأمور العامه على وجه التفصيل و الاستيعاب، حتى خصص صدر المتألهين ثلاثه أجزاء من كتابه «الأسفار» بمباحث هذا المحور-لأجل ذلك- استغنى الطلاب عن دراسته هذا المقصد من كتاب كشف المراد.

و بما أن العلوم الجديده الباعثه عن الطبيعه و أحكامها قد قطعت أشواطاً كبيره، و أبطلت كثيراً من الفروض العلميه فى الفلكيات و الأ-كوان، فأصبح ما يبحث فى الكتب الكلاميه و الفلسفيه فى هذا القسم تاريخاً للعلم الطبيعى لا نفسه، و لأجل ذلك تركت دراسته المحور الثانى فى الكتب الكلاميه و الفلسفيه فى أعصارنا.

فلم يبق إلا المحور الثالث الموسوم بالإلهيات بالمعنى الأخص الذى يبحث فيه عن ذاته سبحانه و صفاته و أفعاله، و لأجل ذلك عكف المحصلون على دراسته هذا المحور الذى يتضمن البحث عن إثبات الصانع و صفاته و أفعاله، و يدخل فى

البحث عن صفاته: البحث عن عدله، كما يدخل في البحث عن أفعاله: البحث عن النبوه و الإمامه و المعاد.

و قد طبع الكتاب غير مرّه أحسنها طبعه مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين فى قم المقدسه، و لنا تعليقات على قسم الإلهيات أفرزناها من سائر المباحث، و طبع الكتاب على حده، و صار ماده دراسيه فى مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام للبحوث و الدراسات العليا.

١٠. معارج الفهم فى شرح النظم

و هى رساله معده لبيان أصول الدين و قد صرح به فى كتابه «خلاصه الأقوال» و فى أجوبه المسائل المهنائيه و نسخته الخطيه متوفره فى المكتبه الرضويه و مكتبه السيد المرعشى و غيرهما.

١١. مقصد الواصلين فى أصول الدين

و اسمه حاك عن معناه، و لكن لم نقف على نسخه منه، و جاء اسمه فى «خلاصه الأقوال» و أجوبه المسائل المهنائيه و عبّر عنه فى إجازات البحار بمعتقد الواصلين.

١٢. منهاج الكرامه فى معرفه الإمامه

هذا الكتاب كتاب كلامى يشير إلى جميع المسائل الكلاميه لا سيما مسائل الإمامه التى استأثرت باهتمام واسع، و يثبت فيه بأدله رصينه إمامه الأئمه الاثنى عشر ألفه للسلطان «محمد خدابنده الجايتو» الذى تشيع على يد العلامة، و قد آثر الكتاب حفيظه أهل السنه كابن تيميه، فكتب عليه رداً أسماه «منهاج السنه

فى ردّ منهاج الكرامه».

و أئمن الله! الاسم لا يوافق مسماه، فلو قام أحد بجمع شتائمه و سبابه لعاد برساله فى ذلك المجال.

و أمّا أكاذيبه و إنكاره المسائل المسلّمه، فحدث عنه و لا حرج، و لذلك ردّ عليه غير واحد من علماء الشيعة، كسراج الدين بن عيسى الحلّى ألف كتاباً باسم «إكمال المله» و السيد مهدي الكاظمى حيث رد على ابن تيميه بكتاب أسماه «منهاج الشريعة» و لشيخنا المحقّق الأئمنى بحث مسهب حول الكتاب و أكاذيبه، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى الغدير الجزء الثالث.

١٣. منهاج البقين

و هو أبسط كتاب فى علم الكلام بعد نهايه المرام، و قد أوعز إليه فى كتاب كشف المراد، و الكتاب إلى الآن لم ير النور عسى الله أن يشحذ همم بعض الباحثين لنشره، و توجد منه نسخه فى المكتبه الرضويه و مكتبه المسجد الأعظم فى قم المقدسه.

١٤. نظم البراهين فى أصول الدين

رساله موجزه فى أصول الدين، و قد شرحها العلامه بنفسه و أسماها «معارج الفهم»، و قد جاء اسمها فى كتاب خلاصه الأقوال و أجوبه المسائل المهنائيه.

١٥. نهج الحقّ و كشف الصدق

رساله كلاميه و فى الوقت نفسه تشتمل على رءوس المسائل الأصوليه

ص: ٣٤٧

و الفقيه أَلْفَهَا للسلطان «محمد خدابنده».

و الرساله تركز على المسائل الكلاميه، لا سيما المسائل الخلافيه و قد أثار الكتاب حفيظه الآخريين و قد ردّ عليه الفضل بن روزبهان و أسماه «إبطال الباطل و إهمال كشف العاطل».

و قد ردّ على ردّه ثله من علماء الشيعة منهم:

١. القاضي نور الله التستري (المتوفى ١٠١٩هـ) في كتاب أسماه «إحقاق الحقّ و إزهاق الباطل» فقد ذكر أولاً كلام العلامة في نهج الحقّ، ثمّ أردفه بما ذكره ابن روزبهان في ردّه، ثمّ ذكر ما جاد به ذهنه في إحقاق الحقّ و المحاكمه بين الطرفين.

و هذا الكتاب يضم في الحقيقه ثلاثه كتب و طبع مرّات عديده.

٢. الشيخ محمد حسن المظفر (١٣٠١-١٣٧٥هـ) في كتاب أسماه «دلائل الصدق» و هو يذكر كلام العلامة أولاً ثمّ يتبعه بنقل كلام ابن روزبهان بعينه، ثمّ يتحاكم بينهما. و قد استفاد في رده هذا من كتاب «إحقاق الحقّ» المتقدم ذكره، و قد ألمع إليه في مقدمه الكتاب.

و طبع الكتاب في طهران و النجف و القاهره و بما أنّ كتاب «نهج الحقّ و كشف الصدق» من الكتب المفيده، فقد قام بتحقيقه الشيخ عين الله الحسنى الأرموى فطبعه مستقلاً بتقديم الأستاذ آيه الله السيد رضا الصدر قدس سره في بيروت.

١٦. نهج المسترشدين في أصول الدين

ألّفه العلامة باستدعاء ولده فخر المحققين، و حرر فيه القواعد الكلاميه و قد شرحه الفاضل المقداد (المتوفى ١٢٢٨هـ) و قد طبع الكتاب أيضاً بتحقيق السيد أحمد الحسينى و الشيخ هادى اليوسفى، و عرّفه الفاضل المقداد بقوله:

ص: ٣٤٨

إنّ الكتاب الموسوم بـ«نهج المسترشدين في أصول الدين» من تصانيف شيخنا و إمامنا الإمام الأعظم علامه العلماء في العالم، وارث الأنبياء و خليفه الأوصياء، بل آيه الله في العالمين، جمال المله و الحقّ و الدين، أبى منصور الحسن ابن المطهر (طهر الله رسمه و قدس و كرم، و شرف نفسه و وجل و عظم) قد احتوى من المباحث الكلاميه على أشرفها و أبهاها، و جمع من الفوائد الحكيمه أحسنها و أسناها، حتى شغف بالاشتغال به معظم الطلاب و عول على تقرير مباحثه جماعه الأصحاب.

و كنت ممن جدّ في تحرير مباحثه بالتحصيل، و إن لم أحصل منه إلّا على القليل، حتى جمعت من مباحث المشايخ و فوائدهم ممّا يتعلق به نبذه، بحيث صار منها بين الطلبة ممّا يعد على نعمه. (١)

١٧. واجب الاعتقاد على جميع العباد

و قد بين العلامة فيه ما يجب معرفته على العباد من العقائد الدينيه، و المسائل الفرعيه ما عدا المعاد فلم يذكره و انتهى في الفروع إلى آخر الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

يقول في أوّله: بينت في هذه المقاله واجب الاعتقاد على جميع العباد و لخصت فيه ما يجب معرفته من المسائل الأصوليه على جميع الأعيان و ألحقت به بيان الواجب في أصول العبادات.

و الرساله لم تر النور و لكن توجد منها نسخه خطيه في المكتبه الرضويه و في مكتبه جامعه طهران.

و شرحه الفاضل المقداد و أسماه «الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد» طبع

ص: ٣٤٩

ضمن كلمات المحققين.

و على ذلك فقد طبع الكتاب فى ضمن شرح الفاضل المقداد.

و ما ذكرناه من الكتب هى التى ثبتت نسبتها إلى العلامة الحلى، و قد عزى إليه كتب أخرى لم تثبت نسبتها و لذا ضربنا عنها صفحاتاً، و نأتى بذكر كتاب آخر له ينبغى أن يحتفل به تاريخ علم الكلام و متكلميه و هو بيت القصيد لكتب العلامة الكلاميه المتوفره.

١٨. نهاية المرام فى علم الكلام

و هذا الكتاب هو الذى يزفه الطبع إلى القراء الكرام بعد تحقيقه و تقويم نصه و تبين إشاراته ضمن جهد متواصل.

و هو أبسط و أعمق كتاب ظهر للكلام الشيعى فى القرن الثامن إلى يومنا هذا، و هو قدس سره يعرّف الكتاب فى مقدمته بقوله:

و قد أجمع رأينا فى هذا الكتاب الموسوم ب«نهاية المرام فى علم الكلام» على جمع تلك الفوائد التى استنبطناها، و النكت التى استخرجناها، مع زيادات نستخرجها فى هذا الكتاب لطيفه، و معان حسنه شريفه لم يسبقنا إليها المتقدمون و لا سطرها المصنفون.

ثم نذكر على الاستقصاء ما بلغنا من كلام القدماء، و نحكم بالانصاف بين المتكلمين و الحكماء، و جمعت فيه بين القوانين الكلاميه و القواعد الحكيمه المشتمله عليهما المباحث و النهايه. فكان فى هذا الفن قد بلغ الغايه، لأجل أعزّ الناس علىّ و أحبهم إلىّ و هو الولد العزيز محمد، رزقه الله تعالى الوصول إلى أقصى نهايات الكمال، و الارتقاء إلى أعلى ذرى الجلال، و أيده بالعنايات الأزليه، و أمده بالسعادات الأبدية، و أحياه الله تعالى فى عيش رغيد و عمر مديد بمحمد و آله

ص: ٣٥٠

و قد رتبت هذا الكتاب على مقدمه و قواعد مستعينا بالله لا غير،فانه الموفق لكل خير و دافع كل شر. (١)

و يظهر من إرجاعات المؤلف إلى هذا الكتاب في غير واحد من تأليفه أنه أكمل الكتاب حيث نرى إرجاعات كثيره في كشف المراد إلى ذلك الكتاب نذكر منها ما يلي:

١. قال في مبحث الألم و وجه حسنه: «و يمكن الجواب هنا لأبي على بما ذكرناه في كتاب نهايه المرام». (٢)

٢. قال عند البحث في الأصلح: «ذكرناها في كتاب نهايه المرام على الاستقصاء». (٣)

٣. و قال في مبحث النبوه الخاصه: «و قد أوردنا معجزات أخرى منقوله في كتاب نهايه المرام». (٤)

٤. كما يقول في مبحث تفضيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم على الملائكه: «و هاهنا و وجه أخرى من الطرفين ذكرناها في كتاب نهايه المرام».

كما أنه أحال إلى ذلك الكتاب في كشف الفوائد، و قال عند البحث في كونه تعالى عالماً: «و لنا على هذا البرهان إيرادات ذكرناها في كتاب النهايه. (٥) كما ألمح إليه أيضاً عند البحث في صفات الإمام على عليه السلام، قال: و الأدله كثيره ذكرناها في

ص: ٣٥١

١- ١). نهايه المرام في علم الكلام: ٥/١-٦. [١]

٢- ٢). كشف المراد، المسأله الثالثه [٢] عشره في الألم و وجه حسنه، ص ٣٣٠.

٣- ٣). كشف المراد، المسأله الثامنه عشره في الأصلح، ص ٣٤٤.

٤- ٤). كشف المراد، المسأله السابعه في نبوه نبينا، ص ٣٥٧.

٥- ٥). كشف الفوائد، ص ١٦٨، طبعه بيروت، تحقيق حسن مكى العاملى.

كما أنه يشير إليه في كتابه نهج المسترشدين في غير مورد:

١. قال في مبحث الإدراك: «و الحق ما اخترناه نحن في " نهاية المرام "». (٢)

٢. و قال في البحث الثاني، في أنه قادر خلافاً للفلاسفة: «و قد أوضحنا هذا الكلام في كتاب النهاية». (٣)

٣. و قال في البحث الرابع، في أنه تعالى حي: «و قد بينا ضعف هذا القول في كتاب نهاية المرام». (٤)

٤. و قال في البحث الخامس، في أنه تعالى مرید: «و قد بينا توجيه الكلامين و الاعتراض عليها في كتاب النهاية». (٥)

٥. قال في البحث الثاني، في نفى المعاني و الأحوال: «و قد أشبعنا القول في هذه المسألة في كتاب نهاية المرام في علم الكلام و كتاب المناهج». (٦)

٦. قال في الفصل الحادي عشر في الإمامة: «... و هو كثير لا يعد و لا يحصى، و قد ذكرنا طرفاً من ذلك في كتاب نهاية المرام». (٧)

٧. و قال في الفصل الثالث عشر في المعاد (البحث الأول في حقيقه الإنسان): «... و قد بينا أكثر حججهم في كتاب المناهج، و استقصينا ما بلغ من أقاويل العلماء في ذلك في كتاب النهاية». (٨)

ص: ٣٥٢

١-١. كشف الفوائد، ص ٣٠٨.

٢-٢. نهج المسترشدين في أصول الدين، ص ٣٠.

٣-٣. المصدر السابق، ص ٣٨. [١]

٤-٤. المصدر السابق، ص ٤٠. [٢]

٥-٥. المصدر السابق، ص ٤١. [٣]

٦-٦. المصدر السابق، ص ٤٣. [٤]

٧-٧. المصدر السابق، ص ٧٠. [٥]

٨-٨. المصدر السابق، ص ٧٤. [٦]

٨. وقد ذكر في آخر الكتاب الذى انتهى فيه إلى البحث فى الإيمان و الكفر، ما هذا لفظه: «و من أراد التّطويل فعليه بكتابنا الكبير المسمى ب«نهايه المرام فى علم الكلام» و من أراد التّوسط فعليه بكتابنا«منتهى الوصول» و«المناهج» و غيرهما من كتبنا. (١)

كلّ ذلك يعرب عن أنّ المصنّف أتمّ الكتاب إلى نهايته.

و لكن الموجود فيما بأيدينا أقلّ من ذلك، فقد انتهى الجزء الثالث و هو بعد فى الطبيعيات و آخر مسأله جاءت فيه قوله «المسأله السابعه فى الآن أى الزمان و ختمها بقوله: «قال الشيخ:»، فأين الباقي؟ فالله سبحانه وحده أعلم، و يظهر من هذه العبارة أنّه رحمه الله كتب مقاله الشيخ و ما بعدها و لكنّها ما وصلت إلى النّسّاخ.

و الذى يدل على أنّه أكمل الكتاب و لو إكمالاً نسبياً أزيد ممّا بأيدينا الأمران التاليان:

أ. أنّه فرغ من الجزء الأوّل كتابه و تصنيفاً فى الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل من سنه اثنتى عشره و سبعمائه بالسلطانيه. (٢)

كما فرغ من الجزء الثانى فى سلخ شهر ربيع الآخر من سنه اثنتى عشره و سبعمائه بالسلطانيه. (٣)

و هذا يعرب أنّه ألف الجزء الثانى فى مده شهر و نصف، و ليس هو ببعيد عن العلامه الحلى لإحاطته بالمسائل الكلاميه و اجتماع ثله من الأفاضل حوله فى السلطانيه ربما يستعين ببعضهم فى نقل المطالب.

و قد عاش بعد الفراغ من الجزء الثانى ١٤ سنه و من البعيد أن يترك هذا

ص: ٣٥٣

[١- ١]. المصدر السابق، ص ٨٥. [١]

[٢- ٢]. لاحظ الجزء الأوّل من كتاب نهايه المرام فى علم الكلام، [٢] ص ٢٢٩.

[٣- ٣]. لاحظ الجزء الثانى من كتاب نهايه المرام، [٣] ص ٦٠٧.

ب. أنّ الجزء الثالث الذى بأيدينا مبتور غير مؤرخ، و لكنّه قدس سره صرح فى إجازته للسيد مهنا بن سنان المدنى: خرج منه أربع مجلدات. (١)

و قد كتب الاجازة عام ٧٢١هـ، و من البعيد أن لا- يهتم باكمال الموسوعه، و أبعد منه أن يسمى الأ-جزء الثلاثة الموجوده أربعه أجزاء.

إلى هنا تبين أنّ ما خرج من قلمه أزيد ممّا بأيدينا قطعاً، و لا يبعد أنّه أتم الكتاب و فرغ من تأليفه.

و لعلّه سبحانه يوفق رواد العلم للعثور على الأجزاء الباقية.

مشكله الارجاجات

ثمّ إنّ هنا مشكله أخرى و هى أنّ العلامه الحلى فرغ من الجزء الأول من نهايه المرام فى سلطانيه زنجان عام ٧١٢هـ، و لكنّه أحال إلى ذلك الكتاب فى كشف المرام الذى فرغ من تأليفه فى الخامس عشر من ربيع الأول عام ٥٩٦هـ. (٢)

فكيف أحال فى كتاب ألفه قبل نهايه المرام ب ١٦ عاماً، كما أنّه أحال فى «كشف الفوائد فى شرح قواعد العقائد» إلى هذا الكتاب فى مواضع و قد فرغ منه نهار الأربعاء فى ثالث ذى الحجه عام ٧٠٣هـ، فكيف أحال إلى ذلك الكتاب فى كتاب ألفه قبل ذلك بتسع سنين!؟

هناك فروض لحلّ هذه المشكله أوضحها، أنّه أدخل هذه الإرجاعات فى هذه الكتب، بعد الفراغ عن تأليفها، و ليس ببعيد عن دأب المؤلفين الذين كانت

ص: ٣٥٤

[١-١]. أجوبه المسائل المهنايه: ١٥٦. [١]

[٢-٢]. الذريعه: ١٨/٦٠ برقم ٦٦٨. [٢]

كتبهم تستنسخ عاماً بعد عام، في الأزمنة السابقة، أو تطبع، طبعه بعد طبعه، على ما عليه الحال فيقوم المؤلف بإكمال الكتاب، بإضافه أمور لم يخطر بباله حين التأليف.

و على ذلك يحمل ذكر «النهاية في خلاصه الرجال» الذي ألفه سنة ٦٩٣هـ. (١)

مواصفات هذا الكتاب

يتميز هذا الكتاب عن سائر الكتب بميزات مهمة:

١. تفصيل المباحث و الاستقصاء لآراء المذاهب و الفرق المختلفه مروراً بآراء الثنويه، و المجوس، و الصابئه، و اليهود، و النصرى، و انتهاءً بآراء كبار متكلمي الإسلام من الأشاعره، و المعتزله، و الشيعه (العدليه)، و كبار فلاسفه الإسلام كالفارابى، و ابن سينا و غيرهم.

فيقوم باستعراض الآراء بأفضل صوره ممكنه، ثم يبدأ بطرح رأيه و نقض تلك الآراء و تفنيدها بمجموعه كبيره من الأدله، تربو في بعض الأحيان على عشرين دليلاً.

و لا نبالغ إن قلنا: إن هذا الكتاب يعد أوسع كتاب كلامى للشيعه في هذا المضممار، فلا يضاويه في السعه و الشمول أى كتاب كلامى آخر.

٢. بذل العلامه في كتبه لا سيما في هذا الكتاب جهده لنقل آراء الآخرين، حيث يعرض الآراء بأمانه و صدق دون أى تصرف، بل يحاول أحياناً كثيره أن يجد وسيله لتبرير رأى باطل يخرج من مدحره البطلان.

٣. يتسم الكتاب بطابع المقارنه، و هو نوع من النشاط العلمى الذى خبرته

ص: ٣٥٥

(١-١). خلاصه الرجال: ٤٧ برقم ٥٢.

ضروب المعرفة الإنسانية في حقول التربيّه، و النفس، و الاجتماع، و الاقتصاد.

و هذه المقارنه تُسهّم مساهمه فعّاله في بلوره المفهوم الذي يستهدفه الباحث و تعميقه، يقول العلامه في معرض الإشاره إلى تلك الحقيقه: «ثمّ نذكر على الاستقصاء ما بلغنا من كلام القدماء، و نحكم بالانصاف بين المتكلمين و الحكماء و جمعت فيه بين القوانين الكلاميه و القواعد الحكيمه».

٤. أنّ منهجه المقارن يتسم بسمه أخرى، و هي أنّه يفترض إشكالاً و نقضاً من قبل مخالفه، حيث يتكهن المؤلف أن يردّ مخالفه على ردوده بذلك، و من الواضح أنّ هذه الخطوه لها أثر ملموس في تطور الكلام الإسلامى الإمامى من حيث السعه و الإحاطه و الشمول و المقارنه و تطور مناهج البحث العلمى. كما أنّها تعد من الخطوات المهمه بالنسبه إلى متطلبات المنهج المقارن، نظراً لإمكانه إيراد إشكالات أخرى على ردوده.

و يعبر عن هذه الخطوه بعبارته «لا يقال» و عبارته «لوقيل» و ما شاكل ذلك و يجيب على هذه الردود و الإشكالات الافتراضيه تاره، و يقربها أخرى على أنّها أمور افتراضيه فحسب، و هذا فى الحقيقه أسلوب آخر فى الردّ على الفرضيه، نلاحظ هذا من خلال استخدامه عبارته «سلمنا» حيث تناسب هذه العبارة طبيعه «الفرضيه» التى لم يقتنع بها.

و أهميه هذا الأسلوب (فرضيه الإشكال و النقض) تتمثل فى شموليه الممارسه لكلّ الاحتمالات التى يمكن أن يتقدم بها المخالف، حتى تصبح «المقارنه» مستكملة لجميع شروطها.

و لقد امتاز الكتاب بهذا الأسلوب الرائع و هذا ما يمكن ملاحظته من بدايه الكتاب إلى نهايته.

٥. نقل العلامه فى هذا الكتاب أسئله فلسفيه و كلاميه، سأله العلامه

أستاذة المحقق الطوسي و أجاب عليها الأستاذ شفهاً، و قد جرى طرح كثير من تلك الأسئلة في الطريق، و في سفر العلامة من الحلة إلى بغداد و هو في ركاب الأستاذ. (١)

٦. يحتوي الكتاب على نظريات الإمامية و آرائهم النهائية حول المسائل الكلامية و الحكمية تفصيلاً و التي قلما توجد في كتبه الأخرى، إِمَّا لأنها شروح لم يتعرض فيها لرأيه الخاص إِلا ما قلّ و ندر، و إمَّا لأنها مختصره و لا مجال فيها لطرح آرائه التي لها شجون و تفصيل.

٧. يتسم الكتاب بالموضوعية و الابتعاد عن العصبية و رعايه الأصول الدقيقة للبحث العلمي و الانفراج على سائر الآراء و الفرق.

فتاره يوافق رأى المتكلمين و أخرى يخالفهم و يختار رأى الفلاسفة و لا يلتزم بمنهج واحد كما يستعرض ردود المحقق الطوسي على الرازي و ربما يدافع عن الثاني.

فالحقّ هو بغيته سواء أ كان في جانب أستاذة أو في جانب خصومه.

٨. الكتاب مشحون بالاستنتاجات العقلية و الاستدلال بالقضايا البرهانية، كما أنّه ربما يستدل بالقضايا المشهوره (الجدل) إلى غير ذلك من أنواع الاستدلال كالاستدلال بالتمثيل و الاستقراء و التجربة.

و قد استفاد من الأخير في قسم الطبيعيات بشكل واضح.

ص: ٣٥٧

اشاره

لا شك أنّ الشيعة و المعتزله يلتقون في كثير من الأصول، كما يفترون في كثير منها أيضاً؛ نظير الأشاعره و أهل الحديث من الحنابله، فهم يلتقون في كثير من الأصول كما يفترون في قسم منها.

و وجه ذلك أنّ الطائفتين الأوليين يقولون: بأمرين تتفرّع عليهما مسائل كثيره:

الف. التحسين و التقييح العقليان.

ب. حجّيه العقل في مجال العقائد.

و يترتب على الأصل الأوّل ثمرات نشير إليها:

١. وجوب معرفه الله عقلاً قبل وجوبها شرعاً.

٢. وجوب تنزيه فعله سبحانه عن العبث.

٣. لزوم تكليف العباد و إيصالهم إلى الغايه التي خلّقوا لها.

٤. لزوم بعث الأنبياء لهدايه الإنسان.

٥. لزوم النظر في برهان مدّعى النبوه.

٦. الإعجاز دليل قطعي على صدق صاحبه لقبح إعطاء البيئه للكاذب.

٧. لزوم استمرار أصول أحكام الإسلام إلى يوم القيامة.

٨. ثبات الأصول الأخلاقية و عدم تغييرها.

٩. كون البلايا و المصائب غير خالية من الحكمة و الغايه.

١٠. سياده عدله سبحانه فى التشريع و التكوين، فلا يجوز التكليف بغير المقدور. إلى غير ذلك من الأصول المستنتجه من القول بالتحسين و التقبيح العقليين.

كما أنه تترتب على القول بحجّيه العقل فى مجال العقائد المسائل التاليه:

١. صفاته سبحانه عين ذاته، لاستلزام الزيادة التركيب الملازم للإمكان.

٢. أنّ القرآن حادث غير قديم، لامتناع تعدّد القديم المستلزم لتعدّد الواجب.

٣. امتناع رؤيته سبحانه بالبصر فى الدنيا و الآخرة، لأنّ الرؤيه إمّا تقع على كّلّه أو على جزئه، فعلى الأول يلزم أن يكون محاطاً، و على الثانى يلزم أن يكون مرّكباً.

٤. امتناع الواسطه بين الوجود و العدم، فالحال الذى تعتقد به المعتزله غير معقول.

إلى غير ذلك من الأصول التى يستثمرها العقل من المقدمات الواضحه.

كما أنّ رفض الحنابله و الأشاعره، استطاعه العقل على التحسين و التقبيح، أو عدم حجّيته فى مجال العقائد بحجّه أنّها موضوعات غيبية لا سبيل للعقل إليها، جعلهما فى صفّ مخالف للمعتزله و الشيعه فيما مضى من المسائل.

فعلى ضوء ذلك فلا- يصحّ لنا أن نعتبر طائفه فرعاً لطائفه أخرى أو مشتقّه منها، إلّا إذا دلّ الدليل على ذلك. نعم إنّ بعض المتكلمين و بعض أصحاب

المقالات يبخسون الشيعة و يصوّرونهم فرعاً للمعتزلة، بحجّته التقائهم معهم في الأصول المتقدّمة، حتى أنّ أحمد أمين يقول: وقد قرأت كتاب الياقوت لأبي إسحاق إبراهيم من قدماء متكلمي الشيعة الإمامية، فكنت كأني أقرأ كتاباً من كتب أصول المعتزلة، إلّا في مسائل معدوده كالفصل الأخير من الإمامه، وإمامه عليّ وإمامه الأحد عشر بعده، ولكن أيهما أخذ من الآخر؟

أمّا بعض الشيعة فيزعم أنّ المعتزلة أخذوا عنهم، وأنّ واصل بن عطاء تتلمذ لجعفر الصادق، وأنا أرحّح أنّ الشيعة هم الذين أخذوا من المعتزلة تعاليمهم، ونشوء مذهب الاعتزال يدلّ على ذلك، وزيد بن عليّ زعيم الفرقة الشيعية الزيدية تتلمذ لواصل، وكان جعفر الصادق يتّصل بعّمه زيد، ويقول أبو الفرج في مقاتل الطالبين: كان جعفر بن محمد يمسك لزيد بن عليّ بالركاب و يسوّى ثيابه على السرج، فإذا صحّ ما ذكره الشهرستاني وغيره من تتلمذ زيد لواصل فلا يعقل كثيراً أن يتلمذ واصل لجعفر، وكثير من المعتزلة يتشيع، فالظاهر أنّه عن طريق هؤلاء تسرّبت أصول المعتزلة إلى الشيعة. (1)

يلاحظ عليه: بأنّ في هذا الكلام ما لا يدعمه العقل ولا النقل:

١. نفترض صحّ ما ذكره أبو الفرج من أنّ الإمام الصادق كان يمسك لزيد ابن عليّ بالركاب، لكنّه لا يصحّ أن يكون دليلاً على أنّ الإمام تتلمذ لعّمه زيد، وبما أنّ زيدا ولد عام (٥٧٩) و عليّ الأصح عام (٥٦٧) و ولد الإمام الصادق عليه السلام (٨٣) و كان عمّاً له أكبر منه بأربع سنين أو أكثر كان الإمام يكرمه عملاً بما نقل: «وقرّوا كباركم».

٢. إنّ ما ذكره أنّ زيد بن عليّ تتلمذ لواصل من غرائب الأمور، فإنّ واصل ولد بالمدينة عام (٨٠) و قد عرفت أنّ زيد بن عليّ ولد بسنه أو سنين قبله، و قد

ص: ٣٦٠

تتلمذ واصل لأبى هاشم:عبد الله بن محمد بن علي بن الحنفية و غادر المدينة متوجهاً إلى البصره أوائل القرن الثاني، فكيف يصحّ أن يتلمذ زيد لواصل و هو أكبر منه سنّاً و قد تربّى في نفس البيت الذي تتلمذ واصل فيه لأبى هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية، و لو صحّ لنا الرجم بالغيب يجب أن نقول إنّ كليهما تتلمذا لأبى هاشم، لا أنّ زيدا تتلمذ لواصل، و من هو واصل؟! و هو في العقد الثاني من عمره، و ما علمه بالعقائد و المعارف و هو في ذلك السنّ المبكّر؟! حتى يتلمذ عليه زيد بن علي و لأجله لم يذكره مشاهير الزيدية.

إنّ زيد بن علي ولد في بيت رفيع، و أبوه زين العابدين إمام الأئمة و عالمها الذي عكف على أخذ العلم منه الموافق و المخالف، فهل يصحّ له ترك أبيه و العكوف على شابّ لم يرتق في سلّم العلم شيئاً؟!

٣. إنّ اشتراك المعتزله و الشيعة في مسائل كثيرة، لا يدل على أنّ إحدى الطائفتين عيال على الأخرى، بل هناك احتمال ثالث و هو أنّ كلتا الطائفتين أخذتا عن مصدر واحد، و صدرتا عن منبع فارد، و قد تقدم أنّ المعتزله أخذت أصول مذهبهم في التوحيد و العدل عن الإمام أمير المؤمنين، و الشيعة عن بكره أبيهم أخذوا أصولهم و فروعهم عن أئمة أهل البيت و في طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

و إنّما ذهب أحمد أمين إلى ما ذهب بدافع من هواه المعروف عنه، فإنّه يريد أن يسلب كلّ فضل و فضيله عن أئمة أهل البيت و شيعتهم، لكن بصورة دراسه علميه حتى لا- يُتهم بالتعصب. و آيه تعصّبه أنّه في نفس الوقت ينكر انتساب علم النحو إلى علي بن أبي طالب مع أنّ انتسابه إليه كالنار على المنار. (١)

ص: ٣٤١

وقد تأثر المصريون الجدد بأفكار أحمد أمين، فنرى أنّ الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي يقول: «إنّ الشيعة التقطوا كثيراً من أفكار المعتزله»^(١).

الجدل المستمر بين الشيعة والمعتزله

إنّ من تتبع تاريخ علم الكلام و تاريخ كلام الشيعة يقف على أنّ المناظره بين الطائفتين كانت مستمره و محتدمه من عصر الإمام الصادق عليه السلام إلى عصر المفيد و تلامذته، كالسيد المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦هـ) و الشيخ الكراجكي (٤٤٩هـ) مؤلف كنز الفوائد، و الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) إلى غير ذلك من أكابر الشيعة فكيف يمكن عدّ إحدى الطائفتين تبعاً للأخرى؟

إنّ الشيعة و المعتزله كانا يتصاولان تصاول الفحلين في غير موضع من المجالس و قد حفظ التاريخ قسماً من تلك المناظرات بنصّها، نذكر منها ما يلي:

مناظرات الشيعة مع المعتزله:

١. إنّ علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم من وجوه متكلمي الشيعة، و كان معاصراً لأبي الهذيل (١٣٥ - ٢٣٥هـ)، و النظام (١٦٠ - ٢٣١هـ) و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الرضا و قد مضت ترجمته، فقد ناظر أبا الهذيل العلاف مرّات عديده، و ضراراً غير مرّه^(٢).

٢. إنّ هشام بن الحكم من شيوخ الشيعة في الكلام ناظر ضراراً و غيره^(٣).

ص: ٣٦٢

١-١. مجله الغد: العدد الثاني سنة ١٩٥٣م.

٢-٢. المرتضى، العيون و المحاسن: ٥-٩.

٣-٣. المصدر نفسه: ٩.

٣. إنَّ الشيخ المفيد و هو من أعظم متكلمي الشيعة ناظر مشايخ المعتزلة، فقد ذكر تلميذه الشريف المرتضى مناظراته مع الشيخ عزاله (١) و أبي عمر الشطوي (٢) و أبي الحسن الخياط (٣) في تفسير الشفاعة، كما أنه نقد مقاله أبي القاسم الكعبي في مسأله الاجتهاد، و نقل الشريف قسماً من مناظراته مع بعض المعتزله و لم يسم أسماء المناظرين. (٤)

و هذا تلميذه محمد الكراجكي، فقد أورد في كتابه كنز الفوائد مناظرته مع بعض المعتزله في مسأله البداء (٥) و اتَّهامهم للشيعة بالقول بالإرجاء (٦)، و أدرج رسالته الخاصه في أغلاط المعتزله في نفس الكتاب و هي رساله ممتعه (٧)، و قال في تلك الرساله: و اعلم أنَّ المعتزله لها من الأغلاط القبيحه و الزلَّات الفضيحه ما يكثر تعداده. و قد صنَّف ابن الراوندي كتاباً في فضائهم، فأورد فيه جملاً من اعتقاداتهم و آراء شيوخهم مما ينافر العقول و يضادَّ شريعه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و قد وردت الأخبار بدمهم من أهل البيت، و لعنهم جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام بقوله: «لعن الله المعتزله أرادت أن توحد فألحدت، و رامت أن ترفع التشبيه فأثبتت» فمن أقبح ما تعتقده المعتزله، و تضاهى فيه قول الملاحده، قولهم: إنَّ الأشياء كلها كانت قبل حدودها أشياء ثم لم يقنعهم ذلك حتى قالوا: إنَّ الجواهر في حال عدمها جواهر، و أنَّ الأعراض قبل أن توجد كانت أعراضاً، حتى أنَّ السواد عندهم قد كان في عدمه سواداً. و كذلك الحرکه قد كانت قبل وجودها حرکه، و سائر الأعراض يقولون فيها هذا المقال... الخ. (٨)

ص: ٣٦٣

١-١. المصدر نفسه: ٧ و ٨ و ٤٥.

٢-٢. المصدر نفسه: ٧ و ٨ و ٤٥.

٣-٣. المصدر نفسه: ٧ و ٨ و ٤٥. [١]

٤-٤. لاحظ الصفحات ١٠٣، ٩٤، ٨٨، ٧٨، ٧٠، ٤٩، من المصدر نفسه ط. النجف.

٥-٥. الكراجكي: كنز الفوائد: ١٣٢، ١٢٤، ٢٢٧. [٢]

٦-٦. الكراجكي: كنز الفوائد: ١٣٢، ١٢٤، ٢٢٧. [٣]

٧-٧. الكراجكي: كنز الفوائد: ١٣٢، ١٢٤، ٢٢٧. [٤]

٨-٨. الكراجكي، كنز الفوائد: ١٢٥/١ - ١٢٧. [٥]

إذا كان الشيعى فى كلامه تبعاً للمعتزله فىما سوى الإمامه،فما معنى هذه الردود و النقوض التى لم تزل تتبادل بين الطائفتين فى الإمامه و غيرها و ربما وضع عالم واحد،سبعه كتب فى ردّ مقالات المعتزله،و إليك نماذج منها.و من أراد التفصيل فليرجع إلى الفهارس.

١.محمد بن على بن النعمان مؤمن الطاق من متكلمى القرن الثانى،يقول ابن النديم:«و كان متكلماً حاذقاً،و له من الكتب:كتاب الردّ على المعتزله،فى إمامه المفضول،كتاب فى أمر طلحه و الزبير و عائشه (١)و لعلّ الثانى أيضاً ردّ عليهم.

٢.هشام بن الحكم ألف كتباً منها الردّ على المعتزله. (٢)

٣.الضحّاك أبو مالك من متكلمى القرن الثانى ناظر أبا على الجبائى و نقض كتاب الإمامه له. (٣)

٤.الفضل بن شاذان(المتوفى ٥٢٦٠هـ) له كتاب النقض على الاسكافى فى تقويه الجسم،له كتاب الردّ على الأصم،كتاب فى الوعد و الوعيد. (٤)

٥.محمد بن عبد الله بن مملك الاصفهانى من متكلمى القرن الثالث،له كتاب مجالسه مع أبى على الجبائى،و النقض على ابن عباد فى الإمامه. (٥)

٦.ثبيت بن محمد،أبو محمد العسكرى (نقض العثمانيه لأبى عيسى الوراق

ص:٣٦٤

١-١. ابن النديم:الفهرست:٢٦،و أيضاً [١]ص ٢٥٨.

٢-٢. النجاشى:الرجال:٣٩٧/٢ برقم ١١٦٥.

٣-٣. ابن النديم:الفهرست:٢٦٦. [٢]

٤-٤. النجاشى:الرجال:١٦٨/٢ برقم ٨٣٨.

٥-٥. النجاشى:الرجال:٢٩٧/٢ برقم ١٠٣٤. [٣]

محمد بن هارون) «المتوفى ٢٤٧هـ» الذي كان معتزلياً في برهه من عمره. (١)

٧. عبد الرحمن بن أحمد بن جبرويه كَلَمَ عباد بن سليمان و غيره. (٢)

٨. إسماعيل بن علي بن إسحاق بن أبي سهل بن نوبخت من متكلمي الشيعة في القرن الرابع له كتاب: مجالسه مع أبي علي الجبائي بالأهواز. (٣)

٩. محمد بن عبد الرحمن بن قبه، له كتاب «المستثبت نقض كتاب أبي القاسم البلخي»، و الردّ على أبي علي الجبائي. (٤)

١٠. الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي ألف ردوداً سبعة على المعتزلة، منها: ١. كتاب الردّ على أبي علي الجبائي؛ ٢. كتاب الردّ على أبي الهذيل العلاف القائل بأنّ نعيم الجنة منقطع؛ ٣. كتاب النقض على أبي الهذيل العلاف في المعرفة؛ ٤. مجالسه مع أبي جعفر البلخي؛ ٥. كتاب الردّ على أصحاب المنزلة بين المنزلتين، في الوعيد؛ ٦. مسائله للجبائي في مسائل شتى؛ ٧. النقض على كتاب جعفر بن حرب (١٧٧-٢٣٦هـ) من شيوخ المعتزلة و من تلاميذ أبي الهذيل العلاف. (٥)

١١. أبو الجيش المظفر البلخي المتكلم (المتوفى ٣٦٧هـ) ردّ على الجاحظ في كتابه العثمانيه و أسماه نقض العثمانيه. (٦)

١٢. وضع الشيخ المفيد كتاباً ردّيه، نقض بها كتب المعتزلة، نذكر منها ما

ص: ٣٦٥

١-١. النجاشي: الرجال: ٢٩٣/١ برقم ٢٩٨؛ الذريعة: ١٠/٢٨٨. [١]

٢-٢. النجاشي: الرجال: ٤٧/٢ برقم ٦٢٣.

٣-٣. النجاشي: الرجال: ١٢١/١ برقم ٦٧.

٤-٤. النجاشي: الرجال: ٢٨٨/٢ برقم ١٠٢٤.

٥-٥. النجاشي: الرجال: ١٧٩/١ برقم ١٤٦.

٦-٦. الطهراني: الذريعة: ج ٢٤ برقم ١٤٨٩. [٢]

يلي: ١. الردّ على الجاحظ العثمانيه؛ ٢. نقض فضيله المعتزله؛ ٣. النقض على علي ابن عيسى الرمانى (المتوفى ٥٣٨٥هـ)؛ ٤.

النقض على أبى عبد الله البصرى؛ ٥. نقض الخمس عشره مسأله على البلخى؛ ٦. نقض الإمامه على جعفر بن حرب؛ ٧. الكلام على الجبائى فى المعدوم؛ ٨. جوابات مقاتل بن عبد الرحمن عمّا استخرجه من كتب الجاحظ؛ ٩. نقض كتاب الأصم فى الإمامه؛ ١٠.

الردّ على أبى علي الجبائى فى التفسير؛ ١١. عمد مختصره على المعتزله فى الوعيد. إلى غير ذلك من الردود و النقوض الوافره فى تأليفه. (١)

و الشيخ المفيد هو النجم اللامع فى سماء علم الكلام فى القرن الرابع، و هو و من سبقه من أعلام الإماميه ردّوا على المعتزله بجدّ و حماس، و معه كيف يصحّ عدّهم تبعاً لهم؟!

و نقض المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) الجزء العشرين لكتاب المغنى تأليف القاضى عبد الجبار، و أسماه «الشافى» و هو مطبوع ببيروت فى أربعة أجزاء.

كما ردّ الشيخ الطوسى (٣٨٥-٤٦٠هـ) على المعتزله فى تفسيره الكبير «التبيان»، فى مواضع كثيره، و مثله تلميذه الآخر الكراجكى (المتوفى ٤٤٩هـ) و أدرج الردود فى كتاب «كنز الفوائد».

و لما نقض أبو الحسن البصرى كتاب الشافى للسيد المرتضى كتب سلّار بن عبد العزيز الديلمى صاحب المراسم، ردّاً عليه بأمر السيد الشريف. (٢)

ص: ٣٦٦

١- ١). النجاشى، الرجال: ٣٢٩/٢ برقم ١٠٦٨.

٢- ٢). الطهرانى، الذريعة: ١٧٩/١٠. [١]

إشاره

إنّ بين المنهجين الكلاميين مشتركات و مفترقات، و قد تعرّفت على قسم من المشتركات، فها نحن نلّمح إلى الفوارق بينهما، التي جعلتهما منهجين كلاميين مختلفين لكلّ ميزه و خصوصيته، و إليك رءوسها على وجه الإجمال:

١. عينيه الصفات مع الذات

اتّفتت الطائفتان على أنّ صفاته الذاتيه ليست زائده على الذات، بمعنى أن يكون هناك ذات و صفه وراءها، كما في الممكنات فإنّ الإنسان له ذات و له علم و قدره، هذا ممّا اتّفقا عليه، و لكنّهما اختلفا في تفسير ذلك، فالشيعة الإماميه ذهبت إلى أنّ الوجود في مقام الواجب بالغ من الكمال على حدّ يعدّ نفس العلم و القدره، و كون الصفه في الموجودات الإمكانيه زائداً على الذات لا يكون دليلاً على الضابطه الكلّيه حتى في مقام الواجب بل الوجود هناك لأجل الكمال المفرط نفس الصفه، و لا مانع في كون العلم في درجه قائماً بالذات، و في أخرى نفس الذات، و ما هذا إلّا لأنّ زياده الوصف على الذات توجب حاجتها إلى شيء وراءها، و هو ينافي وجوب الوجود و الغنى المطلق. هذه هي نظريه الشيعة مقرونه بالدليل الإجمالي، و قد اقتفوا في ذلك ما رسمه على عليه السلام فقال: «و كمال الاخلاص

له نفى الصفات (الزائده) عنه، لشهاده كل صفة أنها غير الموصوف، وشهاده كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله (بوصف زائد على ذاته) فقد قرنه (قرن ذاته بشيء غيرها) و من قرنه فقد ثناه، و من ثناه فقد جزأه، و من جزأه فقد جهله». (١)

و قال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يزل الله جلّ و عزّ ربنا و العلم ذاته و لا معلوم، و السمع ذاته و لا مسموع، و البصر ذاته و لا مبصر، القدره ذاته و لا مقدور». (٢)

هذا ما لدى الشيعة، و أمّا المعتزله فقد اضطرب كلامهم فى المقام، فالقول المشهور عندهم هى نظريه نيابه الذات عن الصفات، من دون أن تكون هناك صفة، و ذلك لأنهم رأوا أن الأمر فى أوصافه سبحانه يدور بين محدورين:

١. إن القول بأن له سبحانه صفات كالعلم، يوجب الاعتراف بالتعدّد و الاثنييه، لأنّ واقع الصفات هو مغايره للموصوف.

٢. إنّ نفى العلم و القدره و سائر الصفات الكماليه يستلزم النقص فى ذاته أولاً و يكذبه إتقان آثاره و أفعاله ثانياً.

فالمخلص و المفر من هذين المحدورين يتلخص فى انتخاب نظريه نيابه، و هى القول بأنّ الذات نائبه مناب الصفات، و إن لم تكن هناك واقعيه للصفات وراء الذات، فما يترتب من الذات المقرونه بالصفه، يترتب على تلك الذات النائبه مقامها، هذا هو المشهور عن المعتزله، و إليك نصّ كلام عبّاد بن سليمان فى ذلك المجال قال: هو عالمٌ قادرٌ حىٌّ، و لا أثبت له علماً، و لا قدره، و لا حياه، و لا أثبت سمعاً، و لا أثبت بصراً، و أقول هو عالم لا بعلم، قادر لا بقدره، حى لا بحياه،

ص: ٣٤٨

١- ١. نهج البلاغه: الخطبه ١. [١]

٢- ٢. الصدوق: التوحيد: ١٣٩.

و سميع لا بسمع، و كذلك سائر ما يسمّى من الأسماء التي يسمّى بها. (١)

يلاحظ عليه: أنّ نظريه النيايه المشهوره عن المعتزله، مبنّيه على تخيّل كون الشىء وصفاً، ملازم للزياده دائماً، فوقعوا بين المحذورين و تخلّصوا بالنيايه، و من المعلوم أنّ مرجع النيايه إلى خلوّ الذات عن الكمال أوّلاً، و كون الذات الفاقده للعلم، نائبه عن الذات المقرونه بها، أشبه باللغز.

نعم بعض المعتزله كأبى هذيل العلاف (١٣٥-٢٣٥هـ) ذهب إلى نفس ما ذهب الشيعه إليه، و قد ذكرنا كلامهم فى موسوعتنا بحوث فى الممل و النحل. (٢)

٢. إحباط الأعمال الصالحه بالطالحه

الإحباط فى عرف المتكلّمين عباره عن بطلان الحسنه، و عدم ترتّب ما يتوقع منها عليها، و يقابله التكفير و هو إسقاط السيئه بعدم جريان مقتضاها عليها فهو فى المعصيه نقيض الإحباط فى الطاعه، و المعروف عن الإماميه و الأشاعره هو أنّه لا تحابط بين المعاصى و الطاعات و الثواب و العقاب، و المعروف من المعتزله هو التحابط (٣)، ثمّ إنهم اختلفوا فى كيفيته، فمنهم من قال: إنّ الإساءه الكثيره تُسقط الحسنات القليله و تمحوها بالكلية من دون أن يكون لها تأثير فى تقليل الإساءه و هو المحكّي عن أبى على الجبائى.

و منهم من قال: إنّ الإحسان القليل يسقط بالإساءه الكثيره و لكنّه يقلل فى تأثير الإساءه فينقص الإحسان من الإساءه فيجزى العبد بالمقدار الباقى بعد

ص: ٣٦٩

١- ١). الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ٢٢٥/١. [١]

٢- ٢). لاحظ بحوث فى الممل و النحل: ٨٤/٢، [٢] نقلاً عن شرح الأصول الخمسه للقاضى عبد الجبار: ١٨٣، و مقالات الإسلاميين: ٢٢٥.

٣- ٣). المفيد: أوائل المقالات: ٥٧. [٣]

التنقيص، وهو المنسوب إلى أبي هاشم.

و منهم من قال: إنَّ الإساءه المتأخره تحبط جميع الطاعات و إن كانت الإساءه أقلّ منها، حتى قيل: إنَّ الجمهور من المعتزله ذهبوا إلى أنّ الكبيره الواحده، تحبط ثواب جميع العبادات. (١)

هذا على قول المعتزله و أمّا على قول نفاه الإحباط فالمطيع و العاصى يستحقّ الثواب و العقاب معاً فيعاقب مدّه ثم يخرج من النار فيثاب بالجنه.

نعم ثبت الإحباط فى موارد نادره، كالارتداد بعد الإسلام، و الشرك المقارن للعمل، و الصدّ عن سبيل الله، و مجادله الرسول و مشاقته، و قتل الأنبياء، و قتل الأمرين بالقسط، و إساءه الأدب مع النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و النفاق و غير ذلك ممّا شرحناه فى الإلهيات. (٢)

٣. خلود مرتكب الكبيره فى النار

اتفقت الإماميه على أنّ الوعيد بالخلود فى النار متوجّه إلى الكفّار خاصه دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفه بالله تعالى و الإقرار بفرائضه من أهل الصلاه و وافقهم على هذا القول كافه المرجئه سوى محمّد بن شبيب و أصحاب الحديث قاطبه، و أجمعت المعتزله على خلاف ذلك، و زعموا أنّ الوعيد بالخلود فى النار عامٌّ فى الكفّار و جميع فساق أهل الصلاه.

و يظهر من العلامه الحلى أنّ الخلود ليس هو مذهب جميع المعتزله حيث قال: أجمع المسلمون كافه على أنّ عذاب الكافر مؤبّد لا ينقطع، و أمّا أصحاب الكبائر من المسلمين، فالوعيديه على أنّه كذلك. و ذهبت الإماميه و طائفه كثيره

ص: ٣٧٠

١- ١). التفتازانى: شرح المقاصد: ٢/٢٣٢، و [١] القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٢٥.

٢- ٢). حسن مكى العاملى، الإلهيات: ١/٨٧٠-٨٧٤. [٢]

من المعتزله و الأشاعره إلى أن عذابه منقطع. (١)

و الظاهر من القاضى عبد الجبار هو الخلود، و استدل بقوله سبحانه: «وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا» (٢) فالله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون بالنار و يخلدون فيها، و العاصى اسم يتناول الفاسق و الكافر جميعاً، فيجب حمله عليهما، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبيّنه، فلمّا لم يبيّنه دلّ على ما ذكرناه.

فإن قيل: إنّما أراد الله تعالى بالآيه الكافر دون الفاسق، ألا ترى إلى قوله تعالى: «وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ» و ذلك لا يتصوّر إلّا فى الكفره و إلّا فالفاسق لا يتعدّد حدود الله تعالى أجمع، ثمّ أجب عنه فلاحظ كلامه. (٣)

٤. لزوم العمل بالوعيد و عدمه

المشهور عن المعتزله أنّهم لا يجوزون العفو عن المسيء لاستلزامه الخلف، و أنّه يجب العمل بالوعيد كالعمل بالوعد، و الظاهر من القاضى أنّها نظريه البغداديين من المعتزله، قال: اعلم أنّ البغداديه من أصحابنا أوجبت على الله أن يفعل بالعصاه ما يستحقونه لا محاله، و قالت: لا يجوز أن يعفو عنهم، فصار العقاب عندهم أعلى حالاً فى الوجوب من الثواب، فإنّ الثواب عندهم لا يجب إلّا من حيث الجود، و ليس هذا قولهم فى العقاب فإنّه يجب فعله بكلّ حال. (٤)

و ذهب الإماميه إلى جواز العفو عن المسيء إذا مات بلا توبه، و استدل

ص: ٣٧١

١-١. كشف المراد: ٢٦١. [١]

٢-٢. النساء: ١٤. [٢]

٣-٣. القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٥٧. [٣]

٤-٤. القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٤٤. [٤]

الشريف المرتضى بقوله سبحانه: «وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ». ١ و قال: في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من أهل القبلة، لأنه سبحانه دلنا على أنه يغفر لهم مع كونهم ظالمين، لأن قوله: «عَلَى ظُلْمِهِمْ» جملة حاله إشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين، و يجرى ذلك مجرى قول القائل: «أنا أودّ فلاناً على صدره» و «أصله على هجره». (١)

و قد أوضحنا الحال في دلالة الآية و أجبنا عن إشكال القاضي على دلالتها في الإلهيات. (٢)

٥. الشفاعة حظ الذنوب أو ترفيع الدرجة

لمّا ذهب المعتزلة إلى خلود مرتكب الكبيرة في النار، و إلى لزوم العمل بالوعيد، و رأت أنّ آيات الشفاعة، تضادّ تلك الفكره، التجأت إلى تفسيرها بغير ما هو المعروف و المتبادر منها، فقالوا: إنّ شفاعه الفساق الذين ماتوا على الفسوق و لم يتوبوا تنزل منزله الشفاعة لمن قتل ولد الغير و ترصد للآخر حتى يقتله، فكما أنّ ذلك يقبح فكذلك هاهنا. (٣)

فالشفاعة عندهم عباره عن ترفيع الدرجة، فخصّوها بالتائبين من المؤمنين و صار أثرها عندهم ترفيع المقام لا الانقاذ من العذاب أو الخروج منه، قال القاضي: إنّ فائده الشفاعة رفع مرتبه الشفيع و الدلاله على منزله من المشفوع. (٤)

ص: ٣٧٢

١- ٢. الطبرسي: مجمع البيان: ٢٧٨/٣.

٢- ٣. حسن مكى العاملى: الإلهيات: ٩١٠/١.

٣- ٤. القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٨٨. [١]

٤- ٥. القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٨٩. [٢]

و أما عند الشيعة الإماميه فهو عبارته عن إسقاط العذاب، قال الشيخ المفيد: اتفقت الإماميه على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشفع يوم القيامة لجماعه من مرتكبي الكبائر من أمته، وأن أمير المؤمنين عليه السلام يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته وأن أمته آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشفعون كذلك وينجى الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، و وافقهم على شفاعته الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المرجئه سوى ابن شبيب و جماعه من أصحاب الحديث، و أجمعت المعتزله على خلاف ذلك و زعمت أنّ شفاعته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمطيعين دون العاصين، و أنه لا يشفع في مستحقى العقاب من الخلق أجمعين. (١)

٦. مرتكب الكبيره لا مؤمن و لا كافر

إنّ مقترف الكبيره عند الشيعة و الأشاعره مؤمن فاسق خرج عن طاعه الله. و هو عند الخوارج، كافر كفر المله عند جميع فرقهم إلّا الإباضيه فهو عندهم كافر كفر النعمه، و أما المعتزله فهو عندهم فى منزله بين المنزلتين قال القاضى: إنّ صاحب الكبيره له اسم بين الاسمين، و حكم بين الحكمين لا يكون اسمه اسم الكافر، و لا اسمه اسم المؤمن فلا يكون حكمه، حكم الكافر و لا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث، و هذا الحكم الذى ذكرناه هو سبب تلقيب المسأله بالمنزله بين المنزلتين، قال: صاحب الكبيره له منزله تتجاذبها هاتان المنزلتان. (٢)

و هذا أحد الأصول الخمسه التى عليها يدور رحي الاعتزال و من أنكر واحداً منها فليس بمعتزليّ. (٣)

ص: ٣٧٣

١-١). المفيد: أوائل المقالات: ١٤-١٥. [١]

٢-٢). القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٦٩٧. [٢]

٣-٣). الخياط: الانتصار: ١٢٦، و [٣] مروج الذهب: ٢٢٢/٣.

اتَّفَق المسلمون على جواز النسخ خلافاً لليهود،و اختلفوا في البداء،ذهبت الشيعة إلى إمكانه و وقوعه،خلافاً لغيرهم فقالوا بالامتناع.

ثمَّ إنَّ الذى صار سبباً للتفريق بين الأمرين عند القاضى هو أنه اشترط فى النسخ أموراً أهمها: أنَّ النسخ لا يتعلَّق بعين ما كان ثابتاً، بل يتعلَّق بمثل ما كان ثابتاً أشار إليها بقوله:«النسخ إزاله مثل الحكم الثابت بدلاله شرعيه بدليل آخر شرعى على وجه لولاه لثبت،و لم يزل مع تراخيه عنه».

قال:فاعتبرنا أن يكون إزاله مثل الحكم الثابت لأنه لو زال عين ما كان ثابتاً من قبل لم يكن نسخاً بل كان نقضاً،و هذا بخلاف البداء فإنه يتعلَّق بعين ما كان ثابتاً،و مثاله أن يقول أحدنا لغلامه:إذا زالت الشمس و دخلت السوق فاشتر اللحم.ثمَّ يقول له:إذا زالت الشمس و دخلت السوق فلا تشتري اللحم،و هذا هو البداء،و إنما سُمِّي به لأنه يقتضى أنه قد ظهر له من حال اشتراء اللحم ما كان خافياً عليه من قبل. (١)

و قال أيضاً:الذى يدل على البداء،أن يأمر الله جلَّ و عزَّ بنفس ما نهى عنه فى وقت واحد على وجه واحد و هذا محال لا نجيزه البته. (٢)

نحن لا نحوم حول البداء و ما هو الفرق بينه و بين النسخ،فقد أشبعنا الكلام فيه فى بحوثنا الكلاميه (٣)غير أن الذى يتوجه على كلام القاضى أن ما أحاله هو أيضاً من أقسام النسخ لا من أقسام البداء المصطلح فإنه على قسمين:

ص:٣٧٤

١-١. القاضى عبد الجبار:شرح الأصول الخمسه:٥٨٤-٥٨٥. [١]

٢-٢. رسائل العدل و التوحيد:١،رساله القاضى عبد الجبار:٢٤١.

٣-٣. لاحظ الإلهيات:١/٥٦٥.

١.النسخ بعد حضور وقت العمل.

٢.النسخ قبل حضور وقت العمل.

و الذى أحاله هو القسم الثانى، و أمّا الوجه الذى اعتمد عليه فموهون بأنه ربّما تترتب المصلحه على نفس انشاء الحكم و إن لم يكن العمل به مراداً جدياً كما هو الحال فى أمر إبراهيم بذبح ولده، و الأوامر الامتحانيه كلّها من هذا القبيل، فإذا شوهد من المكلف القيام بمقدمات الواجب، ينسخ الحكم و على كلّ تقدير فما سمّاه بداءً، ليس هو محلّ النزاع بين الإماميه و غيرهم.

و البداء عندهم عباره عن تغيير المصير بالأعمال الصالحه أو الطالحه و هو شىء اتفق عليه المسلمون، و ورد به النصّ فى القرآن و السنّه.

هذا هو حقيقه البداء فى عالم الثبوت، و له أثر فى عالم الإثبات، و هو أنّه ربما يقف النبى على مقتضى المصير و لا يقف على ما يغيره، فيخبر به على حسب العلم بالمقتضى و لكن لا يتحقّق لأجل تحقّق ما يغيره، فيقال هنا: بدا لله و المقصود بداء من الله للعباد كما هو الحال فى إخبار يونس عن تعذيب القوم و غير ذلك، و قد وردت جملة «بدا لله» فى صحيح البخارى. (١)

قال الشيخ المفيد: أقول فى معنى البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم فى النسخ و أمثاله من الإفقار بعد الإغناء، و الأمراض بعد الإعفاء، و ما يذهب إليه أهل العدل خاصه من الزيادة فى الآجال و الأرزاق و النقصان منها بالأعمال، و أمّا إطلاق لفظ البداء فإنّما صرت إليه لأجل السمع الوارد عن الوسائط بين العباد و بين الله عزّ و جلّ و ليس بينى و بين كافه المسلمين فى هذا الباب خلاف، و إنّما خالف من خالفهم فى اللفظ دون ما سواه. (٢)

ص: ٣٧٥

١- ١). البخارى، الصحيح: ١٧٢/٤، باب حديث «أبرص و أعمى و أقرع فى بنى إسرائيل».

٢- ٢). المفيد: أوائل المقالات: ٥٣. [١]

و هذا يعرب عن أنّ القوم لم يقفوا على مصطلح الإماميه في البداء و إلاّ صفقوا على جوازه.

٨.الواسطه بين الوجود و العدم

اتّفق المفكّرون من الفلاسفه و المتكلّمين على أنّه لا- واسطه بين الوجود و العدم كما لا- واسطه بين الوجود و العدم، و أنّ الماهيّات قبل وصفها بالوجود معدومات حقيقه غير أنّ المعتزله ذهبوا إلى أنّها في حال العدم غير موجوده و لا معدومه، بل متوسطه بينهما و هذا هو المعروف منهم بالقول بالأحوال.

قال الشيخ المفيد: المعدوم هو المنفَى العين، الخارج عن صفه الموجود، و لا أقول: إنّ جسم و لا جوهر و لا عرض، و لا شيء على الحقيقه و إن سمّيته بشيء من هذه الأسماء فإنّما تسمّيه به مجازاً، و هذا مذهب جماعه من بغداديّه المعتزله و أصحاب المخلوق [كذا] و البلخي يزعم أنّه شيء و لا- يسمّيه بجسم و لا جوهر و لا عرض و الجبائي و ابنه يزعمان أنّ المعدوم شيء و جوهر و عرض، و الخياط يزعم أنّه شيء و عرض و جسم. (١)

و بما أنّ المسأله واضحه جداً لا نحوم حولها.

٩.التفويض في الأفعال

ذهب المعتزله إلاّ من شدّد كالنجار و أبي الحسن البصري (٢) إلى أنّ أفعال العباد واقعه بقدرتهم وحدها على سبيل الاستقلال بلا ايجاب (٣) بل باختيار.

ص: ٣٧٤

(١-١). المفيد: أوائل المقالات: ٧٩. [١]

(٢-٢). لاحظ حاشيه شرح المواقف لعبد الحليم السيالكوتى: ١٤٦/٢.

(٣-٣). و لعلّ قولهم: «بلا ايجاب» إشاره إلى أنّ الفعل حال الصدور لا يتّصف بالوجوب أيضاً، و القاعده الفلسفيه: الشيء ما لم يجب لم يوجد، غير مقبوله عندهم.

قال القاضي: أفعال العباد لا يجوز أن توصف بأنها من الله تعالى و مِنْ عِنْدِهِ و مِنْ قَبْلِهِ.... (١)

قال السيد الشريف الجرجاني (المتوفى ٥٨٨٦هـ): إِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ اسْتَدَلُّوا بِوَجْهِ كَثِيرَةٍ مَرْجِعِهَا إِلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ وَ هُوَ أَنَّهُ لَوْ لَا اسْتِقْلَالَ الْعَبْدُ بِالْفِعْلِ عَلَى سَبِيلِ الْإِخْتِيَارِ لَبَطَلَ التَّكْلِيفُ وَ بَطَلَ التَّأْدِيبُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ وَ ارْتَفَعَ الْمَدْحُ وَ الذَّمُّ إِذْ لَيْسَ لِلْفِعْلِ اسْتِنَادٌ إِلَى الْعَبْدِ أَصْلًا، وَ لَمْ يَبْقَ لِلْبَعْتِ فَائِدَةٌ لِأَنَّ الْعِبَادَ لَيْسُوا مُوجِدِينَ أفعالهم، فمن أين لهم استحقاق الثواب و العقاب؟ (٢)

ثمَّ إِنَّ نَظْرِيَّتَهُمْ فِي اسْتِقْلَالَ الْعَبْدِ فِي الْفِعْلِ مَبْتَنِيَةٌ عَلَى مَسْأَلَةٍ فِلْسُفِيَّةٍ، وَ هُوَ أَنَّ حَاجَةَ الْمُمْكِنِ إِلَى الْعِلَّةِ تَنْحَصِرُ فِي حَدُوثِهِ، لَا فِيهِ وَ فِي بَقَائِهِ، وَ عَلَى ضَوْءِ ذَلِكَ قَالُوا بِاسْتِقْلَالَ الْعَبْدِ فِي مَقَامِ الْإِبْجَادِ.

و المبنى و البناء كلاهما باطلان. أما الافتقار حدوثاً فقط فهو لا يجتمع مع كون الإمكان من لوازم الماهية و هي محفوظة حدوثاً و بقاءً، فكيف يجوز الغناء عن الفاعل بقاء؟

قال الحكيم الشيخ محمد حسين الاصفهاني: و الافتقار لازم الإمكان

هذا كله حول المبنى، و أما البناء فالتخلص عن الجبر يكفي في استناد الفعل إلى الفاعل و الخالق معاً، لكن يكون قدره المخلوق في طول قدره الخالق، و منشعبه عنها، و هذا يكفي في الاستناد و صحه الأمر و النهي و التأديب و التثويب،

ص: ٣٧٧

١-١). القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ٧٧٨، و في ذيله ما ربما يوهم خلاف ما هو المشهور عنهم.

٢-٢). شرح المواقف: ١٥٦/٨.

فالجبر و التفويض باطلان، و الأمر بين الأمرين هو الحقّ الصراح، و قد تواتر عن أئمة أهل البيت قولهم: لا جبر و تفويض لكن أمر بين الأمرين. (١)

ثم إنّ الدافع إلى القول بالتفويض هو صيانه عدله سبحانه فزعموا أنّ الصيانه لها رهن القول بالتفويض و استقلال العبد بالفعل، و غفلوا عن أنّ هناك طريقاً آخر و هو ما ذهبت إليه الإماميه، ثمّ إنهم و إن نزهوا الله سبحانه عن الظلم و لكن صوّروا له شريكاً فى الایجاد، و لأجل ذلك قال الإمام الرضا عليه السلام: «مساكين القدریه أرادوا أن يصفوا الله عزّ و جلّ بعدله فأخرجوه من قدرته و سلطانه». (٢)

١٠. قبول التوبه واجب على الله أو تفضّل منه؟

اتفق المسلمون على أنّ التوبه تسقط العقاب، و إنّما الخلاف فى أنّه هل يجب على الله قبولها فلو عاقب بعد التوبه كان ظالماً، أو هو تفضّل منه سبحانه؟ فالمعتزله على الأوّل، و الأشاعره و الإماميه على الثانى. (٣)

قال المفيد:

«اتفقت الإماميه على أنّ قبول التوبه بفضل من الله عزّ و جلّ، و ليس بواجب فى العقول إسقاطها لما سلف من استحقاق العقاب، و لو لا- أنّ السمع ورد بإسقاطها لجاز فى العقول بقاء التائبين على شرط الاستحقاق، و وافقهم على ذلك أصحاب الحديث، و أجمعت المعتزله على خلافهم و زعموا أنّ التوبه مسقطه لما سلف من العقاب على الوجوب. (٤)

ص: ٣٧٨

١- ١). الصدوق: التوحيد: ٣٦٢، الحديث ٨، و لاحظ الأحاديث الأخرى.

٢- ٢). نفس المصدر: ص ٥٤، الحديث ٩٣. [١]

٣- ٣). لاحظ: التفتازانى: شرح المقاصد: ٢/٢٤٢؛ [٢] العلامة الحلى: كشف المراد: ٢٦٨؛ [٣] القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٧٩٨.

٤- ٤). المفيد: أوائل المقالات: ١٥. [٤]

و لقد أحسن قدس الله سرّه حيث جعل محور المسأله قبول التوبه و عدمه بما هو هو لا بلحاظ آخر كما إذا أخبر سبحانه أنه: «يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» ١ فعندئذٍ يجب قبول التوبه عقلاً- و إلّا لزم الخلف فى الوعد. قال الطبرسى فى تفسير قوله سبحانه: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ٢: «و وصفه بالرحيم عقيب التّوَاب يدلّ على أنّ إسقاط العقاب بعد التوبه تفضّل منه سبحانه و رحمه من جهته، على ما قاله أصحابنا، و أنّه غير واجب عقلاً- على خلاف ما ذهب إليه المعتزله». (١)

و من أراد أن يقف على دلائل المعتزله فى المقام فليرجع إلى كشف المراد و شرح المقاصد.

١١. عصمه الأنبياء قبل البعته و بعدها

اتفقت الإماميه على أنّ جميع أنبياء الله عليهم السلام معصومون من الكبائر قبل النبوه و بعدها، و ممّا يستخف فاعله من الصغائر و أمّا ما كان من صغير لا يستخف فاعله فجائز وقوعه منهم قبل النبوه و على غير تعيّد و ممتنع منهم بعدها على كلّ حال هذا مذهب جمهور الإماميه، و المعتزله بأسرها تخالف فيه. (٢)

و المنقول عن أبى على الجبائى التفصيل فى الكبائر بين ما قبل البعته و بعدها فيجوز فى الأوّل دون الثانى، و المختار عند القاضى فى الكبائر عدم الجواز مطلقاً و أمّا المنفرات فاتفقوا على عدم جوازه. (٣)

ص: ٣٧٩

١-٣. الطبرسى: مجمع البيان: ٢٤٢/١.

٢-٤. المفيد: أوائل المقالات: ٣٠. [١]

٣-٥. القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسه: ٥٧٣.

١٢. وجوب الأمر بالمعروف عقلاً و عدمه

اتَّفقت الأئمّه على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بلا استثناء، غير أنهم اختلفوا فى وجوبه عقلاً و سمعاً، أو سمعاً فقط، فالمعتزله على الأوّل، و الإماميه على الثانى.

قال المفيد: إنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر باللسان فرض على الكفايه لشرط الحاجه إليه لقيام الحجّه على من لا علم لديه إلّا بذكره أو حصول العلم بالمصلحه به أو غلبه الظنّ بذلك. (١)

ثمّ إنّ المحقّق الطوسى ذكر فى متن التجريد دلائل المعتزله على وجوبهما عقلاً، ثمّ عبّ عليها بنقد و تحليل. (٢)

١٣. آباء رسول الله كلهم موحدون

اتَّفقت الإماميه على أنّ آباء رسول الله من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّ و جلّ موحدون له، و خالفهم على هذا القول جميع الفرق. (٣)

١٤. تفضيل الأنبياء على الملائكه

اتَّفقت الإماميه على أنّ أنبياء الله عزّ و جلّ و رسله من البشر أفضل من الملائكه، و وافقهم على ذلك أصحاب الحديث، و أجمعت المعتزله على خلاف ذلك و زعم الجمهور منهم أنّ الملائكه أفضل من الأنبياء و الرسل. (٤)

ص: ٣٨٠

١- (١). المفيد: أوائل المقالات: ٩٨. و [١] بذلك يظهر و هن ما ذكره القاضى فى شرح الأصول الخمسه من نسبة عدم الوجوب على الإطلاق إلى الإماميه، لاحظ ص ٧٤١.

٢- (٢). العلامه: كشف المراد: ٢٧١، ط صيدا.

٣- (٣). المفيد، أوائل المقالات: ١٢. [٢]

٤- (٤). المفيد: أوائل المقالات: ١٦. [٣]

١٥. الرجعه: إمكانها و وقوعها

قضيه الرجعه التي تحدّثت عنها بعض الآيات القرآنيه و الأحاديث المرويّه عن أهل بيت رساله ممّا تعتقد به الشيعة من بين الأُمّه الإسلاميه.

قال الشيخ المفيد: إنّ الله يخيّر قومًا من أُمّه محمّد صلى الله عليه و آله و سلم بعد موتهم قبل يوم القيامة و هذا مذهب يختص به آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و القرآن شاهد به. (١)

و خالفت المعتزله و الأشاعره و أهل الحديث في ذلك.

١٦. الجنّه و النار مخلوقتان أو لا ؟

إنّ الله سبحانه وعد المتقين بالجنّه و أوعد العصاه بالنار فهل هما مخلوقتان أو لا ؟ و المسأله نقليه محضه فالإماميه إلّا من شدّ ذهبت إلى أنّ الجنّه و النار في هذا الوقت مخلوقتان.

قال الشيخ المفيد: و بذلك جاءت الأخبار و عليه إجماع أهل الشرع و الآثار. (٢)

و قال التفتازاني: جمهور المسلمين على أنّ الجنّه و النار مخلوقتان الآن خلافاً لأبي هاشم و القاضي عبد الجبار، و من جرى مجراهما من المعتزله حيث زعموا أنّهما إنّما يخلقان يوم الجزاء. (٣)

و الظاهر من السيد الرضى من الشيعة (٣٥٩-٤٠٦هـ) أنّهما غير مخلوقتين الآن حيث قال: الصحيح أنّهما إنّما تخلقان بعد. (٤)

ص: ٣٨١

١-١. المجلسي: البحار: ٣٦/٥٣، [١] نقلًا عن المسائل المرويّه للشيخ المفيد.

٢-٢. المفيد: أوائل المقالات: ١٠٢. [٢]

٣-٣. التفتازاني: شرح المقاصد: ٣١٨/٢؛ و [٣] لاحظ شرح التجريد للقوشجي: ٥٠٧، و عبارته الأخيرين واحده.

٤-٤. الرضى: حقائق التأويل: ٢٤٥/٥. [٤]

١٧. تأويل النصوص اعتماداً على القواعد العقلية

إنَّ الأصول الخمسة عند المعتزلة توصف بالصحة و الإِتقان على درجه تقدم على النصوص الشرعية الواردة في القرآن و السنّه، فقد أعطوا للعقل أكثر ممّا يستحقّه، و لذلك نرى أنّهم لما بنوا على أنّ مرتكب الكبيره مخطئ في النار أوّلوا النصوص القرآنيه، فقالوا: إنّ المراد من الشفاعة هو ترفيع الدرجه لا رفع العقاب، و قس على ذلك سائر تأويلاتهم في الكتاب و السنّه.

إنّ النصّ الوارد في القرآن الكريم دليل قطعيّ لا يعادله شيء، فعند ذلك تجب تخطئه العقل لا تأويل القرآن، و التعارض بين القطعيين غير معقول، و تأويل النصّ القطعي كرفضه، نعم لو كان النصّ ظنيّ السند أو كان الدليل الشرعيّ ظنيّ الدلاله فللتأويل مجال، هذا و للبحث صله تطلب في محاله.

١٨. الإمامه بالتنصيص أو بالشورى

اتّفت الإماميه على أنّ الإمامه بالتنصيص خلافاً للأشاعره و المعتزله و قالوا بالشورى و غيرها، و يتفرّع على ذلك أمر آخر، و هو أنّ النبي نصّ على علي عليه السلام خليفته بالذات عند الإماميه، و قال الآخرون سكت و ترك الأمر شوري بين المسلمين.

قال القاضي عند البحث عن طرق الإمامه (عند المعتزله): إنّها العقد و الاختيار. (١)

١٩. هل يشترط في الإمام كونه معصوماً ؟

اتّفت الإماميه على أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الخطأ و المعصيه

ص: ٣٨٢

١- (١). القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ٧٥٣.

خلافاً للمعتزله حيث اكتفت أنه يجب أن يكون مبرزاً في العلم مجتهداً، ذا ورع شديد، يوثق بقوله و يؤمن منه و يعتمد عليه. (١)

قال المفيد: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، و حفظ الشرائع، و تأديب الأنام، معصومون كعصمه الأنبياء و أنهم لا يجوز منهم صغيره إلا ما قدمت ذكر جوازه على الأنبياء و أنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين و لا ينسون شيئاً من الأحكام، و على هذا مذهب سائر الإماميه، إلا من شد منهم و تعلق بظاهر روايات، لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب، و المعتزله بأسرها تخالف في ذلك و يجوزون من الأئمة وقوع الكبائر و الرده عن الإسلام. (٢)

٢٠. حكم محارب الإمام علي أمير المؤمنين

اتفقت الإماميه على أن الناكثين و القاسطين من أهل البصره و الشام أجمعين كفار ضلال ملعونون بحريهم أمير المؤمنين عليه السلام، و أنهم بذلك في النار مخلدون، و أجمعت المعتزله سوى الغزال منهم و ابن باب، و المرجئه و الحشويه من أصحاب الحديث على خلاف ذلك، فرزعت المعتزله كافه إلا من سميناه و جماعه من المرجئه و طائفه من أصحاب الحديث، أنهم فساق ليسوا بكفار، و قطعت المعتزله من بينهم على أنهم لفسقهم في النار خالدون. (٣)

هذه جمله من الأصول التي يختلف فيها المنهجان و بقيت هناك أصول أخرى تضاربت فيها آراء الفريقين، لم نذكرها روماً للاختصار.

ص: ٣٨٣

١- (١). شرح الأصول الخمسه: ٧٥٤. [١]

٢- (٢). الشيخ المفيد: أوائل المقالات: ٣٥. [٢]

٣- (٣). نفس المصدر: ١٠. [٣]

إنَّ القارئ الكريم إذا أمعن فيما أوردناه في هذه الفصول الستة يقف على ضالّتنا المنشوده و هي:

١. إنَّ الشيعة عن بكره أبيهم كانوا مستقلّين في التفكير، وقد اقتفوا في الأصول و الفروع أئمّه أهل البيت، و لم يكونوا في عصر من الأعصار تبعاً للمعتزله، و أنّهم لو اتفقوا معهم في أصول، اختلفوا في أخرى، و لو كان الاتفاق فيها دليلاً على التبعية فلما ذا لا يكون دليلاً على العكس؟ و الحقّ أنّ الطائفتين يصدران عن معين عذب و هي خطب الإمام أمير المؤمنين في التوحيد و العدل، و الرجوع إلى العقل في مجال العقائد، و أنّ من زعم أنّ الشيعة كانت تبعاً للمعتزله فقد ظنّ ظناً خاطئاً بلا تحقيق و لا إمعان.

هذا و إنّ شيخ الأئمّه المفيد عقد باباً خاصاً في كتابه أوائل المقالات بيّن فيه الفوارق الفكرية بين الشيعة و المعتزله. (١)

٢. إنّ الشيعة كانت تتمتع في القرون السبعة بمنهج كلامي تام متشعب الفنون، و قد نضج المنهج في ظلّ الأصول السمعيه و الدراسات العقلية، و ها هم علماؤهم، و متكلموهم فيها، و هذه كتبهم و رسائلهم، و هذه أصولهم و عقائدهم، و هذه مناظراتهم مع المخالفين.

و مهما يكن من أمر فإنّ الشيعة قد خلفت تراثاً كلامياً ضخماً إلّا أنّ ثمة من يلمح إلى معنى فيه ظلم كثير للكلام الشيعي فيها هو آدم متر يقول: لم يكن للشيعة في القرن الرابع منهج كلامي مع أنّ ابن النديم يصف المفيد بأنّه: «في عصرنا انتهت رئاسه متكلمي الشيعة إليه، مقدّم في صناعه الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنه، بادئ خاطر، شاهدته فرأيتّه بارعاً» (٢)!

ص: ٣٨٤

(١-١). أوائل المقالات: ٧-١٦. [١]

(٢-٢). ابن النديم، الفهرست: ٢٦٦. [٢]

نحمده سبحانه على انعامه و افضاله، و نشكره على آلائه، و نصلى على محمد أفضل سفرائه، و على آله الأطهار أفضل بريته، صلاه
دائمه ما دامت السماء ذات أبراج، و الأرض ذات فجاج.

جعفر السبحانى

قم، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

صفر المظفر ١٤١٣ هـ

ص: ٣٨٥

الرساله الثامنه:دراسه إيمان أبى طالب فى ضوء الكتاب و السنه

كُتبت هذه الرساله جواباً لمحاضره الشيخ يوسف القرضاوى فى قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيله الأستاذ الجليل الشيخ يوسف القرضاوى حفظه الله و رعاه.

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

نسأل الله لكم دوام الصحه و التوفيق لخدمه الإسلام و المسلمين.

أما بعد؛ فقد وقفنا فى إحدى المجلات الإسلاميه على مقاله رثائيه قيمه لكم بمناسبه رحيل المفكر الإسلامى القدير الشيخ الغزالى - رحمه الله - تحت عنوان: «النجم الساطع».

و لقد كان الشيخ الغزالى حقاً - كما وصفتموه - العقل الذكى، و القلب النقى، و صاحب الرشد فى الفكر و الشجاعه فى الحق، و الغيره على الدين فقد صدع بما يرى أنه الحق غير آبه بما يُثيره رأيه الصريح، من انتقادات و اعتراضات،

ص: ٣٨٦

لأنَّه كان- كما قلت- حرَّ الفكر و الضمير، حرَّ اللسان و القلم، و لأنَّه رفض الخضوع لأهواء العوام كما فعل أدعياء العلم الذين يحسبهم الناس دعاة !!

و لقد طالعنا فى نفس الوقت رسالتكم القيمه إلى الندوه الثانيه للتقريب بين المذاهب الإسلاميه بالرباط (١٢-١٤ ربيع الثانى ١٤١٧هـ) التى انطلقت من روح متوقده متطلعه إلى عزّه المسلمين و فهم عميق و منطقى للقرآن و السنّه.

و قد أعجبنا فيها رؤيتكم الصائبه حول ما يحول دون تحقيق الوحده الإسلاميه الكبرى و التقريب بين فصائل المسلمين و طوائفهم، و أبرز ذلك فراغ نفوس المسلمين من الهموم الكبيره و الآمال العظيمه، و اعتراكمهم على المسائل الصغيره و الهامشيه من فروع العقيدته أو الفقه، و قد كان من الواجب- كما قلت فيها- على الدعاه و المفكرين الإسلاميين أن يشغلوا جماهير المسلمين بهموم أمتهم الكبرى و ليلفتوا أنظارهم و قلوبهم و عقولهم إلى ضروره التركيز عليها و التنبيه لها.

و الحق كما تفضلتم: مشكله المسلمين اليوم ليست فى الذى يؤوّل آيات الصفات و أحاديثها بل فى من ينكر الذات و الصفات الإلهيه جميعاً و يدعو إلى العلمانيه و الإلحاد، و مشكله المسلمين ليست فى من يجهر بالبسملة أو يخفضها أو لا- يقرؤها فى الصلاه، و لا فى من يرسل يديه فى الصلاه أو يقبضهما، إنّما مشكله المسلمين فى من لا ينحنى يوماً لله راعياً و لا يخفض جبهته لله ساجداً و لا يعرف المسجد و لا يعرفه...

و لا... و لا... إنّما أنّما.....

و بالتالى إنّ المشكله حقاً هى: وهن العقيدته فى النفوس، و تعطيل الشريعه فى الحياه، و انهيار الأخلاق فى المجتمع، و إضاعه الصلوات، و منع الزكوات و اتّباع الشهوات، و شيوع الفاحشه، و انتشار الرشوه، و خراب الذمم، و سوء الإدارة، و ترك

الفرائض الأصليه، و ارتكاب المحرمات القطعيه، و موالاه أعداء الله و رسوله و المؤمنين.

إن مشكله المسلمين - كما تفضّلتم فيها - تتمثل في إلغاء العقل و تجميد الفكر و تخدير الإراده، و قتل الحريره، و إماته الحقوق، و نسيان الواجبات، و فشو الأنانيه، و إهمال سنن الله في الكون و المجتمع.

و هي بالضبط و على التحديد كل هذا، و بخاصه ما ذكرتموه في أرقام سبعة تحت عنوان هموم سبعة أساسيه.

و لقد أعجبنا كل هذه الرؤى جمله و تفصيلاً، و تمنينا لو كان مثل هذه الرؤيه و البصيره شائعه بين مفكرى الإسلام و علمائه اليوم سنه و شيعه و من جميع الفرق و المذاهب، و كان هناك تعاون صادق و عميق و متواصل لحلّ هذه المشكلات ما دامت كل هذه الفرق و المذاهب متفقه على وحدانيه الله، و رساله النبي الخاتم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أركان الإسلام العمليه، و مكارم الأخلاق، و أمور كثيره أخرى تفوق الحصر، و تستعصى على العدّ و الإحصاء.

و تمنينا لو كان المسلمون يكفون - إلى جانب ذلك - عن التراشق بسهام الاتهام فيما بينهم، و يتحرّرون من عقده الطائفيه و أساليبها الجاهليه، و يقوموا - بدل ذلك - بدراسه نقاط الخلاف و الاختلاف بروح أخويه و نهج علمي، و اسلوب رصين، و يفسحون للجميع فرصه التعبير عن مذهبه، و الإدلاء بأدلّته، و براهينه في جوّ ملؤه رحابه الصدر و اتساع الفكر و السماحه، و يتركون إثاره ما يبعد القلوب بعضها عن بعضها، و يكدر الصفو، و يفسد الموده.

غير أنه بلغنا أنكم في محاضره لكم في «قطر» تعرضتم بسوء لشيخ الأباطح ناصر الإسلام و حامى نبيه الأكبر أبى طالب-رضوان الله تعالى عليه-الذى تكفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و آواه، و حامى عنه بعد ابتعائه بالرساله، و ضحى فى سبيل دعوته براحتة، و نفسه، و بأولاده و أفلاذ كبده، كاتماً إيمانه، و متقياً قومه العتاه ليقى على منصبه، من أجل أن يخدم فى ظلّه الرسول و الرساله، و يدفع به عنهما أذى معارضيهما، و كيدهم كما فعل مؤمن آل فرعون طوال أربعين سنه، بلا انقطاع.

فهل ترى كان حقيقاً بأن يُنكر فضله، و تُتجاهل خدمته؟ و هو الذى صرّح بصحة الرساله المحمديه و صدق الدعوه النبويه الخاتمه فى قصائده، و أشعاره و ترجم إيمانه، بالوقوف الصريح-هو و أبناؤه الغرّ-إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: كَذَبْتُمْ و بَيْتِ اللَّهِ نَبِيَّ مُحَمَّدًا

لعمري لقد كَلَّفْتُ و جَدًّا بِأَحْمَدِ و إِخْوَتَهُ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاضِلِ

فلا زال فى الدنيا جمالاً لأهلها و زِيناً لمن والاه رَبُّ الْمَشَاكِلِ (١)

فَمَنْ مِثْلُهُ فى النَّاسِ أُمَّيُّ مَوْمِلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضِلِ

حَلِيمٌ رَشِيدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِي إِلا هَا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلٍ

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذبٌ لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

ص: ٣٨٩

١-٢). المشاكل: العظيمات من الأمور.

فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَدُ فِي أَرْوَمِهِ تَقْصُرُ عَنْهُ سَوْرَةُ الْمُتَطَاوِلِ (١)

حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتَهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذُّرَا وَالْكَلَاكِلِ (٢)

فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرَ بَاطِلٍ (٣)

نقل ابن هشام في سيرته أربعة و تسعين بيتاً من هذه القصيدة، فيما أورد ابن كثير الشامي في تاريخه «اثنين و تسعين بيتاً» و أورد أبو هفان العبدى الجامع لديوان «أبي طالب» مائة و واحد و عشرين بيتاً منها في ذلك الديوان و لعلها تمام القصيدة و هي في غايه العذوبه و الروعه، و في منتهى القوه و الجمال، و تفوق في هذه الجهات كل المعلقات السبع التي كان عرب الجاهليه يفتخرون بها و يعدونها من أرقى ما قيل في مجال الشعر.

و له وراء هذه اللاميه، قصيده أخرى ميميه «فهو-سلام الله عليه- يصرح فيها بنبوه ابن أخيه و أنه نبي كموسى و عيسى عليهما السلام إذ يقول: ليعلم خيار الناس أن محمداً

و نظيرها قصيدته البائيه و فيها: أ لم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب (٤)

ص: ٣٩٠

١-١). السوره: الشده و البطش.

٢-٢). الذرى: جمع ذروه و هي أعلى ظهر البعير.

٣-٣). راجع السير النبويه: ٢٧٢/١-٢٨٠. [١]

٤-٥). مجمع البيان: ٣٦/٧، و قد نقل ابن هشام في سيرته: ٣٥٢/١ خمسة عشر بيتاً من هذه القصيده

أفبعد هذه البلاغات و التصريحات يصحّ لإنسان واع أن يكفّر سيد الأباطح أو يشك في إيمانه؟

و على فرض التسليم، فهل هذه هي واقعاً مشكله الأُمّة الإسلاميه اليوم و أنتم الأدرى بمشاكل الأُمّة، و هل التنكيل بحامى الرسول، و الإيقاع فيه من ما يخدم الأُمّة؟!؟

هل يكون أبو طالب مع كل تلکم المواقف المشرفه و مع كل تلك الإثاره الصريحه الكاشفه عن عمق إيمانه بالرساله المحمديه مشركاً، و أبو سفيان الذى أشعل حروباً و قام بمؤامرات مده عشرين سنه و أبناؤه الذين كانوا أساس المشكله و مبدأ الانحراف فى المسار الإسلامى، مسلمين موحدين يستحقون كل تقدير و كل احترام منا؟!؟

و هل ترى لو كان أبو طالب والداً لغير على عليه السلام كان يرى هذا الحيف من قبل أبناء الإسلام؟!؟

هلاً- كنتم يا فضليه الأستاذ-و أنتم على ما أنتم عليه من مستوى رفيع و مرموق فى الرؤيه و البصيره-على نهج زميلكم الراحل الفقيه الشيخ الغزالي-رحمه الله-من الصدع بالحق، و عدم الخضوع للمرويات الباطله.

نحن-و قد وقفنا على قسم من مؤلفاتكم القيمه الزاخره بالفكر المشرق-كنا و لا نزال نأمل أن تنصفوا الحقيقه و لا تقعوا فيما وقع فيه الأولون من غمطها و تجاهلها و الجنايه عليها، و أن تكونوا المرجع الأمين لشباب هذا العصر فى تصحيح التاريخ، و تنقيته من الأباطيل، و رفع الضيم و الظلم عن المظلومين.

و رحم الله ابن أبى الحديد القائل:

و لو لا أبو طالب و ابنه

كل ذلك لو كان النبأ الواصل إلينا عن محاضرتكم صادقاً، و أرجو أن لا يكون كذلك.

هذا و نرسل إليكم ما قمنا به من دراسه لإيمان أبى طالب فى ضوء الكتاب و السنّه و التاريخ، و قد طبع ضمن دراستنا لحياه و تاريخ سيد المرسلين صلى الله عليه و آله و سلم.

ثمّ إننا انطلاقاً من ضروره السعى لإيجاد المزيد من التفاهم و التقارب نرسل إليكم كتاب: الاعتصام بالكتاب و السنّه، و حكم الأرجل فى الوضوء، و الأسماء الثلاثه، و أملنا أن تكون هذه الكتب خطوات على سبيل تحصيل التقارب بين الفقهاء.

و ختاماً نقول: إنكم فى رسالتكم للمؤتمر رجحتم قول الإمام أحمد فى مسأله خلق القرآن، و ما قوله إلّا «قدم القرآن»، و كيف يكون هذا القول، القول الأرجح و ليس القديم إلّا الله سبحانه، فيكون القرآن عندئذٍ إلهاً ثانياً، و هو يضاد أصل التوحيد؟!؟

و لو أريد من قدم القرآن قدم علمه سبحانه فهذا أمر لا ستره عليه و لا نزاع فيه.

و الجدير بالإمام أحمد الذي يأخذ العقائد من الكتاب و السنّه أن لا يخوض في هذا الموضوع بحجه أنّ الكتاب و السنّه لم يذكر شيئاً حول قدم القرآن و حدوثه

ص: ٣٩١

لو لم نقل أنه تبني حدوثة.

و تقبلوا فى الختام أسمى تحياتنا، وأفضل تمنياتنا، وفقكم الله لصالح العلم و العمل و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته.

جعفر السبحانى

قم-الجامعه الإسلاميه

تحريراً فى ١٤١٧/١١/١٥ هـ ق

ص: ٣٩٣

قد وجهت إليّ دعوه من الأردن عام ١٤١٩هـ لإلقاء المحاضرات في جامعاتها، وكان لها صدى واسع النطاق لا سيما في التعريف بالشيعة و أصولها و فروعها و تاريخها.

و دارت المحاضرات حول الوحده الإسلاميه و الأصول المشتركه بين الفريقين، و نالت اهتمام الصحف و المجلات الأردنيه، كما نالت إعجاب الحاضرين.

و لما أقفلت راجعاً إلى إيران انهالت عليّ رسائل عديده من الأردن تستفسر فيها عن الشيعة و أصولها و عقائدها.

و ممن كتب إليّ في ذلك أخت جامعيه فاضله تدعى ابتسام سالم زين العطيّات.

فقد كتبت رساله مسهبه سألتني فيها عن مسائل تتعلق بالشيعة و عقائدها، و قد بعثت إليها بالرساله التاليه جواباً لاستفساراتها.

و بالإمعان فيها تعلم الأسئلة التي وجهتها إليّ، و هي رسالتان ننشرهما تباعاً.

إشارة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد:

فقد وافتنى رسالتكم الكريمة معرّبه عن أخلاقكم الساميه و أعرافكم الزاكيه، ووقفت على ما تنطوون عليه من حبّ للوحده الإسلاميه و رصّ الصفوف، و قد كتبت في صدر رسالتكم أموراً أوافقكم في جميع ما حررتموه، غير أنّي أقوم برفع بعض الشبهات العالقه بأذهانكم بالنسبه إلى الشيعة.

١. إنّ الشيعة ليست فرقه حادثه بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم بل ترجع جذورها إلى أمائل من المهاجرين و الأنصار الذين بقوا على ما كانوا عليه في عصر الرساله من الاعتقاد بمبدأ التنصيب على الإمام بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، فبقوا على تلك العقيده بعد رحيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم فتلك الثله من المهاجرين و الأنصار هم رواد التشيع، و قد ذكرنا أسماء كثير منهم في الجزء السادس من كتابنا «بحوث في الملل و النحل»، و في طليعتهم: أبو ذر الغفاري و عمار بن ياسر و حذيفه بن اليمان، و المقداد بن الأسود الكندي، و قيس بن سعد بن عباده، و سلمان الفارسي، و العباس عمّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم،

و أبو أيوب الأنصاري، و ذو الشهادتين خزيمه بن ثابت الأنصاري، و قد انتشر التشيع عن طريق هؤلاء في الحجاز أولاً و منها إلى سائر الأمصار عبر القرون.

إنَّ اختلاف الشيعة مع السنه ليس اختلافاً فيما أوحى إلى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بل هو اختلاف في بعض ما روى عنه، و الشيعة على أنَّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم نصَّ على الخليفه بعده في مواقف عديده، مثل:

أ. حديث الدار

بعد أن مضت ثلاث سنوات على بعثه النبي صلى الله عليه و آله و سلم كلفه الله تعالى بأن يبلغ لأبناء عشيرته و قبيلته، و ذلك عند ما نزل قوله عزَّ و جلَّ: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» ١.

فجمع النبي صلى الله عليه و آله و سلم رءوس بني هاشم و قال: «يا بني عبد المطلب إنني و الله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنني قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأئتكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و وزيرى و خليفتى فيكم».

و لقد كثر النبي صلى الله عليه و آله و سلم عبارته الأخيرة ثلاث مرّات، و لم يقم فى كلّ مرّه إلّا الإمام على عليه السلام، الذى أعلن عن استعداده لمؤازره النبي صلى الله عليه و آله و سلم و نصرته، و فى المرّه الثالثه قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إنّ هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و أطيعوا». (١)

ص: ٣٩٤

١-٢). مسند أحمد: ١/١٥٩؛ تاريخ الطبرى: ٢/٤٠٦؛ [١] تفسير الطبرى ([٢] جامع البيان: ١٩/٧٤-٧٥). [٣]

ب. حديث الغدير

و من جمله التنصيص على الخليفة نصّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عليّ عليه السلام في محتشد عظيم في منصرفه من حجّه الوداع في أرض تعرف بغدير خم، حيث قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أنّ محمّداً عبده و رسوله و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها؟».

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإني فرط (أي أسبقكم) على الحوض (أي الكوثر)، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟».

فنادى منادٍ: و ما الثقلان يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الثقل الأكبر كتابُ الله طرف بيد الله عزّ و جلّ و طرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، و الآخر الأصغر عترتي، و إنّ اللطيف الخبير بيّأني أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا- تقدموهما فتهلكوا، و لا- تقصّروا عنهم فتهلكوا».

ثمّ أخذ بيد «عليّ» فرفعها حتى رأى بياض أباطهما فعرفه القوم أجمعون فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّها الناس من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: الله و رسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ الله مولاي، و أنا مولى المؤمنين، و أنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه».

ثمّ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و أحب من أحبّه و أبغض من أبغضه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أدر الحقّ معه حيث ما دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب».

ص: ٣٩٧

إشاره

إنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواتره، وقد رواه العديد من الصحابه و التابعين و المحدثين في كلّ قرنٍ بصور متواتره.

فقد نقل حديث الغدير و رواه (١١٠) من الصحابه، و(٨٩) من التابعين، و(٣٥٠) من العلماء و المحدثين، و في ضوء هذا التواتر لا يبقى أيّ مجالٍ للشكّ في أصاله و صحّه هذا الحديث.

كما أنّ فريقاً من العلماء ألفوا كتباً مستقلّه حول حديث «الغدير» أشملها و أكثرها استيعاباً لطرق و أسناد هذا الحديث كتاب «الغدير» للعلامه الشيخ عبد الحسين الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠هـ).

٢. تسميه هؤلاء بالشيعة ترجع إلى نفس النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلاحظوا تفسير الدر المنثور في سوره البيّنه في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، حيث قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: هم على و شيعته.

هؤلاء نواه التشيع و قد نمت بعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بفضل الصحابه و التابعين و تابعي التابعين إلى يومنا هذا. و لهم دول و حكومات و جامعات علميه و مساهمات كثيره في الحضاره الإسلاميه و كتب و آثار عظيمه و مكاتب ضخمه و قد خدموا الإسلام و المسلمين في كافه الحقول.

هذه لمحّه إجماليه للشيعة و لنجب الآن عن ما طلبتموه من إعطاء المعلومات حول الأمور التاليه:

١. كتبتم: «لدى بعض المعلومات و النصوص التي قرأنا من خلال كتب الشيعة».

كنت أود أن أتعرف على تلك الكتب التي قرأتوها لأقف على مدى معلوماتكم الصحيحة بالنسبة إلى الشيعة الإماميه.

٢. كتبتم: «أن تكون الاجابه لكم صريحه بدون اللجوء إلى مبدأ التقيه».

نوضح لكم أنّ مبدأ التقيه عند الشيعة هو في حاله الخوف على النفس و النفيس، و هو أمر يتحقق عند الضعف، و أمّا في الحالات الطبيعیه و استتباب الأمن فلا- معنی للتقيه، و أنا أقسم بالله تبارك و تعالی «وَ إِنَّهُ لَكَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ» انه لم يكتب كتاب عبر القرون على نمط التقيه بل كل من كتب من علمائنا الشيعة سواء أصاب أم أخطأ فإنما كتب فيما يراه و اعتقده.

٣. ذكرتم و قرأتم في إحدى الكتب: «أن الإمام آيه الله الخميني رحمه الله كفر صاحبى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هذا واضح في

كتابه كشف الأسرار، ص ١١١ و ١١٤ و ١١٧ و يسميهما صنمى قريش... الخ».

إنّ التعقيم الاعلامى لم يزل سائداً على الشيعة إلى يومنا هذا، و قد نسبوا إليهم أموراً لا حقيقه لها، و من هذه الأمور ما نقلتموه عن أحد الكتب.

إنّ الإمام الخميني قدس سره كتب كتابه كشف الأسرار (عام ١٣٦٣هـ. ق ١٩٤٤م) و هو كان ممن يحمل هموم المسلمين منذ شبابه حتى لقاء ربه، و قد قام بعض أصحاب الأقلام المشبوهه بترجمه كتابه (كشف الأسرار) ترجمه مزوره و محرفه و لم يراع الأمانه العلميه، فأدخل فيه أشياء لتشويه سمعه الثوره الإسلاميه التي فجرها الإمام الخميني و لم تزل تشع و تدعو الأمة إلى الوحده و رض الصفوف، فالترجمه التي اعتمدتم عليها، ترجمه مزوره و محرفه، فلأجل أن تثقوا بما ذكرت أود أن ترسلوا إلى تلك الصفحات حتى أرسل إليكم ما كتبه السيد في تلك المواضيع باللغه الفارسيه المطبوعه، و بإمكانكم التطابق بين النسختين عن طريق من يجيد، اللغتين العربيه و الفارسيه في جامعه أهل البيت في الأردن الهاشمى و غيرها كى

تصدقوا بأنّ التعقيم الإعلامى لم يزل قائماً بين المسلمين للحيلولة دون الوقوف على عقائد هذه الطائفة الكبيره و المظلومه.

٤. قلم: «تعند الشيعة الإماميه أنّ حكام أهل السنه و قضاتهم طواغيت...».

تعند الشيعة بأنّ القضاء المنصوبين من قبل السلطه الظالمه لا يجوز التحاكم إليهم من غير فرق بين كون القاضى شيعياً أو سنياً أو غير ذلك، و المنصوب من قبل الحكومات الغاشمه كالأمويين و العباسيين، لا يصحّ التحاكم إليهم لأنهم ليسوا بعدول.

٥. ذكرتم: «تكفير الشيعة للسنه...».

هذه النسبه غير صحيحه، و هذه كتب الشيعة فى تفسير معنى الإسلام و الإيمان، و قد اتفقوا على أنّ أركانها عبارته عن الإيمان بالله تبارك و تعالى و رساله النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الإيمان بيوم المعاد، و على ذلك جروا فى كتبهم العقائديه و الفقيهيه. و المسلمون - بحمد الله - كلّهم شيعيهم و سنيهم متظللون تحت ظلال الإسلام و الإيمان.

هذا هو الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام يروى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم، قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا حرمت على دماؤهم و أموالهم. (١)

و قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الإسلام شهاده أن لا إله إلا الله و التصديق برسول الله، به حققت الدماء...». (٢) و قد كتبنا كتاباً مستقلاً حول الإيمان و الكفر فى الكتاب و السنه و بينا حدودهما.

ص: ٤٠٠

(١-١). بحار الأنوار: ٢٤٢/٦٨. [١]

(٢-٢). بحار الأنوار: ٢٤٣/٦٨. [٢]

٦. كتبتم: «حول سب صحابه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على منابر المساجد...».

إن الصحابه تطلق على كل من رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مره أو مرات، أو عاشره و لو لفتهه قليله، و هم على طوائف.

منهم: من قضى نجهه فى العهد المكى مثل ياسر و سميه.

و منهم: من استشهد بعد الهجره فى بدر و أحد و الأحزاب و موته، مثل: عبيده بن الحارث فى بدر، و حمزه بن عبد المطلب أسد الله و أسد رسوله فى أحد، و سعد بن معاذ فى الأحزاب، و جعفر الطيار و عبد الله بن رواحه و زيد بن حارثه فى مؤته.

و منهم: من بقى بعد رحيل الرسول شاركوا فى نشر الإسلام و الجهاد فى سبيل الله.

فهل يتصور ان أحداً يمتلك شيئاً من العقل يسب هؤلاء الأماثل و قد انتشر الإسلام بفضلهم و جهودهم، و فيهم رواد التشيع الحاملون رساله التنصيص.

إن مسأله سب الصحابه تحوير لمسأله كلاميه أخرى، و هى كون كل صحابى عادلاً، و الشيعة تعتقد بأن حكم الصحابه كحكم التابعين من غير فرق بينهما، إنما من جهه التشرف برؤيه النور النبوى و الانتهاال من نمير علوم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، و ليس هنا أى دليل على أن صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين يتجاوز عددهم مائه ألف، كلهم عدول، مع أنا لا نعرف أسماء أكثرهم فضلاً عن أعيانهم، و المسجل من أسمائهم لا يتجاوز عن خمسه عشر ألف صحابى، و الإمعان فى القرآن يثبت نظريه الشيعة، فلاحظوا سوره الحجرات الآيه ٦ و غيرها.

٧. كتبتم: «إن الشيعة تعتقد بتحريف القرآن المجيد».

أقول: إن أعيان الشيعة الإماميه الذين يؤخذ بقولهم و رأيهم فى مجال العقيدة الإسلاميه قالوا بصيانته القرآن عن التحريف و على سبيل المثال: الفضل بن

شاذان (٥٢٦٠هـ)، و الشيخ محمد الصدوق (٣٨١هـ) في كتابه «عقائد الإماميه»، و الشيخ المفيد (٤١٣هـ) في أجوبه المسائل السريه، و السيد المرتضى (٤٣٦هـ) في كتبه، و الشيخ أبو جعفر الطوسي (٤٦٠هـ) في كتابه التبيان في تفسير القرآن، و الشيخ أبو علي الطبرسي (٥٤٨هـ) في تفسيره مجمع البيان، إلى غير ذلك....

نعم وردت روايات في كتب الحديث عند الشيعة و السنه على حدّ سواء تتحدث عن طروء التحريف على القرآن الكريم. و هي أخبار آحاد ليست حجّه في مجال العقائد، و ما أشرتّم إليه من كتاب للشيخ الحسين الطبرسي تنتهي رواياته إلى أشخاص ضعفاء في الروايه لا يعتمد على رواياتهم كالسيّارى و على بن أحمد الكوفي... و قد كتبت الشيعة ردوداً على هذا الكتاب منذ طبعه إلى الآن، أخص بالذكر كتاب «صيانته القرآن الكريم من التحريف» للعلامة الحجّه محمد هادى معرفه-مدّ ظله- و لنا أيضاً رساله في نقد هذا الكتاب طبعت في مقدمه طبقات الفقهاء.

إنّ وجود الروايه في كتاب الكافى للكلينى ليس دليلاً على العقيدته، و إلّا فإنّ روايات التحريف موجوده حتى في صحيح البخارى كحديث عمر عن الشيخ و الشيخه إذا زنيا فارجموهما نكالاً من الله.... (١)

قد نقل القرطبى في تفسيره سورة الأحزاب عن السيده عائشه أمّ المؤمنين أنّ سورة الأحزاب كانت أكبر من سورة البقره، لاحظوا ذلك التفسير.

و قد ألف أحد علماء الأزهر كتاباً باسم «الفرقان في تحريف القرآن» و قد طبع و انتشر ولدى نسخه منه.

و المحققون من علماء السنه و الشيعة لا يقيمون لهذه الكتب وزناً و لا قيمه.

ص: ٤٠٢

١ - ١. راجع: صحيح البخارى: ٢٠٨/٨ - ٢١١، باب رجم الجبلى؛ صحيح مسلم: ١٦٧/٤ و ج ١١٦/٥، طبعه محمد على صبيح؛ مسند أحمد: ٢٣/١ و ج ١٣٢/٥ و ١٨٢، طبعه دار [١] الفكر.

و فرض القول بالتحريف على السنه و الشيعه ليس لصالح الأمه، و إنما هو لصالح الأعداء الذين يتربصون الدوائر بالإسلام و المسلمين.

اعتذر إليكم من عدم التفصيل فى بعض المجالات، لأنّ بعض هذه المواضيع رهن كتاب مستقل. و أرجو أن تكون رسالتى لكم مزيله لبعض الابهامات و الشبهات و نحن أيضاً على استعداد على أن نجيب مرّه ثانيه لو كانت عندكم استفسارات.

٨. ذكرتم: «انّ لكم اهتماماً بالشعر...».

إنّ الشعر الهادف أمنيه كلّ مفكر إسلامى، يوقظ به الأُمّه، و يدعم الصحوه الإسلاميه، و يندد بالظالمين، و يصوّر الوقائع على ما كان، لا على ما يريد، و لهذه الغايه أبعث إليكم قصيده حول حديث الطّفّ لشاعر إيرانى أرجو قراءتها بالدقه و الإمعان، و توضيح لغاتها، و شقّ مفاهيمها و قد جرى فى قريضه على نهج الشعر الجاهلى.

و قياماً و عملاً بما قاله الإمام الصادق عليه السلام «أحبّ إخوانى إلى من أهدى إلىّ عيوبى». انّبّه على بعض ما جاء فى رسالتكم من بعض الكلمات و ليس ذلك إلّا من هفوات القلم.

ص ١، س ٨ «ولدى اهتماماً شديداً» و الصحيح: اهتمام شديد.

ص ٢، س ١٦ «عن أبوه محمد الباقر» و الصحيح: عن أبيه.

و فى الختام أتمنى لكم التوفيق و السعاده، و للمسلمين وحده الكلمه و قد بنى الإسلام على كلمتين: كلمه التوحيد، و توحيد الكلمه.

و السلام عليكم و رحمه الله

جعفر السبحانى

إيران-قم-مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٤٠٣

الرساله العاشره: جواب رساله حول الشيعة أصولها و عقائدها

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

أختي في الله ابتسام سالم زين العظيات

السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

لقد وافتنى رسالتك المؤرخه ١٥ جمادى الأولى ١٤١٩هـ، و هي تكشف عن عنایتك بالبحث عن الحقيقه، و تجردك عن التعصب، و لا شكّ أنّ الموضوعيه هي مفتاح كشف الحقيقه، و قد طرحت فيها عدّه أسئله أقوم بالإجابہ عليها بنحو موجز و أُحيل التفصيل إلى الكتب التي سأشير إليها في آخر الرساله أو أرسلها إليك مرفقه بها.

ص: ٤٠٤

١. جاء في رسالتك أنّ الدكتور موسى الموسوي نقل أنّ الإمام الخميني أدخل اسمه في الأذان....

الجواب: أنّ الدكتور المذكور قد انتقل إلى الدار الآخرة و لا أقول في حقّه شيئاً عملاً بالحديث المعروف: «اذكروا موتاكم بخير» و لكنّه -سامحه الله- قد افتعل و افترى و بإمكانكم الاستماع إلى أذان إذاعه الجمهوريه الإسلاميه ليلاً و نهاراً.

نعم الشعار الثوري للأُمَّه المسلمه الإيرانيه في غير الأذان و الإقامه هو «الله أكبر، خميني رهبر» و لا صلّه لهذا الشعار بهما و إنّما يهتفون بها في ساحات الوغى و في التظاهرات الشعبيه، و العجب أنّ الملك خالد عاهل المملكه السعوديه آنذاك طرح هذا السؤال على الإمام الخميني رحمه الله فأجاب بقوله: معاذ الله أن يدخل مسلم في الشريعه ما ليس منها فإنّها بدعه محرّمه لا يخضع لها الشعب المسلم.

٢. صلاه الجمعه تقام في حضور الإمام و في غيبته، و هي صلاه عباديه سياسيه مقرونه و لا يقام إلّا بإذن الإمام المعصوم أو الفقيه العادل الجامع للشرائط، و لذلك فالشيعه في عصر الغيبه تقيم صلاه الجمعه في جميع المدن و القرى، و من قال بأنّ الشيعه عطلت صلاه الجمعه فهو مفتر لا يقام لكلامه وزن و لا قيمه.

و بإمكانك الرجوع إلى مبحث الأذان و صلاه الجمعه من كتاب «تحرير الوسيله»، و هو كتاب فقهى للإمام الخميني في جزئين كبيرين يوجدان في الملحق الثقافى للسفاره الإيرانيه في الأردن.

أختي في الله لقد وُظف الجهاز الحاكم في عصر الأمويين و العباسيين و من والاهم إلى يومنا هذا وسائل الأعلام بغيه الافتراء على الشيعه و تشويه سمعتها بما لا يسع المجال لذكر معشار ما ارتكبه من الأعمال في حقّ الشيعه، و نعم الحكم الله.

٣.مسألة الإمام المهدي عليه السلام أصل اعتقادي اتفق عليها المسلمون، وأنه يظهر في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت جوراً و ظلماً، وإنما الاختلاف بين الشيعة و السنة في أمر آخر، و هو أنّ الشيعة تعتقد بولادته عام ٢٥٥هـ في سامراء و عاش في أحضان والده و والدته خمس سنين و غاب عن الأبصار بعد وفاه أبيه عام ٢٦٠ بأمر من الله سبحانه و هو حيّ يرزق في هذا العالم، و ليس هذا يبعد عن قدرته تبارك و تعالى.

و قد أرشدنا القرآن الكريم إلى أنّ لله سبحانه حجّتين ظاهره و غائبه في عصر واحد، أمّا الظاهره فكموسى عليه السلام، و أمّا الغائبه فكمصاحبه الخضر عليه السلام الذي لم يكن موسى يعرفه و إنّما تعرّف عليه بتعريف من الله سبحانه، و قد نهل من معين علمه على ما ورد في سورة الكهف الآيه (٦٠-٨٢) فقد كان مصاحب موسى ولياً من أوليائه سبحانه متصرفاً في أمور الناس و لم يكن الناس يعرفونه.

فالإمام المهدي عليه السلام من تلك الفئة إمام غائب عن الأبصار متصرف في أمور الناس قائم بوظائف الإمامه و إن كان الناس لا يعرفونه و سيظهر بأمر من الله سبحانه، و هو مصلح كبير وعد الله به الأمم و أخباره متفشييه في العهدين و غيرهما، مضافاً إلى الأحاديث النبويه المتواتره التي نقلها علماء الفريقين.

٤.مدينه قم مدينه مقدسه فيها مدفن كريمه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاطمه بنت الإمام موسى بن جعفر بن محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام و في تلك البلده الطيبه ضريحها و ضريح العديد من أعلام الشيعة من القرن الثاني إلى يومنا هذا من المحدّثين الكبار و الفقهاء العظام، و قامت فيها جامعه إسلاميه كبيره زهت بالعديد من طلاب العلم و المعرفه يربو عددهم إلى ثلاثين ألف طالب.

و تُدرس في هذه الجامعه مختلف العلوم الإسلاميه و فيها أيضاً جامعه أُخرى

للبنات تدعى جامعه الزهراء عليها السلام تتقاطر إليها الطالبات من مختلف الأمصار الإسلامية.

و مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام فرع من تلك الجامعة الكبيره الأولى التى تختص بالدراسات الكلاميه حيث تزود خريجيها بشهادات عليا مضافاً إلى ما تقوم به من نشر التراث الإسلامى و سدّ الفراغ بتأليف الكتب الدراسيه، و التبليغيه.

5. الزواج بين المذاهب الإسلاميه جائز و المسلم كفء المسلم بلا- فرق بين فرقه و أخرى فما دام الجميع يتمسكون بأهداب الإسلام و يشهدون بتوحيده سبحانه و رساله نبيّه الخاتم و يوم جزائه فالجميع على حد سواء.

6. ذكرت شيئاً من الاحتفالات التى تُقام فى الأردن حول ضريح سيدنا جعفر بن أبى طالب عليهما السلام فى مدينه الكرك الأردنيه، و لكنّها نموذج صغير بالنسبه إلى ما يقام فى العراق و إيران من الاحتفالات، فهو فوق أن يذكر، و الهدف من ورائها إحياء المنهج الذى رسمه السبط الأطهر حسين العظمه، حسين الإباء و الشهاده، حسين التضحيه، فهو منهج حى و مبدأ قيم يجب الحفاظ عليه ليشبّ عليه الصغير و يهرم عليه الكبير، و ليرتّم الجميع بكلامه عليه السلام الخالد «إنّ الحياه عقيدته و جهاد» فالاستسلام أمام العدو الغاشم على النقيض من منهج الحسين الثورى.

و لو كان منهج الحسين سائداً بين أوساط المسلمين لما عمّم الذل و الهوان و لما اغتصبت أراضيهم من قبل شُذاذ الآفاق.

و قد بعثنا إليكم مع الرساله السابقه قصيده حول ثوره الحسين عليه السلام و طلبنا منك تفسيرها و تشقيق معانيها و التى كانت مطلعها. أناخت على قلبى الكآبه و الكرب عشيه زمّ العيس للظعن الركب

إلى أن قال: رزيه قوم يمموا أرض كربلا فعاد عبيراً منهم ذلك التُّربُ

٧. غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء مسأله فقهيه اختلفت فيها آراء السنه و الشيعه، فأغلب السنه على الغسل و الشيعه على المسح و كتاب الله معهم و المستفاد من ظاهره أنّ الوضوء «غسلتان» و «مسحتان» كما قاله ابن عباس، و صبّه بحر العلوم في قالبٍ شعري في منظومته المسماه بالدره النجفيه حيث قال: أنّ الوضوء غسلتان عندنا و مسحتان و الكتاب معنا

قال سبحانه:

«فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ» ١.

و قال:

«وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» ٢.

فالشيعه تقول بأنّ لفظ الأرجل معطوف على الرؤوس سواء قرئ بالجر فيكون معطوفاً على اللفظ، أو بالنصب فيكون معطوفاً على المحل، لأنّ الرؤوس مفعول و محلّه النصب، فكلتا القراءتين مطابقتان للقواعد العربيّه، و على ذلك فيجب المسح على كلتا القراءتين.

و أمّا السنه القائلون بالغسل فقد وقعوا في ورطه عجيبه في تفسير القراءتين حتى اعترف قسم كبير منهم بأنّ ظاهر الآيه هو المسح و ذلك:

بما أنّهم يقولون بغسل الأرجل فقد مالوا يميناً و شمالاً في تفسير قراءتي الجرّ و النصب فقالوا:

على قراءه الجرّ-فهو مجرور بالجوار-مكان القول بأنّه معطوف على لفظ

ص: ٤٠٨

الرءوس-نظير قول الشاعر: «جحر ضبّ خرب» فلفظ «خرب» خبر يجب أن يرفع لكنّه صار مجروراً لوقوعه فى جوار «ضب» المجرور، و على قراءه النصب فهو منصوب لأنّه معطوف على «أيديكم» فى الجملة المتقدّمه.

و التأمل فى التفسير يثبت بطلان النظرين.

أما الجرّ: فالتفسير الصحيح أنّه معطوف على الرءوس، لا الجرّ بالجوار و ذلك أنّ الجرّ بالجوار أمر شاذ فى لغه العرب و ربما تدعوا الضروره إلى هذا النوع من الجرّ، و لا يصحّ لنا تفسير كلام الله على ضوء تلك القاعده الشاذه، مضافاً إلى أنّ الجرّ بالجوار إنّما يصحّ إذا لم يكن هناك التباس كما فى البيت إذ من المعلوم أنّ الخرب وصف لجحر لا- لضبّ. بخلاف الآيه فإنّ الجرّ بالجوار يوجب الالتباس إذ القارئ يتصور أنّه معطوف واقعاً على الرءوس فتكون النتيجة هو المسح عليها مع أنّ الفرض أنّها معطوفه على الأيدى.

و أما قراءه النصب فالإشكال أوضح، فأهل السنه تذهب إلى أنّها معطوفه على الأيدى الوارده من الجملة المتقدمه مكان العطف على الرءوس التى هى بجنب «أرجلكم» و هذا شىء لا يرضى به الخبير بأساليب اللغه العربيه فمثلاً إذا قال:

أكرمت زيدا و عمراً.

ثمّ قال:

ضربت بكراً و خالدأ.

فهل يخطر ببال أحد أنّ «خالدأ» عطف على «عمراً» بل الجميع يقولون إنّّه عطف على «بكراً».

و فى الآيه فعلان: أحدهما: «فَاغْسِلُوا» و له مفعولان: الوجوه و الأيدى.

و الثاني: «فَامْسُحُوا» و قد جاء بعده أمران: الرءوس و الأرجل.

أ فيصح أن نقول بأنَّ الأرجل ليست معطوفه على الرءوس بل معطوفه على الأيدي مع أنه وقع بين المعطوف و المعطوف عليه جمله معترضه يغير فعلها «فَامْسُحُوا» مع فعل الجملة الأولى «فَاغْسِلُوا» .

و العجب أنكِ طرقتِ كلَّ باب إلَّا باب القرآن فما رجعتِ إليه حتى تأخذ حكم الله من الآيه المباركه.

و أمّا حديث عبد الله بن عمر فهو على خلاف الغَسِيل أدل إذ جاء فيه قول ابن عمر «نتوضأ و نمسح على أرجلنا» أ فيمكن أن يتوضأ ابن عمر و يمسح رجله- و هو في أحضان النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بمراى و مسمع منه صلى الله عليه و آله و سلم- من جانب نفسه، و هذا يدل على أنّ عمل الصحابه كان على المسح.

و أمّا الجملة الأخيره «ويل للأعقاب من النار» فليس فيها دلالة على وجوب الغسل عند الوضوء، بل الويل، لأجل أنّ الأعراب كانوا عراه حفاه بوالين على أعقابهم من دون مبالاه بإصابه البول لها، فكانوا يمسحون على الأرجل النجسه، فناداهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم بقوله: «ويل للأعقاب من النار». إذ كان عليهم أن يغسلوا أعقابهم أولاً ثمّ يمسحوا عليها.

و لعمر الحق لو كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم بصدد بيان الحكم الشرعى و هو أنّ الواجب فى الأرجل هو الغسل لا المسح كان عليه أن يعبر عن تلك الحقيقه بعباره واضحه و ينادى بقوله: أيها المسلمون اغسلوا أرجلكم و لا تمسحوا بها، من دون أن يتفوّه بكلمه لا يفهم منها الغسل إلّا بتفسير النووى و غيره.

كلّ ذلك يدل على أنّ الحديث على فرض صحته يعنى أمراً آخر كما ذكرنا، و على تقدير دلالته على الغسل فما قيمه حديث يعارض الذكر الحكيم و لا يصحّ

نسخ الكتاب بخبر الواحد لا سيما أنّ الآية في سورة المائدة و هي آخر سورة نزلت في المدينة.

٨.مسألة الخلافه عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مسأله عصيبه إذ ما سئل سيف بين المسلمين مثلما سئل في أمر الإمامه،فلترك هذا البحث إلى ذمه التاريخ و الحديث و علم الكلام.

و يكفيك في ذلك مراجعه كتاب «العقيدته الإسلاميه»ففيه من الدلائل المشرقه على أنّ الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم منصب تنصبي لا اختياري و لا انتخابي،و قد قام النبي صلى الله عليه و آله و سلم بنصب خليفته تاره في بدء الدعوه،و أخرى في غزوه خيبر حيث شبه علياً بهارون و أثبت له جميع المناصب إلّا النبوه،و ثالثه عند منصرفه عن حجّه الوداع حيث قام في غدیر خم بتنصيب على عليه السلام للخلافه و القياده بأمر من الله سبحانه الورد في الآيه التاليه:

«يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِي مِمْكَ مِنَ النَّاسِ» ١ و قد نقل غير واحد من أعلام السنه نزولها في غدیر خم.

أنشدك بالله ما هذا الموضوع الذي كان عدم تبليغه بمنزله عدم تبليغ الرساله بأجمعها؟! و هل يصح تفسير الآيه بابلاغ الأحكام الشرعيه؟ كلا،لا،بل لا بد من تفسيرها بأمر خطير يعد دعامه للإسلام،و رمزاً لبقائه و ليس هو إلّا تعيين الخليفه و الوصي من بعده و ان أثار حفيظه الآخرين و قد قال سبحانه: «وَ اللَّهُ يَعْصِيكُمْ مِنَ النَّاسِ» .

و بما أنّ الموضوع ذو شجون أكتفى بهذا المقدار و ألفت نظرك إلى موضوع التقريب و نقول:

لقد قرأت مقالک فی صحیفه الدستور و أعجبنى اهتمامک بمسأله التقرب اللى هى أهمّ الأمور فى هذه الأعصار.

کیف و المسلمون ید واحده و ما یجمعهم أكثر مما یفرّقهم، و نحن كما یقول شاعر الأهرام: انا لتجمعنا العقیده أمّه

كما و کتبت فى رسالتک الأولى بأنّ الإمام الخمینى سَمّى الخلیفتین بصنمى قریش فى کتابه کشف الأسرار، ص ۱۱۷، ۱۱۴، ۱۱۱ و لم أجد فى الصفحات المستنسخه اللى أرسلتها إلیّ شیئاً من تلك الکلمات.

نعم جاء فى التعليقه للمترجم، ص ۱۲۶ «انّ الخمینى و شیعته ینعتان الخلیفتین بصنمى قریش» و التعليقه لا یحتج بها لا سیما و انّ کاتبها قد ملأ- کتابه بالسب و الشتم على المجاهد الذی أفنى عمره فى الذبّ عن حیاض الإسلام، و مکافحه الاستعمار و الصهيونیه و تأسیس دوله إسلامیه متکامله الجوانب.

و ائی بما أنا شیعى و قد ناهزت من العمر ۷۳ عاماً و ألفت ما یفوق المائه کتاب لم أجد تلك الکلمه فى کتاب و إنّما سمعته من شیخ سعودى کان ینسبه إلی الشیعہ.

و أمّا الأمر الثانى الذی طلبت منّا و هو مصدر قول الخلیفه-حینما طلب رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم القلم و الدواه-قال الخلیفه:لقد هجر رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم و قد ذكرت فى ظهر الصفحه المستنسخه ما رواه البخارى فى باب مرض النبى صلی الله علیه و آله و سلم و فیها قوله،فقال بعضهم:انّ رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم قد غلبه الوجع و عندکم القرآن حسبنا کتاب الله. (۱).

ص: ۴۱۲

ثم كتبت: لا نرى إشاره إلى أنّ سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال ما ورد في كتاب كشف الأسرار.

أقول: إنّ البخارى نقل الحديث فى غير موضع من كتابه و إليك الصور الأخرى.

٢. روى البخارى فى الجزء الأول، باب كتابه العلم من كتاب العلم، ص ٣٠، مطبعه عبد الحميد أحمد حنفى، مصر، الحديث التالى:

عن ابن عباس، قال: لما اشتدّ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده، قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع و عندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا و كثر اللغظ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: قوموا عنى.

تجد أنّ الحديث ينص على أنّ القائل بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع هو عمر بن الخطاب.

و بذلك يعلم أنّ المراد من البعض فيما رواه البخارى فى باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو نفس عمر بن الخطاب غير أنّه صرح باسم القائل فى باب كتابه العلم و كنى عنه ب«البعض» فى باب مرض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كما نقلت.

٣. روى البخارى فى الجزء الرابع، باب جوائز الوفد من كتاب باب فضل الجهاد و السير، ص ٦٩ و ٧٠، الحديث بالنحو التالى.

عن ابن عباس أنّه قال: اشتدّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً.

فتنازعوا، و لا ينبغي عند نبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و على ذلك فالبخارى نقل الحديث بهذه الصور الثلاثة التى يفسر بعضها بعضاً.

ففى باب كتابه العلم قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع

و فى باب مرض النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال بعضهم: إن رسول الله قد غلبه الوجع.

و فى باب جوائز الوفد، فقالوا: هجر رسول الله.

فقد صرح البخارى باسم القائل فى الأوّل دون الثانى و الثالث، و منه يعلم أنّ القائل واحد.

و الظاهر أنّ اللفظ الصادر هو: «هجر رسول الله» و لكن البخارى غيرّه إلى قوله: «قد غلبه الوجع» تهذيباً للعبارة و تقليلاً للاستهجان.

و لأجل ذلك لما رواه أبو بكر الجوهري فى كتاب السقيفه أشار إلى تلك النكته فى نقله، و قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوفاه و فى البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب، قال رسول الله: ائتوني بدواه و صحيفه أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده، قال: فقال عمر كلمه معناها «إنّ الوجع قد غلب على رسول الله ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله».

هذا ما فى البخارى.

و أمّا مسلم فقد رواه فى صحيحه بصور ثلاث:

الصورة الأولى: ...اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه فقال: ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدى فتنازعوا و ما ينبغى عند نبى التنازع.

و قالوا: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه؟ قال: دعونى.

الصورة الثانية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ائتوني بالكتف و الدواه أو اللوح و الدواه أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً.

فقالوا: إنّ رسول الله يهجر.

الصورة الثالثة: فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلون بعده.

فقال عمر: إنّ رسول الله قد غلب عليه الوجع و عندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

(صحيح مسلم، الجزء الرابع، كتاب الوصيه، باب ترك الوصيه لمن ليس له

شئ يوصى فيه، ص ٧٥-٧٦، طبعه مصر، مطبعه محمد على صبيح و أولاده).

فبمقارنه هذه الأحاديث بعضها ببعض يعلم أنّ القائل فى الحديث الأوّل (ما شأنه أهجر، استفهموه) و الحديث الثانى (إنّ رسول الله يهجر) هو القائل فى الحديث الثالث الذى صرح مسلم باسمه (إنّ رسول الله قد غلب عليه الوجع، و عندكم القرآن).

و يعلم أيضاً أنّه عند ما كان التعبير مستهجنًا كنوا بالقائل، و عند ما كان خفيف الوطأه صرحوا باسمه، و إن كان التعبير الثانى (قد غلبه الوجع) نفس التعبير بأنّه (هجر) نظير قول القائل: (أنت أو ابن أخت خالتك).

ثمّ إنّ هنا سؤالاً يطرح نفسه و هو، لما ذا حال الصحابه العدول بين النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أمّيته، و لما ذا منعه من كتابه، كتابه، و ما هو السر وراء ذلك؟!

و الجواب يفهمه كلّ من له إمام بالحوادث الواقعة قبل وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بعده. فدع عنك نهياً صريح فى حجراته و لكن حديثاً ما حديث الرواحل

ثمّ هل يصحّ لمسلم واع أن يقول: حسبنا كتاب الله، و هل كتاب الله الأعظم واف بتفاصيل التشريع؟!

هذا قليل من كثير قدمته إليك نزولاً عن رغبتك، و إن كان إثارة هذه المسائل توجب الخدشه فى العواطف و تشتت الصفوف، و لكن إصرارك الأكيد دفعنى إلى كتابه هذه السطور.

رزقنا الله توحيد الكلمه كما رزقنا كلمه التوحيد

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

ص: ٤١٥

مقالات في التقريب

ص: ٤١٧

المقالة الأولى: التقريب ضروره دينيه و خطوه مباركه

اشاره

(١)

التقريب بين الطوائف الإسلاميه من الأمانى العزيره، التى يتمناها كل مسلم واع بصير، خصوصاً فى الأوضاع الراهنه، و الأجواء السائده على المسلمين، و الظروف المحيطه بهم فى شتى النواحي و الأقطار، و لا يشك فى ضرورته إلا اثنان: جاهل مغفل، و جاحد معاند ماكر. إذ لا يمرّ على المسلمين يوم إلا و فيه مجازر رهيبه، و حروب داميه طاحنه، فرضتها عليهم القوى الكافره، التى تخاف من سياده الإسلام فى ربوع العالم، و انتشاره فيها، فعادتْ تُوَجِّح نار الحرب بين آونه و أخرى، فتضرب المسلم بالمسلم تاره، و بالكافر أخرى فَتَحَقِّق امنيتها الكبرى.

و ليس بعيداً عنّا المجازر التى يرتكبها اليوم، الكفار «الأرمن» ضد المسلمين الأذريين فى القفقاس، و التى أبرزت ما تكته صدورهم من العداة و البغض لهم طوال القرون، فمن أجل السيطره و التسلّط يقتل الأرمن الرجال و النساء و الأطفال، و يمثلون بهم، و يجهزون على الجريح، و ليس هناك دوله تحمى المسلمين، و لا مغيث

ص: ٤١٩

١ - ١). ألقىت فى المؤتمر الدولى الرابع للتقريب بين المذاهب الإسلاميه المنعقد فى مكه المكرمه رابع شهر ذى الحجه الحرام، عام ١٤١٢ هـ.

يغيثهم، ولا- قوه تدفع عنهم كارثه الحرب، و تجزى المسىء بالجزاء الذى يستحقه، و غايه ما نسمعه من وسائل الإعلام هو الاستنكار و المفاوضات و المذاكرات (إلى غير ذلك من الأساليب الدبلوماسية غير الناجعه) التى لا تفيده شيئاً سوى إعطاء الفرص للعدو و زياده جرأته.

و أعطف النظر على المجازر التى ترتكبها القوى الكافره فى «يوغسلافيا» ضد المسلمين فى «البوسنه» و «الهرسك» فقد أجمت ناراً ضد المواطنين بحجّه أنهم مسلمون، و راحت تقتلهم و تبعدهم عن أوطانهم، و تذبجهم فى عقر دارهم، و تدمر مدنهم، إلى غير ذلك من الأعمال الإجراميه التى كانت ترتكبها القوى الشريره فى القرون الوسطى، و ليس هناك من يداوى جروحهم، و لا من يسعفهم بشيء سوى الاستنكارات و الخطب الرئانه فى وسائل الإعلام و فوق المنابر.

ناهيك عن المجازر الداميه فى فلسطين المحتله التى يرتكبها الصهاينه، لأنها بمرأى و مسمع من عامه المسلمين.

إن هذه الحوادث و الوقائع الأليمه و عشرات من أمثالها، تدفع المسلم الحرّ الذى يجرى فى عروقه دمّ الغيره و الحميه، إلى التفكير فى داء مجتمعه و دوائه، و فى إعاده مجده التالد، و كيانه السابق، فلا يجد دواءً ناجعاً سوى التمسك بالإسلام فى مجالى العقيده و الشريعه و من أبرز أصوله ما دعا إليه الذكر الحكيم فى قوله سبحانه: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» ١ و قوله تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» ٢ إلى غير ذلك من الآيات إلى تحثّ على الوحده و الوئام، و الابتعاد عن التمزّق و التفرّق، و قد أكد الرسول الكريم ما دعا إليه القرآن بقوله:

«مثل المؤمنين في و توآدهم و تعاففهم و تراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شيء، تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى».

و قال الإمام على عليه السلام:

«و ألزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة و إياكم و الفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أن الشاذ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه».

و فى ضوء الوضع الراهن نخاطب المسلمين و فى مقدمتهم الرؤساء و المشايخ وقاده الفكر و أرباب القلم بقولنا: قاربوا الخطى أيها المسلمون، و قللوا الخلاف، و أكثروا الوثام، و تمسكوا بالأصول المشتركة المتوفرة فى مجالى العقيدة و الشريعة، ابتعدوا عن التنافر و التناكر، حتى تكونوا صفاً واحداً فى وجه الأعداء لا يزعزعكم مكر الشياطين و حيله أعدائهم فى المناطق كلها.

و يطيب لى فى المقام أن أركز على أمور، ربما يكون لها أثر بارز فى حصول التقريب و هى:

١. ما هو المراد من التقريب؟

ليس المراد من التقريب بين المذاهب و الطوائف الإسلاميه، هو ذوب طائفه فى أخرى، أو جعل جميع المذاهب مذهباً واحداً حتى لا يبقى من المذاهب المختلفه عين و لا أثر و يصبح المسلمون على مذهب واحد، فإن ذلك أمر عسير جداً إن لم يكن محالاً عادة، و لا يتفوه به ذو مسكه، و لا يدعو إليه أحد من القاده، أعنى: الذين يحملون لواء التقريب، فإن معنى ذلك أن يصير الأشعرى معتزلياً أو

ص: ٤٢١

[١-١]. مسند أحمد: ٤/٢٧٠. [١]

[٢-٢]. نهج البلاغه: ٢٦١، طبعه عبده. [٢]

بالعكس و يصبح السنى شيعياً أو بالعكس، و مثله المذاهب الفقهيـه المتوفره السائده فى العالم الإسلامى.

و إنما المراد هو التقريب بين القاده للمذاهب و بالتالى بين القاده و أتباعهم، و ذلك من خلال رسم الخطوط العريضه المشتركه التى تجمع المذاهب الإسلاميه فى مجالى العقيده و الشريعـه، و أنه لو كان هناك خلاف فيهما فهو بالنسبه إلى الأمور المتفق عليها قليل جداً.

فالله سبحانه ربنا، و القرآن كتابنا، و محمد نبينا، و الكعبه قبلتنا، و سنّه الرسول قدوتنا، و أئمه أهل البيت خيارنا، إلى غير ذلك من الخطوط التى لا يحيد عنها أى مسلم قيد شعره، و من أنكر أحدها خرج عن ربه الإسلام و هذا هو الذى يوحد المسلمين و يجمعهم تحت رايه واحده، و يجعل شعار الجميع قول الشاعر المخلص (محمد حسن عبد الغنى المصرى) الداعى إلى تقريب الخطى: الذى يقول: انا لتجمعنا العقيدـه أمه

فإذا كان النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقبل إسلام من نطق بالشهادتين، و أقام الصلاه، و آتى الزكاه، و صام شهر رمضان و حج البيت (1) و يتلقاه أخاً لعامه المسلمين، و يجعلهم صفاً واحداً فى مقابل المشركين و الطغاه من اليهود و النصارى، فلما ذا لا نقبل إيمان من آمن بأزيد ممّا جاء فى تلك الروايه؟ و لو كان هناك اختلافات فإنما هى اختلافات كلاميه أوجدها الجدل و صقلها البحث طوال القرون، مثلاً الاختلاف فى كون التكلم و الإراده من صفات الذات أو من صفات الفعل و إن كان اختلافاً حقيقياً و جدياً لكنّه اختلاف كلامى لا يتوقف عليه الإسلام و الإيمان

ص: ٤٢٢

(١- ١). لاحظ جامع الأصول لابن الأثير: ١/١٥٨- ١٥٩ فقد جمع ما رواه البخارى و مسلم فى ذلك المجال.

و مثله سائر البحوث الكلاميه التي أوجدت الانشقاق بين علماء المسلمين من حدوث كلامه و قدمه، و خلود مرتكب الكبيره و عدمه.

و مثل ذلك الاختلاف في الفروع الفقهيه من الطهاره إلى الديات، فإنها اختلافات أوجدها البحث و الاجتهاد من خلال الاستنباط من الكتاب و السنّه، و الغايه هي الوصول إلى واقع الكتاب و السنّه و إن كان المصيب واحداً و المخطئ متعدداً.

فاللازم على المسلمين في هذه اللحظات الحاسمه، التمسكُ بالعروه الوثقى و بحبل الله المتين و الانظواء تحت المشتركات و إرجاع الاختلافات إلى المدارس و المحافل العلميه التي يكثر فيها البحث و الجدل، و في النهايه يخرجون منها إخوه متحايين.

هذا هو الذي يدعو إليه دعاه التقريب، و هو عدم إفناء مذهب في مذهب، بل إلفات أنظار القاده إلى المشتركات المتوفره بين المذاهب، و ترك الاختلافات إلى المدارس و مراكز البحث التي لا يضر الخلاف فيها بالوحده و جمع الشمل.

٢. التعرف الصحيح على المذاهب

إن من عوامل التقريب هو التعرف الصحيح على المذاهب الإسلاميه عقيدته و شريعته حيث إن التعرف الموضوعي على عقائد كل طائفه من الطوائف، يُصير البعيد قريباً، و العدو صديقاً، و يزيل الافتراءات و الدعايات الباطله التي ألصقت بطائفه و أخرى، فعندئذ يُصبح المخالف موافقاً و يحلّ الوئام محل الشقاق.

و مثل هذا، مثل من يرى شبحاً بعيداً فيظن أنه حيوان ضار، لو اقترب إليه لفتك به، كلما اقترب منه ظهر له بصوره أفضل حتى تبين أنه انسان، فمواطن، فأخ حميم.

و كلما ازداد التعرّف على المذاهب فى مجالى العقيدة و الشريعة ازداد التعارف و اضمحل التنافر و اشتد الصفاء بينهم.

و لأجل ذلك يجب على دعاه التقريب عقد المؤتمرات المتواليه للتعرف على ما تملكه الطوائف من ثقافه فكرية و عقيدة راسخه و ثروه فقهيه و أدبيه فإنّ التقريب رهن ذلك التعرف.

فإذا كان البحث على ضوء الكتاب و السنه و تحلّى الباحثون بالإخلاص و الوفاء للدين و كان الجو السائد على المؤتمرات هو الوقوف على الحقيقه، فعند ذلك تقف كلّ طائفه على ما لدى الأخرى من أفكار و آراء، و إلّا فالتقريب يُصبح شيئاً صورياً و لا تُحقق الفائده المرجوّه منه.

٣. الرجوع إلى أحاديث أئمه أهل البيت

الرجوع إلى أئمه أهل البيت فى مجالى العقيدة و الشريعة يؤدى إلى جمع شمل المسلمين و تقليل الخلاف، و هذا ليس بمعنى ترك ما رواه أهل السنه من الصحابه و التابعين عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم بل بمعنى عدم إقصاء أئمه أهل البيت عن ساحه العقيدة و الشريعة، و الأخذ بأحاديثهم كالأخذ بمرويات الصحابه، فإنّ كلّ ما يرويه أئمه أهل البيت فإنّما يسندونه إلى جدّهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم و بالتالى تصل أقوالهم إليه بسند عالٍ و المسلمون و إن اختلفوا فى مسأله الخلافه و القياده إلى طائفتين معروفتين، و لكنّهم لم يختلفوا فى أنّ أئمه أهل البيت هم ممن يرجع إليهم فى أخذ العلم و الفتوى، لحديث الثقلين الذى لا يشك فى صحته و تواتره كلّ من له أدنى إمام بالحديث و الدرايه.

فقد قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى أهل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا من بعدى». (١)

ص: ٤٢٤

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُلْفِتُ أَنْظَارَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أُمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِأَسَالِيبٍ مُخْتَلَفَةٍ فَتَارَهُ يَقُولُ: «فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» ١ .

فقد سأل أبو بكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه البيوت، وأن بيت علي وفاطمة هل هو من تلك البيوت؟ فقال النبي: نعم، هو من أفاضلها (١).

و أخرى يعرفهم مطهرين عن الرجس، قال سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ٣ .

و ثالثة: يجعل ودهم أجراً للرسالة، قال سبحانه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» ٤ .

و رابعة: يأمر النبي الأعظم المسلمين أن يصلوا على آل محمد في صلواتهم في فرائضهم و نوافلهم، كل ذلك يعرب عن أن لآل محمد مكانه خاصه في الشريعة الإسلامية ليس لغيرهم، وإلا لم يكن لهذا الاهتمام مبرر ولا مسوغ، ولم تكن الغاية من هذه الهمات هو الحب المجرد عن كل شيء، وإنما الحب الحقيقي هو الاتباع في الحياة الدنيوية، فإذا كانت الواقعية تتجلى في الاتباع فهو فرع كون أئمة أهل البيت علماء بمواقف الشريعة و أصولها و فروعها.

و على هذا صار المسلمون متمسكين بهذا الجبل الممدود من السماء إلى الأرض لقل الخلافة و حصل الوثام، وسد الفراغ. هذا، مع أن المسلمين بجميع طوائفهم -إلما النواصب- يحملون حب النبي و آل، و يضخون في سبيلهم بكل غال و نفيس، حتى أن الإمام الشافعي -رضي الله عنه- يفتخر بحبهم و يرد عن نفسه عادية المعترضين، و يقول:

ص: ٤٢٥

إن كان رفضاً حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّي رافضى (١)

فإذا كانت الظروف حملت قاده الفقه إلى رفض حصر المذاهب في أربعة، و عاد المحققون يفكرون بالاجتهاد الحرّ، سواء أوافق مذهباً من المذاهب السالفة أم خالف، كان من المتحتم الرجوع إلى أحاديث أئمّه أهل البيت عليهم السلام و فتح باب الاجتهاد المطلق في ضوء الكتاب و السنه بمصراعيه على وجه الأئمّه، فالإعراض عن أحاديثهم يزعزع أركان الاجتهاد المطلق، و يتسم الاجتهاد عندئذ بالاجتهاد النسبى.

إنّ الاجتهاد المطلق لا يتمّ إلّا بالرجوع إلى كلّ ما ورد عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لا تحتوى الصحاح و المسانيد على كلّ ما ورد عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حدّث عنه، بل هناك أحاديث تحمّلها أهل بيته عليهم السلام عن جدّهم فى مختلف المجالات، و من الظلم على العلم و أهله الاعراض عنهم، و إسدال الستار على تلك الثروه الهائله.

و لعلّ من يسمع هذه الكلمه من إخواننا أهل السنه يقترح علينا أيضاً الرجوع إلى أحاديث الصحابه و التابعين المجتمعه فى الصحاح و المسانيد، و أنّ الاجتهاد المطلق لا يتمّ إلّا بالرجوع إليها مثل الرجوع إلى أحاديث أئمّه أهل البيت عليهم السلام.

غير أنّى ألفت نظر المقترح إلى أنّه أمر محقق فى فقه الشيعه، فالآثار النبويه الوارده عن الطرق الموثوقه يعمل بها علماء الشيعه من غير فرق بين ما يرويه الشيعى عن أئمّه أهل البيت أو السنى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

أضف إليه أنّ هناك مجموعه كبيره من الأحاديث النبويه رواها علماء الشيعه عن الصادع بالحق عن طرق الصحابه من دون أن يتوسط فيها أئمّه أهل البيت، فليس الأمر دائراً بين الرجوع إلى أئمّه أهل البيت أو الصحابه، فإنّ الكل طرق

ص: ٤٢٦

(١- ١). ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمه: ٢٢، ط النجف [١]

و وسائل إلى الوصول إلى الحقّ و ما جاء به نبي الإسلام في حقّ المكلفين في العقيدة و الشريعة، فالواجب هو العمل بالسنة الصحيحة من أيّ طريق وصلت إلينا.

إنّ الاختلاف بين الشيعة و السنّة ليس في مسألة الرجوع إلى الصحابة فيما يروونه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فإنّه قضيه متفق بين الفريقين كالرجوع إلى أئمّه أهل البيت، بل الاختلاف بينهم في أمر آخر، و هو تعديل الصحابة كلّهم، و الحكم بعداله كلّ من رأى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و لو مرّه أو مرّتين أو يوماً أو يومين، و هذا ما يتبنّاه أهل السنّة حيث يحكمون بعداله كلّ صحابي، بينما لا تعتقد الشيعة عموميه القضيه، و أنّ مجرد الرؤيه لا تعطى لكلّ راء وصف الوثاقه و العداله، و هاتان النظريتان لا تمنعان من الرجوع إلى الأحاديث الصحيحه المرويّه عن النبي عن طرق الصحابه و التابعين إذا كانوا ثقات.

و هناك كلمه قيمه للإمام الطاهر على بن الحسين عليهما السلام تعرب عن موقف الشيعة بالنسبه إلى الصحابه نذكرها بنصها، و فيها كفايه.

«اللهم و أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم خاصه الذين أحسنوا صحبه، و الذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، و كانفوه و أسرعوا إلى وفادته، و سابقوا إلى دعوته، و استجابوا له حيث أسمعهم حجه رسالاته و فارقوا الأزواج و الأولاد في إظهار كلمته، و قاتلوا الآباء و الأبناء في تثبيت نبوته، و انتصروا به، و من كانوا منطوين على محبته، يرجون تجاره لن تبور في مودته و الذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، و انتفت منهم القربيات، إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك و فيك، و أرضهم من رضوانك و بما حاشوا الخلق عليك، و كانوا مع رسولك، دعاه لك إليك و اشكرهم على هجرهم فيك، ديار قومهم و خروجهم من سعه المعاش إلى ضيقه، و من كثرت في اعزاز دينك من مظلومهم، اللهم و أوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربّنا اغفر لنا و لإخواننا...» (١)

ص: ٤٢٧

١- ١). الصحيفه السجديه، الدعاء الرابع مع شرحه: [١] في ظلال الصحيفه السجديه، ص ٥٥-٥٦. [٢]

و إذا كان هذا موقف الإمام بالنسبه إلى الصحابه، فكيف يمكن اتهام الشيعه بأنهم لا يقيمون للصحابه وزناً و لا قيمه؟ و لا يعملون بأحاديثهم.

فقد حان موعد اللقاء بين اعلام السنه و الشيعه و الاجتماع لدراسه الأوضاع المؤسفه السائده على المسلمين فى أقطار العالم.

و فى ختام المقال نرجع إلى ما بدأنا به و هو ضروره توحيد الكلمه و رص الصفوف و نقول: إنَّ أحمد أمين المصرى-الكاتب الشهير-قد أقام الدنيا فى كتبه: فجر الإسلام و ضحاه و ظهره على الشيعة الإماميه، و أحلَّ الخيال محلَّ الواقع، و أجاج نار الخلاف بين الطائفتين بما أوتى من قوه و قدره، و لكنَّه ندم فى أخريات حياته، فقال فى آخر كتاب ألفه و أسماه «يوم الإسلام»:

هل للمسلمين أن يشتد وعيهم الدينى، و يفهموا بعد طول هذه التجارب أنه لم يعد هناك وجه للخلاف بين سنى و شيعى و زيدى، و غير ذلك من المذاهب، لأنَّهم لو رجعوا إلى أصل دينهم ما وجدوا لهذا الخلاف محلاً، و لوجدوا أنه خلاف مصطنع لا خلاف أصيل، و إنَّ الأمم الإسلاميه فى موقفها الحاضر أخرج ما تكون إلى لَمَّ شعثها، و إصلاح ذات بينها، و توحيد كلمتها، و هى ترى كيف تهاجم من كلِّ جانب، و كيف يتخذ إسلامها وسيله من وسائل الكيد لها، و إذا اتحد أهل الباطل على باطلهم فأولى أن يتحد أهل الحقَّ على حقِّهم. (١)

و فيما ذكره «عبره لأولى الألباب».

أسأل الله سبحانه أن يلم شعثنا، و يجمع شملنا و يرفع كلمه التوحيد فى العالم فى ظل توحيد الكلمه أنه على ذلك قدير.

جعفر السبحانى-مكة المكرمه

سادس ذى الحجه الحرام ١٤١٢هـ

ص: ٤٢٨

١-١). أحمد أمين: يوم الإسلام: ١٨٧، طبعه ١٩٥٨ م.

إنّ التشريع الإسلامى ينظر إلى المسلمين على أنّهم أمّه واحده يجب أن يسود فيهم الوئام و التآلف بدل الفرقه و الاختلاف،و يؤكّد على وحده المسلمين و نبذ كلّ ما يهدم هذه الوحده من النميمه و الغيبه و التهمه و غير ذلك،و هذا أمر ملموس لمن راجع الكتاب العزيز و السنه النبويه،و إليك بعض ما ورد فى ذلك المجال:

أ. «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» ٢.

ب. «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» ٣.

ج. «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» ٤.

د. «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ٥.

ه. «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» ٦.

و. «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» ٧.

ص: ٤٢٩

ز. «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» ١ و في سورة المؤمنين الآية ٢٢: «فَاتَّقُونَ» مكان «فَاعْبُدُونِ» .

إلى غير ذلك من الآيات الحاثه على التمسك بحبل الله و الناهيه عن التفرق.

و في السنه النبويه تصريحات على حفظ الوثام و الوداد تأتي ببعضها:

١. مثل المؤمنين في توادهم و تعاطفهم و تراحمهم بمنزله الجسد إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى. (١)

٢. المسلمون تتكافأ دماؤهم، و يسعى بدمتهم أديانهم، و هم يدُّ على من سواهم. (٢)

٣. إنَّ دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرامٌ كحرمة يومكم هذا، و بلدكم هذا، و شهركم هذا. (٣)

إلى غير ذلك من الكلمات المضيئه الوارده حول الأخوه و الوحده الإسلاميه التي تزخر بها الصحاح و المسانيد.

و لقد كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم يراقب أمر الأُمه كى لا يشق عصاها منازعٌ جاهل أو عدو غاشم، و كان يقودها إلى الامام برعايته الحكيمه، و كلّمها واجه خلافاً أو شقاقاً و نزاعاً، بادر إلى ترميم صدعها بحزم عظيم و تدبير وثيق، و لقد شهد التاريخ له بمواقف في هذا المجال ننتخب منها ما يلي:

١. انتصر المسلمون على قبيله بنى المصطلق، و قتل من قتل من العدو،

ص: ٤٣٠

١-٢. مسند أحمد: ٤/٢٧٠. [١]

٢-٣. الواقدي: المغازي: ٢/٨٣٦؛ و [٢] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ١٩، الباب ٣١ من أبواب القصاص برقم ١ و ٢ و ٣. [٣]

٣-٤. السيره النبويه لابن هشام: ٢/٦٠٥. [٤]

وأسر من أسير منهم، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مائهم، نشب النزاع بين رجل من الأنصار ورجل من المهاجرين، فصرخ الأنصارى فقال: يا معشر الأنصار، وصرخ الآخر وقال: يا معشر المهاجرين، فلما سمعها النبي، قال: دعوها فإنها منتنة... يعنى أنها كلمه خبيثه، لأنها من دعوى الجاهليه و الله سبحانه جعل المؤمنين إخوه و صيرهم حزباً واحداً، فينبغى أن تكون الدعوه فى كل مكان و زمان لصالح الإسلام و المسلمين عامه لا لصالح قوم ضد الآخرين، فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهليه يعزر. (١)

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصف كل دعوه تشق عصا المسلمين و تمزق وحدتهم بأنها دعوه منتنه، فكيف لا تكون كذلك و هى توجب انهدام دعاه الكيان الإسلامى و بالتالى انقضا صرح الإسلام.

٢. نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم دار هجرته و التف حول قبيلتنا: الأوس و الخزرج، فمر شاس بن قيس اليهودى، و كان شيخاً قد عسا، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم - على نفر من أصحاب رسول الله من الأوس و الخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم، و جماعتهم، و صلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذى كان بينهم من العداوه فى الجاهليه. فقال:

قد اجتمع مالأ - بنى قيله بهذه البلاد، لا - و الله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار، فأمر فتى شاباً من يهود كان معهم فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، ثم اذكر يوم «بعاث»... و كان يوم بعاث يوماً اقتلت فيه الأوس و الخزرج، و كان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، و كان على الأوس يومئذ حضير بن سماك الأشهرى و على الخزرج عمرو بن النعمان البياضى فقتلا جميعاً.

ص: ٤٣١

١ - ١). السيره النبويه: ٣/٣٠٣، [١] غزوه بنى المصطلق و لاحظ التعليقه للسهيلى و راجع مجمع البيان: ٥/٢٩٣ و غيره من التفاسير.

دخل الشاب اليهودى مجتمع القوم فأخذ يذكر مقاتلتهم و مضاربتهم فى عصر الجاهليه، فأحيا فيهم حميتها حتى استعدوا للنزاع و الجدل بحجّه أنّهم قتل بعضهم بعضاً فى العصر الجاهلى يوم بعث، و أخذ الشابٌ يؤجج نار الفتنة و يصب الزيت على النار حتى تواتب رجلاان من الحيين فتقاولا.

فبلغ ذلك رسول الله فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين! الله، الله، أ بدعوى الجاهليه و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله بالإسلام و أكرمكم به و قطع به عنكم أمر الجاهليه، و استنقذكم من الكفر و ألف به بين قلوبكم؟!!

لقد كانت كلمه النبى صلى الله عليه و آله و سلم كالماء المصبوب على النار بشده و قوه، حيث عرف القوم أنّها نزعته من الشيطان و كيد من عدوهم، فبكوا و عانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله عليه السلام مدعنين، متسالمين، مطيعين قد دفع الله عنهم كيد عدو الله: شاس بن قيس، فأنزل الله تعالى فى شاس و ما صنع.... (١)

٣. كان لقضيه الإفك فى عصر الرساله دوى بين أعدائه، فكان عدو الله «عبد الله بن أبى» يشيع الفاحشه و يؤذى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فقام رسول الله فى الناس يخطبهم، فحمد الله و أثنى عليه - ثم قال: - «أيها الناس ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى، و يقولون عليهم غير الحق؟ و الله ما علمت منهم إلّا خيراً، و يقولون ذلك الرجل و الله ما علمت منه إلّا خيراً، و ما يدخل بيتاً من بيوتى إلّا و هو معى - و كان كبر ذلك الإفك على عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج.

فلما قال رسول الله تلك المقاله، قال «أسيد بن حضير» و كان أوسياً: يا رسول الله! إن يكونوا من الأوس نكفكمهم، و إن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا

ص: ٤٣٢

بأمرك، فوالله أنهم لأهل أن تضرب أعناقهم، فقال سعد بن عباده و كان خزرجياً: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالته إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. فقال أسيد: ولكنك منافقٌ تجادل عن المنافقين، وعندئذٍ تساور الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس و الخزرج شر. و فى لفظ البخارى: فصار الحيان الأوس و الخزرج حتى هموا أن يقتتلوا، و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قائم على المنبر فلم يزل يُخَفِّضُهُمْ حتى سكتوا و سكت. (١)

هذه نماذج من مواقف النبى الأعظم حيال الخلافات التى كانت تنشب أحياناً بين أمته، و هو صلى الله عليه و آله و سلم كان يصنع من الخلاف وئاماً و من النزاع وفاقاً، و يدفع الشر بقيادته الحكيمه، و ما هذا إلا لأن صرح الإسلام قائم على كلمتين: كلمه التوحيد و توحيد الكلمه.

و هذا صنو النبى صلى الله عليه و آله و سلم و وصيه و خليفته إذ حُرِمَ من حقه المشروع، و بدلت الخلافه التنصيصيه إلى تداول الخلافه بين تيم و عدى ثم إلى أميه، قد بقى حليف بيته و أليف كتاب الله و هو يرى المفضول يمارس الخلافه مع وجود الفاضل، بل يرى تراثه نهباً و مع ذلك كله لم ينبس ببنت شفه إلا فى موارد خاصه، حفاظاً على الوفاق و الوئام و هو عليه السلام يشرح لنا تلك الواقعه بقوله: «فوالله ما كان يلقى فى روعى، و لا يخطر ببالى، أن العرب ترزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه و آله و سلم عن أهل بيته، و لا أنهم مُنَحَّوه عنى من بعده، فما راعنى إلا إنشبال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدى حتى رأيت راجعه الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبه به على أعظم من فوت ولايتكم التى إنما هى متاع أيام قلائل...». (٢)

ص: ٤٣٣

١- (١). السيره النبويه: ٣/٣١٢-٣١٣؛ و [١] صحيح البخارى: ٥/١١٩، باب غزوه بنى المصطلق.

٢- (٢). نهج البلاغه، الرساله ٦٢، طبعه محمد [٢] عبده.

و عند ما تسنم منصبه الخلافه و رجع الحق إلى مداره قام خطيباً فقال: «و الزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، و إياكم و الفرقة، فإن الشاذ من الناس للشيطان كما أنّ الشاذ من الغنم للذئب، ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه». (١)

هذه هي سيره النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سيره وصيه و تلميذه و هما تعربان عن أنّ حفظ الوحده من أهم الواجبات و أوجب الفرائض، و قد اتبع السنه النبويه المحنكون من الأمه فجاءوا يوصون بحفظ الوثام و نبذ الخلاف في الظروف العصبيه.

و هذا هو الشيخ الإمام أبو الحسن الأشعري لما حضرته الوفاه، قال: اشهدوا عليّ أنّي لا أكفر أحداً من أهل القبله بذنوب، لأنّي رأيتهم كلّهم يشيرون إلى معبود واحد و الإسلام يشملهم و يعمهم. (٢)

و قال الشيخ تقي الدين السبكي: إنّ الاقدام على تكفير المسلمين عسر جداً و كلّ من كان في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء و البدع مع قولهم: لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله، فإنّ التكفير أمر هائل عظيم الخطر. (٣)

و قال ابن حزم: و ذهبت طائفه إلى أنّه لا يكفر و لا يفسق مسلم بقولٍ فاسدٍ في اعتقاد أو فتيا و أنّ كلّ من اجتهد في شيء من ذلك فدان لما رأى أنّه الحق فأنّه مأجور على كلّ حال إن أصاب فأجران، و إن أخطأ فأجر واحد.

قال: و هذا قول ابن أبي ليلى و أبي حنيفه و الشافعي و سفيان الثوري و داود بن علي و هو قول كلّ من عرّفنا له قولاً في هذه المسأله من أصحابه رضى الله عنهم، لا

ص: ٤٣٤

١-١. نهج البلاغه، الخطبه ١٢٧. [١]

٢-٢. الشعراني: اليواقيت و الجواهر: ٥٨. [٢]

٣-٣. نفس المصدر.

نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً. (١)

وقال السيد محمد رشيد رضا: إن من أعظم ما بليت به الفرق الإسلاميه رمى بعضهم بعضاً بالفسق و الكفر مع أن قصد الكل الوصول للحق بما بذلوا جدهم لتأييده و اعتقاده و الدعوه إليه و المجتهد و إن أخطأ معذور. (٢)

و لو أضفنا إليه كلمات المفكرين الشيعة لجئنا برسالة خاصه، و يكفي في ذلك قول المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: بنى الإسلام على دعامين: كلمه التوحيد و توحيد الكلمه.

و قد قام العلامه السيد شرف الدين العاملي بتأليف رساله في هذا المجال أسماها: الفصول المهمه في تأليف الأئمه.

إلى غير ذلك من الكلم المنثور و المنظومه من الأعلام.

و قال بعض الأعاظم و المصلحين: لتتحد على الرغم من أخطائنا، فإنّ الوحده لا تعنى في يوم ما، عصمه المنتسبين إليها. (٣)

و هؤلاء يؤكدون على ذلك، لأنهم لمسوا و رأوا بأعينهم ما يحكيه الشهرستاني في ملله حيث يقول: ما سئل سيف على قاعده من قواعد الدين مثل ما سل على الإمامه في كل زمان (٤).

و هذا هو السبكي يحكى لنا عن الفتن الكبيره التي وقعت بين الأحناف و الشوافع و هما غصنان من شجره واحده حيث يقول: و قد وقعت فتنه بين الحنفيه و الشافعيه في نيسابور ذهب تحت هياجها خلق كثير، و أحرقت الأسواق و المدارس

ص: ٤٣٥

١-١. ابن حزم الظاهري الفصل في الملل و الأهواء و النحل: ٢٤٧/٣. [١]

٢-٢. السيد محمد رشيد رضا، المنار: ٤٤/٧.

٣-٣. و هو السيد محمود البغدادي.

٤-٤. الشهرستاني: الملل و النحل: ٢٤/١، [٢] دار المعرفه، بيروت-١٤٠٢ هـ.

و كثر القتل فى الشافعيه،فانتصروا بعد ذلك على الحنفيه و أسرفوا فى أخذ الثار منهم فى سنه ٥٥٤هـ،و وقعت حوادث و فتن مشابهه بين الشافعيه و الحنابله،و اضطرت السلطات إلى التدخل بالقوه لحسم النزاع فى سنه ٧١٦،و كثر القتل و أحرقت المساكن و الأسواق فى أصبهان،و وقعت حوادث مشابهه بين أصحاب هذه المذاهب و أشياعها فى بغداد و دمشق،و ذهب كل واحد منها إلى تكفير الآخر،فهذا يقول من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم،و ذاك يضرب الجهله بالطرف الآخر،فتقع منهم الساءه على العلماء و الفضلاء منهم و تقع الجرائم الفضيعة. (١)

هذا حال سلفنا و ليست حال الخلف فى هذه الأيام بأحسن من حالهم،فقد رأى أن أناساً تحالفوا على إيجاد البغضاء و تأجيج نار الشحناء و طار شررها فى الآفاق حتى احترق الحرث و النسل كل ذلك جهلاً أو تجاهلاً لواجبهم فى تلك الظروف العصيبه.

و هنا كلمه أخطب بها أعضاء المؤتمر و هى:

إنّ الوحده الإسلاميه لا تتحقق و لا تتجسّد بهذه المؤتمرات،و لا بالخطب الرئانه الملقاه فيها،و لا بالشعارات الموجهه إلى الأمه الإسلاميه.

فإنّ هذه الكلمات لا تتجاوز عن أثر الوخزه فى البدن،فما لم تكن هناك اجراءات و قرارات عمليه لتحقيق الوحده لا تؤثر هذه المؤتمرات تأثيراً بالغاً،و لأجل أن نخرج عن هذه الدوامه و لا نكتفى بالشعار مكان الشعور،نشير إلى بعض السبل العمليه:

ص: ٤٣٦

١ - ١). السبكي طبقات الشافعيه: ١٠٩/٣؛ ابن كثير: البدايه و النهايه: ٧٦/١٤ و اليافعي: مرآه الجنان: ٣/٣٤٣، إلى غير ذلك من المصادر.

لا- شكّ أنّ للتقريب مقومات و عناصر يقوم بها، و أنّ له سبلاً و طرقاً يتوسّل بها للوصول إليه، و لسنا فى مقام تبين مقوماته و عناصره و إن كان أقوم عناصره هو «وجود الإخلاص و الإيمان فى دعائه، و التضحيه بالنفس و النفيس فى طريقه» و لكن نشير إلى إحدى الطرق التى لها أثرها الخاص فى تقارب الخطى و هى ما يأتى.

إنّ الإنسان مهما جهل أو تجاهل لا- يصحّ له التجاهل بأنّ هناك فرقاً بين الطائفتين السنه و الشيعه، و مهما صفا الجو و تم الإخلاص فى دعاه الوحده و حملة مشعل التوحيد، ففى النفوس لدى كلتا الطائفتين شىء بالنسبه إلى بعض الأصول و الأحكام التى تتبناها الطائفتان فى مجالى العقيد و التشريع، و ربما نشير إلى رءوس بعض هذه الأمور من كلّ مذهب.

و من السبل العمليه تسليط الضوء على هذه الفوارق التى مزّقت الأمه و جعلتها متشتته. و ذلك لا لغايه جمع العقول و القلوب على نقطه واحده و إزاله الاختلاف من رأس و إذابه الطوائف الإسلاميه فى طائفه خاصه، فإنّ ذلك من المستحيلات العاديه و المنازع فيها مكابر بلا شبهه.

أقول: لا- لهذه الغايه بل لغايه أخرى، و هى إيجاد التعارف بين الطائفتين و تقليل التناكر، و بالتالى تتعرف كلّ طائفه على ما عند الطائفه الأخرى من العقائد و الأسس التى تبنى عليها تلك الآراء حتى تكون كلّ طائفه على ثقه من الأخرى، و أنّهم لم يتبنوها اعتباراً و إنّما ساقطهم إليها الحجج الشرعيه سواء كانوا مصيبين أم مخطئين و أقلّ ما يترتب على هذا النوع من الدراسات- وراء التعرف على العقائد و المباني- إعدار أصحاب العقيد و عدم التشدد عليهم و عندئذٍ تذوب العصبية، إلى حدّ كثير و يرتفع سوء الظنّ، و تحترم كلّ طائفه عقيدته الطائفه الأخرى و منهجها إذا لمست منها الجهد و السعى وراء الكتاب و السنه، و إن كانت

الطائفه الساعيه فى نظر الأخرى ربما تصرفها و لم تدرك بغيتها. و نحن إنمّا نؤكد على ذلك، لأنّ أكثر أصحاب المقالات و كتاب تاريخ العقائد استقوا معلوماتهم عن الطوائف الأخرى من الأفواه دون تحقيق و لا تثبت إلى أن مضى جيل و أجيال على هذه الكتابات فأصبحت حقائق راهنه، و بالتالى اتسع الشقاق و صارت مثاراً للمطاعن.

و ها نحن نشير إلى بعض هذه المسائل التى نود أن يبحث عنها المؤتمر فى المناسبات الآتية بشرط أن تسود الموضوعيه عليه، فعندئذ يتخطى المؤتمر كثيراً من العقبات الواقعه فى طريق التقريب و هذه المسائل تتراوح بين ما صحت نسبتها إلى الطائفه و بينما افتريت عليهم و هم براء منها براءه يوسف و أخيه من السرقة، و إليك البيان:

١. البداء

القول بالبداء من عقائد الشيعه، و قد رووا عن أئمتهم: ما عبّد الله بشيء مثل البداء. (١)

و غير خفى على العارف باللغه العربيه أنّ البداء هو الظهور بعد الخفاء، و العلم بعد الجهل، و عند ذاك كيف تصح نسبة البداء إليه سبحانه مع سعه علمه؟ و أنّه لا يخفى عليه شيء فى الأرض و لا فى السماء، و من المعلوم أنّ البداء بهذا المعنى باطل بالضروره—و مع ذلك—كيف يعد البداء من صميم عقائد تلك الفرقة التى بذلت جهودها فى تنزيه الحقّ عن كلّ ما لا يليق به؟ و يزيد العطش لدراسه هذه المسأله إذا وقفنا على وجود توصيف الله سبحانه بالبداء فى الصحاح.

و قد روى البخارى: عن أبى هريره أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: إنّ ثلاثه فى بنى إسرائيل أبرص و أقرع و أعمى بدا لله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً، فأتى

ص: ٤٣٨

(١- ١). الكلىنى: الكافى: ١/١٤٦، باب البداء، الحديث ١٠. [١]

الأبرص فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: لون حسن و جلد حسن قد قَدَّرنى الناس قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطى لونا حسناً و جلدًا حسناً، فقال: أى المال أحب إليك؟ قال: الإبل أو قال: البقر، هو شك في ذلك الأبرص و الأقرع قال أحدهما: الإبل، و قال الآخر:

البقر، فأعطى ناقه عشرةا فقال: يبارك الله لك فيها. و أتى الأقرع فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، و يذهب عنى هذا، قد قَدَّرنى الناس قال: فمسحه فذهب و أعطى شعراً حسناً، قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقره حاملاً، و قال: يبارك لك فيها. و أتى الأعمى، فقال: أى شىء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلى بصرى، فأبصر به الناس قال: فمسحه، فرد الله إليه بصره قال: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطاه شاه والدًا، فانتج هذان و ولد هذا، فكان لهذا واد من إبل و لهذا واد من بقر و لهذا واد من الغنم. ثم إنه أتى الأبرص فى صورته و هيئته فقال رجل مسكين تقطعت بى الجبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن و الجلد الحسن و المال بغيراً أتبلغ عليه فى سفرى، فقال له: إن الحقوق كثيره، فقال له: كائى أعرفك، أ لم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. و أتى الأقرع فى صورته و هيئته فقال له مثلما قال لهذا، فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. و أتى الأعمى فى صورته فقال: رجل مسكين و ابن سبيل، و تقطعت بى الجبال فى سفرى، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذى ردّ عليك بصرك شاه أتبلغ بها فى سفرى، فقال:

قد كنت أعمى فرد الله بصرى، و فقيراً فقد أغنانى، فخذ ما شئت، فو الله لا أجحدك اليوم بشىء أخذته لله، فقال: امسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضى الله عنك و سخط على صاحبيك. (١)

ص: ٤٣٩

فما هو المقصود من «بدا لله» في هذا الحديث هو المقصود، من روايات البداء في روايات أهل البيت.

٢. عصمه الأئمة

القول بعصمه الأئمة الاثني عشر من أسس مذهب الشيعة، وقد دانت بها منذ تمسكت بعري ولائهم و مودتهم و ذهبت إلى أنّهم معصومون من المخالفة و العصيان بل السهو و الخطأ في القول و العمل بينما نرى أنّه ثقيل على الطائفة الأخرى، و قد حلّ القول بها- في زعم بعضهم- محل اضعاف وصف النبوه عليهم. فدراسه الموضوع و تبين أسسه و مبانيه تطلع ما في بعض النفوس من سيئ الظن، و يتبين أنّها عقيدة دينيه تبنّاها أصحابها متخذين من الكتاب و السنه سواء أ كانوا مصيبين أم مخطئين.

٣. الرجعه

الرجعه بمفهومها الواضح من المشهورات لدى الشيعة و إن كان التشيع لا يناط بها، و قد وردت فيها روايات متضافره أدت إلى القول بأنّه سبحانه سوف يحشر فوجاً من المؤمنين و الكافرين قبيل الساعه «و يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً» ١ فيما تعد الرجعه من المشهورات لديهم، تلقتها الطائفة الأخرى بأنّه أمر محال و جعلتها مرادفه للتناسخ الباطل الذي أجمعت الأئمة الإسلاميه على بطلانه، فعند ذلك يتحير الإنسان الواعي ما بين هذين؛ فدراسه الموضوع لا لإحقاق الحقّ بل لتبيين دلائله، تقرب الخطى و تجلب الوثام.

٤. تحريف الكتاب

إنّ الشيعة الإماميه مرميه بالقول بالتحريف في غير واحد من الكتب

أ كانت كتباً موضوعيه أم كانت من الكتب المهرجه، غير أننا نرى أنّ المحققين من الشيعة كالفضل بن شاذان (٥٢٦٠هـ) و الشيخ الصدوق (٣٠٦-٣٨١هـ) و الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) في رساله الصاغانيه و السيد المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) و الشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) و الشيخ الطبرسي (٤٧٠-٥٥٤٨هـ) إلى غير ذلك من الأعلام في الأجيال المتأخره، و هكذا المحدثون الواعون من الشيعة يتبرءون من هذه النسبه، و يصرّحون بأنّ ما بين الدفتين هو كتاب الله العزيز لم ينقص منه شيء و ما زاد عليه شيء، و في الوقت نفسه هناك قسم من المحدثين غير الواعين المعروفين بالاخباريه يرجّحون التحريف.

فما هو حقّ المقال في هذه النسبه؟ هل الشيعة بعامه طبقاتها ذهبوا إلى التحريف أو قسم خاص منهم؟ و إذا أمعنا النظر، رأينا نفس تلك الفكره في السنه فالمحقّقون منهم و هم الأكثرية يذهبون إلى نفي التحريف و لكن الحشويه منهم يروّجون التحريف يظهر ذلك بالرجوع إلى الصحاح و المسانيد.

فالسنة تطعن على إخوانهم الشيعة بكتاب «فصل الخطاب» للمحدّث النوري، و هو يطعنون على إخوانهم السنه بكتاب «الفرقان» الذي كتبه أحد المصريين و صادره الأزهر، و مع ذلك نشرته يد العدوان بين المسلمين.

فما هو الموقف الحقّ في تلك المسأله للطائفتين؟

٥. رؤيه الله سبحانه

إنّ رؤيه الله سبحانه من صميم عقائد الأشاعره و أهل الحديث جميعاً حتى أنّ إنكار جواز الرؤيه يلازم الكفر عند بعضهم، و هم يفسرون الرؤيه بالرؤيه الحسيه لا- الرؤيه بالقلب، و عندئذٍ يقع السؤال كيف تصح تلك العقيدته مع أنّها تستلزم ثبوت الجهه و المقابله و الجسميه له تعالى؟ و القول إنّه يرى لا في مكان و لا

على جهه من مقابله و اتصال شعاع أو ثبوت مسافه بين الرائي و بين الله تعالى، إنكار للرؤيه و التجاء إلى الرؤيه بالقلب، فدراسه الموضوع يوجب تقارب الخطى، و إن كان صاحب جوهره التوحيد التي تدرس فى الأزهر يقول: و كل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

٦. الصفات الخبريه

إنّ الأشاعره و أهل الحديث يتفقون على تفسير الصفات الخبريه و حملها على الله سبحانه و تعالى بمعانيها الحرفيه كاليد و الوجه و غير ذلك، و ينكرون التأويل و يصفونه بعمل الجهميه كما ينكرون التفويض إلّا قليل منهم. و من طرف آخر يدعون أنّه سبحانه ليس بجسم و لا جسمانى و أنّه منزّه عن كلّ ذلك. و دراسه الموضوع ربما تجمع الشمل أو ربما تقرب النظرتين.

و هناك فروع و أحكام شرعيه لا تقصر عن إثارة الطعن من الأصول العقائديه الماضيه.

٧. المتعه

المتعه من المسائل المسلمه لدى الشيعه، و هم يدعون أنّ الكتاب و السنّه أباحها و هى باقيه عليها إلى يومنا هذا، و لكن السنّه مع ذهابهم إلى ثبوت تشريعها فى زمن النبى الأكرم قائله بالتحريم إمّا من جهه النسخ أو من جهه النهى الحكومى عنها، و مع ذلك فإنّ كثيراً منهم يفتقدون التصور الصحيح عن المتعه و ربما يجعلونها فى عداد السفاح، و هذا هو أحمد زكى باشا القاضى الشرعى بمصر كتب إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بعد ما قرأ كتابه «أصل الشيعه» و فيه بحث عن المتعه و حدودها، و قال: مع دفاعه المتين المؤيد بالحجج الوافيه الكافيه

ص: ٤٤٢

فأنه لم يقتلع من نفسى ما يخالجهما من حيث النظام الشرعى و العمرانى،فما ذا نصنع بالولد إن جاء من طريق المتعه و كان أبوه قد سافر بعد انتهاء العقد و جاء الولد بعد هذا السفر. (١)

و هذا يعرب عن أنّ السائل لم يتصور المتعه إلّا تمتعاً جنسياً بالنساء المطروحات فى الطريق مع أنّ النقض لو صحّ فهو متوجه إلى الدائم أيضاً،فإذا تزوج الرجل بالعقد الدائم ثمّ طلق و سافر و هى حامل فما تصنع بالولد؟ ثمّ إنّ زواج المتعه لا ينتهى بمجرد انتهاء الوقت إلّا من جهه الاتصال الجنسى بين الرجل و المرأة،و أمّا من حيث الولد فإنه يلحق بالأب الذى تزوج أمّه مؤقتاً كالحق به،و على هذا اتفاق الشيعة جميعاً مضافاً إلى الشئون الأخرى كالنفقه عليه للولد إلى الحدّ المعين و كلّ ذلك يستلزم وجود الصله بين الولد و الوالد.

٨. غسل الرجلين و مسحها

هذه المسأله أوجدت هوه سحيقه بين العلماء و حتى العوام من الطائفتين،و كلّ يطعن فى الآخر،و كأنّ لأحد الأمرين أساساً اجتهادياً دون الآخر،مع أنّ لكلّ طائفتين دليله و اجتهاده،و كان ابن عباس يقول:«الوضوء غسلتان و مسحتان إلّا أنّ الناس أبوا إلّا الغسل». (٢)

٩. السجود على التربه

إنّ الشيعة تسجد على الأرض أو ما أنبتت إلّا ما يؤكل أو يلبس،و على ذلك عملهم من عصر الأئمه إلى يومنا هذا،و بما أنّ من شرائط المسجود عليه الطهاره

ص: ٤٤٣

١- ١). أصل الشيعة و أصولها: ٣٤، الطبعة العاشره، القاهره ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م.

٢- ٢). الطبرى: التفسير: ٨٢/٦-٨٣. [١]

و هي غير متوفره بسهولة في كل مكان اتخذوا لأنفسهم قطعاً من التراب يسجدون عليها،فالتراب و الأحجار الطبعه عندهم مما يسجد عليه،و كذا الحصى و الحصى و نحو ذلك لا تكون مسجوداً لها بل المسجود له هو الله سبحانه و تعالى،و مع ذلك نرى ان بعض المرجفين يتهمون الشيعة بأنهم يعبدون الصنم و الحجر و الحصى،فدراسه الموضوع تزيل أغشيه الجهل عن محتيا الواقع،و يتبين ان الحجر مسجودٌ عليه،لا مسجود له،كما ان الرخام و الفرش المنسوجه يسجد عليهما لا لهما.

١٠.الطلاق في الحيض

إن جمهور الفقهاء من أهل السنه قالوا بمضى طلاق الحائض،و قالت عدّه قليله لا ينفذ و لا يقع،و من القائلين بالمضى:أبو حنيفه و أصحابه و مالك و الأوزاعى و الثورى و الشافعى و إن كانوا يعدّونه أمراً محظوراً و لكنهم يفتون بصحته،و الشيعة الإماميه قائله بفساد الطلاق،و أنه لا يصحّ الطلاق إلّا فى الطهر،فأى القولين هو الأوفق بالكتاب و السنّه قال سبحانه: «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ» ١ .

فالغايه من الطلاق هو الاعتداد و هو لا- يحصل إلّا إذا وقع الطلاق فى الطهر،و أمّا إذا وقع فى الحيضه فيما ان تلك الحيضه لا تحسب من الأقراء عند أهل السنه جميعاً،فيلزم الفصل بين الطلاق و الاعتداد و هو خلاف ظاهر النص.

نعم هناك روايه عبد الله بن عمر المرويه فى السنن و المسانيد،و قد نقلها البيهقى بصورها المختلفه المتشتمه المضطربه. (١)

ص: ٤٤٤

١- ٢). البيهقى،السنن الكبرى:ج ٧،كتاب الخلع و الطلاق.

١١. الطلاق ثلاثاً في مجلس واحد

من المسائل التي أوجبت انغلاقاً في الحياه بين أهل السنه إِمضاء الطلاق الثلاث في مجلس واحد، و أنه تحسب ثلاث طلاقات فتحرم الزوجه حتى تنكح زوجاً آخر، مع أن الكتاب يقول: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» ١ و صريح الآيه وقوع الطلاق مرّه بعد أخرى، فكيف تقع المرّتان واحده؟!

١٢. الإشهاد على الطلاق و الرجعه

إنّ الاشهاد على الطلاق غير معتبر عند أهل السنه إلّا القليل من بعض المعاصرين (١) مع أنّ صريح الكتاب وجوب الإشهاد. يقول سبحانه: «فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذُوَى عَرْدٍ مِّنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» ٣. سواء قلنا برجوع الاشهاد إلى الطلاق و الرجعه أو بخصوص الأوّل فالطلاق بلا اشهاد على خلاف الكتاب فكيف يمضى بلا إشهاد؟

هذه اثنتا عشره مسأله خلافيه أوجدت شقه فكريه بين المسلمين في مجالى العقائد و الأحكام، فعلى رواد التقريب و دعاه التوحيد، التأكيد على عناصر الوحده فى منشوراتهم و مجلاتهم العلميه لتقريب الخطى و سحق العصبية.

ص: ٤٤٥

١-٢). أحمد محمد شاكر فى كتابه نظام الطلاق [١] فى الإسلام، ط ١٣٨٩، الطبعة الثانيه.

الدارج بين الشيعة هو ضمّ الآل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الصلاة عليه، عملاً بما رواه أصحاب الصحاح وهو أنّ الصحابه سألوا النبي كيف يصلّون عليه؟ فقال: قولوا: اللهم صلّ على محمدٍ و على آل محمدٍ كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم إنك حميد مجيد. (١)

وقد أكد ابن تيميه على تلك الكيفيه فى كتابه «حقوق آل البيت» (٢) و لكن الرائج عند أهل السنّه هو ذكر النبي وحده و رفض الآخرين.

أو ما آن لدعاه الوحده دراسه المسأله حتى يصلوا فى هذا الموضوع البسيط إلى وحده الكلمه و النظر، و يضيقوا الخلاف؟! و الله من وراء القصد.

جعفر السبحانى

مكه المكرمه

سادس شهر ذى الحجه الحرام

من شهور عام ١٤١٢هـ

ص: ٤٤٤

١- ١). أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء، الباب ١٠، و فى الدعوات الباب ٣١ و ٣٢؛ مسلم فى كتاب الصلاة، الحديث ٦٥، ٦٦. [١]
٢- ٢). حقوق آل البيت: ٢٨.

الوحدہ الإسلاميه أمنيہ يتمناها كلّ مخلص له أدنى إمام بالأوضاع المحدقه بالإسلام و المسلمين و لا يشكّ في أنّ المسلمين في أمسّ الحاجه إلى الوحدہ و تقريب الخطى، لأنّ فيه عزّ الإسلام و رفع شوكة المسلمين و تقويه أواصر الاخوّه بينهم، و أنّ في التفرقه اضمحلال الإسلام و تشتت شمل المسلمين و تكتلهم إلى فرق و طوائف متناحره.

و قد حثّ سبحانه على الوحدہ بقوله: «وَ اغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» ٢.

و يقول أيضاً: «وَ أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» ٣.

و في الوقت نفسه يذم التفرقه و يشجبها و يقول: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» ٤.

ص: ٤٤٧

١-١). أُلقيت في جامعه الأردن شهر محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ، عند رحله المحاضر إليها في ذلك العام.

و يقول سبحانه: «وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا» ١.

أنه سبحانه يعدُّ التفرقة و التشتت من أنواع البلايا و المحن التي تجابه الأمم و يقول: «قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ» ٢.

فانطلاقاً من وحي تلك الآيات تجب على كل مسلم واع، الدعوة إلى توحيد الكلمه للحيلولة دون التشتت و التفرق.

إنّ الوضع الراهن للأُمَّه الإسلاميه يبعث على القلق، و استمرار هذا الوضع يجعلهم ضحيه للخطط الاستعماريه التي تستهدف الإجهاز على المسلمين و استئصال شأفتهم.

إلما أنّ الذي يبعث النشاط في قلوبنا و يزيدنا أملاً بالغد المشرق هي الآيات الداله على أنّ المستقبل للصالحين من عباده، قال سبحانه: «أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» ٣. و قال سبحانه: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ» ٤.

هذه سنّه الله تبارك و تعالى لكنّها رهن شروط و خصوصيات كفيله بتحقيق ذلك الوعد.

أنه سبحانه يصف المسلمين بأنهم أمّه واحده و يقول: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُونِ» ٥.

و الأُمة مشتق من أُمم و المادة تحكى عن القصد و الهدف و القيادة و الزعامه، و على ضوء ذلك فلا يكون المسلمون أُمَّه حتى يكون لهم هدف و مقصد أسنى و قياده و زعامه حكيمه، فالأُمَّه الواحده لها ربّ واحد و كتاب واحد و شريعته واحد و قياده و هدف واحد. و هو نيل السعاده الدنيويه و الأُخرويّه.

و ثمة سؤال يطرح نفسه، ما هى العناصر الكفيله لتحقيق الوحده إذ تحققها مع وجود التفرقه و الاختلاف أمر متعذر.

هذه العناصر تكمن فى التوحيد فى العقيدته و الشريعته لا فى الوطن و لا فى الجنس و لا فى اللون و لا فى اللغه و لا فى الطائفيه و لا- فى القوميه، و الإسلام قد شطب بخط عريض على تلك الأفكار، و لم يعر لها أهميه تذكر بل حذّر المسلمين من الانخراط تحت لوائها و الانجراف معها، قال سبحانه: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» ١.

و قال الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «إِنَّ الْعَرَبِيَّ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَالِدٍ وَ لَكِنَّهَا لِسَانٌ نَاطِقٌ، فَمَنْ قَصَرَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَبْلُغْهُ حِسْبُهُ» (١) فعلى ذلك يجب الإلماح إلى العناصر التى تكمن فيها الوحده و تبنى عليها أو اصر الاخوه.

فالعناصر العقائديه هى:

١. التوحيد و مراتبه

التوحيد-بمعنى الاعتقاد بوجود إله واحد لا شريك له، له الأسماء الحسنى و الصفات العليا، عالم قادر، حى لا يموت، إلى غير ذلك من صفات الجمال و الجلال، و ليس فى صحيفه الوجود خالق، مدبّر و معبود، سواه-من العناصر

ص: ٤٤٩

١-٢). الكافى: ٢٤٤/٨، برقم ٣٤٢. [١]

و قد تثار بحوث كلاميه حول صفاته تبارك و تعالى، لكنّها بحوث لا تمت إلى صميم الإسلام بصله.

فهل صفاته سبحانه عين ذاته أو زائده عليها، فلكلّ من الرأيين دليله و منطقته إلّا أنّ هذه البحوث-مع تثمان جهود باحثيها- يجب أن لا تثير الريبه في غرضنا الذي نرمى إليه ألا و هو الوحده الإسلاميه الكبرى.

لا أنسى و أنتم أيضاً لا تنسون أنّ مسأله خلق القرآن و حدوثه أو قدمه قد شغلت بال المسلمين أيام الخلافه العباسيه سنين طوال، و قد شقّ عصا الوحده و شتتتهم إلى طوائف و أريقت دماء و نهبت أموال و ما ذلك إلّا لأنّ طائفه منهم كانوا يقولون بقديم القرآن و الطائفه الأخرى بحدوثه مع أنّها بحوث كلاميه لا تمت إلى صميم الإسلام بصله، فالبحث و الحوار العلمى و الانصياع للدليل شىء، و كون هذا الاختلاف يثير كامن العداة و الشقاق و يصبح-لا-سمح الله-هدفاً لسهام اللوم و التكفير شىء آخر، فلنفسح المجال للبحث العلمى دون أن يمسّ بالوحده الإسلاميه الكبرى.

٢. النبوه العامه و الخاصه

إنّ من عناصر الوحده الإيمان بأنّه سبحانه تبارك و تعالى بعث أنبياءً و رسلاً لترسيخ التوحيد بين الناس و شجب أىّ عباده سواه.

قال سبحانه: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» ١.

و هذه هي العقيدة المشتركة بين الأئمة الإسلاميه جميعاً، كما أنّ الإيمان بخاتمية الرسول و أنّه لا نبي و لا رسول بعده من صميم العقيدة الإسلاميه، و من أنكر الخاتمية و ادعى استمرار الوحي بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم أو إمكان ظهور نبي جديد مع شريعته جديدته، فقد خرج عن ربه الإسلام، لأنّ ذلك متعارض مع العقيدة الإسلاميه قال سبحانه: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» ١.

٣. الإيمان بالمعاد

إشاره

الإيمان بالمعاد و أنّ الدنيا قنطره الآخرة، و ليس الموت بمعنى فناء الإنسان من العقائد المشتركة بين المسلمين و يعدُّ أصلاً من الأصول التي جاء بها الأنبياء قاطبه، و لولاه لما قام للدين عمود، و لذلك نجد أنّ القرآن يعطف الإيمان بالمعاد، على الإيمان بالتوحيد، و يقول: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ» ٢ و في آيه أخرى: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ» ٣.

فهذه الأصول الثلاثة، تشكّل حجر الزاوية للعقيدة الإسلاميه، و يدور عليها رحي الإيمان و الكفر، و قد صبّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم اهتمامه على هذه الأصول و جعلها حداً فاصلاً بين الإيمان و الكفر، فمن آمن بها فقد دخل في زمرة المسلمين و من أنكر واحداً منها فقد خرج عن ربه الإسلام، و ها نحن نذكر بعض ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في هذا المضممار لتعلم من خلالها العناصر الكفيله بتحقيق الأخوه الإسلاميه.

روى البخارى عن عمر بن الخطاب: انّ عليّاً صرخ، يا رسول الله: على ما ذا أقاتل، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم على الله. (١)

روى الإمام الشافعى عن أبى هريره، انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا أزال أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا، فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها وحسابهم عليهم. (٢)

و روى الإمام الرضا عليه السلام وهو أحد أئمّه أهل البيت عن آبائه عن على عليه السلام، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا حرمت علىّ دماؤهم وأموالهم. (٣)

وحده الشريعة

إذا كانت العقيدة بعناصرها الثلاثة هى الركيزه الأولى للوحده، فوحده الشريعة عامل آخر لجمع شمل المسلمين و توحيد كلمتهم و صفوفهم.

فالمسلمون عامه فى مجال العباده يقيمون شعائرهم الدينيه من صلاه و صوم و زكاه و حج و جهاد، فلا تجد مسلماً ينكر واحداً من تلك الأمور.

نعم بين المذاهب الفقهيّه اختلاف فى جزئيات المسائل و لكنّها شروط و آداب لا- تمسّ بجوهر الإسلام، فالمسلم من يؤمن بالشريعة التى جاء بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم و يقيمها حسب الفقه الذى يقلده، و اختلاف العلماء لا يمس جوهر الشريعة لأنّه اختلاف سطحى فى جزئياتها و خصوصياتها.

ص: ٤٥٢

١- ١. رواه البخارى فى صحيحه: ١٠/١، كتاب الإيمان.

٢- ٢. الشافعى، الأم: ١٥٧/٦.

٣- ٣. المجلسى، البحار: ٢٤٢/٦٨. [١]

فكما أنّ العبادات جزء من الشريعة فالمعاملات بمعناها الأخص أو الأعم جزء من الشريعة أيضاً فالبيع و الاجاره و الوكاله، و المضاربه و المساقاه و المزارعه معاملات بالمعنى الأخص، كما أنّ النكاح و الطلاق و الوصايا و نظائرها معاملات بالمعنى الأعم، فالمسلمون متحدون في هذا المجال من الشريعة يبيحون ما أباحت الشريعة و يحرمون ما حرّمت الشريعة.

و على ضوء ذلك فالشريعة هي الركيزه الثانيه للوحده، و اختلاف الفقهاء فيها لا يخل بها.

وحده القيادة

إنّ التوحيد في القيادة هي الركيزه الثالثه لوحده الأمم، فالجميع يؤمن بأنّ القيادة لله سبحانه و لرسوله و لأولى الأمر مستلهمين من قوله سبحانه: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ١.

فالقيادة الإسلاميه ليست قياده سياسيه بحتة، بل قياده دينيه تقود المجتمع إلى السعاده و الرفاه تحت ظل تعاليم الإسلام، و حيث إنّ إطاعه أولى الأمر جاءت مباشره بعد إطاعه الرسول في الآيه فيلزم أن تكون طاعتهم شبه إطاعه الرسول في علمهم و سياستهم و تقواهم، و لأجل ذلك يجب أن يتوفر فيهم شروط كثيره تخوّل لهم صلاحيه الزعامه.

وحده الهدف

تقع على عاتق الأمة الإسلاميه مسؤوليه خاصه و هي سوق المجتمع نحو المثل الأخلاقيه و المكارم الإنسانيه، قال سبحانه:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

ص: ٤٥٣

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» ١.

فالطوائف الإسلامية برمتها لها رؤيه مشتركة فى الهدف الذى جاء به الإسلام و دعا إليه.

و الهدف هو سياده الدين فى الأرض لتكون السيادة لله وحده و يكون الدين ظاهراً على سائر الأديان، قال سبحانه: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» ٢.

هذه الوحدات الأربع، أى: وحده العقيدة، ووحده الشريعة، ووحده القيادة، و وحده الهدف إذا تمسك المسلمون بأهدابها تعود إليهم السعادة المسلوبة و الكرامة المنشودة. قال رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم: «إنما مثل المسلمين كالرجل الواحد إذا وجع منه شيء تداعى له سائر جسده». (١)

تكفير أهل القبلة

إنَّ تكفير أهل القبلة ما لم يُنكر أحد منهم شيئاً من تلك الأصول الثلاثة ممّا لم يجوزه أحد من أئمة المسلمين.

قال ابن حزم نقلاً عن أبي حنيفة و الشافعى و سفيان الثورى: إنه لا يُكفّر و لا يُفسق مسلم. (٢)

و قال السرخسى: لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاء بدارى ببغداد أمرنى بجمع أصحابه فجمعتهم له، فقال: اشهدوا علىّ إنى لا أكفر أحداً

ص: ٤٥٤

١-٣. مسند أحمد بن حنبل: ٢٧٨/٤. [١]

٢-٤. ابن حزم: الفصل: ٢٤٧/٣. [٢]

من أهل القبلة بذب لأننى رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد و الإسلام يشملهم و يعمهم. (١)

و لقد أحسن الإمام الأشعرى حيث أسمى كتابه بمقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين فأضفى على جميع الطوائف لفظ الإسلاميين و جعل اختلافهم اختلاف أهل القبلة كما يشعر بذلك قوله اختلاف المصلين.

و قال القاضى الإيجى: جمهور المتكلمين و الفقهاء على أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة، و استدل على مختاره بقوله: إن المسائل التى اختلف فيها أهل القبلة من كون الله تعالى عالماً يعلم أو موجداً لفعل العبد أو غير متحيز و لا فى جهه و نحوها لم يبحث النبى عن اعتقاد من حكم باسلامه فيها و لا الصحابه و لا التابعون، فعلم أن الخطأ فيها ليس قادحاً فى حقيقه الإسلام. (٢)

إلى غير ذلك من كلمات لعلمائنا الأبرار تبعاً للسنه النبويه المنكره لتكفير المسلم.

موانع الوحده

اشاره

قد عرفت عناصر الوحده و ما يمكن أن يجمع به شمل المسلمين، و لكن مع ذلك ثمة عوامل أخرى تُعرقل خطا الوحده، فعلى المعنيين بوحد المسلمين دراسه عوامل التفرقه ليعالجوها كى لا تكون سداً أمام تلك الأُمنيه، و إليك دراسه هذه العوامل.

ص: ٤٥٥

١-١. الشعرانى: اليواقيت و الجواهر: ٥٨. [١]

٢-٢. الإيجى: المواقف: ٣٩٢. [٢]

إنّ المسلمين ينقسمون في المذاهب الكلاميه إلى طوائف كالأشاعره و المعتزله و الماتريديه و الشيعه.

و الشيعه تنقسم بدورها إلى زيديه و إسماعيليه و اثني عشرية، فكيف يمكن توحيد الكلمه مع سياده هذه المناهج الكلاميه عليهم؟!

و الحق أنّ هذه المذاهب تتراءى في النظر البدئي سداً منيعاً بوجه الوحده، و لكن بالنظر إلى أواصر الوحده تبدو و كأنها موانع و هنه لا تصد المسلمين عن التمسك بأهداب الوحده على كافه الأصعده.

أمّا المناهج الكلاميه فجوهر الاختلاف فيها يرجع إلى مسائل كلاميه لا عقائديه مثلاً إنّ الأشاعره و المعتزله يختلفون في المسائل التاليه:

١. هل صفاته عين ذاته أو زائده عليها؟

٢. هل القرآن الكريم قديم أو حادث؟

٣. هل أفعال العباد مخلوقه لله أو للعباد؟

٤. هل يمكن رؤيه الله في الآخره أو هي ممتنعه؟

إلى غير ذلك من أمثال هذه المسائل، و مع تامين جهود الطائفتين فالاختلاف فيها اختلاف في مسائل عقليه لا يناط بها الإسلام و لا الكفر فالمطلوب من المسلم اعتقاده بكونه سبحانه عالماً و قادراً، و أمّا كيفية العلم و القدره بالزياده أو العينيّه فليس من صميم الإسلام، فلكلّ مجتهد دليله و مذهبه، كذلك القرآن هو معجزه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و كتابه سبحانه، فليس الحدوث و القدم من صميم العقيدته و قس على ذلك ما تلوناه عليك من المسائل، حتى أنّ مسأله رؤيه الله في الآخره و إن أصبحت عقيدته ضروريه لأجل روايات وردت في صحيح

البخارى و لكنها من ضروريات المذهب الكلامى الخاص لا- من ضروريات الإسلام، فهناك فرق بين ضروريات المذهب الأشعرى و ضروريات الإسلام، فكلّ أشعرى يقول بالرؤية تبعاً لإمامه و هو تبعاً للدليل الذى قام عنده و لا يقول به كلّ مسلم. و قس على ذلك سائر الوجوه المفرقة التى ترجع كلّها إلى فروق كلاميه.

و أمّا المناهج الفقهيّه فالمشهور هى المذاهب الأربعة مضافاً إلى الزيديه و الجعفريه فهذه المذاهب الستة مذاهب فقهيّه و الاختلاف يرجع إلى الاختلاف فى فهم الآيه و الروايه فلو اختلفوا فإنّما يختلفون فى فهم الكتاب و السنّه و هذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على اهتمامهم بهما و إمعانهم فى فهمهما و الاختلاف أمر طبيعى خصوصاً بعد مضى ١٤ قرناً من عصر الإسلام.

و لكن اختلافهم فى المناهج الفقهيّه لا- يمس بصميم الفقه الإسلامى فهل هناك من يرى صلاه الفجر ثلاث ركعات أو يرى صلاه الظهر و العصر غير أربع ركعات؟

و ليس الاختلاف و ليد اليوم، بل بدأ الاختلاف بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى أبسط المسائل الفقهيّه كعدد التكبيرات على الميت إلى أعمقها، فالاختلاف الموروث إنّما هو اختلاف فى فهم النصوص لا فى رفض النصوص و ردها.

و لا- شكّ أنّ الشيعه ترى جواز الجمع بين الصلاتين مع القول بأنّ التفريق هو الأفضل، و السنّه تخص جواز الجمع بالسفر و مواقف خاصه، و لكلّ دليله، و قد ورد فى الصحاح و المسانيد قرابه عشرين روايه بأنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جمع بين الصلاتين من غير سفر و لا مطر و لا مرض ليوسّع بذلك الأمر على الأئمّه.

و قس على ذلك سائر الاختلافات الفقهيّه حتى الاختلاف فى متعه النكاح، فذهب جمهور السنه إلى النسخ و الشيعه إلى بقاء الجواز، فالاختلاف فيها كالاختلاف فى سائر المسائل الناشئه من الاختلاف فى النسخ و عدمه.

يتشكل المسلمون من قوميات متعددة من عرب و عجم و ترك و بربر إلى غير ذلك من الشعوب و القبائل و لكن هذا الاختلاف، اختلاف تكويني لا يصلح لأن يكون مانعاً عن وحده الكلمه و قد عالج سبحانه هذا النوع من الاختلاف و قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» ١.

فالاختلاف في اللون و اللسان و الدم و الوطن و إن كانت عوامل توحد طائفه كبيره لكنّها عوامل عرضيّه لا تمت إلى جوهر الإنسان بصله، و أمّا الإيمان بالأصول الثلاثة فهو عامل باطني ذاتي أقوى من جميع العناصر المتقدمه.

فالمسلم الشرقي إذا تعارف مع المسلم الغربي مع ما بينهما من الهوه السحيقه يتآخيان، لما بينهما من وحده المبدأ و المعاد و القيادة و الهدف و أمّا الاخوان من أمّ و أب واحد إذا كان أحدهما إلهياً و الآخر مادياً يتناكران.

أظن أنّ هذين المانعين ليسا من موانع الوحده و قد عالجهما الإسلام بشكل واضح، و إنّما هناك عوامل واقعيه تعرقل مسير الوحده و هي بحاجه إلى الدراسه و الوقوف عليها بنحو مسهب.

٣. الجهل بمعتقدات الطوائف:

الحقيقه أنّ جهل كلّ طائفه بمعتقدات الطائفه الأخرى يعد من أهمّ الموانع التي تشكل حاجزاً منيعاً عن الوحده و هذا ليس بالأمر المستسهل، و إليك هذا المثال:

كان لى صديق فى مكه المكرمه كنت أزوره عند تشرفى إلى زياره بيت الله الحرام و كان يزاول حرفه بيع الأقمشه،سألنى يوماً ما تقولون أنتم معاشر الشيعة فى آخر الصلاه بعد رفع الأيدى إلى الأذن؟ قلت:يقولون:الله أكبر،الله أكبر،الله أكبر،فعاد يعتذر و يقول:كنت أعتقد أنكم تقولون:خان الأمين،خان الأمين،خان الأمين!!

فإذا كان هذا مبلغ علم المسلم بعقيدته أخيه الشيعى فى قبه الإسلام،فما ظنك بمسلم يسود بينهما آلاف الفراسخ؟! و قد سألنى عالم مكى من قضاة مكه المكرمه و مدرسى الحرم عند ما نزلت بيته ضيفاً مع أصدقائى،فقال:شيخنا السبحانى!! هل للشيعه تأليف؟ قلت:

سبحان الله ليست الشيعة طائفه لا تاريخ لها و لا جذور،و إنما هى طائفه إسلاميه منذ عصر النبى إلى يومنا هذا قد شاركوا المسلمين فى تأسيس الحضاره الإسلاميه العريقه.

و نأتى بمثال ثالث:إنّ الشيعة الإماميه اقتداءً بالنبى و أئمّه أهل البيت لا يسجدون فى الصلاه إلّا على الأرض أو ما ينبت منها، بشرط أن لا يكون مأكولاً و لا ملبوساً،فبما أنّ السجود على الأرض فى المنازل و حتى المساجد المفروشه غير ميسّره يتخذون أقراصاً من التربه يسجدون عليها،فعند ذلك نرى أنّ بعض إخواننا من السنّه يرمون الشيعة بالسجود للحجر و التراب كسجود عبّاد الوثن له مع أنّهم لا يفرّقون بين المسجد عليه و المسجد له،فالتراب هو المسجد عليه و أمّا المسجد له هو الله سبحانه.

و على ذلك فلو وقف فقهاء المذاهب على ما لدى الطوائف الأخرى من الفقه و الأصول و الاستدلال و الاجتهاد لما عاب أحدهم الآخر،و إنّما الخلاف فى كيفية الاستدلال و حقيقه البرهان لا فى الأخذ بالبرهان و لو أردنا أن نمثل فى المقام لطلال بنا الكلام و طال مقامنا مع الحضار.

و هناك نكته أود أن أذكرها هي أنّ أكثر من كتب عن الشيعة فإنّما أخذ عن كتاب ليسوا شيعة كابن خلدون أو من المستشرقين الحاقدين على الإسلام عامه و على التشيع خاصة، أمثال جولد زيهر.

فعلى من يريد نسبه شيء إلى أى طائفة من الطوائف الرجوع إلى مصادرهم الأصلية المؤلفة من قبل علمائهم.

٤. الجهل بالمصطلحات

إنّ لكل طائفة مصطلحات خاصه فى العقيدة و الشريعة يجب أن تؤخذ مفاهيمها من كتبهم و ليس لنا تفسيره من جانبنا، و لنذكر هنا مثالين.

أ. البداء

البداء عقيدة إسلاميه دلّ الكتاب و السنّه عليها، و هى لا تعنى إلّا تغيير مصير الإنسان بالأعمال الصالحه و الطالحه، فالإنسان بما أنّه مسئول عن أعماله بيده تغيير مصيره، فيجعل نفسه من السعداء أو من الأشقياء، و هذا أمر دلّ عليه الكتاب و السنّه. و هذا هو البداء عند الشيعة فقوم يونس بدّلوا مصيرهم السيئ إلى الحسن بالأعمال الصالحه و الإنايه. قال سبحانه: «فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ» ١. فيقال عندئذ «بدا لله فى قوم يونس» أى ظهر لهم ما خفى عليهم، لا ظهر له -نعوذ بالله- بعد ما خفى عليه، و هذا النوع من الاستعمال المجازى شايع على لسان النبى صلى الله عليه و آله و سلم حتى فى صحيح البخارى فى قضيه الأبرص و الأعمى و الأقرع. (١)

ص: ٤٤٠

١-٢). صحيح البخارى: ١٧١/٤، حيث جاء فيه: بدا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً... الخ.

و لكن يُفسر عند من لا يعرف عقائد الشيعة بتغير إرادته الله سبحانه و تعالى و ظهور الشيء له بعد خفائه و من المعلوم أنّ الأولى عقيدة إسلاميه و الثانيه عقيدة إلحاديه لا يتفوه بها أحد من المسلمين.

ب.التقيه

التقيه من المفاهيم الإسلاميه، و هى سلاح الضعيف أمام القوى، فإذا خاف المسلم على ماله و عرضه و دمه من أى إنسان سواء أ كان كافراً أو مسلماً و أراد شخص قوى سلب حرياته فلا محيص له إلا كتمان عقيدته و قد أمر به سبحانه و قال: «إِلَّا مَنْ أُرْكِرَهُ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ١ و قد نزلت فى حقّ عمّار بن ياسر حيث أظهر الكفر و أخفى الإيمان و جاء إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم باكياً فقال صلى الله عليه و آله و سلم: لا شيء عليك، فنزلت الآية، و لكنّ التقيه يُفسر عند بعض المخالفين بالنفاق، مع أنّ بين التقيه و النفاق بوناً شاسعاً، فالتقيه إظهار الكفر و إبطان الإيمان، و النفاق على العكس هو إظهار الإسلام و إبطان الكفر.

هذه بعض الموانع الماثله أمام وحده المسلمين و هناك عوامل أخرى لا مجال للبحث فيها على هذه العجالة.

نسأله سبحانه أن يرزق المسلمين توحيد الكلمه

كما رزقهم كلمه التوحيد

ص: ٤٦١

الإمعان و الدقه فى الآيات الوارده حول الحجّ و مناسكه و ما رويت حوله من النبى الأ-كرم و العتره الطاهره من الروايات و ما استقرت عليه سيره المسلمين فى القرون الأولى الإسلاميه يعرب عن أمرين مهمين، يعرفان ماهيه الحجّ و حقيقته و أهدافه و هما: أنّ الحجّ عمل عبادى و فى الوقت نفسه ملتقى سياسى للمسلمين، و يطيب لى أن أذكر كلا الأمرين بعبارات موجزه مستشهداً بآيات الذكر الحكيم، و ما أثر فى ذلك المجال، و الذى يدل على أنّ الحجّ عمل عبادى هو:

١. أنّ الحجّ عمل يقصد به الإنسان كسب رضاه سبحانه تلبية لنداء الخليل عليه السلام حيث قام بدعوه الناس إلى الحجّ الذى أقامه بعد انهيار، و عمّره بعد خراب، كما قال سبحانه: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ...» ١ .

٢. الحجّ تذكّار و ذكر لله سبحانه فى كافه مراحل و مواقفه و مراسمه و مشاهده و قد أمر سبحانه فى غير واحد من الآيات حجّاج بيته أن يذكروه فى جميع المواقف، قال سبحانه: «فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ إِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ

النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ* فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا» ١ و يقول سبحانه:
«وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» ٢ .

٣. الحجّ تطهير للنفس عن دنس الأقدار الخلقية و توجيهها إلى المثل العليا و كبح للنفس عن اللذائذ الدانية النفسانية. قال سبحانه:
«الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَ لَا فُسُوقَ وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ...» ٣ .

و لأجل أنّ الحجّ تطهير للنفوس سميت أعماله مناسكاً و هو من نسك ثوبه أو غسله، فكأنّ تلك الأعمال تغسل ما عليها من صدأ
الذنوب و درن الآثام، قال سبحانه: «فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ» ٤ .

٤. الحجّ تدريب و تربيته للنفس للغلبة على الهوى و تحصيل التقوى الذى هو خير الزاد للإنسان، قال سبحانه فى ثنايا آيات الحجّ:
«فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ» ٥ .

٥. قد كان الهدف الأسمى من تجديد بناء البيت بيد بطل التوحيد، دعوه الناس إلى عبادة الله وحده و رفض عبادة الأنداد و
الشرك بألوانه، قال سبحانه: «وَ عَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» ٦ ، و قال
سبحانه: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ» ٧ و لأجل ذلك كان شعار الخليل عليه السلام عند بناء
البيت و رفع قواعده

هو الطلب من الله سبحانه أن يجعل ذريته أمه مسلمه و يريهم مناسكهم و يتوب عليهم بالرحمه.قال سبحانه حاكياً عنه عليه السلام «وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» ١ .

٦.إن الخليل أنزل أسرته بأرض قاحله عند البيت المحرم لغايه إقامه الصلاه،و فى الوقت نفسه طلب من الله سبحانه أن يوجه أفئده الناس إلى هذا البيت لتلك الغايه الساميه،قال سبحانه حاكياً عن الخليل: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيءُ كُنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ» ٢ .

٧.الحجّ تزهد عن الدنيا و اكتفاء من زخرفها و زبرجها بثوبين يرتدى بأحدهما و يتزر بالآخر و يردد فى جميع الحالات الشكر و الثناء امتثالاً لأمره سبحانه: «لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» ٣ .

٨.الحجّ عمل رمزى لكثير من العبادات و الطقوس الوارده فى الشريعة المفروضه فى ظروف خاصه،فصار الحجّ بمفرده مظهراً لها و مجسداً لكثير منها حيث نجد فيه الأعمال التاليه المعريه عن جانبه العبادى،أعنى:النيه،الطهاره من الحدث و الخبث،الصلاه،الصوم، الطواف بالبيت،الذبح لله،إطعام القانع و المعتر من اللحوم،الاعتكاف الذى يجسده الوقوف فى المشاعر،و رجم الشيطان العدو الوحيد للإنسان الذى يوسوس فى صدور الناس.

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الحجّ عباده لله و تقرب إليه يصل به الإنسان إلى مدارج الكمال.

غير أنّ كون الحجّ أمراً عبادياً أو مجسداً لأكثر العبادات لا ينافى أن يشتمل على بعد آخر فيه حياه للمسلمين و قوام لعيشهم و إقامه لشؤونهم الاقتصاديه

و الاجتماعيه و السياسيه و العسكريه و الحكوميه، و هذا ما نعبر عنه بكون الحجّ ملتقى سياسياً تجتمع فيه هذه الآثار الحيويه، و هذا ما يدعّمه أيضاً الذكر الحكيم و تؤيده السنه النبويه و عمل المسلمين فى القرون الإسلاميه الأولى.

أمّا الآيات التى ترمز إلى تلك الأبعاد فنكتفى منها بما يلى:

الف. قال سبحانه: «وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا» ١ و المراد من كونه مثابه كونه مرجعاً للناس و المسلمين عامه، و لأجل أنّ الحجّ عمل اجتماعى يجب أن يخيم عليه الأمن و يسيطر عليه السلام، حتى يقوم الناس بعمل اجتماعى لأهداف اجتماعيه، قال سبحانه:

«وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» ٢، و قال تعالى حاكياً عن خليله: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا» ٣.

فالحجّ بما أنّه أمر اجتماعى و ملتقى للشعوب المختلفه، بحاجه إلى استتباب الأمن و الهدوء حتى يقوم كلّ إنسان و شعب ببيان فكرته و نظريته و لا- يخاف من إنسان و لا- دوله، و يتجلى الحجّ كمنبر حرّ للمسلمين كلّهم، و هذا ما نعبر عنه بكونه عملاً اجتماعياً.

و فى جانب ذلك فالحجّ ملتقى ثقافى يلتقى فيه المفكرون الكبار و العلماء فى شتى الحقول، فيقومون بعرض الاطروحات و التجارب على الصعيد الثقافى و العلمى و الاقتصادى كى تتعرف كلّ طائفه على ما عند الأخرى من الأفكار القيمه و النظريات المفيده فيؤدى ذلك إلى التقاء الأفكار و الاحتكاك بينها.

إذاً الحجّ عمل اجتماعى و ملتقى ثقافى و فى الوقت نفسه مؤتمر سياسى سنوى يجتمع فيه قاده المسلمين فيتشاورون فى مهام الأمور بغيه التنسيق و التعاون فيما بينهم و لعلّ إلى تلك الجوانب الثلاثه يشير قوله تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ» ٤.

فسواء كان القيام بمعنى القوام و ما به حياه المسلمين، أو كان بمعنى ضدّ القعود، فالآيه تتضمن نكته مهمه و هى انّ كيان المسلمين معقود بناصيه الحجّ فيه يقومون و فى ظلّه قوام حياتهم، فالآيه نظير قوله سبحانه: «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا» ١ .

فوصف سبحانه أموال الناس بكونها قياماً لهم أى بها يقومون فى الحياه، أو بها قوام حياتهم الاجتماعيه، فاقتران الآيتين يعرب عن كون الحجّ ركناً فى حياه المسلمين و بقاء كيانهم. و يشير أيضاً إلى تلك الجوانب قوله سبحانه: «لِيُشْهِدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَ يُذَكَّرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ» ٢ فكانت الغايه من دعوه كلّ راجل و راكب إلى الاجتماع فى أيام الحجّ خصوصاً فى المواقف و المشاهد، حيازه المنافع الكبيره التى يحتوى عليها الحجّ. فما جاء فى الآيه تعبير جامع يتضمن كلّ نفع يرجع إلى المسلمين فى ذلك الملتقى، و لا يصحّ لنا تخصيصه بالنفع المعنوى بإخراج النفع المادى، أو تخصيصه بنفع دون نفع، ففى ذلك الوفود إلى الله سبحانه منافع كثيره يصطادها المسلمون حسب قابلياتهم و صلاحياتهم.

هذا ما لخصناه للقارئ الكريم من الذكر الحكيم، و أمّا السنّه الشريفه فيكفى فى ذلك أنّ النبى صلى الله عليه و آله و سلم أمر الإمام عليّاً عليه السلام بأن يتلو آيات البراءه فى يوم الحجّ الأكبر. قال سبحانه: «وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ...» ٣ و هل يشك ذو مسكه فى أنّ البراءه و رفع الأمان عن المشركين و إمهالهم أربعة أشهر عمل سياسى قام به قائد الإسلام أيام رسالته و ازدهار دعوته، حتى يكون ذلك قوه للمسلمين فى الأجيال اللاحقه؟

هذا هو الإمام الطاهر الحسين بن على عليهما السلام أطاح بطاغيه عصره ففضحه

بعرض جنائياته و أعماله المخزیه على الصحابه الكرام و التابعين لهم يا حسان فى موسم الحج فى أرض منى، و قد اجتمع تحت منبره قرابه ثمانمائه منهم، و أبان فى خطابه موقف أهل البيت من الإسلام، ثم ذكر مظالم الجهاز الأموى الحاكم، و طلب من الجميع أن يحملوا خطابه و هتافه إلى إخوانهم و أوطانهم حتى يقفوا على فداحه الكارثه التى ألمت بهم من جراء تسلّم بنى أميه لمنصه الحكم، و قد جاءت خطبته فى كتب السير و التاريخ، فمن أراد فليرجع إليها.

و بعد ذلك أنّ فى سيره المسلمين لدليلاً واضحاً على أنّ الحجّ ملتقى سياسى وراء كونه عملاً عبادياً، فإنّ الاصلاحات الجذريه التى قام بها المفكرون المسلمون قد انعقدت نطفها فى الأراضى المقدسه و فى موسم الحجّ، فحملوا الفكره التى تبوّها فى جوار بيت الله الحرام و فى ذلك المحتشد العظيم، ثمّ غدّوها بفكرتهم و تجاربهم إلى أن أُتيحت لهم الفرص لبناء مجتمع طاهر أو حكومه عادله أو ثوره عارمه فى وجه الطغاه و الظالمين، و بذلك يتضح أنّ الحجّ الإبراهيمى ليس مجرد طقوس و سنن يقوم بها الفرد أو الجمع فى أيام معلومات، بل فيه آيه العباده و شاره السياسه و فيه منافع للمسلمين فى عاجلهم و آجلهم، فيجب على المسلمين احياء هذه السنه الكريمه الحجّ الحقيقى الذى وضع حجره الأساس إبراهيم الخليل عليه السلام. كلّ ذلك بفضل الحجّ و ببركه ذلك المحتشد العظيم. هذا ما سمح به الوقت، غير أنّ للبحث صلّه ربما نستوفيه فى فرصه أُخرى.

جعفر السبحانى

مكه المكرمه - الخامس من شهر ذى الحجه

من شهور عام ١٤١١ هـ

ص: ٤٦٧

اتَّفَق المسلمون قاطبه-إلّا من شدّ منهم-على أنه يظهر في برهه من الزمن قائد يقوم باصلاح المجتمع الإنسانى قاطبه،و ينشر رايه العدل في رُبوع الأرض بعد ما ملئت بالجور و الطغيان.

و هذا القائد المثالى العظيم من سلاله النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قد جاء نبؤه و ثورته العارمه على الفساد فى الكتب السماويه،قال سبحانه:

«وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ» ١ .

و من حسنِ الحظّ أنّ زبور داود عليه السلام الموجود فى العهد العتيق يحتوى على مضمون هذه الآيه بصراحه. (١)

هذا ما اتَّفَق عليه المسلمون و أهل الكتاب جميعاً،غير أنّ هنا نكته لا محيص من إلفات نظر القارئ إليها.

إنّ الإمام و إن كان يظهر و يجابه الفسادَ بمنطق الشده و العنف،و لكن هذا المنطق ليس العماد الوحيد لثورته و سلطته،بل هناك عماد آخر و هو بلوغ الإنسان

ص: ٤٦٨

(١-٢). مزامير:المزمور السابع و الثلاثون،الاصحاح ٢٢:«لأنّ المباركين منه يرثون الأرض،و الملعونين منه يقطعون».

عبر القرون إلى ذروه الكمال من حيث الصناعات و العلوم و تقدمه في معترك العلوم و الفنون و الثقافه على حدّ يؤمن إيماناً كاملاً. بأنّ الظروف الحاضره لا- تستطيع أن تلبي حاجاته، و تُعطي له حياه طيبه و إنّ المنظمات البشريه مع دويها و عناوينها الفخمه، لا تُشيدُه أو تُنقذه من محنته و مشكلته. و لأجل ذلك ظلّ يتربص بصيصاً من الأمل حتى تُمدّه عنايه غيبه في اصلاح المجتمع و إسعاده.

و لأجل هذا الأمل و التفتح العقلي لقبول الدعوه الغيبه، إذا ظهر القائد، الذي وعد الله به الأمم لباه كثير من الناس بالإيمان و البيعه، و التضحيه و الفداء بلا شك و تردد و يستقبلونه بصدور رحبيه.

إنّ هذا التهيؤ النابع من صميم الإنسان، هو الذي يُسهّل لقائد الإصلاح أن يصل إلى الغايه التي أمر بتحقيقها بسرعه، و إلى ذلك العامل المؤثر يشير الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رءوس العباد، فجمع به عقولهم و كملت به أحلامهم. (١)

إنّ الشيعة قاطبه و كثيراً من أهل السنه يرون أنّ ذلك القائد هو الإمام الثاني عشر و من ذريه الحسين عليه الصلاه و السلام و نجل الإمام الحسن بن علي العسكري عليهما السلام و قد ولد عام ٢٥٥ هـ، و ظلّ في أحضان والده خمس سنين حتى تُوفى الإمام العسكري عليه السلام فتعلقت مشيئه الله تعالى بغيبته عن أعين الناس لا- عن بيئاتهم، بل يحيى حياه إنسانيه كامله من غير أن يعرفونه إلى أن يأذن له الله تبارك و تعالى بالظهور.

و الناظر في حياه الأئم يقف على أنّ ليس ذلك بأمر بديع، فقد كانت بين الأمم غيبه للأنبيا و الأولياء حتى أنّه سبحانه يأتي بأنموذج واضح في سوره الكهف، و يُعرّف إنساناً كان ولياً راشداً من أوليائه يحيى بين الناس، لم يكن الناس

ص: ٤٦٩

(١- ١). الكليني: الكافي، الجزء ١، كتاب العقل و الجهل، الحديث ٢١. [١]

يعرفونه حتى النبي موسى عليه السلام. قال سبحانه: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا». (١)

غاب الإمام الثاني عشر على إثر وفاه أبيه و قد شاع بين الناس على أنّ المهدي المصلح نجل الإمام العسكري عليه السلام و هو الذى يقوّض عروش الجبابره و الطواغيت، فلأجل ذلك لما انتشر نبأ وفاه أبيه تقاطرت لجانّ التفيتش على بيت الإمام العسكري حتى يعثروا على الوارث الوحيد لإمامته، و لكنهم رجعوا خائبين، فقد حالت مشيئه الله تعالى بينهم و بين ما وعد الله به الأمم فى كتب السابقين و اللاحقين.

ما عشت أراك الدهر عجباً

إنّ هناك من ينقض و يبرم فى أحاديث الإمام المهدي عليه السلام و بالأخص ما يرجع إلى ميلاده و حياته و سفرائه و هو ليس فى حلّ و لا مُرتحل، ممّا يرجع إلى علم الحديث و أصوله و أحكامه و أقسامه. فى ليت شعرى ما ذا جرى على عالم الحديث حتى أخذ الصبيان فى الكتابيب يحلون و يعقدون من دون أن يتلمذوا عند عالم أو يتفقهوا عند محقق. إذا ما فصلت عليا قريش فلا فى العير أنت و لا النفير

إلى الله المشتكى من أقلام مأجوره أو أوراق، لا تهدف إلّا تكدير الصفو، و تغطيه الوقائع المسلّمه، و إنكار الأحداث الواضحه و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم، فستعلمون من أصحاب الصراط السوى و من اهتدى.

نعم إنّ هذا النوع من الخصوم، يقدم لنا أكبر خدمه و هى استقطاب نظر المحققين إلى الفحص عن الروايات الوارده حول المهدي بشتى عناوينه فيخرجوا

ص: ٤٧٠

عن الدرسة أكثر صلابه، وأكبر رصيذاً، مرفوعى الرأس عند أصحاب التحقيق، و حماه الحقائق.

غاب الإمام الثانى عشر عن أعين الناس، و لكن لم تنقطع صلته بهم، و كان بينه و بين شيعته صله و ثقته عن طريق سفرائه طيله سبعين سنه (٢٦٠ - ٣٢٩هـ)، و كان سفراؤه هم الذين يتصلون بالإمام، و يبلغونه رسائل شيعته و حوائجهم، فيجيبهم الإمام عن طريقهم و يُؤشدهم، و هؤلاء السفراء هم أكارم جيله، و أصفياء عصره، قد حمل كل واحد منهم على عاتقه رساله هدايه الناس و رفع حوائجهم، و مجابهه الدعايات الضاله. و هؤلاء عباره عن:

١. عثمان بن سعيد العمرى، و كانت سفارته ما بين ٢٦٠ - ٢٦٥هـ.

٢. محمد بن عثمان العمرى، و كانت سفارته ما بين ٢٦٥ - ٣٠٥هـ.

٣. الحسين بن روح النوبختى، و كانت سفارته ما بين ٣٠٥ - ٣٢٦هـ.

٤. على بن محمد السمرى، و كانت ما سفارته بين ٣٢٦ - ٣٢٩هـ.

لقد مهدت الغيبه الصغرى الناس إلى الإيمان بالغيبه الكبرى التى انقطعت فيها الصله بين الإمام و الناس، و لو لا الغيبه الأولى لكان تحمل الغيبه الثانیه أمراً شديداً على المجتمع، إلما أنّ الله تعالى بلطفه، جعل الغيبه الصغرى طريقاً للغيبه الكبرى، و سبباً لمزيد الإيمان بها.

الإمام المهدي هو شمس الحياه الطالعه التى لا- يُمكن أن تستر بالأوهام و الافتراءات و لا بالدعايات الفارغه و لا بالتحليلات الخاطئه. و لا تجد موضوعاً كهذا الموضوع-موضوع المهدي-تواترت فيه الروايات، و ألفت فيه كتب و موسوعات منذ بدء حياته إلى يومنا هذا.

نعم تغمرنى من الأحاسيس ما تراها متجليه فى الآيات التالیه و هى باقه زهور عطره نقدمها إلى القراء جادت بها قريحه بعض المخلصين المجاهرين بولاء

ص: ٤٧١

أئمه أهل البيت عليهم. (١) لئن غبت عنا هيكلاً متجسداً فما غاب منك الروح يشرق و الفكر

إلى أن قال: ألتاع بالأشواق جهراً و خفياً

جعفر السبحاني

قم. مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

غره ذى الحجه الحرام من شهر عام ١٤١٦هـ

ص: ٤٧٢

١-١). للعلامة المحقق و الشاعر المفلق: السيد محمود البغدادي.

اشاره

الحمد لله الأوّل فلا شىء قبله، و الآخر فلا شىء بعده، و الظاهر فلا شىء فوقه، و الباطن فلا شىء دونه. و الصلاه و السلام على ذى المقام الأجلّ، الحائز لقصبات السبق فى مضمار كلّ فضل، سيدنا و نبينا محمّد مصباح الهدى و ملاذ أهل التقى، و آله الطاهرين الذين مستقرهم خير مستقر و منبتهم أشرف منبت، سلاماً لا بدايه له و لا نهايه.

أمّا بعد:

فإنّ التفكير هو العامل المميّز للإنسان عن سائر الحيوانات، فهو يشار كهم فى الغرائز و الميول، و لكن يفارقهم بأنّه موجود مفكّر، و فى ظل التفكير بسط نفوذه، و بلغ حدّاً حير فيها العقول، و أدهش فيه الألباب، و لم يزل دءوباً فى تسخير ما خُلق له.

و قد حاز الفكر على عنايه كبيره فى القرآن الكريم حتى نوّه عليه ثمانى عشره مره بصور مختلفه، إلى أن عاد و جعله من سمات أولى الألباب، و قال: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ

ص: ٤٧٣

اللَّهُ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» ١.

كما أنه سبحانه قد أمر بالتعقل في غير واحد من الآيات الكونية وقال: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ٢.

و الدعوه إلى التفكير و التعقل في آياته سبحانه ليست لهدف الوقوف على النظام السائد في الكون الذى تتكفل بيانه العلوم الطبيعیه و الفلكیه، بل ثمه غايه قصوى هي أشرف من الأولى و هي الوقوف على باطن الكون الذى يعبر عنه سبحانه بملكوت السماوات و الأرض، و هو عباره عن جهه تعلقه بخالقه، و قيامه به قيام المعلول بالعلله، و المعنى الحرفى بالمعنى الاسمى، و هذا النمط من التفكير يصنع من الإنسان عارفاً موحداً لا يرى شيئاً إلّا و يرى الله معه و قبله و بعده، قال سبحانه: «وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» ٣. و قال سبحانه: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» ٤.

إنه سبحانه جهز الإنسان بالتفكير و التعقل، و أعطى له الأدوات المطلوبه، و من أفضلها السمع و البصر، كما أشار إليه في قوله سبحانه: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ

بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ١.

و المراد من الشكر فى ذيل الآيه هو صرف النعمه فى مواضعها، فشكر السمع و البصر هو إدراك المسموعات و المبصرات بهما، و شكر الفؤاد هو إدراك المعقولات و غير المشهودات به، فالآيه كما تحرّض على إعمال السمع و البصر فى درك ظواهر الكون، تحرّض أيضاً على استعمال الفؤاد و القلب و العقل فيما هو خارج عن إطار الحس و غير واقع تحت تناول أدواته، فمن أراد قصر التعليم و التفكير على ظواهر الكون و حرمان الإنسان عن التفكير خارج نطاق الحس فقد خالف القرآن الكريم.

كما و أنّ من اقتصر على المعرفة الحسيه هو أشبه بالطفل الذى لا يتمكن من التحليق فى سماء المعرفة، بل يقتصر بما حوله من الأشباه و الصور، كما أنّ من اقتصر على المعرفة العقلية فقد أفرط، و ربّما حُرِمَ من بعض المعارف التى يكون الحس و سيله إليها فالإنسان يستخدم الحس و العقل و يُحلّق بكلا جناحيه فى سماء العلم و العرفان، فالقرآن الكريم يُعطى للحس منزله و مكانه، كما ينمى القابليات الفكرية فى الإنسان عن طريق طرح قضايا حسيه ملموسه و عقلية.

قال سبحانه: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تَصِدُّقُونَ* أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ* أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ* ... أَمْ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَمْ أَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الرَّازِقُونَ* لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ* إِنَّا لَمُعْرِمُونَ* بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ* أَمْ فَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ* أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ* أَمْ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ*

أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ» ١.

انظر إلى هذا البيان الرفيع و الكلام الرصين كيف يطرح أسلوب التفكير الصحيح؟ و فى نفس الدعوه إلى ظواهر الكون و النظام السائد فيه،دعوه أخرى للارتقاء إلى معرفه عقليه بحته،و هو أنّ للنظام صله بخالق عالم قادر فى وضع الكون على أحسن نظام.

يذكر فيها أمر الخلق،و الزرع،و الماء،و النار،و يذكر دور الإنسان فيها،فأمره فى الأول لا يزيد على أن يُودع الرجل ما يمنى فى رحم امرأته،ثم ينقطع عمله و عملها،فالعقل يحكم بأنّ هناك قدره غيبه تأخذ بزمام الأمور،تعمل فى هذا الماء المهين،فى تنميته و بناء هيكله،و نفخ الروح فيه.

و أمره فى الثانى لا يزيد على الحرث و إلقاء الحب و البذر،الذى هو صنعه سبحانه،ثم ينتهى دوره،فلا محيص عن وجود قدره تنميه تحت التراب،و تجعله سنبلًا أو سنابل فيها حبّ كثير.

و أما الماء فليس للإنسان فيه أى دور،لكنّه أصل الحياه و عنصرها،لا تقوم إلّا به،فمَنْ الذى خلقه و أنزله من المزن،و أسكنه فى الأرض؟ و مثله النار فليس له فيها شأن سوى أنّه يوقدها،و لكن مَنْ الذى خلق و قودها،و أنشأ شجرتها التى توقد؟

إنّ الذكر الحكيم عرض هذه الأمور لغايه الاهتداء بها إلى الحقيقه التى تنتهى إليها هذه الحقائق،و التى تمسك بزمام هذه الظواهر الكونيه،و لأجل ذلك ختم الآيات بقوله: «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» .

ما مرّ من الآيات يُعرب عن أنّ القرآن هو المنطلق الأوّل لتنمية الفكر الإنساني، وحثّ الإنسان إلى التعقل و التفكير، فمن أراد أن يخلص لله في العبودية بلا تحليق العقل في سماء المعرفة فقد تغافل عن هذه الآيات و نظائرها التي تأخذ بيد العقل من حضيضه و تقوده إلى أوج المعرفة، قال سبحانه: «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» ١ فلو فسرنا (الشيء) في الآية بالسبب و العله فالجزء الأوّل من الآية يشير إلى برهان الإمكان الذي يقوم على لزوم سبب موجب لخروج الشيء من العدم إلى الوجود، و الجزء الثاني منها يشير إلى بطلان كونهم خالقى أنفسهم، الذي يستقل العقل ببطلانه قبل أن يستقل ببطلان الدور اللازم عليه.

و من سبر هذه الآيات و تدبّر فيها يقف على عظمه قوله سبحانه: «سُنُّرِبِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» ٢.

أئمة أهل البيت رواد الفكر

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام-تبعاً للذكر الحكيم-فتحوا أمام الأئمة باب التفكير الصحيح في المعارف الإلهية و المسائل العقلية، و أول من ولج ذلك النهج هو الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام رائد الفكر، فأنه صلوات الله عليه يذكر في خطبه و رسائله و كلماته القصار كثيراً ممّا يرجع إلى أسمائه و صفاته، و العوالم الغيبية مقروناً بالبرهان و الدليل، و كفاك في هذا الباب ما ذكره في كيفيه وصفه سبحانه التي شغلت بال التابعين و المتكلّمين على مر العصور، يقول سلام الله عليه:

«أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفى الصفات عنه لشهادته كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادته كل موصوف أنه غير الصفه، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، وقرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: فيم، فقد ضمنه، ومن قال: علام، فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنه، ولا غير كل شيء لا- بمزايله فاعل لا بمعنى الحركات والآله، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده...» (١).

فهو عليه السلام في كلامه هذا يبين لنا كيفيه وصفه سبحانه و تعالى بالعلم و القدره أولاً، كما يبين لنا مكانه الممكنات بالنسبه إليه سبحانه ثانياً، ثم يبين معنى كونه فاعلاً و خالقاً إلى غير ذلك من النكات البديعه في كلامه.

و قد تبعه الأئمه المعصومون فسلكوا سبيله في تبيين المعارف و العقائد، و إقامة البراهين الصحيحه المأخوذه من الكتاب و السنه أو العقل السليم، و كفى في ذلك ما ألفه شيخنا الصدوق في كتابه «التوحيد» فإنه نسخه عقليته، أو رشح من فيض، جمعه ذلك المحدث في القرن الرابع.

و يكفيك في الوقوف على بُعد المنهجين (منهج الإمام على عليه السلام و الأئمه المعصومين، و منهج أهل الحديث) مقارنة هذا الكتاب بكتاب التوحيد لابن خزيمة (المتوفى ٣١١هـ) (٢) الذي ألفه قريباً من عصر الصدوق في توحيد

ص: ٤٧٨

١- ١. نهج البلاغه: الخطبه الأولى. [١]

٢- ٢. هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن مغيره بن صالح النيسابورى مؤلف كتاب التوحيد و الصفات و فقه الحديث، توفى عام ٣١١هـ عن عمر ناهز ٨٨ عاماً.

الصحابه و التابعين، و أسماء «التوحيد و الصفات» فتجد أنّ الكاتبين سلكا مسلكين مختلفين أحدهما يعتمد على الكتاب و السنّه الصحيحه، و العقل الصريح، و تحليل العقائد و المعارف تحليلاً عقلياً رائعاً، معتمداً على الفكر، و أمّا الآخر فهو يعجّ بروايات أكثرها ترجع إلى مستسلمه أهل الكتاب فى العصور الأولى ككعب الأحبار، و وهب بن منبه اليماني، و تميم بن أوس الدارى، إلى غير هؤلاء ممّن تلقوا القصص و الحكايات الخرافيه من أساتذتهم و بثوها بين المسلمين.

و أنت إذا تفحصت ما انطوى عليه تفسير الطبرى، و الدر المنثور للشيخ السيوطى، تراها عاجه بروايات منتهيه إلى الصحابه و التابعين، و ليس فيها شيء يرجع إلى تحليل العقائد و المعارف، و على ذلك درج الخلف، فصار التعطيل شعاراً لأهل الحديث و من تبعهم.

تدوين علم الكلام حاجه ملّحه

فتح المسلمون البلاد المعموره بإيمانهم و عزيمتهم الراسخه، فاعتنق الإسلام أمم كثيره كانت لهم حضارات عريقه و ديانات مختلفه، فأذى ذلك إلى احتكاك المسلمين بهم، و كانت نتيجه انتقال الفلسفه اليونانيه و الفارسيه إلى العواصم الإسلاميه، و نشطت من خلالها حركه الترجمة و التعريب، فترجمت كتب فلسفيه كثيره تحمل طابع الفلسفه اليونانيه و الرومانيه و الفارسيه فى طياتها، و هذه الحركه قد تركت خيراً كثيراً، حيث اطلع المسلمون من خلالها على العلوم الطبيعيه و الرياضيه، و الفلكيه، و ما وراء الطبيعيه، و شكّل ما ورثوه عن طريق الترجمة فيما بعد النواه الأولى لإرساء قواعد هذه العلوم و إكمالها، حتى تألق نجم العلم فى المشرق الإسلامى، و صار مركزاً و محطاً يقصده رواد العلم و المعرفه من كلّ حذب و صوب.

إلا أنّ تلك الحركه قد تركت آثاراً سلبيه حيث بذرت شياً كثيراً فى حقل

العقائد و الأحكام بين المسلمين، خصوصاً غير المتدّرعين منهم بسلاح العلم و البرهان، فاشتدّ حمى الجدل بين المسلمين و روّاد الأفكار الدخيله.

كما أنّه كان لوجود الأسرى أثرٌ فعّالٌ فى طلى الشبه و سوقها فى بوتقه البرهان ردّاً على العقائد الإسلاميه، نظراء ابن أبى العوجاء و حماد بن عجرد، و يحيى بن زياد، و مطيع بن أياس، و عبد الله بن المقفع، الذين كان لهم نشاطٌ ملموس فى زعزعه عقائد العامه.

و كان لظاهره الترجمه، و انتشار الشُّبه بين المسلمين، تأثيرٌ مهم فى شحذ همم المفكرين من المسلمين بغيه الوقوف أمامها، و بذلك نشأ علم الكلام و دونت رسائل فى الذّب عن العقيد و التدّرع بنفس السلاح الذى تدّرع به المخالف، فلم يمض القرن الأوّل إلّا و تجد حلقات شكلت لهذا العلم طرحت فيها المسائل الكلاميه على طاوله البحث لتفنيد حجج المخالفين و إبطالها.

نعم قام بعض السدّج من أهل الحديث بتحريم علم الكلام، و الوقوف أمامه، و دعوا إلى نبذه، بزعم أنّهم بذلك يقدمون أفضل خدمه للإسلام و عقيدته، غافلين عن أنّ سلب هذا السلاح من يد المفكرين من المسلمين يوجب استيلاء الإلحاد على الربوع الإسلاميه.

كلّ هذا و ذاك دعا المفكرين إلى تأسيس علم الكلام، و قد استلهموا فى ذلك من الكتاب العزيز، و خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام و مدرسه الأئمّه من بعده التى تركت بصمات واضحه على زعزعه الحركه الإلحاديه، و جعل الشبه و الردود فى مدح البطلان، و لذلك كان تدوين علم الكلام حاجه ملحه لا ترفيهيه، و قد أخذ علم الكلام على عاتقه الذّب عن حياض العقيد الإسلاميه، باستعراض البراهين العقلية تاره، و بإعمال أساليب الجدل و المناظره تاره أُخرى، و قد بلغ هذا العلم ذروته و ظهرت مناهج كلاميه مختلفه تنتهى جذورها إلى ما ورثوه من الكتاب، و خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

كان لأهل الحديث صيت واسع في أرجاء العالم الإسلامي، وكانت الأكثرية تبعاً لهم، وقد وُجد في صفوف المسلمين من نادى بالتفكير وإقامه البرهنة على المعارف وتحليلها على ضوء الدليل العقلي، كل ذلك استلهاماً من الذكر الحكيم وخطب الإمام أمير المؤمنين و ما آثر من أهل بيته المعصومين.

قال ابن أبي الحديد (١): إن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف المعلومات، ومن كلامه عليه السلام اقتبس و عنه نُقل، وإليه انتهى. (٢)

و ما ذكره ابن أبي الحديد هو الذي يدعمه تاريخ علم الكلام، فإن المناهج المعروفة في علم الكلام لا تتجاوز عن أربعة و هي:

الأول: الإمامية.

الثاني: المعتزلة.

الثالث: الأشاعره.

الرابع: الماتريديه.

و هذه المدارس الكلامية على الاختلاف السائد بينها تنتهي جذورها إلى الإمام علي عليه السلام.

أمّا الإمامية فهم شيعه علي عليه السلام في عامه المجالات، و أمّا المعتزله فمؤسسها واصل بن عطاء (٨٠-١٣١هـ) و عمرو بن عبيد (٨٠-١٤٣هـ) و قد أخذ واصل

ص: ٤٨١

١- ١). هو عز الدين أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد المدائني، توفي عام ٦٥٥هـ.

٢- ٢). شرح نهج البلاغه: ١٧/١.

و عمرو عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، وأخذ أبو هاشم عن أبيه محمد بن الحنفية، وأخذ محمد عن أبيه علي بن أبي طالب. (١)

وأما المنهج الأشعري فمؤسسه هو الإمام أبو الحسن الأشعري (٢٦٠-٣٣٠هـ) فقد اتفقت كلمتهم على أنه خريج مدرسه أبي علي الجبائي (٢٣٥-٣٣٠هـ) وإمام المعتزلة، وإن عدل عن ذلك المنهج وأسّس منهجاً معتدلاً بين أهل الحديث والاعتزال، ولكنه تبخر في إقامة البرهان والاستدلال على المعارف في منهج الاعتزال، فهو عيال على المعتزلة.

وأما الماتريدي فمشيد أركانها هو الإمام محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي (٢٦٠-٣٣٣هـ) وقد عاصر الماتريدي الإمام الأشعري وكانا يعملان على صعيد واحد، وكلٌّ يكافح الاعتزال، ويدعو إلى منهج متوسط بين المنهجين، ولكن المنهج الماتريدي أقرب إلى الاعتزال من المنهج الأشعري، والمنهج الذي اختاره الماتريدي وأوضح براهينه، هو المنهج الموروث عن أبي حنيفة (٨٠-١٥٠هـ) في العقائد والكلام والفقه ومبادئه، والتاريخ يحدثنا أنّ أبا حنيفة كان صاحب حلقة في الكلام قبل تفرغه لعلم الفقه، وقبل اتصاله بحمّاد بن أبي سليمان، الذي أخذ عنه الفقه.

هؤلاء هم دعاه التفكير في المعارف على اختلاف وجهات نظرهم.

المعتزلة خصوم العقل

ارتحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى دار البقاء، وترك شريعته بيضاء، وكتاباً هو خزانة المعارف، وأمر الأمة بالتدبر والتفكير فيه دون فرق بين ما يرجع إلى آيات الأحكام، أو قصص الأقسام، والأنبياء، أو المعارف والعقلية، فقال سبحانه: «كتابٌ

ص: ٤٨٢

أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ» ١.

و مع هذه الدعوة المؤكده التي نادى بها القرآن ظهرت فرقه فى العصور الأولى صارت سمتهم و شعارهم إعدام العقل و تعطيله عن التفكير فيما وراء الحس، ممّا يرجع إلى أسمائه سبحانه و صفاته و غير ذلك، وقالوا معتذرين فى تعطيل العقل «إِنَّ مَا أُعْطِينَا مِنَ الْعَقْلِ لِإِقَامَةِ الْعِبَادَةِ لِأَدْرَاكِ الرَّبُّوبِيَّةِ، فَمَنْ شَغَلَ مَا أُعْطِيَ لِإِقَامَةِ الْعِبَادَةِ بِأَدْرَاكِ الرَّبُّوبِيَّةِ فَاتَتْهُ الْعِبَادَةُ وَ لَمْ يَدْرِكِ الرَّبُّوبِيَّةَ». (١)

و كأنّ العبودية عند القائل هى القيام و القعود و الإمساك، التى هى من واجبات الأعضاء، و غاب عنه أنّ العبودية تقوم على ركنين، ركن منه يرجع إلى الأعضاء و الجوارح، و ركن آخر إلى العقل و اللب، فتعطيل العقل عن معرفه المعبود بالمقدار الميسور تعطيل للعبودية.

فالإقتصار فى معرفه الربّ بالعبودية الظاهريه من القيام و القعود من دون التعرّف على ما للمعبود من جمال و جلال، يؤدى إلى كون عبودية الإنسان أدون من عبودية الجماد، إذ الجماد ربّما يستشعر عظمه الخالق، حسب مقدرته، قال سبحانه: «وَ إِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» ٣.

و العجب أنّ هذا النمط من الجمود قد عاد إلى الساحة الفكرية باسم السلفيه، و أخذ لنفسه طابعاً جديداً، و صار الجهل بالمعارف و إعدام العقل عن التفكير مفخره نادى بها أصحابها، و بذلك انقادوا لما فى الصحاح و المسانيد، من

ص: ٤٨٣

(١-٢). علاقته الإثبات و التفويض: ٣٣.

التشبيه، والتجسيم، وإثبات الجبهه بلا اكتراث.

قال ابن تيميه-مثير الدعوه السلفيه بعد اندراسها-:إنّ لله يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجماله، وأنّه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكه، وإبليس، وأنّه سبحانه يقبض الأرض و يطوى السماء بيده اليمنى. (١)

و هذه العبارة و نظائرها التي طفحت بها كتب السلفيه ترمى إلى أحد أمرين إمّا التجسيم و التشبيه، أو تعطيل العقول عن معرفه الكتاب العزيز.

فإنّ اليد و الوجه و الرجل موضوعات فى اللغه العربيه للأعضاء خاصه، فلو أُريد المعنى الحقيقى يلزم منه التشبيه، و إن أُريد المعنى الكنائى فهذا هو التأويل عندهم، و هم يفرون منه فلم يبق هناك معنى ثالث حتى يتبعه السلفيه.

و قد بلغ بهم التزمّت بمكان حدا بهم أن لا يقيموا للبحوث العقلية وزناً.

يقول ابن أبى يعلى فى طبقات الحنابله، عن طريق الأهوازي:قرأت عن على القومسى، عن الحسن الأهوازي، قال:سمعت أبا عبد الله الحمرانى يقول:لما دخل الأشعري بغداد جاء إلى البربهارى فجعل يقول:رددت على الجبائى و على أبى هاشم و نقضت عليهم و على اليهود و النصارى و المجوس و قلت و قالوا، و أكثر الكلام، فلما سكت، قال البربهارى:و ما أدرى ممّا قلت لا قليلاً و لا كثيراً، و لا نعرف إلّا ما قاله أبو عبد الله أحمد بن حنبل، فخرج من عنده و صنّف كتاب «الإبانه» فلم يقبله منه. (٢)

ص: ٤٨٤

١- ١). مجموعه الفتاوى: ٣٦٢/٦.

٢- ٢). ابن عساكر الدمشقى: تبين كذب المفتري: ٣٩١، قسم التعليقه.

بلغ علم الكلام ذروته فى الكمال، وظهر فى المنهج الأشعرى لفيف من الأعلام منهم:

١. القاضى أبو بكر الباقلانى (المتوفى ٤٠٣هـ) مؤلف كتاب «التمهيد» فى الرد على الملاحده، وهو كتاب كلامى يعرف منه آراؤه الكلاميه فى مختلف الأبواب.

٢. أبو منصور عبد القاهر البغدادى (المتوفى ٤٢٩هـ) مؤلف كتاب «الفرق بين الفرق» فى الملل و النحل و «أصول الدين» طبع غير مره.

٣. إمام الحرمين الجوينى (المتوفى ٤٧٨هـ) مؤلف كتاب «الإرشاد» فى أصول الدين، وقد طبع غير مره.

كما ظهر فى المنهج المعتزلى رواد فطاحل منهم:

١. قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى (المتوفى ٤١٥هـ) مؤلف كتاب «المغنى» فى عشرين جزءاً، وهو أبسط كتاب كلامى ألف فى هذا المضمار.

٢. أبو الحسين البصرى (المتوفى ٤٣٦هـ) مؤلف كتاب «شرح الأصول الخمسه» التى بنى الإسلام عليها.

كما برع فى المنهج الإمامى نوابغ الكلام، منهم:

١. شيخ الأئمة شيخنا المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ) يعرفه ابن النديم: أبو عبد الله، فى عصرنا انتهت رئاسه متكلمى الشيعة إليه، مقدم فى صناعه الكلام على مذهب أصحابه، دقيق الفطنه، ماضى الخاطره، شاهدته فرأيته بارعاً. (١) و له كتب كثيره فى علم الكلام مذكوره فى فهرس كتبه. (٢)

ص: ٤٨٥

١- ١). فهرست ابن النديم: ٢٦٦. [١]

٢- ٢). النجاشى، الرجال: ١٠٤/٢ برقم ٧٠٦.

٢. على بن الحسين الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦هـ) تلميذ الشيخ المفيد.

عرّفه تلميذه النجاشي بقوله: حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد في زمانه، وسمع من الحديث فأكثر، و كان متكلماً شاعراً أديباً، عظيم المنزلة في العلم و الدين و الدنيا، و من كتبه الكلاميه: «الشافى» فى نقض المغنى للقاضى عبد الجبار فى قسم الإمامه، و كتاب «تنزيه الأنبياء و الأئمه» و «الذخير» فى علم الكلام، و غيرها من الرسائل (١) و شرح جمل العلم و العمل.

٣. أبو الصلاح التقى بن الحلبي (٣٧٤-٤٤٧هـ) مؤلف «تقريب المعارف» فى الكلام، مطبوع.

٤. و أخيرهم لا آخرهم محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥-٤٦٠هـ).

يعرّفه زميله النجاشي بقوله: جليل من أصحابنا، ثقة، عين، من تلاميذ شيخنا أبي عبد الله.

و يعرّفه العلامة بقوله: شيخ الإماميه و رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة، عين، صدوق، عارف بالأخبار و الرجال و الفقه و الأصول و الكلام و الأدب، و جميع الفضائل تنتسب إليه، و له فى الكلام كتب كثيره منها: الجمل و العقود، تلخيص الشافى فى الإمامه، و مقدّمه فى المدخل إلى علم الكلام (٢)، و الاقتصاد، و الرسائل العشر.

ص: ٤٨٦

١-١). النجاشي: الرجال، برقم ٧٠٦.

٢-٢). النجاشي: الرجال، برقم ١٠٦٩، و الخلاصه: ١٤٨.

ما أن أطل القرن السادس إلّا و قد أقل نجم المعتزله، حيث وضع فىهم السيف، من قبل الخلفه العباسيه فلا نجد لهم أثراً و ذكراً إلّا أنّ الزمخشري مؤلّف الكشاف قد أورد آراءهم فى تفسيره، و كان غياب المعتزله عن المسرح الفكرى خساره جسيمه للمنهج العقلى، و قد بلغ التعصّب بمكان حتى أن أحرقت كتبهم، و قتل أعلامهم و شرّدوا، و الحديث ذو شجون. (١)

و أما المنهج الأشعرى فقد نبغ فيه أعلام فى الكلام، منهم:

١. حجّه الإسلام الغزالى (٤٥٠-٥٠٥هـ) و من كتبه «قواعد العقائد» فقد اقتفى أثر إمامه الأشعرى، و يلتقى معه فى كثير من الآراء و المباني، و قد أوضحنا حال الكتاب و المؤلف فى كتابنا «بحوث فى الملل و النحل». (٢)

٢. أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى (٤٣٧-٥٤٨هـ) مؤلّف كتاب «الملل و النحل» و «نهايه الإقدام» فى علم الكلام، إلى غير ذلك من الكتب.

كما و احتفل المنهج الإمامى فى القرن السادس فى حقل الكلام بمتكلمين بارعين، بلغوا القمه فى تحقيق الأصول الكلاميه، و قد عجنوا ما ورثوه عن مشايخهم و أسلافهم فى القرون السالفه، و ما جادت به قريحتهم العلميه، و نذكر المشاهير منهم:

١. قطب الدين المقرئ النيسابورى من مشايخ السيد ضياء الدين أبى الرضا فضل الله الراوندى (المتوفى حدود ٥٤٧) مؤلّف كتاب الحدود (المعجم الموضوعى للمصطلحات الكلاميه و غيره) و قد طبع.

٢. الفضل بن الحسن الطبرسى، مؤلّف مجمع البيان (المتوفى ٥٤٨هـ) و له فى تفسيره بحوث كلاميه مهمه.

ص: ٤٨٧

١- ١). لاحظ الجزء الثانى من كتابنا «بحوث فى الملل و النحل».

٢- ٢). بحوث فى الملل و النحل: ٣٢٥/٢ - ٣٣٩.

٣. الحسين بن علي بن محمد بن أحمد المعروف ب«أبي الفتوح الرازي» (المتوفى ٥٥٢هـ) و كتابه مشحون بالبحوث الكلاميه.

٤. محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (المتوفى ٥٥٨هـ) وقد ذكر فهرس كتبه المختلفه في معالم العلماء.

٥. قطب الدين سعيد بن هبه الله الراوندى (المتوفى ٥٧٣هـ) مؤلف كتاب تهافت الفلاسفه، و جواهر الكلام في شرح مقدمه الكلام.

٦. سديد الدين الشيخ محمود الحمصى المتوفى في أواخر القرن السادس، مؤلف «المنقذ من التقليد» مطبوع.

٧. أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسى صاحب «الاحتجاج» توفى في أواسط القرن السادس.

٨. مؤلفنا الجليل السيد حمزه بن علي بن زهره الحلبي (٥١١-٥٨٥هـ).

و من أشهر كتبه غنيه النزوع إلى علمى الأصول و الفروع.

يقع المؤلف في جزئين أحدهما في علم الكلام، و الآخر في علم الأصول، فكان مشتملاً على علوم ثلاثه، و الناظر في الكتاب يلمس أنّ المؤلف يتمتع بموهبه كبيره في التفكير الكلامى، و الأصولى، فله هناك آراء و أفكار و على صعيد آخر فقد استفاد من كتب «شرح جمل العلم و العمل» للسيد المرتضى و «تقريب المعارف» لأبى الصلاح الحلبي و «الاقتصاد» و «الرسائل العشر» لشيخ الطائفه الطوسى، و من كتب المعتزله «شرح الأصول الخمسه» للقاضى عبد الجبار، و أضاف إليها ما جادت به قريحته، و ذهنه الوقاد، فرحم الله مؤلفنا الجليل حيث استوعب البحث في العلوم الثلاثه، و أتى بكتاب بديع قلّ نظيره.

جعفر السبحانى

قم المقدسه

ص: ٤٨٨

التشريع أحد أركان الحضاره فلا تجد مجتمعاً حضارياً إلّا و عنده قوه التشريع و التقنين و هذا ممّا لا كلام فيه.

و إنّما الكلام فى الأصل الذى يعتمد عليه التشريع و يستمد منه. فهناك منهجان:

منهج يعتمد فى التحليل و التحريم على رأى الأكثرية فما صوبته الأكثرية يُصبح قانوناً محترماً لدى الكل و ما لم تصوّبه الأكثرية يكون مرفوضاً.

و منهج يعتمد فى التشريع على الواقعيات و المصالح و المفاسد فما كان واقعياً و صالحاً للبشرية فهو القانون السائد، و ما لم يكن كذلك لا يعتبر أبداً.

و الإسلام فى تشريعه يتبع المنهج الثانى، لأنّ التشريع بيد الله سبحانه و تعالى وحده، فلا حاجة إذّاً إلى رعايه التصويت و التصويب، و تتجلى واقعيه التشريع الإسلامى فى ملامحه و معالمه.

فالتشريع الإسلامى يتميز بملامح بينما هى ملامح ثبوتيه ترجع إلى ماده التشريع و روحه، و بينما هى ملامح إثباتيه ترجع إلى دلاله التشريع.

فما يرجع إلى القسم الأول يتلخص في أمور ستة:

١. الفطره الإنسانيه هي المقياس في التقنين.

٢. التشريع حسب المصالح و المفاسد الواقعيه.

٣. النظر إلى الماده و الروح على حدّ سواء.

٤. النظر إلى الحقائق دون الظواهر.

٥. المرونه في التشريع.

٦. العدالة في التقنين.

فلنأخذ كلّ منها بالبحث واحداً تلو الآخر ثم نرجع إلى بيان ملامح التشريع الإسلامي في مقام الدلاله و الإثبات.

أمّا الملامح الثبوتيه فهي عبارته:

١. الفطره هي المقياس

إنّ للإنسان مع قطع النظر عن الظروف الموضوعيه المحيطه به شخصيه تكوينيه ثابتة لا- تنفك عنه عبر الزمان، فالغرائز السُّفليه و العلويه هي التي تكوّن شخصيته و لا تنفك عنه ما دام الإنسان إنساناً، فجعل الإسلام الفطره معياراً للتشريع، فكلّ عمل يتجاوب و ينساق مع الفطره فقد أحلّه، و ما هو على موضع الضدّ منها فقد حرّمه.

فقد ندب إلى الروابط العائليه و تنسيق الروابط الاجتماعيه، كرابطه الولد بالديه، و الأخ بأخيه، و الإنسان المؤمن بمثله، كما قد حدّر عمّا ينافي خلقه و إدراكه العقلي، كتحريره الخمر و الميسر و السفاح، لما فيها من إفساد للعقل الفطري و النسل و الحرث.

فالأحكام الثابته في التشريع القرآني تشريع وفق الفطره.

نعم ثمة ميزه أخرى للتشريع القرآني، وهو أنه مبني على المصالح و المفاسد الواقعيه. فلا واجب إلّا لمصلحه في فعله، و لا حرام إلّا لمصلحه في تركه، قال سبحانه: «إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ». (١) و قال سبحانه: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ». (٢)

و على هذا الأساس فقد عقد فقهاء الشيعة باباً خاصاً باسم تراحم الأحكام في ملاكاتها حيث يقدّم الأهم على المهم، و يتوصل في تمييزهما بالقرائن المفيدة للاطمئنان.

٣. النظر إلى المادة و الروح على حد سواء

آلف القرآن بتعاليمه القيمه بينهما مؤلفه تفي بحقّ كلّ منهما حيث يفسح للإنسان أن يأخذ قسطه من كلّ منهما بقدر ما يصلحه. لقد غالت المسيحيه (الغابره) بالاهتمام بالجانب الروحي من الإنسان حتى كادت أن تجعل كلّ مظهر من مظاهر الحياه الماديّه خطيئه كبرى، فدعت إلى الرهبانيه و التعزب، و ترك ملاذّ الحياه، و الانعزال عن المجتمع، و العيش في الأديره و قلال الجبال و التسامح مع المعتدين.

كما غالت اليهوديه في الانكباب على المادة حتى نسيت كلّ قيمه روحيه، و جعلت الحصول على المادة بأيّ وسيله كانت، المقصد الأسنى، و دعت إلى القوميه الغاشمه.

ص: ٤٩١

١-١. المائده: ٩١. [١]

٢-٢. العنكبوت: ٤٥. [٢]

لكن الإسلام أخذ ينظر إلى واقع الإنسان بما هو كائن ذو بعدين، فبالبعد المادى لا يستغنى عن الماده، و بالبعد الروحى لا يستغنى عن الحياه الروحيه، فأولاهما عنايته، فدعا إلى الماده و الالتذاذ بها بشكل لا يُؤثرها على حياته الروحيه، كما دعا إلى الحياه الروحيه بشكل لا- يصادم فطرته و طبيعته؛ و هكذا فقد قرن بين عباده الله و طلب الرزق و ترفيه النفس، فندب إلى القيام بالليل و إقامه النوافل، و فى الوقت نفسه ندب إلى طلب المعاش و توخى اللذّه، قال سبحانه:

«وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا» (١) و قال أيضاً: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ». (٢)

و قال على أمير المؤمنين عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات: فساعه يناجى فيها ربه، وساعه يرُمُّ معاشه، وساعه يُخْلِى بين نفسه و بين لذّتها». (٣)

٤. النظر إلى المعانى لا الظواهر

إنّ التشريع القرآنى ينظر إلى الحقائق لا إلى القشور، فلا تجد فى الإسلام مظهراً خاصاً من مظاهر الحياه يكون له من القداسه ما يمنع من تغييره و يوجب حفظه إلى الأبد بشكله الخاص، فليس هناك تناقض بين تعاليمه و التقدّم العلمى.

فلو كان التشريع الإسلامى مصرّاً على صورته خاصه من متطلبات الحياه لما انسجم مع الحياه، فمثلاً ينهى الإسلام عن أكل الأموال بالباطل، و على هذا فرع الفقهاء حرّمه بيع الدم لعدم وجود منفعه محلّله له فى تلك الأعصار الغابره بيد أنّ

ص: ٤٩٢

١-١. الفرقان: ٦٤. [١]

٢-٢. الأعراف: ٣٢. [٢]

٣-٣. نهج البلاغه: باب الحكم، الحكمه ٣٩٠، طبعه صبحى [٣] الصالح.

تقدّم العلوم و الحضاره أتاح للبشر أن يستخدم الدم فى منافع محلّله لم يكن لها نظير من قبل، فعادت المعامله بالدم فى هذه الأعصار معامله صحيحه لا بأس بها، وليس هذا من قبيل نسخ الحكم، بل من باب تبدّل الحكم بتبدّل موضوعه كإنقلاب الخمر خلاً.

فالإسلام حرّم أكل المال بالباطل، فما دام بيع الدم مصداقاً لتلك الآيه كان محكوماً بالحرمة، فلما أُتيح للبشر أن يستفيد منه فى علاج المرضى خرج عن كونه مصداقاً للآيه، وهذا هو الذى عبّرنا عنه فى عنوان البحث بأنّ الإسلام ينظر إلى المعانى لا إلى القشور.

٥. المرونه فى التشريع

إنّ من ملامح التشريع القرآنى مرونته وقابليته للانطباق على جميع الحضارات الإنسانيه، وما ذلك إلاّ لأنّه جاء بتشريعات خاصه لها دور التحديد و الرقابه على سائر تشريعاته، وهذا التشريع أعطى للدين مرونة و منعطفاً جديداً قال سبحانه: «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» . (١) وقال: «مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» . (٢)

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا ضرر و لا ضرار» . (٣)

فحدّد كلّ تشريع بعدم استلزامه الضرر و الضرار، فأوجب التيمم مكان الوضوء إذا كان استعمال الماء مضرّاً، كما أوجب الإفطار على المريض و المسافر

ص: ٤٩٣

١-١) . الحج: ٧٨. [١]

٢-٢) . المائده: ٦. [٢]

٣-٣) . الوسائل: ٣٦٤/١٢ ح ٣ و ٤، الباب ١٧ من أبواب الخيار.

لغايه اليسر، قال سبحانه: «وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ». (١) إلى غير ذلك من الآيات و الروايات التي لها دور التحديد و الرقابه.

و جاء فى الحديث عن الصادق بالحقّ أنّه قال: «بعثت بالحنيفيه السمحه». (٢)

و قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ هذا الدين لمتين، فأوغلوا فيه برفق، لا تكرهوا عباده الله لعباد الله». (٣)

٦. العدالة فى التقنين

و من ملامح التشريع القرآنى، العدالة حيث تراها متجليه فى كافه تشريعاته، خاصه فيما يرجع إلى القانون و الحقوق، قال سبحانه:

«وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ». (٤)

و قال تعالى: «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ». ٥

و قال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ». (٥)

و قال سبحانه: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». (٦)

و قال سبحانه: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ». (٧)

ص: ٤٩٤

١-١. البقره: ١٨٥. [١]

٢-٢. أحمد بن حنبل: المسند: ٢٦٤/٥.

٣-٣. الكافى: ٧٠/٢ ح ١. [٢]

٤-٤. البقره: ١٩٠. [٣]

٥-٥. الشورى: ٤٠. [٤]

٦-٦. الأنعام: ١٦٤. [٥]

٧-٨. البقره: ٢٢٨. [٦]

إلى غير ذلك من الآيات التي تدلّ على أنّ هيكل التشريع الإسلامي بُنى على أساس العدل و القسط.

هذه الملامح ترجع إلى سمات القانون الإسلامي ثبوتاً.

ملامح التشريع الإسلامي في مقام الإثبات

إشاره

أمّا سماته في عالم الإثبات و الدلاله فهي عباره عن الأمور التاليه:

أ.شموليته لعامه الطبقات.

ب.سعه آفاق دلاله القرآن و الحديث.

ج.التدرّج في التشريع.

أ.شموليه التشريع

أخذ القرآن الإنسان محوراً لتشريعه، مجرداً عن النزعات القوميه و الوطنيه و الطائفيه و اللونيه و اللسانيه، فنظر إلى الموضوع بنظره شموليه و قال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» . (١)

التشريع القرآني تشريع من جانب رب العالمين إلى نوع البشر، فالوطن و القوم و القبيله لم تؤخذ بنظر الاعتبار، و الكرامه للإنسان وحده، و لا فضل لإنسان على آخر إلّا بالمُثل و الأخلاق.

فترى أنّه يخاطب المجتمع الإنساني بقوله: «يا أَيُّهَا النَّاسُ» أو «يا بَنِي آدَمَ» أو «يا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ» و ما ضاهاها، فكسر جميع الحواجز و القيود التي

ص: ٤٩٥

يعتمد عليها المفكر المادى فى التقنين الوضعى، و الذى يقتفى إثر اليهود فى مزعمه الشعب المختار.

إنَّ النبىَّ صلى الله عليه و آله و سلم هو القائل: إنَّ العربيه ليست بأبِّ والد، و لكنها لسان ناطق فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه (١)، و فى الوقت نفسه لا يعنى بكلامه هذا أنَّ العلائق الطبيعیه، كالانتماء الوطنى أو القومى بغضه لا قيمه لها، و إنما يندد باتخاذها محاور للتقنين، و سبباً للكرامه و المفخره، أو سيلاً- لتحقير الآخرين، و إثارها على الدين و العقيدته، يقول سبحانه: «لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَ أَيْدِيَهُمْ بَرُوحٌ مِنْهُ وَ يُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». (٢)

و العجب أنه قد صدر هذا من لدن إنسان أمى نشأ فى بيئه تسودها خصلتان على جانب الضد من هذا النمط من التشريع، و هما: الأُميه و التعصّب.

و هذا الإنسان المثالى صان بأنظمته كرامه الإنسان، و رفعه إلى الغايه القصوى من الكمال، و أخذ يخاطب ضميره الدفين، و مشاعره النبيله، و يكلفه بما فيه صلاحه، و يقول:

«هذا بيانٌ للناسِ». (٣)

«هذا بلاغٌ للناسِ». (٤)

«بصائرٌ للناسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ». (٥)

ص: ٤٩٤

١- ١). الكافى: ٢٤٦/٨، برقم ٣٤٢. [١]

٢- ٢). المجادلته: ٢٢. [٢]

٣- ٣). آل عمران: ١٣٨. [٣]

٤- ٤). إبراهيم: ٥٢. [٤]

٥- ٥). القصص: ٤٣. [٥]

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ». (١)

و إذا قورن هذا النوع من التشريع الذى ينظر إلى الإنسان بنظره شموليه و برأفه و رحمه، دون فرق بين عنصر و آخر، بالتقنين الوضعى السائد فى أعصارنا فى الشرق و الغرب، الناظر إلى الإنسان من منظار القوميه أو الطائفيه و غيرهما من النزعات المقيته، لبان أنّ التشريع الأوّل تشريع سماوى لا صلّه له بتلك النزعات، و الآخر تشريع بشرى متأثر بنظرات ضيقه تجود للإنسان و تبخل لآخر، و كفى فى ذلك فرقاً بين التشريعين.

ب. سعه آفاق دلاله القرآن و الحديث

إنّ من تمعّن فى القرآن الكريم و تدبّر فى معانيه و مفاهيمه، و وقف على سعه آفاق دلالته على مقاصده، غير أنّ ثلّه من الفقهاء مرّوا على القرآن مروراً عابراً مع أنّه سبحانه يعرّف القرآن بقوله: «و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ». (٢)

و على ضوء ذلك لا غنى للفقهاء عن دراسه آيات الأحكام دراسه معمّقه ثاقبه، ليجد فيها الجواب على أكثر المسائل المطروحه، و لا ينظر إليها بنظره عابره.

و قد استدل أئمه أهل البيت عليهم السلام بالقرآن على كثير من الأحكام التى غفل عنها فقهاء عصرهم، و نذكر هنا نموذجاً على ذلك:

قُدّم إلى المتوكل رجل نصرانى فجر بامرأه مسلمه، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الإيمان يمحو ما قبله، و قال بعضهم: يضرب ثلاثه حدود. فكتب المتوكل إلى الإمام الهادى عليه السلام يسأله، فلما قرأ الكتاب، كتب: «يضرب حتى يموت». فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلّه،

ص: ٤٩٧

[١-١]. يونس: ٥٧. [١]

[٢-٢]. النحل: ٨٩. [٢]

فكتب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: «فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» ١. فأمر به المتوكل، فضرب حتى مات. (١)

تجد ان الإمام الهادي عليه السلام استنبط حكم الموضوع من آيه مباركه، لا يذكرها الفقهاء في عداد آيات الأحكام، غير ان الإمام لوقوفه على سعه دلالة القرآن، استنبط حكم الموضوع من تلك الآيه، و كم لها من نظير. و لو ان القارئ الكريم جمع الروايات التي استشهد بها أئمه أهل البيت على مقاصدهم استشهاداً تعليمياً لا تعبيرياً لوقف على سعه آفاق القرآن.

و ها نحن نذكر مثالين على سعه آفاق دلالتة:

١. إن الأصوليين تحمّلوا عبئاً ثقيلاً لإثبات كون الأمر موضوعاً للوجوب و مجازاً في النذب، فإذا ورد الأمر في الكتاب احتجوا في استفادة الوجوب منه إلى نفي المدلول المجازي، بإجراء أصله الحقيقي.

و لكن هذا النمط جار في المحاورات العرفيه، و القرآن في غنى عنها في أغلب الموارد أو أجمعها، فإن لاستفاده الوجوب أو النذب في الأوامر الوارده في القرآن طريقاً آخر، و هو الإيعاز بالعذاب أو النار كما نجده في كثير من الواجبات مثل الصلاه و الزكاه و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، قال سبحانه: «ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ». (٢) و قال سبحانه: «و سَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى» (٣) بل كل ما أوعد على فعله أو تركه يستفاد منه الوجوب أو الحرمة.

ص: ٤٩٨

١-٢. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٠٣-٤٠٥. [١]

٢-٣. المدثر: ٤٢-٤٣. [٢]

٣-٤. الليل: ١٧-١٨. [٣]

٢. اختلف الفقهاء فى وجوب الكتابه فى التداين بدين و الاستشهاد بشاهدين الواردين فى قوله سبحانه: «وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ... وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ». (١)

فمن قائل بالوجوب أخذاً بأصالة الحقيقة، و قائل باستجاباه مستنداً بالإجماع، و معتزلاً عن الأصل المذكور بكثرة استعمال صيغه الأمر فى الندب، مع أنّ الرجوع إلى نفس الآية و ما ورد حولها من الحكمه يعطى بوضوح أنّ الأمرين لا للوجوب و لا للندب، بل الأمران إرشاديان لئلا يقع الاختلاف بين المتدائنين فيسد باب النزاع و الجدل. قال سبحانه: «ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَزْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ». (٢)

و يدلّ على سعه دلالته أيضاً ما رواه المعلّى بن خنيس، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا و له أصل فى كتاب الله عزّ و جلّ، و لكن لا تبلغه عقول الرجال». (٣)

و قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم، أخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى، و علم ما يأتى إلى يوم القيامة، و حكم ما بينكم، و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم». (٤)

و قال الصادق عليه السلام: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم، و فصل ما بينكم، و نحن نعلمه». (٥)

و السابر فى روايات أئمّه أهل البيت عليهم السلام يقف على أنّهم كانوا يستنبطون من الآيات نكاتاً بديعه و معانى رفيعه عن مستوى الأفهام.

و ربّما يتصوّر الساذج أنّ هذا النوع من التفسير تفسير بالرأى و فرض على الآيه، و لكن بعد الإمعان فى الروايه و الوقوف على كيفية استدلالهم عليهم السلام يدعن بأنّ لها

ص: ٤٩٩

١-١. البقره: ٢٨٢. [١]

٢-٢. البقره: ٢٨٢. [٢]

٣-٣. الكافى: ١/٦٠-٦١، باب الرد إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٦٧ و [٣] ٩.

٤-٤. الكافى: ١/٦٠-٦١، باب الرد إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٦٧ و [٤] ٩.

٥-٥. الكافى: ١/٦٠-٦١، باب الرد إلى الكتاب و السنّه، الحديث ٦٧ و [٥] ٩.

دلالة خفيته على ذلك المعنى الرفيع الشامخ وقد غفل عنه.

مثال ذلك ما رواه العياشى فى تفسيره، عن زرقان صاحب ابن أبى دؤاد: أنّ سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة و سأل الخليفة تطهيره بإقامه الحد عليه، فجمع لذلك الفقهاء فى مجلسه و قد أحضر محمد بن على عليهما السلام فسألنا عن القطع فى أىّ موضع يجب أن يقطع، فقال الفقهاء: من الكرسوع، لقول الله فى التيمم: «فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ». (١)

فالتفت الخليفة إلى محمد بن على فقال: ما تقول فى هذا يا أبا جعفر؟ فأجاب: «إنهم أخطئوا فيه السنّه، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، و يترك الكف» قال: لمّ؟

قال: «لقول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، و اليدين، و الركبتين، و الرجلين؛ فإذا قطعت يده من الكرسوع لم يبق له يد يسجد عليها، و قال الله تبارك و تعالى: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ» يعنى به الأعضاء السبعة التى يسجد عليها: «فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» و ما كان لله لم يقطع».

فأعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف. (٢)

و روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان إذا قطع السارق ترك الإبهام و الراحة، فقليل له: يا أمير المؤمنين تركت عليه يده؟ قال:

فقال لهم: «فإن تاب فبأى شىء يتوضأ؟ لأنّ الله يقول: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» - إلى قوله: - «فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ٣. (٣)

ص: ٥٠٠

١-١. النساء: ٤٣. [١]

٢-٢. الوسائل: ١٨، الباب ٤ من أبواب حدّ السرقة، الحديث ٥٦٥. [٢]

٣-٤. الوسائل: ١٨، الباب ٤ من أبواب حدّ السرقة، الحديث ٥٦٥. [٣]

فهذا النمط من الاستدلال يوقف القارئ على سعة دلالة الآيات القرآنية، وإن أئمه أهل البيت عليهم السلام هم السابقون في هذا المضمار، يستنبطون من القرآن ما لا تصل إليه الأفهام.

و أما عدد آيات الأحكام فقد ذكر الفاضل المقداد في تفسيره «كنز العرفان» ما هذا نصه:

اشتهر بين القوم أن الآيات المبحوث عنها نحو خمسمائه آية، وذلك إنما هو بالمتكرر و المتداخل، وإلا فهي لا تبلغ ذلك، فلا يظن من يقف على كتابنا هذا و يضبط عدد ما فيه، أننا تركنا شيئاً من الآيات فيسوء الظن به و لم يعلم أن المعيار عند ذوى البصائر و الأبصار، إنما هو التحقيق و الاعتبار لا الكثرة و الاشتهار. (١)

و يظهر من البعض أن عدد آيات الأحكام ربما تبلغ ٣٣٠ آية، قال عبد الوهاب خلاف:

ففى العبادات بأنواعها نحو ١٤٠ آية.

و فى الأحوال الشخصيه من زواج و طلاق و إرث و وصيه و حجر و غيرها نحو سبعين آية.

و فى المجموعه المدنيه من بيع و إجاره و رهن و شركه و تجاره و مداينه و غيرها نحو سبعين آية.

و فى المجموعه الجنائيه من عقوبات و تحقيق جنایات نحو ثلاثين آية.

و فى القضاء و الشهاده و ما يتعلق بها نحو عشرين آية. (٢)

ص: ٥٠١

١-١. جمال الدين المقداد السيورى: كنز العرفان فى فقه القرآن: ٥/١.

٢-٢. عبد الوهاب خلاف: خلاصه تاريخ التشريع الإسلامى: ٢٨-٢٩.

و لكن بالنظر إلى ما ذكرنا من سعه آفاق دلالاته يتبين أنّ عددها ربّما يتجاوز عن الخمسمائة، إذ ربّ آيه لا تمت إلى الأحكام بصله، و لكن بالدقه و الإمعان يمكن أن يستنبط منها حكم شرعى.

فمثلاً- سورة المسد، أعنى قوله سبحانه: «تَبَّتْ رِيبَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّتْ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ...» ١، بظواهرها ليست من آيات الأحكام، و لكن للفقهاء أن يستند إليها فى استنباط بعض الأحكام الشرعية، و قد حكى عن بعض الفقهاء أنه استنبط من سورة «المسد» قرابه عشرين حكماً فقهياً، كما استنبطوا من قوله سبحانه: «قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُكْحِكَ إِحْدَى ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرْنِي ثَمَانِي حِجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ...» ٢ أحكاماً شرعية.

و هذا بالنسبة إلى ما ذكرناه من سعه آفاق دلالة القرآن ليس بغريب.

ج. التدرج فى التشريع

نزل القرآن تدريجياً قرابه ثلاث و عشرين سنة لأسباب و دواع مختلفة اقتضت ذلك، و أشار إليها الذكر الحكيم فى غير واحد من الآيات:

قال سبحانه: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» ٣ أى فرقنا نزوله كى تقرأه على الناس على مهل و تريث.

كما أشار فى آيه أخرى إلى داع آخر، قال سبحانه: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا» (١) فتشيت فؤاد النبى صلى الله عليه و آله و سلم أحد الأسباب التى دعت إلى نزول القرآن بين الحين و الآخر و فى

ص: ٥٠٢

غضون السنين، شاحداً عزمه صلى الله عليه وآله وسلم للمضى في طريق الدعوه بلا مبالاه لما يتهمونه به.

والآيه تعرب عن أنّ الكتب السماويه الأخرى كالتوراه والإنجيل والزبور نزلت جمله واحده، فرغب الكفار في أن ينزل القرآن مثلها دفعه واحده.

ولست الدواعى للنزول التدريجى منحصره فيما سبق، بل أنّ هناك أسباباً ودواعى أخر دعت إلى نزوله نجومًا، وهى مسيره الكتاب للحوادث التى تستدعى لنفسها حكماً شرعياً، فإنّ المسلمين كانوا يواجهون الأحداث المستجدّه فى حياتهم الفرديه والاجتماعيه ولم يكن لهم محيص من طرحها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بغيه الظفر بأجوبتها، وقد تكرر فى الذكر الحكيم قوله سبحانه: «يَسْتَأْذِنُكَ» قرابه خمس عشره مرّه و تصدى النبى صلى الله عليه وآله وسلم للإجابه عنها، وتختلف تلك المواضيع بين الاستفسار عن حكم شرعى، كحكم القتال فى الشهر الحرام، والخمر، والميسر، والتصرف فى أموال اليتامى، والأهل، والمحيض، والأنفال، وغير ذلك؛ أو الاستفسار عن أمور كونه كالأرواح والجبال والساعه.

وهناك شىء آخر ربما يؤكد لزوم كون التشريع أمراً تدريجياً، وهو أنّ موقف النبى صلى الله عليه وآله وسلم تجاه أمته كموقف الطبيب من مريضه، فكما أنّ الطبيب يعالج المريض شيئاً فشيئاً حسب استعداده، فكذلك الطبيب الروحى يمارس نشاطه التربوى طبقاً لقابليات الأمه الكامنه بغيه الاستجابه، لئلا تُبْطِ عَزَائِمُهُمْ وَيُطْفَأَ نَشَاظُهُمْ وَيُثْقَلَ كَاهِلُهُمْ.

ومع ذلك فإن كانت الظروف مهينه لنزول تشريع أكثر تفصيلاً وأوسع تعقيداً وافاهم الوحى به، كما فى قوله سبحانه: «قُلْ تَعَالَوْا أَنُتْلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ لَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» . (١)

وقال سبحانه: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا - بِمَا تَنبَغُ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَ لَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَ بَعَثَ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» . (٢)

حيث تجد أن الآيتين تتكفلان تشريع عشرة أحكام تُعدُّ من جوامع الكلم، وقد روى أمين الإسلام الطبرسي، قال: روى على بن إبراهيم، قال: خرج أسعد بن زرارة و ذكوان إلى مكة في عمره رجب يسألون الحلف على الأوس، و كان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبه بن ربيعة، فنزل عليه، فقال له: إنه كان بيننا و بين قومنا حرب و قد جئناكم نطلب الحلف عليهم، فقال عتبه: بعِدت دارنا عن داركم و لنا شغل لا - نتفرغ لشيء، قال: و ما شغلكم و أنتم في حرمكم و أمنكم؟! قال له عتبه: خرج فينا رجل يدعى أنه رسول الله، سفّه أحلامنا، و سب آلهتنا، و أفسد شبابنا، و فرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً، و أعظمنا بيتاً؛ و كان أسعد و ذكوان و جميع الأوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم أبناء «النضير» و «قريظه» و «قين قاع» أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة لقتلتكم به يا معشر العرب، فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود، قال: فأين هو؟ قال:

جالس في الحجر، و أنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه و لا تكلمه، فإنه ساحر يسحر بكلامه، و كان هذا في وقت محاصره بنى هاشم في الشعب، فقال له أسعد: فكيف أصنع و أنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت؟ فقال: ضع في أذنيك القطن، فدخل أسعد المسجد و قد حشا أذنيه من القطن، فطاف بالبيت

ص: ٥٠٤

١-١. الأنعام: ١٥١. [١]

٢-٢. الأنعام: ١٥٢. [٢]

و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جالس فى الحجر مع قوم من بنى هاشم، فنظر إليه نظره، فجازه.

فلَمَّا كان فى الشوط الثانى قال فى نفسه: ما أجد أجهل منى أ يكون مثل هذا الحديث بمكه فلا أعرفه حتى أرجع إلى قومى فأخبرهم، ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به، و قال لرسول الله: أنعم صباحاً، فرفع رسول الله رأسه إليه و قال: «قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحيه أهل الجنة: السِّلام عليكم» فقال له أسعد: إنَّ عهدك بهذا لقرىب إلام تدعو يا محمد؟ قال: «إلى شهاده أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله، و أدعوكم:

«أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزُقُكُمْ وَ إِيَّاهُمْ وَ لَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ لَا- تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا- بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصِيَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْرَها وَ إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَ لَوْ كانَ ذَا قُرْبى وَ بَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصِيَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ». (١)

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أنك رسول الله. يا رسول الله بأبى أنت و أمى أنا من أهل يثرب من الخزرج، و بيننا و بين إخواننا من الأوس حبال مقطوعه، فإن وصلها الله بك فلا أجد أعز منك، و معى رجل من قومى فإن دخل فى هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك، و الله يا رسول الله لقد كُنَّا نسمع من اليهود خبرك، و كانوا يبشروننا بمخرجك، و يخبروننا بصفتك، و أرجو أن تكون دارنا دار هجرتك، و عندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذى ساقنى إليك، و الله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا،

ص: ٥٠٥

و قد أتانا الله بأفضل مما أتيت له. (١)

و مع ذلك كله فالترّج هو المحيّم على التشريع، خاصة فيما إذا كان الحكم الشرعى مخالفاً للحاله السائده فى المجتمع، كما فى شرب الخمر الذى ولع به المجتمع الجاهلى آنذاك، فمعالجه هذه الرذيله المتجذّره فى المجتمع رهن طى خطوات تهئى الأرضيه اللازمه لقبولها فى المجتمع.

و قد سلك القرآن فى سبيل قلع جذور تلك الرذائل مسلك التدرّج.

فتاره جعل السكر مقابلاً للرزق الحسن، و قال: «و مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً». ٢

فاعتبر اتّخاذ الخمر من التمور و الأعناب- فى مجتمع كان تعاطى الخمر فيه جزءاً أساسياً من حياته- مخالفاً للرزق الحسن، و بذلك أيقظ العقول.

و هذه الآيه مهّدت و هيّئت العقول و الطبائع المنحرفه لخطوه أخرى فى سيرها نحو تحريم الخمر، فتلتها الآيه الثانيه معلنه بأنّ فى الخمر و الميسر اثمًا و نفعًا، و لكن إثمهما أكبر من نفعهما، قال سبحانه: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا». (٢)

إنّ هذا البيان و إن كان كافياً إلّا أنّ جماهير الناس لا يقلعون عن عادتهم المتجذّره ما لم يرد نهى صريح حتى وافتهم الآيه الثالثه، قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» ٤ فالآيه الكريمه جاءت بالنهى الصريح عن شرب الخمر فى وقت محدّد، أى عند إرادته الصلاه بغيه الوقوف على ما يتلون من القرآن و الأذكار.

ص: ٥٠٦

١- ١. الطبرسى: إعلام الورى: ٥٥-٥٧. [١]

٢- ٣. البقره: ٢١٩. [٢]

فهذه الخطوات الثلاث هيئت أرضيه صالحه للتحريم القاطع الذى بينه سبحانه فى قوله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ». ١

و أدل دليل على أنّ التشريع القرآنى كان يتمتع بالتدرّج، تتابع الأسئلة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى فترات مختلفه بغيه إجابته الوحي عنها، قال سبحانه:

١. «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ». (١)

٢. «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ». ٣

٣. «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ». ٤

٤. «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ». ٥

٥. «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ». ٦

٦. «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ». ٧

٧. «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ». ٨

٨. «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ». ٩

و قد جاء فى بعض الآيات لفظ الاستفتاء بدل السؤال: قال سبحانه:

٩. «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ». ١٠

ص: ٥٠٧

١٠. «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ». ١

و مما يدل أيضاً على أنّ التشريع القرآني أخذ لنفسه صورته التدرّج هو أنّ الآيات المتضمّنه للأحكام الشرعيه منبثه في سور شتى غير مجتمعه في محل واحد، وهذا يوضح أنّ التشريع لم يكن على غرار التشريع في التوراه الذي نزل دفعه واحده يقول سبحانه: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِوْءِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا أُخُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ». ٢

و قال: «وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَ فِي نُسخِهَا هُدًى وَ رَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِربِّهِمْ يَرْهَبُونَ». (١)

هذا بعض الكلام في ملامح التشريع الإسلامي ثبوتاً و إثباتاً قدمتها للمؤتمر العالمي الحادي عشر (ربيع الأول ١٤١٩ هـ) للوحده الإسلاميه، عسى أن يوفق أصحابنا لجمع شمل المسلمين و تقريب خطاهم.

جعفر السبحاني

قم-الجامعه الإسلاميه

ص: ٥٠٨

احتلت المرأه مكانه مرموقه فى الإسلام و استأثرت باهتمام خاص فى الذكر الحكيم، و حيث إن الموضوع مترامى الأطراف، فلنسلط البحث فى هذا المقام على الموضوعات التاليه:

الأول: النظر إلى طبيعتها و تكوينها و نفسيتها.

الثانى: النظر إلى حقوقها.

الثالث: الواجبات التى تقع على عاتقها.

كل ذلك على ضوء القرآن الكريم.

هذه هى العناوين الرئيسيه فى بحثنا هذا و ربما تطرح فى ثنايا الكلام أمور أخرى لمناسبه تقتضيها.

الأول: النظر إلى طبيعتها و تكوينها و نفسيتها

بزغ نور الإسلام فى عصر لم يكن لجنس الأنثى يومذاك أى قيمه تذكر فى الجزيره العربيه و لا فى سائر الحضارات السائده آنذاك، و كانت البحوث الفلسفيه

ص: ٥٠٩

١- (١). ألقى المقال فى جامعه «جرش» الاردن الهاشمى شهر محرم الحرام عام ١٤١٩ هـ، عند رحله المحاضر إليها فى ذلك العام.

عند الروم و اليونان تدور على أنّ الأُنثى من جنس الحيوان أو من جنس برزخى يتوسط بين الحيوان و الإنسان، و كان الرجل يتشام إذا أنجبت امرأته أنثى و يظلل وجهه مسوداً متوارياً عن أنظار قومه و كأنها وصمه عار على جبينه قال سبحانه: «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» ١.

فلم يكن للرجل بد إلا وأد بناته و قتلهنّ إثر الجهل بكرامه المرأة و فضيلتها ظناً منه أنه يحسن صنعاً، و هذا هو القرآن الكريم يندد بذلك العمل و يشجبه و يقول: «وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» ٢.

و فى خضمّ تلك الأفكار الطائشه نجد القرآن الكريم يصف المرأة بأنّها أحد شطرى البنيه الإنسانيه و يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ» ٣ فالأنثى مثل الذكر يشكلان أساس المجتمع دون فرق بينهما.

و من جانب آخر يرى للأنثى خلقه مستقلة مماثله لخلقه الذكر دون أن تُشتقّ الأنثى من الذكر، على خلاف ما عليه سفر التكوين فى التوراه من أنّ الأنثى خلقت من ضلع من أضلاع آدم، يقول سبحانه شاطباً على تلك الفكره التى تسربت إلى الكتاب الإلهى (التوراه): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً» ٤.

فالنفس الواحده، هى آدم و زوجها حواء و إليهما ينتهى نسل المجتمع

الإنساني، ومعنى قوله: «خَلَقَ مِنْهَا» أى خلق من جنسها، مثل قولك: الخاتم من فضة أى من جنس الفضة فالزوجان متماثلان و لو لا التماثل لما استقامت الحياه الإنسانيه.

و يستتج من هذه الآيات أنّ كلاً من الذكر و الأنثى إنسان كامل و ليس هناك أى نقص فى إنسانيه الأنثى و على ضوء ذلك فالتفريق بينهما من تلك الناحيه لا يبتنى على أساس صحيح.

لقد شملت العنايه الإلهيه الإنسان لما جعلته أفضل الخلائق، و سخرت له الشمس و القمر و لا تختص هذه الكرامه بالذكر فحسب بل شملت أولاد آدم قاطبه قائلاً: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَ حَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً» ١.

و لأجل هذه الكرامه العامه جعل الذكر و الأنثى فى كفه واحده فمن آمن منهما و عمل صالحاً فهما سيان أمام الله تبارك و تعالى يجزيهما على حدّ سواء قال سبحانه: «مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» ٢.

و ممّا يعرب عن موقف القرآن الكريم فى خلقه المرأه: هو أنّه جعل حرمة نفس الأنثى كحرمة نفس الذكر و إن قتل واحد منهما يعادل قتل جميع الناس قال سبحانه: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً» ٣.

فقتل المرأه كقتل الرجل عند الله سواء فمن قتل واحداً منهما فكأنما قتل

الناس جميعاً، أفتصور تكريم فوق ذلك.

و مما يعرب عن انّ نظر الإسلام إلى الشطرين نظره واحده هو أنّه يتخذ النفس موضوعاً لبعض أحكامه في مجال القصاص دون أن يركز على الذكر، قال سبحانه: «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْمَأْنَفَ بِالْمَأْنَفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ» ١ حتى أنّه سبحانه يصف من لم يحكم على وفق الآيه بأنه ظالم و يقول: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» .

إنّ الرسول يجعل دماء المسلمين في ميزان واحد و يصف ذمه الجميع بأنّها ذمه واحده و يقول: «المسلمون تتكافأ دماؤهم و يسعى بذمتهم أدناهم، و هم يد على من سواهم» (١) فالمرأه و الرجل يتشاركان في لزوم احترام ايجار كلّ واحد منهما فرداً من المشركين.

نعم مشاركه المرأه و الرجل في القصاص لا يلازم مشاركتها في الديه، لأنّ المعيار في القصاص غير المعيار في الديه، فكلّ من جنى على إنسان يُقتص منه باعتبار انّ الجانى أعدم إنساناً فيعادل بإعدامه.

و أمّا الديه فالمعيار في تعيينها هو تحديد الخساره و الضرر المادى التى مُتيت بها الأسره، و لا شكّ انّ خساره الأسره بفقد معيها الرجل هي أكبر من خسارتها بفقد الأنتى، فلذلك صارت ديه المرأه نصف ديه الرجل على الرغم من أنّ المصيبه على حد سواء، و هذا لا يعنى اختلافهما في الإنسانيه.

إلى هنا تبين واقع خلقه كلّ من الرجل و المرأه و أنّهما متماثلان لا يتميز أحدهما عن الآخر في ذلك المجال.

و أمّا ما يرجع إلى الأمور النفسيه و الروحيه عند المرأه و الرجل فنقول: لا شكّ

ص: ٥١٢

ثمه فارق واضح وجلى بين الرجل و المرأة من هذه الزاويه و هى انّ المرأه جياشه العاطفه ملؤها الحنان و العطف و اللطافه و لها روح ظريفه حساسه.

أودعت يد الخلقه ذلك فيها لتنسجم مع المسئوليه الملقاه على عاتقها، كتربيه الأطفال التى ترافقها مشاق و مصاعب جمه لا يتحمّلها الرجل عاده فى حين انّ الرجل يفقد تلك العواطف الجياشه، لأنّه خلق لوظائف أخرى تتطلب لنفسها الغلظه و الخشونه لتنسجم مع المسئوليات التى تقع على عاتقه.

فالعواطف الجياشه من جانب إذا تقارنت مع الغلظه و الخشونه تصبح الحياه عندها نغمه متوازنه فتكون طريه و مبتسمه.

إلى هنا تمّ ما نروم إليه من العنوان الأوّل.

الثانى:النظر إلى حقوقها فى القرآن الكريم

حظيت المرأه فى الإسلام بحقوق واسعه، قد بحث عنها الفقهاء فى كتبهم فى أبواب خاصه لا يمكن لنا الإشاره إلى قليل منها فضلاً عن كثيرها، و إنّما نقتبس بعضها.

نزل القرآن الكريم و كانت المرأه محرومه من أبسط حقوقها حتّى ميراثها، بل كانت كالمال تورث للآخرين، و فى هذا الجو المفعم بإهدار حقوقها قال: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا» ١.

و بذلك كسر الطوق الذى أحاط بالمرأه و حال بينها و بين ميراثها فى سورة خاصه باسمها-أعنى سورة النساء- و هى فى ميراثها تاره تعادل الذكر و أخرى تنقص عنه و ثالثه تزيد عليه، حسب المصالح المذكوره فى محلها.

و ما اشتهر بأن ميراث المرأة ينقص عن ميراث الرجل دائماً فليس له مسحه من الحق بل تتراوح فريضتها بين التساوى و النقصان و الزيادة كما هو واضح لمن لاحظ الفرائض الإسلاميه، ففيما إذا كان المورث هو الأب و الأم فللذكر مثل حظ الأنثيين، و فيما إذا كان المورث هو الولد فالأم و الأب متساويان يقول سبحانه: «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ» ١.

و إذا تركت المرأة المتوفاه زوجها و ابنتها، فالابنه ترث النصف و الزوج الربع، فترث الأنثى ضعف ما يرثه الذكر، قال سبحانه:

«فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّهِ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ» ٢ .

إلى غير ذلك من صور الفرائض التي شرحها الفقهاء.

نعم الاختلاف في الميراث تابع لملاكات خاصه يجمعها عنوان الأقربيه، و مسئوليه الإنفاق، فالأقرب يمنع الأبعد، كما أن من يقع على عاتقه الإنفاق يرث أكثر من غيره.

و من حقوقها حريتها الماليه التي ما بلغ إليها الغرب إلى الأمس الدابر، قال سبحانه: «لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» ٣ فأى كلمه أظهر و أرفع من هذه الكلمه حيث أعلن عن استقلاليه كل من الرجل و المرأة في حقوقهما و أموالهما و الاستمتاع بهما.

المهر عطيه من الزوج إلى الزوجه و له تأثير في إحياء شخصيه المرأة و بقاء علقه الزوجيه، فإذا تزوج الرجل على مهر ليس له التنصل عن تعهده فيجب عليه

إعطاء ما نحل، قال سبحانه: «وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً» ١.

نعم لو وهبت بطيب نفسها جاز للرجل أخذه شأن كلِّ هبة كان للواهب فيه رضا قال سبحانه: «فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِينًا مَرِيئًا» ٢.

إِنَّ القرآن يندد بزواج يضيق الخناق على زوجته و يسيء معاملتها كي تتنازل بذلك عن مهرها يقول سبحانه: «وَلَا تَعْضُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ» ٣.

ثم يؤكد مره أخرى بأنه لو دفع الزوج لها مالاً كثيراً فليس له أخذه منها، يقول سبحانه: «وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا» ٤.

الثالث: الواجبات التي تقع على عاتقها

إِنَّ التعاون بين أفراد المجتمع الإنساني شرط بقائه، فلو حذفنا التعاون من قاموس المجتمع لانهار، والأسره مجتمع صغير و لبنه أولى للمجتمع الكبير فلا تقوم حياه الأسره إلا بالتعاون، و حقيقه التعاون عباره عن أن يكون كل واحد له حق و عليه حق و هذا ما يعبر عنه الذكر الحكيم بكلمه بليغه جامعته لا يمكن أن يباريه فيها أحد قال سبحانه: «وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ» ٥.

فيظهر معنى الآيه من خلال النظر إلى الأسره الإسلاميه، فمسئوليه المرأه القيام بالحضانه و تربيته الأطفال و ليس هذا أمراً سهلاً، لا تقوم به إلا الأم التي ينبض قلبها بالعطوفه و الحنان.

و من زعم أنّ دور الحضانه تحل محلّ الأمّ فى القيام بتلك الوظائف فقد أخطأ و لم يقف على المضاعفات السلبيه التى تتركها تلك الدور على حالات الأطفال النفسيه.

و فى مقابل تلك الحقوق ثمه حقوق للرجل لا- بدّ له من القيام بما تحتاج إليه المرأه فى حياتها الضروريه و الكماله فيشير القرآن إلى تلك المسئوليه الكبيره على عاتق المرأه بقوله: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حِرْوَالَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ».

كما يشير إلى المسئوليه التى تقع على عاتق الرجل بقوله: «وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا» (١).

فكلّ من الزوجين يسعى فى إقامه دعامه الأسره، و بذلك تكون الزوجه عوناً للزوج، و الزوج عوناً للزوجه، و يكون العيش بينهما رغيداً طيباً.

هذه نظره إجماليه إلى ملامح المرأه فى القرآن، و ثمه بحوث ضافيه لا سيما حول حرّيتها الثقافيه و الاجتماعيه و السياسيه التى طرحت فى العصور المتأخره و موقف القرآن منها نتركها إلى مجال آخر.

و لكن ثمه نكته هامه و هى:

المساواه أو العداله

اشاره

إنّ الغرب يتبنّى موقف المساواه بين الرجل و المرأه، و يريد منهما أن ينزلا- إلى معترك الحياه بلا- استثناء لكى يقوموا بعامه الوظائف جنباً إلى جنب سواء أ كانت منسجمه مع طبيعه كلّ منهما أو لا.

ص: ٥١٦

هذا هو الذى يتبناه الغرب، فالمرأه لا بد لها أن تشارك الرجل فى ميادين الحرب و القتال و السياسيه و الزعامه و ميادين العمل و الاستثمار و لا يترك ميداناً خاصاً للمرأة أو الرجل إلا يسوقهما إليه بدعوى المساواه.

و لكن القرآن يتبنى العداله بين الرجل و المرأه و يخالف المساواه، إذ ربما تكون المساواه ضدّ العداله، و ربما لا تنسجم مع طبيعتها، و من يدعى المساواه، فكأنه ينكر الفوارق الموجوده فى نفسياتهما و غرائزهما، و يتعامل معهما معاملة إنسان استلبت عنه الغرائز الفطريه و لم يبق فيه رمق إلا القيام بالأعمال المخوّله له.

و هذا موضوع هام يحتاج إلى التشريح و التبيين حتى يتضح من خلاله موقف القرآن.

إنّ التساوى فى الإنسانيه لا- تعنى التساوى فى جميع الجهات، و فى القدرات و الغرائز و النفسيات، حتى يتجلى الجنسان، جنساً واحداً لا يختلفان إلا شكلياً، و من يقول ذلك فإنما يقول فى لسانه و ينكره عقله و لبه.

لا- شك أنّ بين الجنسين فوارق ذاتيه و عرضيه، فالأولى نابعه من خلقتها، و الثانيه تلازم وجودها حسب ظروفها و بيئتها، و بالتالى صارت تلك الفوارق مبدأً للاختلاف فى المسئوليات و الأحكام.

جعل الإسلام فطره المرأه و خلقتها، المقياس الوحيد فى تشريعه و تقنينه و التشريع المبني على الفطره يتماشى معها عبر القرون، و هذا هو سرّ خلود تشريعه، و أمّا التشريع الذى لا يأخذ الفطره بنظر الاعتبار، و يقنّن لكلّ من الأُنثى و الذكر على حدّ سواء فربما لا ينسجم مع الفطره و الخلقه و يخلق تعارضاً بين القانون و مورده و يورث مضاعفات كثيره كما نشاهده اليوم فى الحضاره الغربيه.

١. الرجال قوامون على النساء

أعطى سبحانه إداره شئون أسرهم للرجال دون النساء، ومعنى ذلك أنّ الرجل هو الذى يترأس الجهات التى بها قوام العائله، لأنّ الإدارة تتقوم بأمرين متحققين فى الرجل دون المرأة وهما:

١. القوة و تحمل الشدائد.

٢. الإنفاق و رفع الحاجات المالىه.

و الرجل يتوفر فيه الأمر الأول أكثر من غيره.

و أما الإنفاق فقد فرض الإسلام إداره أمور أسرهم المالىه على الزوج، فهو الذى يتحمل المشاق ليدير دفة العائله.

و قد أشار سبحانه إلى تلك الإدارة و أنها تدخل تحت صلاحيات الرجل بقوله: «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» كما أشار إلى الشرطين بقوله: ١. «بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» ٢. «وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ» ١.

و ليس المراد الأفضليه عند الله و فى ميزان القرب منه سبحانه، بل المراد هو التفوق على الجنس الآخر فى تحمل الصبر و الاستقامه على الشدائد. و هو أمر تكوينى لا يمكن إنكاره، و من أنكر فأنما أنكره بلسانه دون قلبه، و هذا هو المراد من الأفضليه.

و أما الشطر الثانى فهو حكم تكليفى وضعه سبحانه على عاتق الرجل، و بذلك صار أولى بإداره شئون أسرهم من المرأة، و على ذلك سارت الحياه

فلو كان هناك انتخاب طبيعى فقد اختير الرجل لإداره الأُسره اختياراً طبيعياً أمضاه الشارع.

هذا هو معنى القواميه و ليس فيه أى هدر لكرامتها،نعم تفسير القواميه بالسلطه على المرأه و إجحاف حَقِّها و التدخل فى شئونها بما هو خارج عن إطار العلقه الزوجيه أمر مرفوض و من فسر الآيه به فقد افترى على الله سبحانه.

فإداره الأُسره و التخطيط لها نحو مستقبل أفضل حسب الاستطاعه شىء،و إنكار حقّ الزوجه و التسلُّط عليها و إجحاف حقوقها شىء آخر،و من خلط بين الأمرين فقد انحرف عن جاده الصواب.

٢.تعدّد الزوجات

من المسائل التى يثيرها الغرب و المؤسسات التى تدافع عن حقوق النساء هى مسأله تجويز تعدّد الزوجات التى شرعها الإسلام، و منطقهم أنّ تجويز تعدّد الزوجات تشكل معاناه للزوجه أولاً و تخالف المساواه بين الزوج و الزوجه ثانياً،و سنقوم بتسليط الضوء على كلا الأمرين،فنقول:

لا شكّ أنّ الأصل فى تشكيل الأُسره هو أن يحبس الزوج نفسه و لا يتزوج بزوجه ثانيه رعايه لحال الزوجه الأولى،و ممّا لا شكّ فيه أنّ حبس كلّ من الزوجين نفسه على الآخر يشكل رصيماً لبقاء أواصر الأُسره و يُسفر عنه سياده الثقه المتبادلّه بين الزوجين.

و مع الاعتراف بذلك لكن ربّما يواجه الزوج بعض الظروف و الحالات التى تلجئه إلى عدم الاكتفاء بزوجه واحده و هذا أمر لا يمكن لأحد إنكاره نظير:

إذا كانت الزوجه مريضه مدّه مديده،أو كانت عقيمه لا تنجب،أو كانت

غريزتها الجنسيه ضعيفه لا تلبى حاجات الزوج، أو كان الزوج يقطن فى مناطق نائيه بعيداً عن زوجته مدّه لا يستهان بها، ففى تلك الظروف لا يتمكّن الزوج من الاقتصار على زوجه واحده، فأمامه-مع قطع النظر عن تجويز تعدّد الزوجات-طريقان:

الأول: أن يكبح جماح شهوته و يحد من نشاطها.

الثانى: أن ينزلق فى مهاوى الفساد و الفحشاء.

أمّا الأول: فلا يقوم به إلّا الأمثل فالأمثل من الرجال.

و أمّا الثانى: فهو يخالف كرامته و شرفه و ينجم عنه أضرار بدنيه و نفسيه و غير ذلك.

فإذا سدّ الطريقان أمامه فلا يبقى له سبيل سوى أن يختار زوجه بعقد رسمى مع مهر و نفقه و سكنى لتدخل فى نطاق الأسره و يتحمل مسؤوليه الجميع على حدّ سواء مع تطبيق العداله، و هذا هو الذى دعا الإسلام إلى تشريع تعدّد الزوجات، قال سبحانه:

«فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» ١.

و من الطبيعى معاناه الزوجه الأولى مع قيام الرجل بانتخاب زوجه أخرى له، و لكنّه أمام انجراف الرجل فى الفحشاء و انحلال الأسره من رأس أخف و طأه و أقل معاناه.

إنّ الغرب و إن طيّل و زمر ضد قانون تعدّد الزوجات، لكنّه فى الواقع اتخذ سلوكاً موافقاً مع هذا القانون لكن بصوره شوهاء حيث إنه يقتنع بزوجه قانونيه فى حين يقيم علاقات جنسيه مع نساء كثيرات خارج إطار الأسره و لا يكتفى

إنّ نظام الأسره فى الغرب أخذ يضمحل و ينحل، و ما ذلك إلّا لخيانة الرجل زوجته بإقامه علاقات جنسيه مع نساء أخر، و ما ينطوى عليه من فقدان الثقه و اضمحلال الروابط العاطفيه بينهما، و ينتهى إلى انفصام أو اصر الأسره، قانونياً و عملياً.

و أمّا مسأله المساواه حيث أُبيح للزوج إقامه علاقات جنسيه مشروعته مع نساء أخر دون الزوجه فهذا أمر نحن فى غنى عن الإجابه عنه، فإنّ تجويز تعدّد الأزواج للزوجه يكسر عمود النسب و يعصف بالأسره و يترك ألواناً من الأمراض و تفسد العلاقات من رأس و حينها يكون المجتمع مرتعاً خصباً للزنا و الفحشاء.

و بذلك يعلم سرّ التشريع الإسلامى فى تجويز تعدد الزوجات دون الأزواج.

٣. الضرب عند النشوز

من الإشكالات المشاره على حقوق المرأه فى الإسلام هو أنه يسوغ للزوج أن يضرب الزوجه عند نشوزها إذا لم ترجع الزوجه ببذل النصيحه و العظه، و هجران مضجعها، قال سبحانه: «و اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً» ١.

و الحقّ أنّ ذلك الإشكال المشار نجم عن عدم التدبر فى مضمون الآيه و مورد إباحه الضرب، فالآيه تبحث فى امرأه ناشزه أطاحت بحقوق زوجها و أساءت بإنسانيته دون أن يضيع منها حق، ففى ذلك الجو المفعم بتمرد الزوجه على زوجها حتّى ظلت متشبته به بعد معالجتها بالنصح و العظه أو هجرانها فى الفراش لا

محيص للزوج عن معالجتها بالضرب غير المبرح حتى تردع الزوجه عن شذوذها الذى طغى على إنسانيتها و كدر صفوه الجو العائلى.

و بذلك اتضح أولاً- أنّ البحث ليس فى زوجه مقهوره على أمرها، و مظلومه فى حقها، فاندفعت إلى التمرد دفاعاً عن حقها و كرامتها، بل الكلام فى المرأه التى قام الزوج بجميع حقوقها و لكنّها طغت على حقوق الزوج و تمردت عليه.

و ثانياً: ليس المراد من الضرب هو الضرب المبرح و لا المدمى، بل المراد الضرب المخيف حتى تردع عن شذوذها، و قد فسر الإمام الباقر عليه السلام الضرب فى الآيه بالضرب بالسواك. (١)

و هذه الحاله فريده من نوعها، و قلما يتفق أن لا يُثمر العلاجان الأولان، و على فرض الوصول إلى هذه الدرجه، فليس الضرب ضرباً مبرحاً، و إنّما الغرض فيه هو ايجاد الرعب فى قلبها كى تردع عن تمردها.

روى الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أ يضرب أحدكم المرأه ثم يعانقها».

و فى الختام نعطف أنظار الحضار إلى كلمه قيمه عن إمام حكيم خبير بداء المجتمع و دوائه ألا و هو الإمام على بن أبى طالب عليه السلام حيث قال: «و لا تملك المرأه من أمرها ما جاوز نفسها، فإنّ المرأه ريحانه و ليست قهرمانه» (٢) فلنتعامل معها، بما أنّها ريحانه لا قهرمانه، و لنطلب منها ما يطلب من موجود ظريف كورده الربيع لا تتحمل البرد القارص و لا الحر الذى يذبلها.

ص: ٥٢٢

١- ١). مجمع البيان: ج ٢، فى تفسير الآيه.

٢- ٢). نهج البلاغه، [١] قسم الرسائل، الرساله ٣١. [٢]

لم تزل مسأله المتعه-مع أنها من المسائل الفرعيه-مثاراً للاهتمام و النقاش، فأهل السنه على ردها و ادعاء نسخها.

و الشيعه عن بكره أبيهم على أنها زواج مشروع نزل بها القرآن الكريم، و مارسها الصحابه عصر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و بعده.

و قد كتب أحد الكتاب-المدعو محمد آلوسى-مقالاً حول المتعه نشرتها صحيفه اللواء على صفحاتها، و قد قرأت المقال أثناء رحلتى الأولى إلى الأردن عام ١٤١٨هـ، فكتبت مقالاً فى رده، و تفضل رئيس تحرير الصحيفه مشكوراً بنشرها (١).

و إليك المقال مع تقديم بقلم رئيس تحريرها.

العلامة سبحانى: «ما اختلفنا فى النبي...اختلفنا فيما روى عنه»

يطرح الأستاذ آيه الله جعفر سبحانى فى هذا المقال رأى الشيعه فى قضيه «نكاح المتعه»، و يقدم من الأدله و الحجج و البراهين حول جوازها و عدم نسخها بأسلوبه المميز و فكره الموضوعى، و علمه الغزير ما يدفعنا إلى نشر مقاله إيماناً منا بحريه الرأى الآخر و ضروره فتح صفحات الحوار بين المسلمين مهما اختلفت الرؤى و الاجتهادات.

الشيخ سبحانى، واحد من أعلام الفقه و الفكر، صدر له أكثر من مائه

ص: ٥٢٣

١- (١). راجع صحيفه اللواء، المؤرخه الأربعاء، ١٩٩٦/٥/٢٩م.

كتاب في الملل والنحل و التفسير و الفقه و عقائد الإسلام و الإلهيات، درس على يد الأعلام، السيد البروجردى، و السيد محمد حسين الطباطبائي، و هو تلميذ الإمام الخميني لأكثر من ثلاثه عشر عاماً، و يشغل الآن رئاسه مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام للبحوث و الدراسات العليا، و يدرّس علم الفقه و الأصول.

و إذا كانت «اللواء» قد نشرت في عددها قبل السابق مقالاً حول «زواج المتعه» من وجهه نظر المذهب السني، و بقلم أحد الباحثين في الجامعه الأردنيه، فإنّها و هي تنشر في هذا العدد مقال الشيخ سبحاني، من وجهه نظر المذهب الشيعي، لترجو أن تفتح هذه الاجتهادات في وجه علمائنا و مفكرينا أبواب الحوار وفق أدب الاختلاف و منهجيته الإسلاميه التي نحترمها جميعاً، و أن تكون مقدمه لإزاحه حاله الاحتقان التي طرأت بفعل عوامل شتى على بحوثنا و مفكرينا و أورثت أمتنا ما تعيشه من انقسامات و تناقضات لم تكن في أي حال متعلقه بأصول ديننا بقدر ما كانت اجتهادات في فروع و هوامشه لا غير.

و إذا كان الشيخ سبحاني قد أكد في أكثر من مناسبة بأنّ المشتركات بين المذهبين السني و الشيعي تفوق الاختلافات، و أنّ الاختلاف في الفروع أمر طبيعي تحتاج إليه المجتمعات، فإنّه يثير أيضاً و في كل مناسبة و حوار، أنّ المسلمين يختلفون و لن يختلفوا على النبي عليه السلام و سنته المشرفه و لكنهم اختلفوا أو سيختلفون فيما روى عنه. فالاختلاف - إذن - ليس في النبي أو الكتاب و لكن فيما روى عنه عليه السلام و فيما فسره المفسرون مما جاء في كتاب الله عزّ و جلّ.

و «اللواء» إذ تشكر سماحه الشيخ سبحاني على تعقيبه الذي أبداه في حوارها معه حول ما نشرته عن حكم زواج المتعه ليسعدنا أن تنشر مقالته و رده، دون أن تكون مضطره لتبني أي من وجهتي النظر السالفتين... فهى منبر للحوار و ساحة للتقريب بين أتباع المذاهب، تلك رسالتها و ستظل تسعى من أجل ذلك الهدف الحلم الذي يتطلع إليه كلّ المخلصين و الغيورين على دين الله و رسالته.

المحرر

ص: ٥٢٤

زواج المتعه عبارته عن تزويج المرأة الحرة الكامله نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع-من نسب أو سبب أو رضاع أو إحصان أو عده أو غير ذلك من الموانع الشرعيه-بمهر مسمى إلى أجل مسمى بالرضاء و الاتفاق، فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير طلاق.

و يجب عليها مع الدخول بها-إذ لم تكن يائسه-أن تعتد عدّه الطلاق إذا كانت ممن تحيض و إلا فبخمسه و أربعين يوماً.

و ولد المتعه-ذكراً كان أو أنثى يلحق بالأب و لا يدعى إلاً به، و له من الإرث ما أوصانا الله سبحانه به في كتابه العزيز كما يرث من الأم، و تشمله جميع العمومات الواردة في الآباء و الأبناء و الأمهات، و كذا العمومات الواردة في الاخوه و الأخوات و الأعمام و العمات.

و بالجملة:المتمتع بها زوجه حقيقه، و ولدها ولد حقيقه. و لا- فرق بين الزوجين:الدائم و المنقطع إلا أنه لا- توارث هنا ما بين الزوجين، و لا- قسمه و لا- نفقه لها. كما أنّ له العزل عنها، و هذه الفوارق الجزئيه فوارق في الأحكام لا- في الماهيه، لأنّ الماهيه واحده غير أنّ أحدهما زوج مؤقت و الآخر دائم، و أنّ الأول ينتهي بانتهاء الوقت و الآخر ينتهي بالطلاق أو الفسخ.

و قد أجمع أهل القبله على أنه سبحانه شرع هذا النكاح في صدر الإسلام، و لا يشك أحد في أصل مشروعيته، و إنّما وقع الكلام في نسخه أو بقاء مشروعيته.

إشاره

و الأصل في مشروعيتها قوله سبحانه: «وَ حَلَالٌ لِّأَبْنَائِكُمُ الدِّينَ مِنْ أَضْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً* وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً» ١.

و الآيه ناظره إلى نكاح المتعه و ذلك لوجوه:

١. الحمل على النكاح الدائم يستلزم التكرار بلا وجه:

إن هذه السوره، أى سوره النساء، تكفلت ببيان أكثر ما يرجع إلى النساء من الأحكام و الحقوق، فذكرت جميع أقسام النكاح فى أوائل السوره على نظام خاص، أما الدائم فقد أشار إليه سبحانه بقوله: «وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِمُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً...» ٢.

و أما أحكام المهر فقد جاءت فى الآيه التاليه: «وَ آتُوا النِّسَاءَ صِدْقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا» ٣.

و أما نكاح الإماء فقد جاء فى قوله سبحانه: «وَ مَنْ لَمْ يَسِدِّطْغِ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَيَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مَتَّخِذَاتٍ أَخْدَانٍ...» ١.

فقوله سبحانه: «فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» إشاره إلى الزواج من أمه الغير.

فإلى هنا تم بيان جميع أقسام النكاح فلم يبق إلّا نكاح المتعه، وهو الذى جاء فى الآيه السابقه، و على ضوء هذا حمل قوله سبحانه:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ عَلَى الزَّوْجِ الدَّائِمِ، وَحَمَلْ قَوْلَهُ: «فَاتَّوَهُنَّ أُجُورَهُنَّ» عَلَى الْمَهْرِ وَ الصَّدَقَاتِ يوجب التكرار بلا وجه، فالناظر فى السوره يرى ان آياتها تكفلت ببيان أقسام الزواج على نظام خاص و لا يتحقق ذلك إلّا بحمل الآيه على موضوع جديد و ليس إلّا نكاح المتعه كما هو ظاهرها أيضاً.

٢. تعليق دفع الأجره على عقد الاستمتاع

إنّ لفظ الاستمتاع و إن كان فى الأصل واقعاً على الانتفاع و الالتذاذ، لكنّه صار يعرف الشرع مخصوصاً بهذا العقد المعين لا سيما إذا أُضيفت إلى النساء و المراد من قوله سبحانه: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» هو «متى عقدتم عليهنّ هذا العقد المسمى متعه فاتوهنّ أُجورهنّ» و ذلك لأنّ المهر يجب بالعقد، لا بالجماع و الاستمتاع.

و لا يصحّ تفسير قوله: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ» بالعقد الدائم و حمله عليه و ذلك لأنّه حينئذٍ إمّا أن يراد منه المعنى اللغوى أى الانتفاع و الالتذاذ و معنى ذلك أنّه لا يجب شىء على الزوج إذا لم ينتفع من المرأه بشىء مع أنّ الفقهاء اتفقوا على لزوم دفع نصف المهر فى العقد الدائم إذا طلقها قبل الانتفاع.

أو يراد منه العقد الدائم و لازمه و جوب دفع المهر بكماله بمجرد العقد، لأنّه

قال: «فَأَتَوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ» أى مهورهنّ و لا- خلاف فى أنّه غير واجب، و إنّما يجب دفع الكل إذا دخل و إلّا فذمه الزوج مشغوله بالكلّ على وجه التعليق. نعم للزوجه المنع من الدخول ما لم تأخذ المهر كلّه، و أين هو من وجوب دفع المهر كلّه، إليها مطلقاً، امتنعت أم لا، أراد الدخول أم لم يرد.

نعم هذا شأن المتعه التى لم يشرع فيها الطلاق فإذا عقد، عقد متعه، لزمه المهر كلّه، دخل أم لم يدخل.

٣. تصريح جماعه من الصحابه على شأن نزولها

ذكرت أمّه كبيره من أهل الحديث نزولها فيها، و ينتهى نقل هؤلاء إلى أمثال ابن عباس، و أبى بن كعب، و عبد الله بن مسعود، و جابر بن عبد الله الأنصارى، و حبيب بن أبى ثابت، و سعيد بن جبير، إلى غير ذلك من رجال الحديث الذين لا يمكن اتهامهم بالوضع و الجعل.

و قد ذكر نزولها من المفسرين و المحدثين:

إمام الحنابله أحمد بن حنبل فى مسنده: ٤/٤٣٦.

و أبو جعفر الطبرى فى تفسيره: ٩/٥.

و أبو بكر الجصاص الحنفى فى أحكام القرآن: ٢/١٧٨.

و أبو بكر البيهقى فى السنن الكبرى: ٧/٢٠٥.

و محمود بن عمر الزمخشرى فى الكشاف: ١/٣٦٠.

و أبو بكر بن سعدون القرطبى فى تفسير جامع أحكام القرآن: ٥/١٣٠.

و فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب: ٣/٢٠٠.

إلى غير ذلك من المحدثين و المفسرين الذين جاءوا بعد ذلك إلى عصرنا

هذا، ولا نطيل الكلام بذكرهم.

و ليس لأحد أن يتهم هؤلاء الأعلام بذكر ما لا يؤمنون به. و بملاحظه هذه القرائن لا يكاد يشك في ورودها في نكاح المتعه.

و نزيد الوضوح بيانا بقوله سبحانه: «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ» .

إن قوله سبحانه «أَنْ تَبْتَغُوا» مفعول له لفعل مقدر، أى بين لكم ما يحل مما يحرم لأجل أن تبتغوا بأموالكم، و أما مفعول قوله:

«تَبْتَغُوا» فيعلم من القرينه و هو النساء أى طلبكم نكاح النساء، أى بين الحلال و الحرام لغايه ابتغاءكم نكاح النساء من طريق الحلال لا الحرام.

و قوله سبحانه: «مُحْصِنِينَ» و هو من الإحصان بمعنى العفه و تحصين النفس من الوقوع فى الحرام، و قوله سبحانه «غَيْرَ مُسَافِحِينَ» هو جمع مسافح بمعنى الزانى مأخوذ من السفح بمعنى صب الماء، و المراد هنا هو الزانى بشهاده قوله سبحانه فى الآيه المتأخره فى نكاح الإماء: «وَأَتَوْهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ» أى عفاف غير زانيات.

و معنى الآيه: إن الله تبارك و تعالى شرع لكم نكاح ما وراء المحرمات لأجل أن تبتغوا بأموالكم ما يحصنكم و يصون عفتكم و يصدكم عن الزنا، و هذا المناط موجود فى جميع الأقسام، النكاح الدائم، و المؤقت و الزواج بأمه الغير، المذكوره فى هذه السوره من أولها إلى الآيه ٢٥.

هذا هو الذى يفهمه كل إنسان من ظواهر الآيات غير أن من لا يروقه الأخذ بظاهر الآيه «فَمَا اشْتِئْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ» لرواسب نفسيه أو بيئيه حاول أن يطبق معنى الآيه على العقد الدائم، و ذكر فى المورد شبهات ضعيفه لا تصمد امام النقاش نجملها بما يلى:

الشبهه الأولى: إنّ الهدف من تشريع النكاح هو تكوين الأُسره و إيجاد النسل، و هو يختص بالنكاح الدائم دون المنقطع الذى لا يترتب عليه إلّا إرضاء القوه الشهويه و صب الماء و سفحه.

و يجاب عنها: بأنّه خلط بين الموضوع و الفائده المترتبه عليه، و ما ذكر إنّما هو من قبيل الحكمه، و ليس الحكم دائراً مدارها، لضروره أنّ النكاح صحيح و إن لم يكن هناك ذلك الغرض، كزواج العقيم و اليائسه و الصغيره. بل أغلب المتزوجين فى سن الشباب بالزواج الدائم لا يقصدون إلّا قضاء الوطر و استيفاء الشهوه من طريقها المشروع، و لا يخطر ببالهم طلب النسل أصلاً و إن حصل لهم قهراً، و لا يقدر ذلك فى صحّه زواجهم.

و من العجب حصر فائده المتعه فى قضاء الوطر، مع أنّها كالدائم قد يقصد منها النسل و الخدمه و تدبير المنزل و تربيّه الأولاد و الإرضاع و الحضانه.

و نسأل المانعين الذين يتلقّون نكاح المتعه، مخالفاً للحكمه، التى من أجلها شرع النكاح، نسألهم عن الزوجين اللذين يتزوجان نكاح دوام، و لكن ينويان الفراق بالطلاق بعد شهرين، فهل هذا نكاح صحيح أو لا؟ لا أظن أنّ فقيهاً من فقهاء الإسلام يمنع ذلك إلّا إذا أفتى بغير دليل و لا برهان، و عندئذ يطرح السؤال الثانى: أى فرق حينئذ بين المتعه و هذا النكاح الدائم سوى أنّ المدّه المذكوره فى الأوّل دون الثانى؟

يقول صاحب المنار: إنّ تشديد علماء السلف و الخلف فى منع المتعه يقتضى منع النكاح بتّيّه الطلاق، و إن كان الفقهاء يقولون إنّ عقد النكاح يكون صحيحاً إذا نوى الزوج التوقيت، و لم يشترطه فى صيغته العقد، و لكن كتماناه إياه يعد خداعاً

و غشاً و هو أجدر بالبطلان من العقد الذى يشترط فيه التوقيت.

أقول:نحن نفترض أنّ الزوجين رضيا بالتوقيت لبأ،حتى لا يكون هناك خداع و غش فهو صحيح بلا إشكال.

الشبهه الثانيه:انّ تسويغ النكاح المؤقت ينافى ما تقرر فى القرآن كقوله عزّ و جلّ فى صفه المؤمنين: «و الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ» ١.

و المراد من الآيه:انّ من ابتغى وراء ذلك،هم المتجاوزون ما أحله الله لهم إلى ما حرّمه عليهم.و المرأه المتمتع بها ليست زوجه فيكون لها على الرجل مثل الذى عليها بالمعروف.

إلّا أنّه يرد عليها:أنّها دعوه بلا دليل.فأنّها زوجه و لها أحكام،و عدم وجود النفقه و القسمه لا يخرجانها عن الزوجيه،فانّ الناشزه زوجه ليست لها النفقه و حقّ القسمه،و مثلها الصغيره.و العجب أن يستدل بعدم وجود الأحكام على نفى الماهيه،فانّ الزوجيه رابطه بين الزوجين تترتب عليها جملة من الأحكام و ربما تختص بعض الأحكام ببعض الأقسام.

الشبهه الثالثه:انّ المتمتع فى النكاح المؤقت لا يقصد الإحصان دون المسافحه بل يكون قصده مسافحه،فإن كان هناك نوع ما من إحصان نفسه و منعها من التنقل فى دمن الزنا،فأنّه لا يكون فيه شىء ما من إحصان المرأه التى تؤجر نفسها كلّ طائفه من الزمن لرجل فتكون كما قيل: كره حذف بصوالجه فتلقفها رجل رجل

و يرد على هذه الشبهه:أنه من أين وقف على أنّ الإحصان فى النكاح المؤقت يختص بالرجل دون المرأة،فإننا إذا افترضنا كون العقد شرعياً،فكلّ واحد من الطرفين يحصن نفسه من هذا الطريق،و إلّا فلا محيص عن التنقل فى دمن الزنا.و الذى يصون الفتاه عن البغى أحد الأمور الثلاثة:

١.النكاح الدائم.

٢.النكاح المؤقت بالشروط الماضيه.

٣.كبت الشهوه الجنسيه.

فالأوّل ربما يكون غير ميسور خصوصاً للطالب و الطالبه اللّذين يعيشان بمنح و رواتب مختصره يجريها عليهما الوالدان أو الحكومه،و الثالث أى كبت الشهوه الجنسيه أمر شاق لا يتحمله إلّا الأمثل فالأمثل من الشباب و المثلى من النساء و هم قليلون،فلم يبق إلّا الطريق الثانى فيحصنان نفسيهما عن التنقل فى بيوت الدعاره.

إنّ الدين الإسلامى هو الدين الخاتم،و نبيه خاتم الأنبياء و كتابه خاتم الكتب،و شريعته خاتمه الشرائع،فلا بد أن يضع لكلّ مشكله اجتماعيه حلاً شرعياً،يصون بها كرامه المؤمن و المؤمنه،و ما المشكله الجنسيه عند الرجل و المرأة إلّا إحدى هذه النواحي التى لا يمكن للدين الإسلامى أن يهملها،و عندئذٍ يطرح هذا السؤال نفسه:

ما ذا يفعل هؤلاء الطلبة و الطالبات الذين لا يستطيعون القيام بالنكاح الدائم،و تمنعهم كرامتهم و دينهم عن التنقل فى بيوت الدعاره و الفساد،و الحياه الماديه بجمالها تؤجج نار الشهوه فى نفوسهم؟ فمن المستحيل عاده أن يصون نفسه أحد إلّا من عصمه الله،فلم يبق طريق إلّا زواج المتعه الذى يشكل الحل الانجح لتلافى الوقوع فى الزنا،و تبقى كلمه الإمام على بن أبى طالب ترن فى الأذان محذره

ص:٥٣٢

من تفاقم هذا الأمر عند إهمال العلاج الذى وصفه المشرع الحكيم له، حيث قال عليه السلام: «لو لا نهى عمر عن المتعه لما زنى إلّا شقى أو شقيه».

و أما تشبيه المتعه بما جاء فى الشعر فهو يعرب عن جهل الرجل بحقيقه نكاح المتعه و حدودها فإنّ ما جاء فيه هى المتعه الدوريه التى ينسبها الرجل و غيره إلى الشيعه، و هم براء من هذا الإفك إذ يجب على المتمتع بها بعد إنهاء المده الاعتماد على ما ذكرنا، فكيف يمكن أن تؤجر نفسها كلّ يوم لرجل؟ سبحان الله ما أجرأهم على الكذب على الشيعه و الفريه عليهم، و ما مضمون الشعر إلّا جساره على الوحي و التشريع الإلهي، و قد اتفقت كلمه المحدثين و المفسرين على التشريع، و أنّه لو كان هناك نهى أو نسخ فإنّما هو بعد التشريع و العمل.

الشبهه الرابعه: إنّ الآيه منسوخه بالسّنه، و اختلفوا فى زمن نسخها على أقوال شتى:

١. أُبيحت ثمّ نهى عنها عام خبير.

٢. ما أحلت إلّا فى عمره القضاء.

٣. كانت مباحه و نهى عنها فى عام الفتح.

٤. أُبيحت عام أوطاس ثمّ نهى عنها.

و هذه الأقوال تنفى الثقه بوقوع النسخ، كما أنّ نسخ القرآن بأخبار الآحاد ممنوع جداً، و قد صحّ عن عمران بن الحصين أنّه قال: إنّ الله أنزل المتعه و ما نسخها بآيه أُخرى، و أمرنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمتعه و ما نهانا عنها، ثمّ قال رجل برأيه يريد به عمر بن الخطاب.

إنّ الخليفه الثانى لم يدع النسخ و إنّما اسند التحريم إلى نفسه، و لو كان هناك ناسخ من الله عزّ و جلّ أو من رسوله، لاسند التحريم إليهما، و قد استفاض قول عمر و هو على المنبر: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنهما و أعاقب

عليهما:متعه الحج و متعه النساء.

بل نقل متكلم الأشاعره فى شرحه على شرح التجريد أنه قال:أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أنا أنهى عنهنّ، و أحرمتهنّ، و أعاقب عليهنّ،متعه النساء،و متعه الحج،و حى على خير العمل.

و قد روى عن ابن عباس -و هو من المصرّحين بحليه المتعه و إباحتها- فى ردّه على من حاجه بنهى أبى بكر و عمر لها، حيث قال: يوشك أن تنزل عليكم حجاره من السماء، أقول:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،و تقولون:قال أبو بكر و عمر.

حتى أنّ ابن عمر لما سئل عنها أفتى بالإباحه فعارضوه بقول أبيه فقال لهم:أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحقّ أن يتبع أم أمر عمر؟

كلّ ذلك يعرب عن أنّه لم يكن هناك نسخ و لا- نهى نبوى و إنّما كان تحريماً من جانب الخليفه،و هو فى حدّ ذاته يعتبر اجتهاداً قبالة النص الواضح،و لم يزل جملة من الصحابه يعلنون رفضهم له و عدم إذعانهم لأمره،و إذا كان الخليفه قد اجتهد لأسباب رآها و أفتى على أساسها فكان الأولى بمن لحقوه أن يتنبهوا لهذا الأمر لا أن يسرفوا فى تحريمها دون حجه و لا دليل.

المنكرون للتحريم

ذكرنا أنّ لفيفاً من وجوه الصحابه و التابعين أنكروا هذا التحريم و لم يقرّوا به،منهم:

١.على أمير المؤمنين،فى ما أخرجه الطبرى بالاسناد إليه أنّه قال:«لو لا أنّ عمر نهى عن المتعه ما زنى إلّا شقى» (١).

٢.عبد الله بن عمر،أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمر،قال -

ص:٥٣٤

وقد سئل عن متعه النساء:-والله ما كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زانين ولا مسافحين، ثم قال:والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:«ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون وأكثر» (١).

٣.عبد الله بن مسعود،أخرج البخارى عن عبد الله بن مسعود،قال:كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس لنا شىء،فقلنا:ألا نستخصى فنهانا عن ذلك،ثم رخص لنا أن ننكح المرأه بالثوب إلى أجل معين،ثم قرأ علينا: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» ٢ . (٢).

٤.عمران بن حصين،أخرج البخارى فى صحيحه عنه،قال:نزلت آيه المتعه فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات.قال رجل برأيه ما شاء (٣).

٥.إن الخليفه العباسى المأمون أوشك أن ينادى فى أيام حكمه،بتحليل المتعه إلا أنه توقف خوفاً من الفتنة و تفرق المسلمين.قال ابن خلكان،نقلاً عن محمد بن منصور:قال:كنا مع المأمون فى طريق الشام فأمر فنودى بتحليل المتعه،فقال يحيى بن أكثم لى و لأبى العيناء:بكرأ غدا إليه،فإن رأيتما للقول وجهاً فقولوا،وإلا فاسكتا إلى أن أدخل،قال:فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول وهو مغتاظ:متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عهد أبى بكر رضى الله عنه وأنا أنهى عنهما،ومن أنت يا جُعَل حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر رضى الله عنه؟ فأوما أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال:رجل يقول فى عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن؟ فأمسكنا،فجاء يحيى بن أكثم فجلس و جلسنا،

ص:٥٣٥

١-١. مسند أحمد:٢/٩٥. [١]

٢-٣. البخارى:الصحيح:٤/٧،باب ما يكره من التبتل و الخصاء من كتاب النكاح.

٣-٤. البخارى:الصحيح:٦/٢٧،تفسير قوله تعالى:«فمن تمتع بالعمره إلى الحج».

فقال المأمون ليحيى: ما لى أراك متغيراً؟ فقال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث فى الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟ قال: نعم، المتعه زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عزّ وجلّ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ» إلى قوله: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمِ الْعَادُونَ» ١ يا أمير المؤمنين زوجه المتعه ملكك يمين؟ قال: لا، قال: فهى الزوجه التى عند الله ترث و تورث و تلحق الولد و لها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين (١).

أقول: هل عذب عن ابن أكرم - وقد كان ممن يكن العداء لآل البيت - أنّ المتعه داخله فى قوله سبحانه: «إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ» و أنّ عدم الوراثه تخصيص فى الحكم، و هو لا - ينافى ثبوتها، و كم لها من نظير، فالكافره لا ترث الزوج المسلم، و بالعكس، كما أنّ القاتله لا ترث و هكذا العكس، و أمّا الولد فيلحق قطعاً، و نفى اللقوق ناشئ أمّا من الجهل بحكمها أو التجاهل به.

و ما أفتح كلامه حيث فسر المتعه بالزنا و قد أصفقت الأمه على تحليلها فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و الخليفه الأول، أ فحسب ابن أكرم أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حلل الزنا و لو مده قصيره؟! كبرت كلمه تخرج من أفواههم.

و هناك روايات مأثوره عن الخليفه نفسه، تعرب عن أنّ التحريم كان صميم رأيه، من دون استناد إلى آيه أو روايه.

فقد أخرج مسلم فى صحيحه: عن أبى نصره قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعه، و كان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر، فقال:

على يدى دار

ص: ٥٣٦

الحديث: تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام عمر، قال: إنَّ الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج و العمره و أبوا نكاح هذه النساء، فلئن أُوتى برجل نكح امرأه إلى أجل إلَّا رجمته بالحجارة.

و أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي نضرة، قال: قلت لجابر: إنَّ ابن الزبير ينهى عن المتعه، و إنَّ ابن عباس يأمر بها، فقال لي:

على يدي جرى الحديث: تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و مع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إنَّ القرآن هو القرآن، و إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الرسول، و أنَّهما كانتا متعتان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلم احدهما متعه الحج و الأخرى متعه النساء.

و هذه المأثورات تعرب عن جملة من الملاحظات نجملها بملاحظتين اثنتين:

الأولى: إنَّ المتعه كانت باقية على الحل إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب، و بقيت حلالاً في أيامه حتى نهى عنها و منع.

و الثانية: إنَّه باجتهاده قام بتحريم ما أحله الكتاب و السنه، و من المعلوم أنَّ اجتهاده -لو صحت تسميته بالاجتهاد- حجه على نفسه لا على غيره.

و في الختام نقول:

إنَّ الجهل بفقهاء الشيعة أدى بكثير من الكتاب إلى التقول على الشيعة، و خصوصاً في مسألة المتعه التي نحن في صدد الحديث عنها، بجمله منكره من الآراء و الأحكام تدل على جهل مطبق أو خبث سريره، و من هذه الأقوال: إنَّ من أحكام المتعه عند الشيعة إنَّه لا نصيب للولد من ميراث أبيه، و أنَّ المتمتع بها لا عدّه لها، و أنَّها تستطيع أن تنتقل من رجل إلى رجل إن شاءت، و من أجل هذا استقبحوا المتعه و استنكروها و شنعوا على من أباحها.

و قد خفى الواقع على هؤلاء و أنَّ المتعه عند الشيعة كالزواج الدائم لا تتم

إلّا بالعقد الدال على قصد الزواج صراحه، وأنّ المتمتع بها يجب أن تكون خاليه من جميع الموانع، وأنّ ولدها كولد الزوجه الدائمه من وجوب التوارث، والإنفاق و سائر الحقوق الماديه، وأنّ عليها أن تعتد بعد إنهاء الأجل مع الدخول بها، وإذا مات زوجها و هي في عصمته اعتدت كالدائمه من غير تفاوت، إلى غير ذلك من الآثار.

على أنّ الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه و إدراكه بوضوح، أنّ الشيعة و رغم إدراكهم و إيمانهم بحليه زواج المتعه و عدم تحريمه - و هو ما يعلنون عنه صراحه و دون تردد- إلّا أنّهم لا يلجئون إلى هذا الزواج إلّا في حدود ضيقه و خاصه، و ليس كما يصوّره و يتصوّره البعض من كونه ظاهره متفشيه في مجتمعهم و بشكل مستهجن ممجوج.

ص: ٥٣٨

قرأنا فى العدد ٣٧٣ من مجله الشريعه الأردنيه المؤرخه بكانون الثانى سنه ١٩٩٧ م لقاءً صحفياً أجرته مجله الشريعه مع الشيخ عبد الله المنيع من علماء السعوديه،فكان فى كلامه لدغ للشيعه فأثرت كتابه مقال فى ردّه،و تفضلت مجله الشريعه مشكوره بنشره.

و إليك نصّ الحوار الذى أجرته معه مجله الشريعه:

سأله المحاور:مؤخراً عقدت عدّه مؤتمرات بهدف تقريب و جهات النظر بين المذاهب الإسلاميه المتعدّده و خاصه بين المذهبين السنّى و الشيعى،فما هو رأى فضيلتكم فى هذه المؤتمرات؟

فأجاب الشيخ المنيع:لا يوجد هناك معايير يرجع إليها فى سبيل التقريب بين المذاهب الإسلاميه.فالخلاف بين المذاهب السننيه هو خلاف بالفروع و ليس بالأصول،و حتى أصحاب رسول الله وجد بينهم خلاف فى فروع الشريعه فقط و لم يكن هذا سبباً فى تباعدهم و تناحرهم و تباغضهم بل بقى بينهم التآخى و التوادد،و لكن الاختلاف بين أصحاب المذهب السنّى و المذهب الشيعى هو اختلاف فى الأصول حيث إنّ نظرتهم إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نظره سيئه تصل لدرجه أن يلعنوا بعض أصحاب رسول الله بينما ورد فى سوره الحشر وصف المهاجرين و الأنصار بقوله تعالى: «يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ».

بالإضافة إلى عدم إقرار إخواننا الشيعة بكتابتى مسلم و البخارى،فلو أمكن إيجاد تقارب فى هذه النقاط التى نعتبرها أصولاً فإننا نرحب بهذا التقارب.

و قد كتبنا مقالاً حول تلك المقابله و بعثنا به إلى هيئته تحرير المجله،و إليك نصّ مقالنا المنتشر فى مجله الشريعه العدد ٣٧٩ الموافق ربيع الأول ١٤١٨هـ.

قرأنا فى العدد ٣٧٣ المؤرخ فى كانون الثانى سنه ١٩٩٧م من مجلتكم الموقره [الشريعه] حواراً مع الشيخ عبد الله سليمان المنيع طرح فيه المحاور على الشيخ مسأله التقريب بين المذاهب الإسلاميه طالباً رأيه فيها،فأجاب الشيخ على النحو الماضى.
و حاصل كلامه يرجع إلى أمرين:

الأول: أن نظره الشيعة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نظره سيئه.

الثانى: أن الشيعة لا تعترف بكتابتى مسلم و البخارى.

فإليك تحليل ذينك الأمرين:

أمّا الأول: إن الشيعة هم من يشايعون علياً و الأئمه من أهل البيت و لا يتخلفون عن إرشاداتهم و تعاليمهم التى هى امتداد لإرشادات و تعاليم رسول الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه و آله و سلم،و هذا هو الإمام على عليه السلام يقول فى أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «أين إخوانى الذين ركبوا الطريق و مضوا على الحق؟ أين عمار،و أين ابن التيهان،و أين ذو الشهاداتين،و أين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنيه» (١) و هذا هو الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام يدعو لأصحاب جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين أحسنوا الصحبه إذ قال: «اللهم و أصحاب محمد خاصه الذين أحسنوا الصحبه و الذين أبلوا البلاء الحسن فى نصره،و استجابوا له حيث أسمعهم حجّه

ص: ٥٤٠

رسالاته و فارقوا الأزواج و الأولاد فى إظهار كلمته و قاتلوا الآباء و الأبناء فى تثبيت نبوته، و انتصروا به، و من كانوا منطوين على محبته يرجون تجاره لن تبور فى مودته» إلى أن قال: «اللهم و صلّ على السابقين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك». (١)

لنفترض إنّ من الشيعة من لا- يحب بعض الصحابه لا- لكونهم صحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بل لما صدر منهم من المواقف و من الأعمال التى لا- تنطبق على موازين الشريعة، فهو إمّا مصيب فى اعتقاده و اجتهاده و إمّا مخطئ، و على الأول له أجران، و على الثانى له أجر واحد، كيف لا و قد حدث هذا التشاجر و التعارض بين صحابه النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنفسهم، فهذا هو الإمام البخارى ينقل لكم مشاجره حاميه بين سعد بن عباد الذى قال لسعد بن معاذ فى محضر النبي صلى الله عليه و آله و سلم «كذبت لعمر الله لا تقتله و لا تقدر على قتله، و لو كان من أهلك ما أحببت أن يقتل، فقام أسيد بن حُضير- و هو ابن عم سعد بن معاذ- و قال لسعد بن عباد: كذبت، و عمر الله لنقتلّه، فإنّك منافق تجادل عن المنافقين» (٢) و كم لهذه المشاجرات الساخنة و التراشق بالاتهامات بين الصحابه من نظير، و مع ذلك لم يعتبرها أحد موجبا للكفر أو الخروج عن ربه الإيمان، ثمّ ما ذا يفعل الشيعة إذا وجدوا فى أصح الكتب عند أهل السنه بعد كتاب الله عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى فيحلثون عن الحوض، فأقول: يا ربّ أصحابى، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري»، و غير ذلك من الروايات التى أخرجها الإمام البخارى فى صحيحه فى باب الحوض و غيره. (٣)

فما ذنب الشيعة إذا وجد فى أصح الكتب لدى إخوانه السنه أنّ صحابياً

ص: ٥٤١

١-١. الصحيفه السجديه: الدعاء ٤. [١]

٢-٢. صحيح البخارى، ج ٥، ص ١١٨-١١٩، فى تفسير سورة النور.

٣-٣. لاحظ جامع الأصول، ج ١١، ص ١٠.

جليلاً كأسيد بن حُضير يصف سعد بن عباده ذلك الصحابي الجليل بالنفاق و يقول: إِنَّكَ منافق تجادل عن المنافقين.

فإذا صحَّ ذلك العمل من الصحابي بحجه أنه وقف على نفاق أخيه الصحابي الآخر، فلما ذا لا يصح صدوره من الآخرين إذا وقفوا على أنّ بعض من كان حول النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اقترف ما لا يرضى به الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيبدي عدم رضائه من عمله كما أبداه أسيد بن حُضير.

كما أظهر سبحانه عدم رضائه من بعضهم و قال:

«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا». (١)

فقد وصف بعضهم بالفسق، كما وصف الذكر الحكيم لفيماً منهم بالإعراض عن الذكر و الصلاة و الاشتغال بالتجاره و كسب المال.

قال سبحانه: «وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَ مِنَ التِّجَارَةِ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ» .٢

و على ذلك فالشيعة تحب الصحابه الكرام بما أنهم صحابه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم و ملبي دعوته و ناشري سنته، و لكن ذلك لا يمنع من مناقشه بعض مواقفهم إذا خالف الكتاب و السنه فإن العصمه لله تبارك و تعالى و لمن عصمه.

فليست الصحابه بمعصومين عن الخطأ و الزلل، و نقد بعض أعمالهم نابع عن تلك الحقيقه، و إلا فمن أراد أن تُكبح الألسن للحيلولة دون وصف أعمالهم بالخير و الشر و الحسن و القبح فقد ألبس عليهم ثوب العصمه و هو بدعه ما فوقها بدعه.

هذا كله حول الأمر الأول و إليك الكلام في الأمر الثاني:

ص: ٥٤٢

إنَّ الواجب على كافة المسلمين هو الأخذ بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن يكون هناك خصوصية لكتاب دون كتاب. والشيعه بفضلها سبحانه أخذوا سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من زلال صاف وهو العتره الطاهره أولاً وثقات المسلمين ثانياً وبذلك وقفوا على أحاديث هائله فى سنته صلى الله عليه وآله وسلم،فقارنوا الكتاب والسنة ولم يفرقوا بينهما.

و لم يكن الأخذ بالصحيحين ملاكاً للإيمان، بشهاده أنّ المسلمين كانوا يعملون بسنة رسول الله و يروونها قبل أن يولد البخارى و مسلم و يكون لهما أثر فى الوجود،فمتى أصبح البخارى و مسلم أصلاً و مناراً و محوراً للإيمان و الكفر،مع أنّ الأصل هو سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و عند الشيعة سنته صلى الله عليه وآله وسلم المرويه عن طريق أهل بيته المطهرين بأسانيد عاليه و نقيه من كل شائبه.

فترجو و تأمل من الأستاذ الشيخ المنيع إعادة النظر فى كلامه الذى مرّ ملخصه،و نرجو أن يطالع كتب الشيعة فى هذا المجال ليقف على الحقيقه.

و فى الختام إنّنا لا نبخس حقّ الشيخ المنيع لما لمسناه فيه من تفتح و مرونه و أدب مع إخوانه الشيعة.

جعلنا الله سبحانه و تعالى جميعاً من أنصار دينه و الأشداء على أعدائه الصهاينه الملحدين.

و السلام عليكم و رحمه الله و بركاته

جعفر السبحانى

قم-الجامعه الإسلاميه

١٤١٧/١٢/٢٨هـ

ص:٥٤٣

حضره الأخ العزيز الأستاذ حسن التلّ المدير العام و رئيس التحرير المسئول لصحيفه اللواء الأردنيه،الموقر.

السّلام عليكم و رحمه الله و بركاته

أتقدّم إليكم بالتحيه و السّلام، و أرجو من الله سبحانه مزيد التوفيق لكم و لمن حولكم من الأعزاء.

منذ مدّه و نحن نقرأ في صحيفتكم الغراء مقالات بقلم الأستاذ الفاضل محمد الآلوسى حول عقائد الشيعة و تاريخها، و قد امتازت هذه المقالات بالبحث الموضوعى و الدراسه الهادئه بعيداً عن المهاترات، و الاتهامات و بمعزل عمّا لا يليق بالكاتب الإسلامى، فشكر الله مساعيه و كثر في المجتمع الإسلامى أمثاله، إذ طالما نقرأ في الصحف و المجلات أو في الكتب المنشوره حول الشيعة مقالات بأقلام بذيئه، لا تنتج عند القارئ إلّا النفور من الكاتب و إساءه الظن به و بأهدافه، فإنّ البحث العلمى يرتفع عن إقرانه بالشم و السب غير أنّ كاتبنا-و لله الحمد-مستثنى من تلك الزمره، فهو كاتب مؤدب، ذو صدر رحب، و لهجه مهذبه.

لكن الذى بعثنا على أن نسجل شيئاً أو هامشاً على بعض مقالاته ما قرأناه

فى صحيفه اللواء المؤرّخه فى ١٠ جمادى الآخره ١٤١٧ هجرى، الموافق ل ٢٢ تشرين الأول ١٩٩٦م، العدد ١٢٢٢ السنه الخامسه و العشرون.

ففى الصفحه ٢٤ كتب الأيخ تحت عنوان «الخلايفه و الإمامه عند الشيعه» أموراً لنا فيها تأملات و مناقشات يرجى نشرها على صفحات اللواء لتكون الصحيفه منبر الإسلام الحرّ، و معرضاً لمختلف الآراء، و فرصه لتلاقح الأفكار الذى منه ينبثق النور، و يضاء الطريق، و قد قيل: الحقيقه بنت البحث.

و إليك موجز كلامه:

قال الأستاذ الألوسى:

إِنَّ أَهْمَ نَصِّ اسْتَدَلَّ بِهِ الشَّيْعَةُ وَ تَوَصَّلُوا مِنْ خِلَالِهِ إِلَى عَصْمِهِ مِنْ قَالُوا بَعْضَتُهُمْ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَ كُمْ تَطْهِيراً» ١.

فقد قالوا: إنّها نزلت بشأن على و زوجته فاطمه و ولديهما الحسن و الحسين و قد جمعهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم إثر نزول الآيه و ألقى عليهم كساء و قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً...» و عليه يكون المقصود بأهل البيت هم هؤلاء الأربعة فقط و ذريتهم من بعدهم دون غيرهم، لأنّ كلمه إنّما تفيد الاختصاص الدالّ على الحصر... و هذا الحديث و الروايه بشأن نزول الآيه هى إحدى الروايات المشهوره عند أهل السنّه أيضاً فى مصادرهم المعتمده كالسيوطى و الطبرى و ابن كثير و الألوسى فى تفاسيرهم و كثيرون غيرهم، و قالوا أيضاً أنّ قوله تعالى فى الآيه: «إِنَّمَا يُرِيدُ» يفيد الإراده الإلهيه القدرية النافذه و من ثمّ دلّت على حصول الشىء فعلاً و هو التطهير و ذهاب الرجس عن الأربعة «رضى الله عنهم» و هو ما يعرف عند المتكلمين بالإراده الكونيه لله الذى يقول

ص: ٥٤٥

للشيء إذا أَرَادَهُ «كُنْ فَيَكُونُ» .

ثم ناقش استدلال الشيعة الذي نقله بوجوه تأتي بها:

١. أن أهل السنة قالوا: إنَّ المقصود بأهل البيت هم نساء النبي و ليس الأربعة رضى الله عنهم، و أنّ الذي رجّح عندهم هذه الرواية هو سياق الآيات التي سبقتها، و السياق له اعتباره في استنباط الأحكام ثم نقل الآيات المتقدمة على آية التطهير و المتأخره عنها و كلّها نازله في نساء النبي.

٢. أنّ الخطاب في آية التطهير و إن جاء بصيغه المذكور: «عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهَّرُكُمْ...» خلافاً للضمائر الواردة في سائر الآيات التي سبقتها و التي أعقبها، فهي بصيغه المؤنث. لكنّه لا يصير دليلاً على التغاير، و أنّ المقصودين من آية التطهير غير المقصودين من سائر الآيات، و ذلك لأنّه يجوز في لغة العرب مخاطبه جمع المؤنث بصيغه جمع المذكر تعبيراً لعلو المقام و المبالغه.

٣. أنّ حديث الرسول جاء بصيغه الطلب «اللهم اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً» و هي صيغه تفيد عدم شمول الأربعة وقت نزول النصّ، فدعا الرسول ربه أن يشملهم أيضاً بحكمه، و لو كانوا هم المقصودين لكان الرسول ناجى ربّه بصيغه الشكر لا بصيغه الطلب.

٤. أنّ الإراده الواردة في الآيه هي الإراده التشريعيه أى الأمر الذي لا يسلب المخاطب القدره على الاختيار، و ليست إرادته كونه - التي تدّعيها الشيعة- و التي تتعلق بكلّ قضايا الخلق و الإيجاد فقد خُلقت من دون اختيار، و ذلك لأنّه عندئذ تصيح طهارتهم - عصمتهم - أمراً خارجاً عن الاختيار و لا تكون خاضعه للشواب و العقاب.

هذه هي الأدله التي استدلت بها على نزول الآيه في نساء النبي، و لكن الأستاذ-أنار الله برهانه- لم يتجرّد عن عقيدته في تفسير الآيه، و لو كان ناظراً إليها

و ما حولها و ما فيها من القرائن المتصلة و المنفصلة الدالّة على نزولها في آل العباء و الكساء، لما عدل عن مقتضاها، و لما اختار ما اختار.

انّ

استدلال الشيعة بهذه الآيه على عصمه آل الكساء مبنى على أمور

اشاره

تنتج مختارهم بوضوح:

الأول: ما هو المراد من الإرادة في الآيه؟

إنّ الإرادة المتعلّقه بالإيجاد و التكوين إرادته تكوينيه و هي لا تنفك عن المراد إذا كان المرید هو الله سبحانه كقوله سبحانه: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» ١ فخلق السماوات و الأرض مراد بإرادته كونه.

و أمّا الطلب الموجّه إلى البشر الحاكي عن تعلق إرادته سبحانه بقيام الناس بالوظائف فهي إرادته تشريعيه و لم يكتب عليها عدم التفكيك، فإنّه سبحانه أراد الطاعه من الإنسان، و كم هناك إنسان كافر أو عاص لله سبحانه.

و هذا التقسيم ممّا لا غبار عليه.

إنّما الكلام هو في الإرادة الوارده في آيه التطهير و أنّها من أى القسمين، و الأستاذ ذهب إلى أنّها تشريعيه، و لكن الدليل يسوقنا إلى أنّها كونه، و ذلك لأنّها إذا كانت تشريعيه كان من لوازمها أنّها لا تختص بفته دون فته، بدليل أنّه سبحانه أراد التطهير و التطهر من كلّ شين و رين و طلبه من جميع الناس، من دون تخصيص و حصر. قال سبحانه:

«و لَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ» ٢.

«وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» ٣.

ص: ٥٤٧

«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» ١.

«فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» ٢.

و حبه سبحانه علامه بعثه و طلبه، و إرادته التشريعيه المتعلقه بتطهير كل المؤمنين عامه لا جماعه خاصه.

و سؤالنا هو: لو كانت الإراده الوارده فى الآيه المبحوثه كالإراده الوارده فى هذه الآيات فما هو وجه التخصيص بأمر خمس:

ألف: بدأ قوله سبحانه بحرف «إِنَّمَا» المفيده للحصر.

ب: قدم الظرف و قال: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ» و لم يقل ليذهب الرجس عنكم، و ذلك لأجل أن التقديم يفيد التخصيص.

ج: بين من تعلقت الإراده بتطهيرهم بصيغه الاختصاص و قال: «أَهْلَ الْبَيْتِ» أى أخصكم أهل البيت مثل قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «نحن معاشر الأنبياء...».

و قول قائلهم: نحن العرب أسخى من بَدَل.

د: أكد المطلوب بتكرير الفعل و قال: «وَيُطَهِّرْكُمْ» الذى هو تأكيد لمعنى إذهاب الرجس المتقدم عليه.

ه: أرفقه بالمفعول المطلق و قال: «تَطَهِّرًا» .

فهذه الوجوه الخمسه آيه أن هذه الإراده إرادته خاصه بأهل البيت لا يشاركون فيها أحد من الأئمه، و إلا لكانت تلك العناية البالغه فى مجال التخصيص و الاختصاص لغواً مضرراً بالبلاغه، و غير لائقه بكلام رب العزه.

ثم إن تعلق إرادته التكوينية بطهاره أهل البيت من المذنب ليس بأمر جديد، فقد جاء نظيره فى مريم سلام الله عليها، قال الله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ

إِضْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ» ١.

و ليس هذا الاضطفاء و التطهير بالإرادة التشريعيه،فإنّ مريم و غيرها أمام هذه الإراده سواسيه،بل هناك إرادته خاصه تعلقت بمريم دون غيرها فطهرتها من الذنوب و حصنتها من اقتراف المعاصي.

و سيوافيك أنّ تعلّق الإراده التكوينيّه بالطهاره من الذنب لا ينافي الاختيار على الاستجابه و الرفض،و الثواب و العقاب،و الفعل و الترك.

الثاني: ما هو المراد من الرجس؟

هذا هو الأمر الثاني الذي يجب الإمعان فيه حتّى يكون الدليل منتجاً لا عقيماً و قد غفل الأستاذ عن تبين تلك الناحيه فى كلامه فنقول: إنّ الرجس استعمل فى الذكر الحكيم،فى الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام (١) كما استعمل فى الميتة و الدم و لحم الخنزير (٢) و فى الأوثان (٣) و فى المنافقين (٤) و فى المشركين (٥) و فى غير المؤمنين (٦) إلى غير ذلك من موارد استعماله فى الكتاب و السنّه النبويه و اللغه العربيه،فينتقل الإنسان من مجموع هذه الموارد إلى أنّ الرجس عبارته عن كلّ قذاره ظاهرية كالدّم و لحم الخنزير،أو باطنية و روحية كالشرك و النفاق و فقد الإيمان.و بالجملة مساوى الأخلاق،و الصفات السيئه و الأفعال القبيحه التى يجمعها الكفر و النفاق و العصيان.

فالمنفى فى الآيه المبحوثه عنها هو هذا النوع من الرجس،فهو بتمام معنى

ص: ٥٤٩

[١-٢]. المائدة: ٩٠. [١]

[٢-٣]. الأنعام: ١٤٥. [٢]

[٣-٤]. الحج: ٣. [٣]

[٤-٥]. التوبه: ٩٥. [٤]

[٥-٦]. يونس: ١٠٠. [٥]

[٦-٧]. الأنعام: ١٢٥. [٦]

الكلمه ممّا أذهبه الله عن أهل البيت.

فإذا كان أهل البيت منزهين عن النفاق و الشرك و الأعمال القبيحه و ما يراد منها، فهم معصومون من الذنب مطهرون من الرجس، بإرادته منه سبحانه.

و قد رباهم الله سبحانه و جعلهم معلّمين للأئمة هادين للبشر، كما ربّى أنبياءه و رسله لتلك الغايه.

فهل الأستاذ-حفظه الله- يوافقنا على هذا التفسير أم أنّ له في تفسير الرجس مذهباً آخر فليبينه لنا؟ و لا أظن أن يفسره بغير ما يفسره القرآن.

و على ضوء ذلك فأهل البيت- كانوا من كانوا- معصومون بنصّ هذه الآيه، مطهرون من الذنب و العثره في القول و العمل بإذن من الله سبحانه و إرادته حاسمه. و قد اتفقت الأئمة على أنّ نساء النبيّ لسنّ بمعصومات، فإنّ الآيات الواردة في سورة الأحزاب، أولاً ثمّ في سورة التحريم ثانياً حيث يقول سبحانه: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» ١ تثبت ذلك.

و هذا لا- يعنى أن نبخس حقّهن، و نترك تكريمهن فأنهن أمّهات المؤمنين لهنّ من الحقوق ما شرعها الله في كتابه و سنه نبيّه المطهّره.

الثالث: ما هو المراد من «البيت»؟

لا شك أنّ «البيت» في هذه الآيه محلّاه باللام و هى تستعمل في تعريف

ص: ٥٥٠

الجنس، والاستغراق، والعهد فيجب التدبر في مفادها، فهل هي هنا لتعريف الجنس أو لبيان الاستغراق، أو أنها تشير إلى بيت معهود بين المتكلم والمخاطب؟

أما الأول والثاني فلا سبيل إليهما، لأنه سبحانه ليس بصدد بيان أن إرادته الحكيمه تعلقت باذهاب الرجس عن أهل جنس البيت أو كل البيوت في العالم، وذلك واضح لا يحتاج إلى الاستدلال إذ تكون حينئذ شامله لبيوت عامه المؤمنين.

فتعين الثالث، وهو كون المراد (بيت واحد) معين معهود، بين المتكلم والمخاطب (أى النبي صلى الله عليه وآله وسلم).

وعندئذ يجب علينا أن نحاول فهم ذلك البيت المعهود وأنه ما هو؟

ولا يمكن لنا أن نطبقه على بيوت نساء النبي بشهادته أنه سبحانه عند ما يذكر بيوتهن فإنه يذكرها بصيغته الجمع إذ أن لهن بيوتاً لا بيت واحد.

والآية تركز على البيت الواحد، والدليل على تعدد بيوتهن:

قوله سبحانه: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» ١.

وقوله سبحانه: «وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ» ٢.

فإننا نرى هنا أنه لم يكن لنساء النبي بيت واحد بل بيوت عديده.

ولم يكن للنبي أيضاً بيت واحد.

قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» ٣.

فإننا نرى هنا أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا لنسائه بيت واحد بل بيوت عديده

فما هو المراد-يا ترى-بالبیت الذی جاء بصیغه المفرد؟

فعندئذ يجب على المفسّر المحقّق المجرّد من كلّ عقیده مسبقه تبیین هذا البیت و تعينه،فهذا البیت ليس من بیوت نسائه،و لا بیوت نفس النبى بشهاده ما مضى من أنّ القرآن عند ما يتحدّث عن ازواج النبى و نفس النبى إنّما يتحدّث عن بیوت لهن لا عن البیت الواحد.فلا محیص عن تفسیره ببیت واحد معهود فأی بیت ذاک؟فعلى الأستاذ تعينه.

هذا إذا كان المراد من البیت هو البیت المحسوس،أى البیت المادى و هناك احتمال آخر و هو أن يكون المراد منه هو مركز الشرف و مجمع السیاده و العزّ،و إن شئت قلت إذا أُريد منه بیت النبوه و بیت الوحى و مركز أنوارهما فلا یصحّ أن یراد منه إلاّ المنتمون إلى النبوه و الوحى بوشائج روحیه خاصه على وجه یصحّ مع ملاحظتها،عدّهم أهلاً لذلك البیت،و تلك الوشائج عباره عن النزاهه فى الروح و الفكر.

و لا يشمل كل من یرتبط ببیت النبوه عن طریق السبب أو النسب فحسب،و فى الوقت نفسه یفتقد الأواصر الروحیه الخاصه،و لقد تفتّن العلامه الزمخشرى صاحب التفسیر لهذه النکتة،فهو یقول فى تفسیر قوله تعالى: «أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» ١:

لأنّها كانت فى بیت الآیات و مهبط المعجزات و الأمور الخارقه للعادات فكان علیها أن تتوقّر و لا یزدهيها ما یزدهى سائر النساء الناشئات فى غیر بیوت النبوه،و أن تسبّح الله و تمجّده مكان التعجّب،و إلى ذلك أشارت الملائكه فى قولها: «رَحِمْتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ...» أرادوا أنّ هذه و أمثالها ممّا

يكرمكم به ربّ العزّه و يخصّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوه. (١)

و على ذلك لا يصح تفسير الآيه بكل المتممين عن طريق الأواصر العائليه إلى بيت خاص حتى بيت فاطمه إلا أن تكون هناك الوشائج المشار إليها.

و لقد جرى بين «قتاده» ذلك المفسّر المعروف و بين أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام مناظره لطيفه أرشده الإمام فيها إلى هذا المعنى الذي أشرنا إليه قال-عند ما جلس الإمام الباقر عليه السلام:-لقد جلست بين يدي الفقهاء و قدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك. قال له أبو جعفر الباقر عليه السلام:ويحك أ تدري أين أنت؟ أنت بين يدي «بُيُوتِ أذنَ اللهُ أنْ تُزَفَعَ وَ يُدْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ» ٢ فانت ثمّ و نحن أولئك.فقال قتاده:صدقت و الله جعلني الله فداك،و الله ما هي بيوت حجاره و لا طين.

(٢)

و ما جاء في كلام باقر الأئمّه عليه السلام يحضّ المفسّر فيها على البحث و التحقيق عن الذين يرتبطون بذلك البيت الرفيع بأواصر روحيه معينه و بذلك يظهر وهن القول بأنّ المراد من البيت أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم،لأنّه لم تكن تلك الوشائج الخاصه-باتفاق المسلمين - بينهنّ،و أقصى ما عندهنّ أنّهنّ كنّ مسلمات مؤمنات.

ص: ٥٥٣

١- ١). الذهبي،ميزان الاعتدال:٩٣/٣-٩٧؛سير اعلام النبلاء:١٨/٥-٢٢.

٢- ٣). الشرح الحديدي:١٠٢/٤؛سير اعلام النبلاء:٤٢١/٤-٤٢٧.

نرى أنه سبحانه عند ما يتحدث عن أزواج النبي و نساءه يذكرهن بصيغه جمع المؤنث، و لا يذكرهن بصيغه الجمع المذكر، فإنه سبحانه يأتي في تلك السوره من الآيه ٢٨ إلى الآيه ٣٤ باثنين و عشرين ضميراً-مؤنثاً مخاطباً بها نساء النبي و إليك الإعاز إليها:

١. كنتنّ؛ ٢. تردن؛ ٣. تعالين؛ ٤. امتعكنّ؛ ٥. أسرحكنّ (١).

٦. كنتنّ؛ ٧. تردن؛ ٨. منكنّ (٢).

٩. منكنّ (٣).

١٠. منكنّ (٤).

١١. لستنّ؛ ١٢. اتقيتنّ؛ ١٣. فلا تخضعنّ؛ ١٤. و قلنّ (٥).

١٥. و قرنّ؛ ١٦. بيوتكنّ؛ ١٧. تبرجنّ؛ ١٨. اقمنّ؛ ١٩. آتينّ؛ ٢٠. اطعنّ (٦).

٢١. و اذكرنّ؛ ٢٢. في بيوتكنّ (٧).

نرى أنه سبحانه عند ما يتحدث عن نساء النبي يذكرهن بهذه الضمائر، مع أنّا نرى أنه سبحانه عند ما يذكر أهل البيت يذكرهم بضمائر المذكر، و يقول: «لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ»، «و يُطَهِّرَ كُمْ».

فما هو وجه العدول في هذه الآيه عن السياق الوارد في الآيات المتقدمه

ص: ٥٥٤

١- ١. الأحزاب: ٢٨. [١]

٢- ٢. الأحزاب: ٢٩. [٢]

٣- ٣. الأحزاب: ٣٠. [٣]

٤- ٤. الأحزاب: ٣١. [٤]

٥- ٥. الأحزاب: ٣٢. [٥]

٦- ٦. الأحزاب: ٣٣. [٦]

٧- ٧. الأحزاب: ٣٤. [٧]

و المتأخره عنها؟

و ما يقوله الأستاذ من أنّ أهل السنه يجوزون في لغه العرب مخاطبه الجمع المؤنث، بصيغه جمع المذكر تعبيراً لعلو المقام، و المبالغه، لو كانت صحيحه، فما هو وجه العدول في مورد واحد عمّا ورد في اثنين عشرين مورداً؟!

أليس هذا العدول لذلك التبرير المزعوم موجباً للالتباس و وقوع المخاطب في الاشتباه؟

إلى هنا ثبت أنّ الآية لا تهدف إلى نساء النبي، و إنّما تهدف إلى بيت واحد و إلى أهله خاصه.

فعند ذلك يجب علينا أن نميط الستر عن وجه الحقيقه عن طريق السنه النبويه.

السنه النبويه تميط الستر عن وجه الحقيقه

إنّ للنبي صلى الله عليه و آله و سلم عنايه وافرّه بتعريف أهل البيت لم ير مثلها إلّا في أمور نادره حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفه، و إليك بيانها على سبيل الإيجاز و الاختصار.

لقد قام النبي بتعريف أهل البيت بطرق ثلاثه:

أولاً: صرح بأسماء من نزلت الآية في حقهم، حتى يتعين المنزول فيه باسمه و رسمه.

ثانياً: قد أدخل جميع من نزلت الآية في حقهم تحت الكساء و منع من دخول غيرهم.

ثالثاً: كان يمر ببيت فاطمه عدّه شهور كلّما خرج إلى الصلاه فيقول: الصلاه أهل البيت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

ص: ٥٥٥

و نذكر من كل طائفه نماذج:

أما الأولى: أخرج الطبري في تفسير الآيه عن أبي سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزلت الآيه في خمسه: في وفي على رضى الله عنه و حسن رضى الله عنه، و حسين رضى الله عنه، و فاطمه رضى الله عنها، «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» .

و قد رويت في هذا المجال روايات فمن أراد فليرجع إلى تفسير الطبري و الدر المنثور للسيوطي.

و أما الثانيه: فقد روى السيوطي و أخرج ابن أبي شيبه و أحمد و مسلم و ابن جرير و ابن أبي حاتم و الحاكم عن عائشه رضى الله عنها قالت: خرج رسول الله غداه و عليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن و الحسين رضى الله عنهما فأدخلهما معه، ثم جاء على فأدخله معه ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» .

و لو لم تذكر فاطمه في هذا الحديث فقد جاء في حديث آخر، حيث روى السيوطي قال: و أخرج ابن جرير و الحاكم و ابن مردويه عن سعد قال: نزل على رسول الله الوحي فأدخل علياً و فاطمه و ابنيهما تحت ثوبه، قال: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي وَ أَهْلَ بَيْتِي.

و في حديث آخر جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى فاطمه و معه حسن و حسين، و على حتى دخل فأدنى علياً و فاطمه فأجلسهما بين يديه و أجلس حسناً و حسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه و انا مستديرهم ثم تلا هذه الآيه: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» .

و أما الطائفه الثالثه: فقد أخرج الطبري عن أنس أن النبي كان يمرّ ببيت فاطمه سته أشهر كلما خرج إلى الصلاه فيقول الصلاه أهل البيت «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» ..

و للوقوف على مصادر هذه الروايات لاحظ تفسير الطبرى، ج ٢٢، ص ٥-٧، و الدر المنثور: ج ٥، ص ١٩٨ - ١٩٩، و الروايات تربو على أربع و ثلاثين روايه، و رواها من عيون الصحابه: أبو سعيد الخدرى، أنس بن مالك، ابن عباس، أبو هريره الدوسى، سعد بن أبى وقاص، واثله بن الاسقع، أبو الحمراء أعنى هلال بن حارث، أمهات المؤمنين عائشه و أم سلمه.

و رواه من أصحاب الصحاح: مسلم فى صحيحه: ج ٧، ص ١٢٢-١٢٣ و الترمذى فى سننه.

و لاحظ جامع الأصول لابن الأثير ج ١٠، ص ١٠٣.

و بالإمعان فى ما ذكرنا من النصوص تقف على ضعف قول الأستاذ حيث يقول: إن حديث الرسول جاء بصيغه الطلب، اللهم اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و هى تفيد عدم شمول الآيه للأربعة وقت نزول النص، فدعا الرسول ربّه بأن يشملهم أيضاً بحكمه.

فإن ما ذكره الأستاذ إنما جاء فى بعض صور هذا الحديث، و لكن الكثير على خلاف هذا فإن صيغه (أذهب) جاءت فى قليل من النصوص و الصور، و أمّا الأكثر فمشمول على أن النبى جلّهم تحت الكساء و تلا الآيه المذكوره.

فقد أخرج مسلم عن عائشه أنها قالت: خرج النبى صلى الله عليه و آله و سلم و عليه مرط أسود فجاءه الحسن فأدخله، ثم جاءه الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمه فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» .

و لو افترضنا صحّه ما ورد من صيغه الطلب، فهذا لا يدل على عدم الشمول، و إنما هو دعاء على استمرار الشمول كقوله سبحانه:

«اهْدِنَا الصِّرَاطَ

ص: ٥٥٧

المُشْتَقِيمِ» فَأنَّهُ يتلوه النبي و الوصى و المؤمنون كلهم، و ليس معناه خروجنا عن الصراط المستقيم حتى يهدينا الله سبحانه إليه.

بقى هنا كلام و هو أنّ لفيماً من التابعين ذكروا أنّ الآية نزلت في حقّ نساء النبي و أزواجه، و لكن هذه الرواية تصل إلى عكرمه الخارجي الحروري (1) و عروه ابن الزبير المعروف بالانحراف عن علي عليه السلام (2) و مقاتل بن سليمان (3) الذي يعد من أركان المشبّهة.

عود إلى بدء

إشارة

قد تعرفت على منطق الشيعة في نزول الآية في آل العباء و الكساء و دلالتها على عصمتهم من الذنب و العصيان، غير أنّ الكاتب القدير محمد آلوسى قد استبعد نزولها في حقهم بأمر ربما مضى تحليلها في ثنايا البحث و لإيضاح المطلب نرجع إلى تحليل ما استند إليه ثانياً.

قد مضى أنّه استند في تقريب مختاره إلى الأمور التالية:

1. سياق الآيات يمنع عن نزولها في غير أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

2. أنّ تذكير الضميرين في آية التطهير مع أنّ المقصود هو نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم هو لأجل الإشعار بعلو المقام و المبالغة.

3. حديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جاء بصيغه الطلب، و هذا دليل على عدم شمول الآية لآل العباء و لو شملت الآية لهم لجاء بصيغه الشكر.

4. الإرادة التكوينية المتعلقة بالعصمة تسلب الاختيار عن المعصوم و لا يكون عمله خاضعاً للثواب و العقاب.

و إليك تحليل تلك الأمور:

ص: ٥٥٨

١- ١. ميزان الاعتدال: ٩٣/٣.

٢- ٢. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٩/٤.

٣- ٣. ميزان الاعتدال: ١٧٣/٤.

إنّ القول بنزول الآية في آل الكساء لا توجد أيّ مشكله في سياقها شريطه الوقوف على أسلوب البلاغ في كلامهم و خطاباتهم. فإنّ من عادتهم الانتقال من خطاب إلى غيره ثمّ العود إليه مرّة أخرى.

قال صاحب المنار: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن ثمّ يعود إلى مباحث المقصد الواحد المره بعد المره. (١)

و قد اعترف الكاتب بهذه الحقيقه أيضاً عند بحثه في آيه الولاية التي سيوافيك البحث عنها بعد الفراغ من آيه التطهير حيث قال ما هذا نصّه:

الأصل عند أهل السنّه أنّ الآية تعتبر جزءاً من سياقها إلّا إذا وردت القرينه على أنّها جملة اعتراضيه تتعلّق بموضوع آخر على سبيل الاستثناء و هو اسلوب من أساليب البلاغه عند العرب جاءت في القرآن الكريم على مستوى الإعجاز.

و قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «إنّ الآية من القرآن يكون أولها في شيء و آخرها في شيء». (٢)

فعلى سبيل المثال، أنّه سبحانه يقول في سورة يوسف حاكياً عن العزيز أنّه بعد ما واجه الواقعه في منزله قال: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ* يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» ٣.

ترى أنّ العزيز يخاطب زوجته بقوله: «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ» و قبل أن يفرغ من كلامه معها يخاطب يوسف بقوله: «يُوسُفُ أَعْرَضُ عَنْ هَذَا» ثمّ يرجع إلى

ص: ٥٥٩

١-١. المنار: ٤٥١/٢.

٢-٢. الكاشف: ٢١٧/٦.

الموضوع الأول، و يخاطب زوجته بقوله: «وَ اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ» فقوله: «يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنُ هَذَا» جملة معترضه، وقعت بين الخطابين، و المسوّغ لوقوعها بينهما كون المخاطب الثاني أحد المتخاصمين و كانت له صلة تامّة بالواقعة التي رفعت إلى العزيز.

و الضابطه الكليه لهذا النوع من الخطاب هو وجود التناسب المقتضى للعدول من الأول إلى الثاني ثم منه إلى الأول و هي موجوده فى الآيه فأنه سبحانه يخاطب نساء النبي بالخطابات التاليه:

١. «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» ١ .

٢. «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ» ٢ .

٣. «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» ٣ .

فعند ذلك صحّ أن ينتقل إلى الكلام عن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و ذلك لوجهين:

١- تعريفهن على جماعه بلغوا فى التورع و التقى الذروه العلياء و فى الطهاره عن الرذائل و المساوىء، القمه، و بذلك استحقوا أن يكونوا أسوه فى الحياه و قدوه فى مجال العمل، فيلزم عليهنّ أن يقتدين بهم، و يستضئ بنورهم.

٢- كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم محوراً للطائفتين المجتمعتين حوله صلى الله عليه و آله و سلم.

الأولى: أزواجه و نساؤه.

الثانيه: بنته و زوجها و أولادها.

فالنبي صلى الله عليه و آله و سلم هو الرابط الذى تنتهى إليه تلك المجموعتان، فنحن ننظر إلى

كل طائفه مجرّده عن الأخرى و لأجل ذلك نرى انقطاع السياق، إذا فسرنا أهل البيت بفاطمه و زوجها و بنيتها.

و لكن لما كان المحور للمجموعتين هو النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الله سبحانه يتحدث فيما يرتبط بالنبي من بيوت و أهلها، فعند ذلك تتراءى المجموعتان كمجموعه واحده حول النبي و هو الرابط بينهما، فيعطى لكل جماعه حكمها فيتحدث عن نسائه بقوله: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ . يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ . يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ» الخ.

كما أنه يتحدث عن المجموعه الأخرى الموجوده فى تلك الجماعه بقوله: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ» .

فالباعث للجمع بين الطائفتين فى تلك المجموعه من الآيات و فى ثنايا آيه واحده إنما هو انتساب الكل إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و حضورهما حوله، و ليس هناك أى مخالفه للسياق.

ب: تذكير الضمائر لأجل التعبير عن علو المقام

قد تعرفت فى ثنايا الكلام ضعف هذا الاعتذار، و الواجب ان لا نعود إليه.

و قد عرفت أنّ مجموعه الآيات الوارده فى هذا المضممار تشتمل على اثنين و عشرين ضميراً بصيغه الجمع المؤنث كلها ترجع إلى نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم فعند ذلك يطرح هذا السؤال فأى سبب دعا المتكلم إلى الإيعاز لعلو مقامهم و المبالغه فى تكريمهم فى هذا المورد دون الموارد الأخرى مع أنّ المورد لا يقتضى الإيعاز إلى علو مقامهم، فترى أنّ المتكلم يتشدد فى كلامه معهنّ حيث يقول:

«يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ

و يقول: «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ...» ٢.

و يقول: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...» ٣. أ في هذا المقام الذى أخذ المتكلم يندد بهنّ و يطلب منهنّ أن لا يتبرجن تبرج الجاهليه الأولى يستحق الإيعاز بتكريمهن و بيان علو مقامهن!

ترى أنّ لحن الكلام لحن التشدد و التنديد و مثل هذا المقام لا يناسب الإيعاز بعلو مقامهنّ و الإشارة إلى تكريمهنّ خصوصاً أنّ العدول يوجب الالتباس و الذى دعا الكاتب إلى التمسك بهذا الجبل الموهن هو صيانته عقيدته التى نشأ عليها منذ نعومه أظفاره إلى يومه هذا و إلّا فالأستاذ كاتب قدير يعلم مواقف التكريم و التقدير عن غيرها.

ج: حديث الرسول جاء بصيغه الطلب

يقول الأستاذ الألوسى: إنّ حديث الرسول جاء بصيغه الطلب، و قال: «اللهم اذهب» و لو كانت الآية شامله لهم لكان المناسب هو صيغه الشكر لا صيغه الطلب.

يلاحظ عليه: إنّ الأستاذ انتقى من أحاديث الرسول ما جاء فيها صيغه الطلب و ترك غيرها و قد عرفت لفيهاً من الأحاديث و كيف أنّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم تكلم فيها مخبراً عن ذهاب الرجس عنهم لا طالباً، و فيما مضى كفايه.

هذا هو السبب المهم لما ذهب إليه الأستاذ من أنّ الإرادة في الآيه تشريعيه لا- تكوينيه،و ذلك لأنّ الإراده التكوينية تسلب الاختيار و بالتالى لا تصبح العصمه فخرأ،لأنّ الإنسان مع هذه الإراده يصبح بلا اختيار.

يلاحظ على هذا الكلام: أنّ القول بالعصمه لو كان سالباً للاختيار فالإشكال يسرى إلى جميع الأنبياء و المرسلين و على رأسهم سيد المرسلين فإنهم معصومون من الخطأ فى إبلاغ الأحكام و من العصيان فى تطبيق الشريعة على الساحة باتفاق الأمة إلا من شذ ممن لا يعبأ به فلو كانت العصمه سالبه للاختيار فما قيمه عصمتهم و ما قيمه اجتنابهم عن المعاصى.

و هذا الإشكال ليس جديداً و إنما هو مطروح فى الموسوعات الكلاميه و الكتب التفسيريه و قد قام المحققون من علماء الإسلام بالإجابة عنه و قالوا:

إنّ العصمه لا تسلب الاختيار عن الانسان،فإنّ المعصوم قادر على اقرار المعاصى و ارتكاب الخطايا حسب ما أعطى من القدره و الحريه غير أنّ وصوله إلى الدرجه العليا من التقوى و استشعاره بعظمه الخالق يصدّه عن اقرارها.

و إن شئت قلت: إنّ المعصوم قد بلغ فى العلم بآثار المعاصى مرحله يشاهد آثارها السيئه مشاهده حضوريه لا يتسرب إليها الشك و التردد-يقول سبحانه:

«كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ» ١.

و مثل هذا العلم يصدّ الإنسان عن ارتكاب المعاصى،و لأجل تقريب الفكره نأتى بالمثال التالى:

إنّ الوالد العطوف بالنسبه إلى قتل ولده معصوم لا يقدم عليه،و مع ذلك

هو قادر عليه، أما أنه قادر فلا شك أن بإمكانه أن يأخذ بالسكين و يذبحه كما يذبح الكبش، و أما أنه لا يقدم عليه و لو اعطى له الكنوز المكنوزه و المناصب المرموقه، لأن عطفه و حنانه قد ملئ بهما قلبه فلا يبادل به شئ.

فالعلم بآثار الموبقات تعطى ملكه العصمه، و لكن لا تغير طبيعه الإنسانيه، المختاره فى أفعالها الإراديه، و لا يخرجها إلى ساحه الإجبار و الاضطرار.

هذا إجمال ما أوضحناه فى موسوعتنا التفسيريه. (١)

آيه الولايه و زعامه الإمام على عليه السلام

قال الأستاذ الآلوسى:

لم تنزل الشيعة عن بكره أبيهم يستدلون على إمامه الإمام على و قيادته و زعامته بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقوله سبحانه: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» (و قد سقط فى نص المقال جملة «و يؤتون الزكاه») «وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» ٢ .

و إليك عرضاً موجزاً لاستدلالهم:

استدلت الشيعة بهذه الآيه على أن علياً عليه السلام ولى المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، قائلين بأن الآيه تعد الولي - بعد الله و رسوله - الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاه فى حال الركوع، و قد تضافرت الروايات بأن علياً عليه السلام تصدق بخاتمه و هو راعى فنزلت الآيه.

أخرج الحفاظ و أئمة الحديث عن أنس بن مالك و غيره أن سائلاً أتى مسجد النبى صلى الله عليه و آله و سلم و علياً عليه السلام راعى فأشار بيده للسائل أى اخلع الخاتم من يدي.

ص: ٥٦٤

١ - ١). مفاهيم القرآن: ٣/٤٠١-٤٠٥. [١]

قال رسول الله: يا عمر وجبت. قال: بأبي أنت و أمي يا رسول الله ما وجبت؟! قال: وجبت له الجنة و الله، و ما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنب و من كل خطيئه. قال: فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز و جل: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ». فأنشأ حسان بن ثابت يقول: أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي

و قد أخرجه ابن جرير الطبري (١) و الحافظ أبو بكر الجصاص الرازي في أحكام القرآن (٢) و الحاكم النيسابوري (المتوفى ٤٠٥) (٣) و الحافظ أبو الحسن الواحدى النيسابوري (المتوفى ٤٦٨) (٤) و جار الله الزمخشري (المتوفى ٥٣٨) إلى غير ذلك من أئمة الحفاظ و كبار المحققين ربما ناهز عددهم السبعين، و هم بين محدث و مفسر و مؤرخ و يطول بنا الكلام لو قمنا بذكر أسمائهم و نصوصهم، و كفانا في ذلك مؤلفات مشايخنا في ذلك المضمار. (٥)

ص: ٥٦٥

-
- ١- ٢). تفسير الطبري ١٨٦/٦.
 - ٢- ٣). أحكام القرآن: ٥٤٢/٢ و [١] رواه من عدة طرق.
 - ٣- ٤). معرفه أصول الحديث، ص ١٠٢.
 - ٤- ٥). أسباب النزول، ص ١٤٨. [٢]
 - ٥- ٦). لاحظ المراجعات للسيد شرف الدين العاملي، المراجعة الأربعة، ص ١٦٢-١٦٨ و الغدير لشيخنا الأميني: ١٦٢/٣ و قد رواه من مصادر كثيرة.

ولا يمكن لنا إنكار هذه الروايات المتضافره لو لم تكن متواتره، فإن اجتماعهم على الكذب أو على السهو والاشتباه أمر مستحيل.

و المراد من الولي في الآيه المباركه هو الأولي بالتصرف كما في قولنا: فلان ولي القاصر، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «أيما امرأه نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل» وقد صرح اللغويون ومنهم الجوهري في صحاحه بأن كل من ولي أمر أحد فهو وليه، فيكون المراد:

أن المدي يلي أموركم فيكون أولى بها منكم إنما هو الله عز وجل ورسوله ومن اجتمعت فيه هذه الصفات: الإيمان وإقامه الصلاة، وإيتاء الزكاه في حال الركوع. ولم يجتمع يوم ذاك إلا في الإمام على حسب النصوص المتضافره.

وفي حقه نزلت هذه الآيه.

و الدليل على أن المراد من الولي هو الأولي بالتصرف أنه سبحانه أثبت في الآيه الولايه لنفسه ولنبيه ولوليه على نسق واحد، وولايه الله عز وجل عامه فولايه النبي و الولي مثلها و على غرارها. غير أن ولايه الله، ولايه ذاته و ولايه الرسول و الولي مكتسبه معطاه، فهما يليان أمور الأمة بإذنه سبحانه.

و لو كانت الولايه المنسوبه إلى الله تعالى في الآيه غير الولايه المنسوبه إلى المدين آمنوا لكان الأنسب أن تفرد ولايه أخرى للمؤمنين بالذكر، دفعا للالتباس كما نرى نظيرها في الآيات التاليه:

قال تعالى: «قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ يُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ» ١.

نرى أنه سبحانه كرر لفظ الإيمان، و عداه في أحدهما بالباء، و في الآخر باللام لاختلاف في حقيقه إيمانه بالله، و للمؤمنين حيث إن إيمانه بالله سبحانه إيمان جدى و تصديق واقعى، بخلاف تصديقه للمؤمنين المخبرين بقضايا

متضاده حيث لا يمكن تصديقهم جميعهم تصديقاً جدياً، والذى يمكن هو تصديقهم بالسمع و عدم الرفض و الرد، ثم التحقيق فى الأمر، و ترتيب الأثر على الواقع المحقق.

و ممّا يكشف عن وحده الولاية فى الآيه المبحوثة أنّه سبحانه أتى بلفظ «وليكُم» بالافراد، و نسبه إلى نفسه و إلى رسوله و إلى العذرين آمنوا، و لم يقل: «و إنّما أولياءكم» و ما هذا إلّا لأنّ الولاية فى الآيه بمعنى واحد و هو: الأولى بالتصرف، غير أنّ الأولويه فى جانبه سبحانه بالأصالة و فى غيره بالتبعيه.

و على ضوء ذلك يُعلم أنّ القصر و الحصر المستفاد من قوله: «إنّما» لقصر الإفراد، و كأنّ المخاطبين يظنون أنّ الولاية عامّه للمذكورين فى الأمه و غيرهم، فأفرد المذكورون للقصر، و إنّ الأولياء هؤلاء لا غيرهم.

ثمّ يقع الكلام فى تبيين هؤلاء الذين وصفهم الله سبحانه بالولاية و هم ثلاثه:

١. الله جلّ جلاله.

٢. و رسوله الكريم صلى الله عليه و آله و سلم.

و هما غنيان عن البيان.

و أمّا الثالث فبما أنّه كان مبهماً بينه بذكر صفاته و خصوصياته الأربع:

١. «الَّذِينَ آمَنُوا».

٢. «الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ».

٣. «وَأَيُّتُونَ الزَّكَاةَ» .

و لا شكّ أنّ هذه السمات، سمات عامه لا تميز الولي عن غيره.

فالمقام بحاجه إلى مزيد توضيح يجسّد الولي و يحصره فى شخص خاص لا يشمل غيره، و لأجل ذلك قيده بالسمه الرابعه أعنى قوله: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» .

ص: ٥٦٧

و هي جملة حالتيه لفاعل يؤتون، و هو العامل فيها. و عند ذلك انحصر في شخص خاص على ما ورد في الروايات المتضافره.

هذا هو منطق الشيعة في تفسير الآيه لا تتجاوز في تفسيرها عن ظاهرها قيد أنمله.

نعم نقل الكاتب القدير نظريه أُخرى و هي لأهل السنه فقال: إنّ هذه الآيه لم تنزل بهذا السبب رغم ورود هذه الروايه (نزولها في حقّ عليّ) عندهم، و في كتبهم و تفاسيرهم، مرجحين في ذلك روايات أُخرى تفيد نزولها بحقّ العذنين كانت بينهم و بين اليهود في المدينه تحالفات عُقدت قبل الإسلام و قبل الهجره فمنهم من رفض فكّ ارتباطه باليهود حرصاً منه على موالاتهم، و منهم من أنهى هذا التحالف قائلاً بولايه الله و رسوله و المؤمنين عليه معززين رأيهم الذي رجحوه على جملة اعتبارات:

منها أنّ كلمه الولايه مشتركه في معانيها، فهي مثلما تعنى الرئاسه و الزعامه تعنى الولاء و النصره و الحب و الود و التحالف و أنّ هذا المعنى الأخير هو المرجح عند نزول الآيه لوجود تحالف كان قائماً فعلاً، و عدم وجود ولايه لليهود في جنبه بمعنى الزعامه و القيادة.

و لذلك رأى أهل السنّه أنّ هذا الترجيح أقرب لواقع الحال في حينه.

اضافه إلى ذلك فإنّ السياق و هو الآيات التي سبقت هاتين الآيتين و الآيات التي أعقبها جاءت تحذر من كيد اليهود و تندد بمن أصر على استمرار التحالف معهم، أمثال عبد الله بن أبي، زعيم المنافقين في حينه. و الأصل عند أهل السنه أنّ الآيه تعتبر جزءاً من سياقها إلماً إذا وردت القرينه على أنّها جملة اعتراضيه تتعلق بموضوع آخر على سبيل الاستثناء، و هو أسلوب من أساليب البلاغه عند العرب جاءت في القرآن الكريم على مستوى الإعجاز.

هذا نصُّ الأستاذ و حاصله يرجع إلى أمرين:

١. أنّ لفظ الولاية مشترك بين عدّه معان، فلا سبيل إلى حملها على القيادة و الزعامه إلّا بدليل.

٢. أنّ سياق الآيات يؤكد على حملها على ذلك المعنى أى النصره و الود و الحب و التحالف. و الأخير هو المناسب.

هذا عرضاً موجزاً لمقاله و إليك تحليله:

يلاحظ على الوجه الأول:

نحن نفترض أنّ الولاية مشتركه بين المعانى المختلفه، و لكن القرائن القاطعه تدل على أنّ المراد منها هو التصرف، لما عرفت.

أولاً: أنّ الولاية بالمعنى الواحد نسب إلى الله و إلى رسوله و الذين آمنوا.

أفصحّ لنا أن نحصر ولاية الله سبحانه بالنصر و الود و الحب و التحالف، فإنّ ولايته سبحانه و لايه عامه تشمل جميع ما يعدّ مظاهر لها.

فإذا كانت الولاية منسوبه بمعنى واحد إلى الثلاثه فيجب أن تفسر بمعنى واحد، لا أن تُفرز الولاية المنسوبه إلى الله عمّا نسبت إلى الآخرين.

و ثانياً: لو فسرنا الولاية بالنصر و الود و التحالف، فيلزم اتحاد الولي و المولّى عليه، إذ لو كان المؤمنون المصلون المزكون أولياء فمن المولّى عليه إذن؟

و بعباره أخرى أنّه سبحانه يعدّ جميع المؤمنين أولياء فيجب أن يكون هناك مولّى عليه غيرهم و ليس هناك شىء... و«لا قريه وراء عبادان».

ثالثاً: لو فسرنا الولاية بالنصر و الود و التحالف، فالمؤمنون كلّهم فى صفّ واحد، فلما ذا قيد الولاية بالزكاه فى حاله الركوع؟

فلو افترضنا أنّ مؤمناً صَلَّى وَ زَكَّى فِي غير حال الصلاة-و ما أكثرهم-أو يصح لنا إخراجهم عن عداد الأولياء.

كُلِّ ذلك يدلنا بوضوح على أنّ الآية وردت في جمع أو فرد خاص عبّر عنه بصيغه الجمع، و ما أكثر نظيره في القرآن حيث عبّر عن المفرد بالجمع.

قال سبحانه: «الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ» و القائل هو فتحاس اليهودى (١).

قال سبحانه: «وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ» ٢. نزل في رجل من المنافقين (٢).

إلى غير ذلك من الآيات التي يطول المقام بنقلها.

فقد وردت صيغه الجمع في عشرين آية و أريد منها شخص واحد.

فهذه الوجوه الثلاثة تصدنا عن تفسير الولاية بغير الزعامه و القيادة، فإنها المعنيه بقوله سبحانه: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ» ٤.

و قال سبحانه: «مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا شَفِيعٍ أَ فَلَا تَتَذَكَّرُونَ» ٥.

و قال سبحانه: «أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ» ٦.

و قال سبحانه: «فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ» ٧.

و قال سبحانه: «وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» ٨.

غير أنّ ولاية الله سبحانه و لايه ذاتيه، و ولاية غيره بالجعل و النصب

ص: ٥٧٠

١-١. راجع تفسير القرطبي: ٢٩٤/٤. [١]

٢-٣. تفسير القرطبي: ١٩٢/٨.

و الافاضه.

و يشير إلى ولايه الرسول بقوله: «النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ» ١.

و إلى ولايه الرسول و أولى الأمر بقوله: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» ٢.

و من يريد تفسير ولايه الله و الرسول بالحب و الحلف و قصرها في إطار ضيق بالنصر، فقد أخرج الآيه عن ذروه البلاغه إلى حدّ نازل.

فكما أنّ السياق جزء من التفسير، و سبب يستعان به على كشف المراد، فكذلك الخصوصيات الموجوده في نفس الآيه أدلّ دليل يرشد القارئ إلى التعمق في مراده سبحانه.

فعلى من يفسر الآيه بغير الأولويه في التصرف فعليه الإجابة عن الأمور الثلاثة السالفه.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل و أمّا الكلام في السياق الذي تمسك به فنقول:

مشكله السياق عند الكاتب

إنّ الكاتب القدير إنّما ترك الروايات المتضافره لأجل صيانه السياق، و إليك توضيح دليله و تحليله:

قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» ٣.

ص: ٥٧١

و قال سبحانه: «إِنَّمَا وَدَّعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» ١.

و قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَ لَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» ٢.

ذكر المفسرون أنّ نزول الآية الأولى فى حقّ عباده بن صامت الخزرجى و عبد الله بن أبى حيث إنّ الأوّل تبرّأ من أوليائه من اليهود، بخلاف الثانى فأنه لم يتبرّأ من ولايه اليهود، وقال: لأنّى أخاف الدوائر.

و ذكروا فى سبب نزول الآية الثانیه: أنه لما تصدّق علىّ عليه السلام بخاتمه فى الصلاة و هو راكع نزلت الآية الكريمة.

و ذكروا فى سبب نزول الآية الثالثه أنّها نزلت فى رفاعه بن زيد و سويد بن الحرث اللذين أظهرهما إسلامهما ثم نافقا، و كان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية.

فبما أنّ الولاية فى الآية الأولى ليست بمعنى الزعامه بل بمعنى الود و النصر أو الحلف كما هو الحال فى الآية الثالثه، فمقتضى السياق يقتضى تفسير الآية الثانیه بهما لا بالزعامه.

هذا ما يتبناه الكاتب و قد سبقه الرازى فى تفسيره. (١) غير أنّنا نركز على أمرين و بهما يتجلى أنّ تفسير الولاية فى الآية الثانیه بالزعامه لا يستلزم مخالفه السياق.

الأوّل: أنّ الغوص فى غمار اللغة و مجاميع الأدب و جوامع العرييه يدفعنا إلى

ص: ٥٧٢

القول بأنّه ليس للولى فى الآيات الثلاث إلّا معنى واحد و هو الأولى بالشىء و لو أطلق على الناصر و المحب و الزعيم فإنّما أطلق بمعنى واحد، و لو كان هناك اختلاف فإنّما هو فى جانب المتعلّق.

و بعبارة واضحة: ليس للولى معان مختلفة وضع لها اللفظ بأوضاع متعدده حتى يصبح اللفظ مشتركاً لفظياً بين المعانى المتباينه. بل هو موضوع لمعنى واحد جامع بين مصاديق و موارد مختلفة، فلو كان هناك اختلاف فإنّما هو فى المتعلق و المورد، لا فى المفهوم و المعنى.

فالربّ ولى لأنّه أولى بخلقه من أى قاهر عليهم حيث خلق العالمين كما شاءت حكمته و يتصرف فيهم بمشيئته.

و كل من المحب و الناصر ولى، لأنّ كلّاً منهما أولى بالدفاع عمّن أحبه و نصره.

و الزعيم و القائد ولى، لأنّه أولى بأن يتصرف فى مصالح من تولّى أمره.

فإذا كان للفظ معنى واحد فلا يكون هناك أى اختزال مهما ذهبنا إلى التفريق بين الآيات الثلاثة، فإنّ المفروض أنّ لكلّ شأنًا و سبباً للنزول، و بينها جامع و هو الأولويه المطلقة كما فى الآيه الثانيه و المقيده كما فى الآيه الأولى و الثالثه.

هذه حقيقه لغويه قد نصّ عليها المحققون. قال الإمام أبو الفتح المطرزي: الولي: كلّ من ولى أمر واحد فهو وليه، و منه ولى اليتيم أو القتيل: مالك أمرهما، و والى البلد: ناظر أمور أهله و مصدرهما الولايه (بالكسر). (١)

و ألفت نظر الأستاذ السامى إلى أنّ النهى عن تولّى اليهود و النصارى و الكفار فى الآيات التى تقدّمت أو تأخّرت، لا يرجع إلى التولى المجسّد فى مجرد

ص: ٥٧٣

العطف القلبي و لا- يتلخص فى الحنان الروحى، فأنهما أمران قلبيان خارجان عن الاختيار، فإن حب الأب أو الأم و إن كانا كافرين أمر جلى لا يصح النهى عنه بل يرجع إلى التولى المستعقب، للتصرف فى أمور المسلمين و التدخل فى مصالحهم الذى ليس إلا من شأنه سبحانه و رسوله و من عينه الرسول بأمر منه.

فالآيات بأجمعها سببها واحده، تصد المؤمنين عن اتخاذ أى ولى-غير الله و رسوله-يتصرف فى أمورهم و إن كان سببه التحالف فلو صار الحلف بين المسلمين و الكافرين سبباً لولاية الكفار على المسلمين و تدخلهم فى أمورهم فهو ممنوع لأنه لا- ولى للمؤمنين إلا الله و من نصبه سبحانه.

و الذى يرشدنا إلى أن الولاية فى الآية: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ...» بمعنى الزعامه و القيادة، هو أنه سبحانه يقول بعدها: «وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» ١ فيطرح حزب الله أولاً، ثم غلبته على سائر الأحزاب، و الكل يناسب القيادة و الزعامه، لا مجرد الحب و الود، أو النصر و الحلف.

الثانى: أن فى نفس الآيات الثلاثه قرينه واضحة على الاختلاف فى تفسير الولى (لو قلنا بأنه اختلاف فى المفهوم)، و ذلك أنه سبحانه يجمع لفظ الولى فى الآية الأولى و الثالثه.

فقال فى الأولى: «لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ» .

و قال فى الثالثه: «وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ» .

و لكته نرى أنه سبحانه أتى بها بلفظ المفرد فى ثانيه الآيات.

و قال: «إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ...» فما هو الوجه فى الإتيان بالجمع فى الآيتين و الأفراد فى الثانيه؟

و الإمعان فيه يدلنا على التغيرات فى تطبيق معنى الولى، و ذلك لأنّ الولاية فى الآيتين ترجع إلى الحب و النصر و بما أنّها متعدده حسب تعدد المحب و الناصر فهناك ولايات و أولياء، و لأجل ذلك أتى سبحانه بلفظ الجمع.

و أما الآية الثانية فهناك ولاية إلهيه سماويه خصّها سبحانه بالذات لنفسه و أفاضها بالتشريع على رسوله و من جاء بعده و لذلك أتى بلفظ المفرد فيحمل على الولاية الملازمه للقياده و الزعامه.

و آخر كلمه أقدمها إلى الأستاذ، أنّه لو كانت الولاية بمعنى الحب و النصر فما معنى تقييد الولى بإيتاء الزكاه و هم راعون فإنّ كلّ مؤمن يقيم الصلاه و يؤتى الزكاه ولى لأبناء أمته، زكىّ فى حال الركوع أم لا، مع أنّنا نرى أنّه سبحانه يشير إلى الولى بعلامه خاصه تميّزه عن غيره و هو إيتاء الزكاه فى حال الركوع، و الركوع حقيقه فى الصوره المعلومه منه فى الصلاه لا- فى مطلق الخضوع إذ مع أنّه خلاف الظاهر، ينافيه قوله سبحانه: «يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ» .

على أنّ الأستاذ تفرد فى تفسير الولاية بالتحالف، فإنّ أهل السنه يفسرونها بالودّ و الحب و النصر- لاحظ التفسير الكبير للرازى.

هذا غيظ من فيض و قليل من كثير ممّا أفاضه علماؤنا و أصحابنا فى تفسير الآيه و إن كان ما ذكرناه مقتبساً من أنوار علومهم. غفر الله للماضين من علماء الإسلام و حفظ الله الباقيين منهم و رزقنا الله توحيد الكلمه كما رزقنا كلمه التوحيد.

و السلام عليكم و على من حولكم من الدعاه إلى الوحده الإسلاميه لترتفع فى ظلّها رايه الإسلام خفاقه فى ربوع العالم و إرجاء الدنيا بإذن منه سبحانه.

جعفر السبحانى

مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١/ شعبان المعظم ١٤١٧ هـ

ص: ٥٧٥

إنّ الحديث عن بلاد القفقاس أعاد إلى ذاكرتى الخواطر، و أثارت في قلبى شعوراً خاصاً حيالها ذلك أنّها انجبت العديد من العباقرة في حقول الأدب و العلم و العرفان و الفلسفه أمثال الشاعر المفلق «الخاقانى» و «الفلكى» و «السيد عظيم» و «صابر» و «بهار» و الفيلسوف الكبير السيد حسين البادكوبى.

و لا يفوتنى الإشارة إلى أستاذى الكبير السيد محمد البادكوبى الذى كان له حقّ عظيم على و على العلم، فقد كان رحمه الله رجلاً عالماً و مناضلاً، هجره الالحاد متوجهاً إلى بلاد الغربه بعيداً عن وطنه و مسقط رأسه، إلى غير ذلك من الشخصيات الطائره الصيت في سماء العلم و الفلسفه و الأدب الذين كتبوا لوجودهم خلوداً في القلوب و بقاءً في التاريخ و أثراً في المجتمع.

لم أزل أمرّ على شريط الذاكره استذكر فيه أنّ هذه البلاد ربّت في أحضانها رجالاً و ابطلاً ضحوا بنفسمهم و نفيسهم في سبيل عقيدتهم الإسلاميه، أمثال الشيخ شامل ذلك البطل المجاهد، و الشيخ حنيف ذلك الذاكر العظيم.

و ثمة حقيقه لا يمكن تجاهلها و هى انّ شعوب بلاد القفقاس-التي هى جزء من الكيان الإسلامى-لن تبلغ مجدها التليد العتيد إلّا باحياء مآثرها السابقه،و الرجوع إلى أصلتها الإسلاميه،و تقويه أواصرها بالمسلمين عامه و بث الثقافه الدينيه بين أوساط شبابها و افلاذ كبدها.

و قد شعرت بذلك-بحمد الله-حكوماتها و دولها،و ما إقامه هذا المؤتمر-الذى يهدف إلى البحث عن معطيات الحضاره الإسلاميه فى تلك البلاد-إلّا أثراً من آثار ذلك الشعور.

هذه مقدمه موجزه قدّمتها للحضار الكرام و لنبدأ بالمقال الذى كتبتّه تحت عنوان«الاخوه الإسلاميه و دورها فى بناء الحضاره».

نص المقال:

الإسلام عقيدته و شريعته جاء لإسعاد الإنسان فى أقطار الأرض و معالجه مشاكله و معضلاته دون أن يختص خطابه بطائفه دون طائفه أو بعنصر دون عنصر أو بقوم دون قوم،و لا تجد فى عقيدته و شريعته أثراً من آثار القوميه و لا ملمحاً من ملامحها.

كما أنه بنى القيم الأخلاقيه على اساس رصينه تستمد مقوماتها من الفضائل الروحيه و الكمالات النفسيه،لا من عنصر خاص أو طائفه خاصه،حتى العريبه التى هى لسان كتابه و شريعته لم يتخذها ملاكاً للفخر و الاعتزاز.

لقد تفتّشت ظاهره القوميه بين العرب فى العصر الجاهلى و كأنّ رحي الفخر قد دار حولها و كأنّ جميع القيم و الخصائل الإنسانيه قد حُصرت فيها،و فى تلك الأجواء المشحونه بالعنصريه و الطائفيه و القوميه ظهر الإسلام شاطباً

بقلم عريض على تلك النزعات المقيته، وقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» ١.

و العجب أنّ هذه الآيه إلى جانب اعترافها بجميع القوميات حيث تقول: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ». تعود و تفسر فلسفه هذه القوميات بقولها «لِتَعَارَفُوا» أى خلقناكم أقواماً و طوائف مختلفه للتعارف لا للتفاخر، للألفه لا للتناحر، للتعاون لا للتفرق، للخير لا للشر، و حصرت ملاك الفخر فى التقوى و قالت: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» .

هذه الآيه المباركه و إن تكلم فيها المفسرون قديماً و حديثاً و لكنهم لم يركّزوا على تلك النكته التى صرحت بها، و هى أنّ الإسلام لا ينكر القوميه بل يعترف بها و يراها من شئون الخلقه التى تعلقت بها يد الجعل و القدره و قال: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ» و لكنّه يتخذ القوميه المعترفه ذريعه للفضائل، و هى التعارف و التجاذب و التعاون، لا ذريعه للتفاخر و التنازع.

إنّ نبيّ الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم لم يقتصر على هذه الآيه بل أعقبها بكلمه الطيب و حدّد موقفه من القوميه و أنّها ليست ملاكاً للافتخار و قال فى بعض خطبه التاريخيه: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، و إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كَلَّكُمْ لآدَمَ و آدَمَ مِنْ تَرَابٍ «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» و ليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى. (١)

و قال فى خطبه حجه الوداع: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، و أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ أَعْجَمِيٍّ، و لا لَأَعْجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، و لا لَأَحْمَرٍ عَلَىٰ أَبْيَضٍ، و لا لَأَبْيَضٍ عَلَىٰ أَحْمَرَ، فضل إلا بالتقوى. (٢)

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إِنَّ الْعَرَبِيَّ لَيْسَتْ بِأَبٍ وَالِدٍ و لكنّها لسان ناطق،

ص: ٥٧٨

١-٢. تحف العقول: ٣٤.

٢-٣. سيره ابن هشام: ٤١٢/٢.

فمن قصر به عمله لم يبلغه حسبه». (١)

هذه نماذج من أقواله صلى الله عليه وآله وسلم استعرضناها على حضراتكم حول نبذ القوميه و التركيز على القيم الأخلاقية.

و أمّا مواقف العملية على هذا الصعيد فقد تلخصت في اهتمامه بالقيم الأخلاقية و الانسانيه دون أن يعير أهميه للقوميه المقيته.

نرى أنه صلى الله عليه وآله وسلم طرد عمه أبا لهب مع صلته الوثيقه به من حيث الدم و اللسان و التراب، و في الوقت نفسه قُرب سلمان الفارسي على الرغم من اختلافه معه في اللسان و الدم و التراب. و ما هذا إلاّ لأنّ أبا لهب كان على شفير جرف هار من المساوي الأخلاقية و سلمان كان في أوج القيم و الفضائل الإنسانيه.

هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينه المنوره فأخى بين العبيد و الساده، فهذا هو «بلال الحبشي» كان عبداً أسود قد أخى رسول الله بينه و بين «خالد الخثعمي» من أكابر الصحابه، كما أخى بين «زيد» الرق مع عمّه «حمزه»، و بين «عمار» و «حذيفه»، كلّ ذلك لأجل صهر الفوارق الطبقيه الناشئه من القوميه.

و قد أثرت التعاليم الإسلاميه أثرها في القلوب إلى حدّ ارتقى كثير من الموالى إلى مناصب عاليه و ما كان لهم ذلك لو لا الإسلام، فصار الموالى العجم يسيرون جنباً إلى جنب مع العرب في نشر الإسلام و إسعاد البشريه و نجاتها من براثن الوثنيه.

و في ضوء تلك التعاليم صارت المرأه المسلمه كفوّاً للرجل المسلم دون نظر إلى قوميته و طائفته و لسانه.

ص: ٥٧٩

وقد جسد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك المساواه بفعله حيث زوج بنت عمته زينب حفيده عبد المطلب زعيم قريش، بعبد أسود يدعى زيد بن حارثه و كان لعمله هذا صدى واسع على نطاق الجزيره العرييه، وبذلك أزاح الجدار المزعوم بين العبيد والأشراف، حتى ان أخوا زينب قدم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم -مندفعاً من خلفيات عنصريه و طائفيه- و اعترض قائلاً: أو ليس هذا عاراً حيث زوجت بنت بيت الشرف بعبد أسود؟!

فأجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: إن زوج زينب رجل مؤمن فهو كفؤ لزينب، و لما طلق زيد زوجته زينب و انفصم عقدهما، قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتدارك ما فات، فزوج زينب لنفسه ليثبت ان زواجها بزيد لم ينقص منها شيئاً، فهى اليوم زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الخليقه على الأرض.

و ها نحن نذكر هنا حادثه طريفه وقعت فى عصر الرسول، ينقلها الإمام محمد بن على الباقر عليهما السلام و هى تعكس الفكره الراجحه عند المسلمين.

قال: كان سلمان جالساً مع نفر من قريش فى المسجد فأقبلوا ينتسبون و يرفعون فى أنسابهم حتى بلغوا سلمان، فقال له بعض الحاضرين: أخبرنى من أنت و من أبوك و ما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله كنت ضالاً فهدانى الله عز و جل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، و كنت عائلاً فأغنانى الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و كنت مملوكاً فأعتقنى الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا نسبي و هذا حسبي، قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و سلمان رضى الله عنه يكلمهم، فقال له سلمان: يا رسول الله ما لقيت من هؤلاء جلست معهم فأخذوا ينتسبون و يرفعون فى أنسابهم حتى إذا بلغوا إلى قال بعضهم: من أنت و ما أصلك و ما حسبك؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فما قلت له يا سلمان؟ قال: قلت له: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً فهدانى الله عز ذكره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، و كنت عائلاً فأغنانى الله عز ذكره بمحمد

صلى الله عليه وآله وسلم، و كنت مملوكاً فأعتقني الله عزّ ذكره بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، هذا نسبي و هذا حسبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر قريش إنّ حسب الرّجل دينه و مروءته خلقه، و أصله عقله، و قال الله عزّ و جلّ: «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان: ليس لأحد من هؤلاء عليك فضلٌ إلّا بتقوى الله عزّ و جلّ، و إن كان التقوى لك عليهم فأنت أفضل.

إنّ الشريعة التي تحمل هموم الإنسانيه و تحاول نجاتها عن مخالب الوثنيه و المفاسد الأخلاقيه لا محيصر لها إلّا أن تنظر إلى العالم من منظار واسع و تنظر إلى الإنسان مجرداً عن كلّ لون و عنصر، فلذلك عاد الإسلام يخاطب جميع الناس بقوله: «يا أيّها النّاس» مكان «يا أيّها العرب» أو «يا أيّها العجم» و يؤسس «دار الإسلام» مكان «دار العروبه»، فصار هذا و ذاك سبباً في أن ترى جميع الشعوب في الإسلام ديناً لها لا ديناً لطائفه خاصه أعارته هذه.

و في ضوء ذلك اتحدت الشعوب غير المتجانسه تحت رايه الإسلام و نشروا ثقافه إسلاميه إنسانيه في جميع الأقطار، و صارت تلك الوحده نواه للحضاره الإسلاميه التي لم ير تاريخ البشر مثيلاً لها.

فالحضاره الإسلاميه هي حصيله جهود الشعوب الإسلاميه المختلفه، و لكلّ فيها سهم وافر.

الدعوه القوميّه و مضاعفاتها

الدعوه القوميّه فكره مستورده من الغرب، و الغرض من ورائها هو تشتيت صفوف المسلمين و تمزيق وحدتهم و جعلهم أمماً متناحره فيما بينها.

و من تصفّح التاريخ يجد أنّ لهذه الدعوه جذوراً تمتد إلى زمن الأمويين، الذين شرعوا في الخطوات اللازمه لتوطيد القوميّه من خلال توزيع المناصب

الحكوميه على العرب خاصه،و تحقير غير العرب من سائر القوميات و قد انتهى الأمر إلى استياء عام و اندلاع حركات تمرد و عصيان في كافه ارجاء الأمصار الإسلاميه،فأخذ الجهاز الأموي الحاكم يتهاوى أمامها،إلى ان تمّ القضاء عليه.

و لما دالت دوله الأمويين و قامت دوله العباسيين اتخذوا سياسه مناقضه للأمويين حيث قدموا العنصر غير العربي على العنصر العربي و وزعوا المناصب عليهم.

انّ السياسه التي سلكتها كلتا الدولتين كانت على طرف النقيض من الإسلام و لم تُنتج إلّا إيقاف عجله تقدم الحضاره الإسلاميه. فلو كانت الخلافه العباسيه متجاوبه مع روح الإسلام لما آلت إلى الضعف و الزوال و لازداد الإسلام قوه و منعه.

الاستعمار و عناصر القوميه

بثّ الإسلام روح التسامح و التصالح بين القوميات المختلفه،متخذاً الإنسانَ محوراً لدعوته و إرشاده،و جعل التفاخر بالتقوى و الأخلاق الفاضله،مما حدا إلى اجتماع القوميات المختلفه تحت رايته و خيمته دون أن ينتابهم شعور بالعنصريه و القوميه،لأنّ الإيمان جعلهم كالاخوه فيما بينهم.

و لما استيقظ الغرب من سباته في القرن التاسع عشر،و رأى المسلمين كتله وحده يحكمون اصقاعاً شاسعه ذات ثروات عظيمه، و رأى أنّ الإسلام سدّ منيع أمام تحقق أطماعه،حاول تمزيقهم إلى دويلات صغيره بُغيه القضاء على شوكتهم و عظمتهم من خلال احياء القوميات في كل صقع،فزرع القوميه التركيه في تركيا،و الفارسيه في إيران،و العربيه في البلاد العربيه إلى غير ذلك من القوميات. كما سعى إلى بث روح القوميه بين شعوب تلك المناطق.

و العجب ان دعاه القوميه فى البلاد الإسلاميه لم يكونوا مسلمين، بل تربوا فى أحضان الاستعمار (١) و أخذوا باثاره النعرات الطائفية. و فى ظل هذه الدعوه البغيضه انفصمت عرى الخلافه الإسلاميه و تمزقت اوصالها، و عادت بشكل دويلات صغيره، و أضحت لقمه سائغه للاستعمار قابعه تحت نيره.

موقف الإسلام حيال القوميه

ان الإسلام يحترم كافه قوميات دون أن يريح قومه على أخرى، بل ينظر إلى الجميع بعين الأخوه، و يقول: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» و يقول أيضاً: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» .

و يقول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: مثل المؤمنين فى توادهم و تعاطفهم و تراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه شىء تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى. (٢)

فهذه هى الوصفه التى كتبها الإسلام لإسعاد البشره كافه، و مع ذلك لم يبلغ القوميه و ايجابياتها بل احترمها.

روى المفسرون ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم لما هاجر عن مكه المكرمه و وصل فى طريقه إلى «جحفه» تذكر موطنه و حن إليه فامتلت عيناه بالدمع، فنزل عليه أمين الوحي يسليه بالآيه المباركه: «إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ» ٣ .

و قد حقق سبحانه و عده، ففتح النبى صلى الله عليه و آله و سلم مكه بعد ثمانيه أعوام و دخلها من ناحيه «أذخر» و هى أعلى نقطه فى مكه، و لما وقع نظره على الكعبه و بيوتات مكه هاج به الحزن، و قال مخاطباً ربوعها بانى أحببك و لولا- أنى هجرت لما تركتك.

ص: ٥٨٣

١- ١). انظر المخططات الاستعماريه لمكافحه الإسلام.

٢- ٢). مسند أحمد: ٤/٢٧٠. [١]

لا- شكَّ أنّ الإنسان إذا نشأ في ريع من الربوع و ترعرع فيه منذ نعومه أظفاره و حتى بلوغه و هرمه، يجد في نفسه حباً و رغبة و وُدّاً حياله، فذلك أمر جبلي قد فطر عليه الإنسان و لم تكافحه الشريعة التي هي دين الفطره بل احترمته، لذا تجد أنّه يحاول بكافه السبل الحفاظ على لغته الأمّ و ثقافته، و بذل كافه الجهود في سبيل ازدهار وطنه و رفاه قومه.

فالمترب من كلّ مسلم إعمار بلده و استثمار ثرواته في سبيل خدمه قومه و ثقافته القوميّه إذا كانت متجاوبه مع القيم و المثل الإسلاميّه و هذا أمر مرغوب إليه من قبل الإسلام، و لكن المحظور هو جعل القوميّه ملاكاً للتفاخر و التفوّق.

و في الختام؛ أتقدم بالشكر الجزيل إلى المشرفين على هذا المؤتمر لاتاحتهم الفرصه لي.

و أختم كلمتي بهذين البيتين: أنا لتجمّعنا العقيدَه أمّه

اللهمّ ارزق المسلمين توحيد الكلمه كما رزقتهم كلمه التوحيد

جعفر السبحاني

قم المقدسه- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

١٥ شعبان المعظم من شهور عام ١٤١٩هـ

ص: ٥٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيله الأستاذ قيس تيسير ظبيان المدير العام لمجله «الشريعه» المحترم

السّلام عليكم و رحمه الله و بركاته

أمّا بعد،

أتقدم لكم بالشكر الجزيل لما قمتم به من نشر محاضرتي التي القيتها في جامعه «الاردن» على صفحات مجلّتكم الغراء «الشريعه» في عددها الصادر برقم ٣٩٤ من شهر تشرين الأوّل ١٩٩٨م، و بذلك أكّدتُم أواصر الاخوّه بين المسلمين و قد كانت المحاضره حول عناصر الوحده الإسلاميه و موانعها.

قرأت العدد الانف الذكر بما فيه من مقالات متنوعه حسب ما سمح لي الوقت، و أخصُّ بالذكر من بينها، الأسئلة التي تصدّى للاجابه عنها فضيله الشيخ عبد المنصف عبد الفتاح فكانت الأجوبه مقنعه في أغلب مواردّها لكن استرعى انتباهي السؤال الذي طرحه أحد القراء بالشكل التالي، و قال:

ص: ٥٨٥

ضربتُ زوجتي ذات يوم فتركت المنزل و ذهبتُ إلى بيت أسرتها فلم ألبث ان ذهبتُ إليها لكي أصالحها و لكي تطمئن إلى عدم ضربى لها مرّة ثانية،قلت لها:عليّ الطلاق لن اضربك مرّة أخرى،فهل إذا ضربتها لأمر ما،تكون طالقاً أم ما ذا؟

و أجاب فضيلته عن هذا السؤال بما هذا ملخصه:

هذا النوع من الطلاق على قسمين:

تاره يريد القائل بهذا النوع من الكلام الحملَ على فعل شيء أو تركه أو التهديد أو التخويف،لا إيقاع الطلاق بالفعل.

و أُخرى يريد بذلك إنشاء الطلاق بالحلف إذا حصلت المخالفه.

ففى الأول نَقَلَ عن ابن تيميه و ابن قيم أنّ الطلاق المعلق الذى فيه معنى اليمين،غير واقع و تجب فيه كفاره اليمين.

و فى الثانى تقع طلقه واحده رجعيه و للزوج أن يراجعها قبل انقضاء العده.(انتهى).

الطلاق المعلق لا كفاره فيه و لا فراق

أقول:إنّ الاجتهاد الحرّ المستمد من الكتاب و السنه من دون التزام بمذهب إمام دون إمام يجزنا إلى القول بخلاف ما أجاب به فضيله الشيخ (مدّ الله فى عمره) فى كلا القسمين و أنّه لا كفاره فى الصوره الأولى و لا فراق فى الصوره الثانيه.

و بكلمه موجزه:الطلاق المعلق لا يترتب عليه أى أثر و إن كان المختار لدى أئمّه المذاهب الأربعة غير ذلك.و إليك توضيح كلا الأمرين.

ص: ٥٨٦

أما الأول (لا كفاره): فلأنّ الدليل على كفاره اليمين هي الآية المباركه التاليه.

قال سبحانه: «لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ و لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيءًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَ احْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ». (١)

و الآية توجب الكفاره المترتبه على من نكث يمينه و لكنّها ظاهره في اليمين بلفظ الجلامله أو ما يعادله و يقاربه من الأسماء المقدسه و ليس الحلف بالطلاق داخلًا في الآية المباركه حتى يستلزم نقضه، الكفاره بل هي قضيه شرطيه كعامه القضايا الشرطيه المجزده عن معنى الحلف بالله سبحانه كما لو قال لئن كشفت سرّي، فأنا أيضاً أفعل كذا.

و تصور أنّ الطلاق المعلق يتضمن معنى الحلف بالله تصور خاطئ إذ لا يتبادر منه الحلف بالله أولاً، و على فرض تضمنه فليس هو مما قصده المتكلم بكلامه ثانياً. و على فرض تسليمهما فالموضوع لوجوب الكفاره، هو الحلف الصريح بشهاده قوله سبحانه: «بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ» لا الحلف الضمني.

و لذلك يطلقون الفقهاء على هذا النوع من الحلف، اليمين بالطلاق، لا الحلف بالله سبحانه و لو ضمينا.

و أما الثاني: أى وقوع الطلاق إذا كان قاصداً إنشاءً الطلاق المعلق فهو لا يصمد امام النقاشات التاليه:

الأول: أنّ عنايه الإسلام بنظام الأسره الذى أسسها النكاح و الطلاق،

ص: ٥٨٧

يقتضى أن يكون الأمر فيها منجزاً لا معلقاً، فإن التعليق ينتهي إلى ما لا تُحمد عاقبته من غير فرق بين النكاح و الطلاق، فالمرء إما أن يقدم على النكاح و الطلاق أو لا، فعلى الأول فينكح أو يطلق بتاتاً، و على الثاني يسكت حتى يحدث بعد ذلك أمراً، فالتعليق فى النكاح و الطلاق لا يناسب ذلك الأمر الهام، قال سبحانه:

«وَلَنْ تَشِيَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَ إِنْ تُضِلُّوهَا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً» ١.

و الله سبحانه يُشَبِّهُ المرأه التى يترك الزوج أداء واجبها ب«المعلقة» التى هى لا ذات زوج و لا أيم. و علقه الزوجيه علقه مقدسه لا تخضع لأهواء الزوج فهو إما أن يطلقها و يسرحها، أو يتركها و لا يمسُّ كرامتها، و الزوجه فى الطلاق المعلق أشبه شىء بالمعلقة الوارده فى الآيه، فهى لا ذات زوج و لا أيم.

الثانى: إن هذا النوع من الطلاق يقوم به الزوج فى حالات خاصه دون أن يشهده عدلان، و الاشهاد على الطلاق شرط لصحة وقوعه و متى فقد لم يقع الطلاق من دون فرق بين المنجز و المعلق، و يدل عليه قوله سبحانه: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ... *فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَ أَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ» ٢.

فقوله سبحانه: «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ» قيد للطلاق و الرجعه على قول أو لخصوص الأول على قول آخر و إليك دراسه كلا القولين.

فهناك من ذهب إلى كونه قيداً لهما، وقد نقل هذا القول عن عده من الصحابه و التابعين:نقل عن ابن عباس:أنه فسرهما بالطلاق و الرجعه. (١)

و قال السيوطى:أخرج عبد الرزاق عن عطاء،قال:النكاح بالشهود و الطلاق بالشهود،و المراجعه بالشهود.

و سئل عمران بن حصين عن رجل طلق و لم يشهد،و راجع و لم يشهد؟قال:بئس ما صنع طلق فى بدعه و ارتجع فى غير سنّه فليشهد على طلاقه و مراجعته و ليستغفر الله. (٢)

قال القرطبى:قوله تعالى: «وَ أَشْهَدُوا» أمرنا بالاشهاد على الطلاق،و قيل:على الرجعه. (٣)

و قال الآلوسى: «وَ أَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ» عند الرجعه إن اخترتموها أو الفرقة إن اخترتموها تبرياً عن الريبه. (٤)

إلى غير ذلك من الكلمات الوارده فى تفسير الآيه.

و ممّن قال برجوع القيد إلى الطلاق و الرجعه الشيخ أحمد محمد شاكر القاضى المصرى.قال بعد ما نقل الآيتين من أوّل سوره الطلاق:و الظاهر من سياق الآيتين أنّ قوله: «وَ أَشْهَدُوا» راجع إلى الطلاق و إلى الرجعه معاً و الأمر للوجوب،لأنّه مدلوله الحقيقى،و لا ينصرف إلى غير الوجوب-كالندب-إلّا بقريته،و لا

ص: ٥٨٩

١- ١). تفسير الطبرى: ٨٨/٢٨.

٢- ٢). السيوطى: الدر المنثور: ٢٣٢/٦. [١]

٣- ٣). القرطبى: الجامع لأحكام القرآن: ١٥٧/١٨. [٢]

٤- ٤). الآلوسى: روح المعانى: ١٣٤/٢٨. [٣]

قرينه هنا تصرفه عن الوجوب، بل القرائن هنا تؤيد حمله على الوجوب- إلى أن قال:-فمن أشهد على طلاقه، فقد أتى بالطلاق على الوجه المأمور به، و من أشهد على الرجعه فكذلك، و من لم يفعل فقد تعدى حدود الله الذي حدّه له فوقع عمله باطلاً، لا يترتب عليه أى أثر من آثاره. (١)

الاشهاد فى الآيه راجع إلى الطلاق خاصه

و هناك من يذهب إلى أنّ قوله: «وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ» يرجع إلى خصوص الطلاق، فقط، قائلاً بأنّ السوره بصدد بيان أحكام الطلاق، و قد افتتحت بقوله: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ»، فذكرت للسوره عدّه أحكام:

١. أن يكون الطلاق لعدتهن.

٢. احصاء العده.

٣. عدم خروجهن من بيوتهن.

٤. خيار الزوج بين الإمساك و المفارقه عند اقتراب عدتهن من الانتهاء.

٥. اشهاد ذوى عدل منكم.

٦. عدّه المسترابه.

٧. عدّه من لا تحيض و هى فى سن من تحيض.

٨. عدّه أولات الأحمال.

و إذا لاحظت مجموع آيات السوره من أولها إلى الآيه السابقه تجد أنّها بصدد بيان أحكام الطلاق لأنّه المقصود الأصيل، لا الرجوع المستفاد من قوله: «فَأَمْسِكُوهُنَّ» و قد ذكر تبعاً.

ص: ٥٩٠

وقال أبو زهره: قال فقهاء الشيعة الإمامية الاثني عشرية و الإسماعيلية: إنَّ الطلاق لا يقع من غير اشهاد عدلين لقوله تعالى «في أحكام الطلاق و انشائه في سوره الطلاق»: «وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» فهذا الأمر بالشهاده جاء بعد ذكر انشاء الطلاق و جواز الرجعه، فكان المناسب أن يكون راجعاً إليه، و أن تعليل الاشهاد بأنه يوعظ به من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر يشرح ذلك و يقويه، لأنَّ حضور الشهود العدول لا يخلو من موعظه حسنه يزجونها إلى الزوجين، فيكون لها مخرج من الطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله سبحانه و تعالى.

و أنه لو كان لنا أن نختار للمعمول به في مصر لاخترنا هذا الرأي فيشترط لوقوع الطلاق حضور شاهدين عدلين. (1)

و يؤيد رجوع الأمر بالاشهاد إلى خصوص الطلاق لا الرجعه هو أن الطلاق حلال مبعوض عند الله سبحانه، و الشريعة الإسلامية شريعه اجتماعيه لا ترغب في أى نوع من أنواع الفرقة لا سيما في العائله و الأسره، بعد ما أفضى كل من الزوجين إلى الآخر بما أفضى، فالشارع بحكمته يريد تقليل وقوع الطلاق و الفرقة، فكثرت قيوده و شروطه على القاعده المعروفه من أن الشيء إذا كثرت قيوده، عزّ أو قلّ وجوده، فاعتبر الشاهدين العدلين للضبط أولاً و للتأخير و الأناه ثانياً، و عسى إلى أن يحضر الشاهدان أو يحضر الزوجان أو أحدهما عندهما يحصل الندم و يعودان إلى الألفه كما أشير إليه بقوله تعالى: «لا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا»، و هذه حكمه عميقه في اعتبار الشاهدين، لا شكَّ أنّها ملحوظه للشارع الحكيم مضافاً إلى الفوائد الآخر، و هذا كلّه بعكس قضيه الرجوع فإنَّ الشارع يريد

ص: ٥٩١

١- ١). أبو زهره: الأحوال الشخصية: ٣٦٥ [١] كما في الفقه على المذاهب الخمسه: ١٣١. [٢]

التعجيل به و لعل في التأخير آفات فلم يوجب في الرجعه أى شرط من الشروط.

و حاصل الكلام بما أنه حلف بالطلاق مجرداً عن الاشهاد، فلا يترتب عليه الأثر بحكم الآية المباركه سواء أقلنا بأن المراد بالاشهاد يرجع إلى الطلاق و الرجعه أو إلى الأول فقط.

الثالث: إن أئمة أهل البيت عليهم السلام افتوا ببطان الطلاق المعلق، فقد روى أبو أسامه الشحام عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: إن لي قريباً أو صهراً حلف إن خرجت امرأته من الباب فهي طالق، فخرجت و قد دخل صاحبها منها ما شاء من المشقه فأمرني أن أسألك.

فأجاب عليه السلام مرّه فليمسكها فليس بشيء ثم التفت إلى القوم فقال سبحان الله يأمرونها أن تتزوج و لها زوج. (١)

و قد اشتهر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام انكار الأمور الثلاثه التاليه:

١. طلاق المرأه و هى حائض.

٢. الطلاق دون اشهاد عدلين.

٣. الحلف على الطلاق.

و ثمه سؤال يتوجه إلى فضيله الشيخ بأنه لما ذا اختار في الاجابه مذهب ابن تيميه و ابن قيم الجوزيه مع ان المذهب المشهور بين فقهاء السنه أنه يقع الطلاق إذا حنث في يمينه دون فرق بين الصورتين.

قال السبكي: و قد أجمعت الأئمة على وقوع المعلق كوقوع المنجز فإن الطلاق مما يقبل التعليق. فلو قال ان كلمت فلاناً فأنت طالق و هو الذى يقصد به الحث أو المنع فإذا علق الطلاق على هذا الوجه ثم وجد المعلق عليه، وقع الطلاق.

ص: ٥٩٢

(١-١). وسائل الشيعه: ١٥، الباب ١٨ من أبواب مقدمات الطلاق، الحديث ٣. [١]

ثم قال: وقد لبس ابن تيميه بوجود خلاف في هذه المسأله وقد نقل إجماع الأئمه على ذلك أئمه لا يرتاب في قولهم ولا يتوقف في صحه نقلهم. (١)

و لذلك كان الأولى لفضيله الشيخ الاجتهاد في المسأله ثم الافتاء وفق اجتهاده من دون أن يتبع فتوى إمام دون إمام وإلا فما هو المرجح للافتاء بقول إمامين دون سائر الأئمه من أهل السنه.

و في الختام نلفت نظر كم السامى إلى الكلمه التاليه لبعض علمائنا. (٢)

إن الإماميه يُضَيِّقون دائره الطلاق إلى أقصى الحدود، و يفرضون القيود الصارمه على المطلق و المطلقه، و صيغه الطلاق و شهوده، كل ذلك لأن الزواج عصمه موده و رحمه و ميثاق من الله قال تعالى: «وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» ٣ و قال سبحانه: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» ٤ إذن لا يجوز بحال أن ننقض هذه العصمه و الموده و الرحمه، و هذا العهد و الميثاق إلا بعد أن نعلم علماً قاطعاً لا يداخله شك بأن الشرع قد حلّ الزواج و نقضه بعد أن أثبتته و أبرمه. و ليس اليمين بالطلاق-مع وجود الاختلاف الكثير بين الفقهاء- من هذه المقوله فعلى الزوج أن يمسك بعصمتها ما لم يدل دليل قاطع على الطلاق الشرعى.

جعفر السبحانى

الجمهوريه الإسلاميه فى إيران

قم. الجامعه الإسلاميه

ص: ٥٩٣

١- ١). السبكى: الدرره المضيئه: ٥٥-٥٦.

٢- ٢). الفقه على المذاهب الخمسه: ٢١٤ [١] للمغفور له الشيخ محمد جواد مغنيه.

المقاله الرابعه عشره:من كربلاء إلى قانا

لقد كان لرحلتى إلى المملكه الأردنيه الهاشميه تأثير بالغ فى إلفات الأنظار إلى مذهب الشيعة، و أنّ الشيعة هم أتباع أئمه أهل البيت عليهم السلام و قد تركت انطباعات مهمه فى النفوس و القلوب.

و مما أكثرت عليه فى بعض محاضراتى أنّ العشره الأولى من شهر محرم الحرام أيام حداد و حزن لشهاده السبط الأصغر الحسين بن على عليهما السلام فى كربلاء على يد الأمويين، و قد خُير السبط بين السلّه و الذله، و بين القتل و البيعه ليزيد الخمور و الفجور، فأبى أن يهادن مع الظلم و الذل و استشهد مع أولاده و خيره أصحابه فى هذا السبيل. سل كربلا كم من حشى لمحمد

فإذاً بالمقال الذى كتبه الأستاذ حسين الرواشده فى صحيفه اللواء حول شهاده الحسين عليه السلام و أهدافه و أنّه يجب على الأمة أخذ الدروس و العبر من ثوره الحسين عليه السلام، و بما أنّ للمقاله قيمه تاريخيه نشرت فى بلد يقام فيها مجالس الأفراح فى شهر محرم الحرام، قمنا بنشرها لتبقى خالده فى بلادنا عبر القرون.

و قد خاطبني فى مقاله و قال:

ص: ٥٩٤

إلى سماحه الشيخ آيه الله السبحاني:

من كربلاء إلى قانا...لم نتعلم من المحنة بعد

واقع الأمة بين السله و الذله...

عاشوراء:دروس فى البيعه و الصلح و الثوره ضد القهر و الهوان.

الحسين:لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل و لا أقر إقرار العبيد

...أما الذين يتطوعون-اليوم-لتحريف الواقع و تسويغه وفق بوصله مصالحهم و أهدافهم فمطالبون بقراءه تاريخ عنوانه «كربلاء» و أميا الذين يبحثون عن لغه جديده لتضليل الشعوب باسم الراحه و السمن و العسل و تكتيك المهادنه،و يحذرونهم من عبثيه المواجهه و يدعونهم إلى شرعيه الصلح المتصل بحبال المصلحه الوطنيه التى غالباً ما تتحول فى أيدي السحره إلى حيات مخيفه...هؤلاء مدعوون لزياره الحسين بن على كرم الله وجهيهما فى مثل هذا الموسم من عاشوراء لا- لمتابعه اللطم و شق الصدور و إقامه ما تم الندم و العزاء...و لكن لفهم معادله الصراع بين الحقّ و الباطل و إدراك قضيه العداله المرتبطه بالعبوديه الخالصه لله،فعاشوراء ما زالت تتجدد فى كيانات هذه الأمة ثوره ضد الاضطهاد،يتمثلها الأجيال كفاحاً و تمرّداً ضد الواقع الحزين و تنطق بها الأرض دماً لا يهدأ،و روحاً تستأنس بالشهاده كما يستأنس الطفل بمحالب أمه لا مجرد حماس و انفعال و ثوره عاطفيه تشتعل ثم تخمد...و إنّما فكر متعلق بالله و عمل شعاره«هون ما نزل بنا،أنه بعين الله...»و إرادته مستمدته من الحسين بن على شهيد كربلاء و هو يصعد إلى السماء و دمه فى كفه مردداً«هكذا أكون حتى ألقى الله و جدى رسول الله عليه الصلاه و السلام...».

محنه الحسين بن على التى تتردد أصداؤها اليوم فى ذاكره الأمة الضاله لتعيد إليها تاريخها المستباح و توقظ فيها مشاعر الكرامه و الثوره ضد الظلم

و الطاغوت...تعلمنا كيف نمد أيدينا لنصافح أو نعاهد أو نعاقد، وكيف نسحب أيدينا حين تكون المسألة متعلقه بالعزه و الكبرياء و الانفه، و حين تحس النفس المؤمنه بأن عقد الصلح قيد لإذلالها و إذعانها لشرعيه الطاغوت يعلمنا الحسين بن على الفقير الذى تربى فى حزن جدّه المصطفى كما تربى والده على كرم الله وجهه منذ ولد فى كنف ابن عمه عليه السلام كيف نحافظ على بساط التفاوض مع الأعداء نسحبه حين يكون الإقرار إقرار العبيد، و نرفضه حين يكون استجداء كإعطاء الذليل الذى يشعر بانسحاق إرادته أمام سيده...فالعزه ليست فى المنصب و المال و لا فى «السله» التى يوهمنا بها أدياء الرفاه و الاستقرار، و لكنّها بمقدار ما يملك الإنسان من إرادته و عزمه و بمقدار ما يرتفع إليه من إيمان و شجاعه و التزام.

أين نحن اليوم من حكمه شهيد كربلاء و محتته المليئه بالدروس و المواقف؟ أنّ الذين يقرءون هذه المحنه التى واجهها الهاشميون من آل عتره المصطفى عليه السلام سيدركون-لا ريب-حجم القوه الإيمانيه التى تدفع اثنين و ثمانين رجلاً و امرأه للوقوف مع الحقّ فى وجه أكثر من اثنى عشر ألفاً من جيش يزيد بن معاويه...و تجعلهم مع محارمهم اللواتى ما هتك لهنّ ستر قط يواجهون عطشاً و حصاراً و ظلماً و جبروتاً يقع بعده الشهيد تلو الشهيد من أبناء الحسن و جعفر و آل أبى طالب أحفاد رسول الله عليه السلام دون أن يدفعهم ذلك إلى قبول «الذله» و مبايعه يزيد «بالخلافه».

درس فى البيعه-اذن-و درس فى قبول الصلح و الانسياق خلف سلال الغنيمه...فما الذى دفع الحسين إلى رفض السله مع الذله معاً؟ السر فى ذلك يلخصه رضى الله عنه فى إحدى خطبه فيقول: «...لا- و الله لا- أعطيهم بيدي إعطاء الذليل و لا أقرّ إقرار العبيد، ألا و أنّ الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين، بين

السله و الذله و هيهات منّا الذله، يابى الله لنا ذلك و رسوله و المؤمنون و حجور طابت و طهرت و انوف حميه و جباه أبيه...».

و السر فى ذلك يعرضه مره أُخرى «جون» مولى أبى ذر الغفارى حين أشار عليه الحسين بن على أن يتنحى عن المشاركه فى قتال «عاشوراء» فيجيبه جون: لا و الله... أنا فى الرخاء ألحس قصاعكم و فى الشده أخذلكم؟! و الله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم... فأذن له الحسين حتى استشهد بعد أن قتل خمسة و عشرين رجلاً.

هو-اذن-درس فى امتحان الصحابه و فرزهم عن جموع الموظفين الذين يتزاحمون ساعه الطمع و يفرون ساعه الفرع... و القائد هنا لا يكذب على أتباعه بالشعارات و لا يصفهم فى طواير بالحديد و النار ليقاتلوا دونه، و لكنّه يصارحهم بالحرية فى البيعه و الوضوح فى القصد، فالبطوله ليست بهلواناً و المعركه ليست قتالاً مجرداً من العقيد و الرساله و الإراده.

و هو درس للذين يتسابقون بدافع القوه من قوه الآخر و هيمنته و جيروته للسجود بين يديه، و الاضمحلال فيه لخدمه مصالحه، و استناد إلى الواقع بمنطقه المعكوس لتبرير هذا الانجرار، هؤلاء لم يسمعوا «حنظله الشبامى» [كذا] و هو ينادى على الحسين: «صدقت يا ابن رسول الله أفلا نروح إلى الآخره...»، و لم يصغوا للشيخ الطاعن فى السن «أنس الكاهلى» الذى رأى النبى و سمع حديثه و شهد معه بدرأ و حيناً و قد برز رافعاً حاجبيه بالعصابه و مقاتلاً دون الحسين حتى استشهد.

لم تكن قله العدد-اذن-معياراً للهزيمة أو الانكسار، و لم يكن الانكسار مؤشراً لاندحار الحقّ و غلبه الباطل... و لم تكن الهزيمة و الغلبه مدعاه للرضوخ و الاستسلام، و ما كان الصادقون-آنذاك-قصرأ عن تبرير الواقع و تسويغه

ليناسب حجم المحاذير و الرغائب كان «الحسين بن علي» وقد أقفل عائداً من مكة إلى كربلاء بعد أن قطع الحج و ترك الذين ينتظرون خطبته على عرفه... كان يدرك و هو يصارح من انسحب خلفه من القوم أنّ كثيراً منهم لا يريد سوى الدنيا و كان صادقاً معهم و هو يقول عشيه السفر: «ألا و من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فأني لا أرى الموت إلّا سعادة و الحياه مع الظالمين إلّا برماً...» و قد انسحب عنه الكثيرون بعد أن أدركوا حقيقه ما قاله الفرزدق «قلوبهم معك و سيوفهم عليك» و بقي القله من الذين كان حاديهم يقول: «لوددت أنّي قتلت و أحرقت ثمّ أحييت يفعل بي ذلك سبعين مرّه ما توانيت عنك».

درس في ترسيم العلاقه مع الله... العلاقه الدائمه غير الرسميه أو الموسميه مع أوامر الخالق... العلاقه التي لا تقتصر على طقوس الصلاه و الصيام فحسب بل تتعداها إلى كلّ ما يدور في حياه المسلم و ما يتعلق بواقعه داخل المسجد و خارجه و هو درس غائب عن هذه الجماهير التي استهلكتها الحياه الماديه بشهواتها و عوارضها... درس ينذر اليوم أن يتجسد في «نموذج» يقارب و لو من بعيد نموذج الحسين و صحابته الذين ماتوا دفاعاً عن حقّهم في الكرامه و الشهاده.

ما أحوج الأمه اليوم، و هي تضع رقبتها على حدّ المقصله، و تدافع عن كرامتها بمزيد من التبعيه و الاستسلام، و تتسرب من خلايا أعدائها و عيونهم لتختق شعوبها... ما أحوجها إلى وقفه مع «عاشوراء» و ما تجسد من فكر في التضحيه و الالتزام بالحقّ و مواجهه الباطل و جنوده... و الاستعلاء على و سخ الواقع و طين الوعود و الخوف على شهواته الزائله... فمن قال إنّ مصلحه الأمه في الراحة و الذله و من قال إنّ مصلحه الوطن في حسن التعامل مع الواقع المهين بمفرداته

و آلياته و شروطه التي يملئها القوى على الضعيف... أ لم يمتحن رسول الله صحابته حين أرسل بعضاً منهم إلى قلعه ضخمة بلوغها، و حين عادوا مقرين بضعفهم و جنبهم قال لهم محمد عليه السلام: «لأعطين الرايه غداً رجلاً يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كزار غير فزار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه...».

فأول شروط نبذ الضعف و الجبن الذي يسوغه البعض تكتيكا و خروجاً من مأزق الواقع هو محبه الله و رسوله... و لكن أين الذين يحبهم الله و أين الذين يحبونه و رسوله في عالمنا هذا المهزوم؟ و أين الذين قال فيهم على بن أبي طالب «من أحد سنان الغضب لله قوى على قتل أشداء الباطل»....

إن الذين نخشاهم اليوم يحدون سيوفهم للقضاء على شعوبهم، و يغضبون إذا غضبت امريكا أو إذا زمجرت إسرائيل... الذين نخافهم ممن يعطون أنفسهم مراسيم القوميه و الخوف على مستقبل الأمة يحرسون ثغور و مصالح غيرهم، فأين منا الحسين و أين كربلاء التي تجسد في أعماقنا أكبر ثوره إنسانيه ضد الخنوع و القهر لآله الاستبداد و استيطان الإراده و الانحناء لغير الله عز و جل....

كيف يمكن لهذه الأمة أن تعيد مرّه أخرى «عاشورا» إلى منصتها الخالده، لتنفض عنها غبار «الذله» و تمسح دماء أطفال «قانا» التي لم تجف بعد... كيف يمكن أن يقف الشعب خلف قيادته و أن يعلن رجل يصارع الموت كما أعلن «مسلم بن عوسجه» في حضره «الحسين بن علي» و وصيته لصديقه... و ما هي وصيته؟ يقول حبيب بن مظاهر:

«لما صرع مسلم بن عوسجه مشى إليه الإمام الحسين و كنت معه، و جلسنا عنده و هو يحتضر قلت له: و الله لو لا ان أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي فإنّ الصديق يوصي صديقه لحظه الاحتضار، يوصيه بأهله و عياله و لكن مشكلتي أنّي سأموت من بعدك و سأسير في نفس الطريق... فقال له مسلم: لي وصيه تستطيع

أن تنفذها الآن...؟ قلت: وما هي وصيتك؟ قال: أوصك بهذا- وأشار بيده للإمام الحسين بن علي-جاهد دونه حتى تموت.

و ما دام هنالك قضيه عادله، و حق يقابل باطلاً ليدحضه، فالموت ليس مهماً و الدم أقرب اللحظات التي توصل الأرض بالسماء أ لم تسمع ما ذا قال «علي الأكبر» ابن الإمام الحسين و هو يرى أنفاس والده تعانق السماء و قد ظل يكرر «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» :يا أبتاه لم تسترجع؟ فأجابه:يا بنى عنى لى فارس و أنا فى المنام يقول:القوم يسيرون و المنايا تسير خلفهم، فعلمت ان نفوسنا نعت إلينا، قال على:يا أبتاه ألسنا مع الحق؟ قال الحسين:بلى و الذى نفسى بيده.قال على:لا نبالى يا أبتاه-إذن-أن نموت محقين.

و لكن كيف يمكن لأطفالنا أن يتساءلوا عن قضيتنا؟ و كيف يمكن لنا-نحن النساء-أن نجيبهم، لقد علم الحسين ولده درس نعلم أبناءنا درس التضحيه و نحن نسبل رموشنا لاستقبال خيرات العهد الشرق أوسطى الجديد؟

كيف يمكننا أن نقنع أجيالنا بأن الذى ندافع عنه هو الحق...الذى يجب أن يدافعوا عنه و يصونونه أى حق هذا الذى استعدناه و أى تضحيه تلك التى قطفنا ثمارها بعد سيل الهزائم و الانكسارات....

يا الله...

ما ذا يحدث لهذه الأمه التى تحولت إلى قطيع تائه...ما ذا يحدث لهذه الأجيال التى مسخت تاريخها...ما ذا يحدث و قد غابت المرجعيات و تحول معظم العلماء إلى سدنه فى بلاط السلطه، و عبيد فى أقبية السلاطين و قد فقدت الحركات مبررات وجودها، و استمرت اللعبه، فاشتغلت فى شئون الحيض و تنظيف الفرج و اللسان بدعوى السماحه و النظافه و الاعتدال و انتظار فرج السماء.

ص: ٦٠٠

يا الله...

إذا كان القوم قد تركوا حفيد رسولك «الحسين بن علي» وحيداً أعزل إلّا من الإرادة والإيمان واثنين وثمانين رجلاً وامرأه... وشهدوا على دمه الطيب-بعد أن منعوه وحصانه الماء- وهو يصعد في كفه السماء... فمن يستطيع في زماننا أن يحمل رايه حملها الحسين... ومن يتبقى معه من أمّه نخر عصبها الفساد والتعب والضلال.

أمّيا نحن فلا- نملك إلّا أن نقرأ «كربلاء» وأن نتوقف بقلوب أدمنت الحزن و مراره «المحنة» على معنى المكابده من أجل رضى الله، و معنى التضحية بكلّ شيء من أجل الحقّ... و معنى الإيمان الخالص بالقضيه العادله و الدفاع عنها مهما غلا الثمن.

نقرأ عاشوراء... مره تلو مره... لنحدد أهدافنا و نوضحها و نميز بين الصحابه و الموظفين، بين المؤمنين بدينهم و أوطانهم و المندسين طمعاً فى الغانم، بين المرتبطين عقلاً و روحاً بالإسلام و بين المرتبطين عاطفياً و موسمياً به عبر الفاكسات و البيانات.

و نعيد إلى ذاكرتنا محنه «الحسين» و أصحابه، فالحسين ليس ملكاً لفرقه دون فرقه، و عاشوراء ليست مناسبة دينيه لمذهب دون آخر.... الحسين هو معلّمنا جميعاً و عاشوراء و كربلاء مناسبتان عابقتان بالدم و التضحية فى تاريخنا السياسى الإسلامى و هما فى قاموسنا ثوره ضد الطغاه، ضد الإذلال، ضد التطبيع و المصالحه و المصافحه ضد الاستهتار بحقّ الأمّه، ضد تسويغ الواقع و تبرير السقوط فى دهاليزه المظلمه... ضدّ كلّ خطط الاذلال التى تحاك هنا و هناك للقضاء على روح الجهاد فى هذه الأمّه... عاشوراء لنا جميعاً بلا استثناء لفقرائنا و ساستنا، لحر كاتنا التائهه و لإنساننا الذى أدمن اليأس و الصمت و الانتظار، عاشوراء لغه

ص: ٦٠١

الواقع التي تؤسس لصياغه المستقبل و هي لفته الحريه فى تاريخنا الملى بالقهر و الاستبداد... تظل تعيد فى أذهاننا ما قاله الحسين رضى الله عنه «و الله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل و لا أقرّ إقرار العبيد».

ترى...هل تستطيع هذه الأمة المسكينه التى تتبع برمىل نفظها بما يعادل ثمن حبه برتقال-كما اعترف بذلك وزير النفط العماني - التى تشتغل اليوم بكل طواقمها فى الانتخابات الصهيونية و تسير خلف أوهام السلام الذى يبشر به سفاح قانا...أن نقرأ دروس عاشوراء،و أن نتعلم من دروس الحسين فى كربلاء...أم أننى أنفخ فى قربه مخزوقه....

يا الله...ما ذا يملك المظلومون العاصون غير الدعاء إليك و اللوذ ببابك...فاعف عنّا يا أرحم الراحمين.

اشاره

كانت لرحلتي إلى الأردن عام ١٤١٨ نتائج بناءً في تقريب الخطى و تبيين عقائد الشيعة من خلال المحاضرات التي القيتها في الجامعات الإسلاميه، ومما عطفتم النظر عليه هي مسأله التقيه، وإنها ليست أصلاً شيعياً محضاً بل هي أصل قرآني نطق بها الصادع بالحقّ و أوضحتها المفسرون بكلماتهم.

ثمّ إنني لما قفتم راجعاً إلى إيران وقفتم على مقالته بقلم أحد أساتذته جامعته مؤتمه نشرتها صحيفه اللواء الأردنيه في عددها الصادر ١٢١١ المؤرخه ٩٤/٧/٢٤ و قد استرعى انتباهي ما في آخر المقال من جمله ربما تتخذ ذريعه لتحريف الحقيقه فعزمت على كتابه رساله إلى رئيس التحرير و بينت فيها موقف المسلمين بالنسبه إلى ما تحتويه تلك الجملة.

و لما كان المقال وثيقه علميه اصحر الحق بها ذلك الكاتب، آليت أن أنشره مع ما ذيلته به، وإليك المقال.

الضرورات تبيح المحذورات و المشقه تجلب التيسير

الحمد لله رب العالمين ملء السماوات و الأرض و ما بينهما و الصلاه و

ص:٤٠٣

السلام على محمد النبي الخاتم و على آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً...و بعد.

فى بواكير ثقافتى و اطلاقى كنت أسمع الكثير من المفتريات و المبالغات التى كانت تدور حول الشيعة و حول التشيع خاصه ما يؤمنون من افكار و معتقدات كنت أصدق كل ما يقال و ذلك لقله اطلاقى.

فقد كنت أسمع عن مبدأ التقيه عند الشيعة و كأن هذا المبدأ ليس له أصل فى الشرع الإسلامى إلا أنه مجرد فكر اختلقه علماء الشيعة و لكن الحقائق بعد الاطلاع ظهرت جليه و «جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً» .

و الآن ما هى التقيه و ما هى أحكامها و أدلتها الشرعيه ؟

التقيه:الاطهار باللسان خلاف ما ينطوى عليه القلب للخوف على النفس و هى عكس مفهوم النفاق.

فى التقيه يتم اظهار الكفر و ابطان الإيمان.أما فى النفاق فيتم إبطان الكفر و إظهار الإيمان.

و التقيه رخصه شرعيه كأكل الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما أهل لغير الله به لأن الله عز و جل يقول: «و ما جعل عليكم فى الدين من حرجٍ مله أبيكم إبراهيم هو سماءكم المسلمين» .

أما النفاق:«فهو أشد الكفر لأنه أشد خطوره و المنافقون فى الدرك الأسفل من النار».

الأدله على جواز الأخذ بمبدأ التقيه:

إن الأصل فى الإسلام هو:عدم موالات الكافرين و اليهود و النصارى و الصدع بما أمر الله و عدم خشيه أحد فى الحق إلا الله.

فالمؤمنون هم الذين «يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (المائدة ٥٤).

و لكن الضرورات تبيح المحذورات و المشقه تجلب التيسير.

قال تعالى: «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» .

أى من اضطر للوقوع فى المحرّم على أن لا يطلبه لذاته و لا يتعدى على أصل تحريمه فإنّ الإثم عنه مرفوع.

و نحن نعلم أنّ الله قد نهانا عن موالاه الكافرين و موَدّتهم فى الأصل الحكمى و لكن هناك حالات يجوز لنا فيها موالاهم فيها فما هى لتعرف عليها من خلال الآيه القرآنيه الكريمه التاليه:

قال تعالى: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» (آل عمران ٢٧).

مفهوم الآيه: نهى و تحذير من الواحد الأحد عزّ و جلّ من موالاه و موده الكافرين ؟ و من يفعل ذلك فهو فى غايه البعد عن الله.

و لكن فى حاله خوفكم من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه فهنا الموالاه جائزه كرخصه لا كأصل.

و قال تعالى: «وَ قَالَ رَبُّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَ أَنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» (غافر ٢٨).

من خلال الآيه السابقه نلاحظ ما يلى:

انّ الرجل من آل فرعون و قوم فرعون فاسقون و الرجل مؤمن و كان هذا

الرجل يكتّم إيمانه أى يخفيه يظهر الكفر و يبطن الإيمان و السبب فى ذلك: خوفاً من فرعون و جنوده لأنّ فرعون طغى و فى الأرض علا.

و لكن ما هى المنفعة التى جلبها و حقّقها مؤمن آل فرعون بكتّمه إيمانه:

صيانته نفسه و حمايتها و تقديم النصّح بعدم قتل موسى بناء على أنّه كافر ليس مؤمن و ليس له عند موسى أى منفعة.

فهنا تمّ تحقيق تكون فى حال التمكنّ فى الأرض و فى حال ضعف المسلمين و تكون فى الحرب لأنّ (الحرب خدعه) و هى جائزه لصون النفس من الضرر لأنّ دفع الضرر عن النفس واجب قدر الإمكان حتى فى ساحه القتال. قال تعالى: «تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» و قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا».

أحكام التقيّه

١. تكون بالجرى على اللسان مع الاطمئنان فى القلب بالإيمان.

٢. لو أنّه أفصح بالإيمان و الخوف حيث تجوز له التقيّه كان ذلك أفضل و ذلك بناء على قاعده «وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ».

٣. تكون التقيّه إذا كان الرجل فى قوم كفّار و يخاف منهم على نفسه و ماله فيداريهم بلسانه و نحن نعرف أنّ الدعوه السريه للإسلام استمرت ثلاث سنين قبل أن يصدع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالدعوه.

و من ذلك الذى يعيش مثلاً فى «اسرائيل» وسيط اليهود أو فى روسيا وسط الشيوعيين أو فى دوله أوروبيه تعادى الإسلام.

٤.إنما تجوز فيما يتعلّق بإظهار الموالاه و الدين فأماً ما يرجع ضرره على الغير كالقتل و الزنا و غضب الأموال و شهاده الزور و قذف المحصنات و اطلاع الكفّار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتّه لأنّه «لا ضرر و لا ضرار».

٥.و كما أنّ التقيّه جائزه لصون النفس فكذلك هى جائزه لصون المال.قال صلى الله عليه و آله و سلم«حرمه مال المسلم كحرمه دمه»و لقوله:من قتل دون ماله فهو شهيد»و لأنّ الحاجه إلى المال شديده.

حيث إنّّه من المعروف أنّ الماء إذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء و جاز الاقتصار على التيمم دفعاً لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هاهنا.

٦.إنّ التقيّه يؤخذ بها فى أىّ وقت إلى يوم القيامة فهى رخصه تطبق عند وجود السبب و الضروره و لا تقتصر على حال و وقت معيّن .

٧.إنّ التقيّه واجبه كضرب من اللطف و الاستصلاح فمن خاف الكفّار فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه فقد روى البخارى عن أبى الدرداء أنّه قال:إنّا لنكشر فى وجوه قوم و قلوبنا تلعنهم.و قال ابن عباس:ليس التقيّه بالعمل إنّما التقيّه باللسان.و كذا قال أبو العالیه و أبو الشقاء و الضحّاك و الربيع بن أنس و يؤيد ما قالوه قول الله تعالى: «مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ».

و كلنا يعرف قصه آل ياسر و تعذيب قريش لهم فقد نطق ياسر بكلمه الكفر بلسانه من شدّه العذاب و لكن بقى قلبه مطمئناً بالإيمان .

روى الحسن أنّ مسيلمه الكذاب أخذ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

«حضره الأستاذ حسن التل» رئيس تحرير صحيفه اللواء الأردنيه،الموقر

أتقدم لكم بالتحية الخاصه متمنياً دوام التوفيق.

أما بعد:فقد قرأنا في العدد ١٢١١ و المؤرخ في ٩٦/٧/٢٤ مقالاً قيماً حول التقيه بعنوان:التقيه رخصه شرعيه بقلم الأستاذ الفاضل أسامه عبد الكريم الكساسبه من قسم الدراسات الإسلاميه بجامعة مؤته.

و نحن إذ نقدّر منكم و من الأستاذ الكاتب لذلك المقال،هذه الخطوه الهادفه إلى التقريب بين المذاهب نسال الله سبحانه أن ينصر المسلمين و يعيد إليهم عزّتهم و كرامتهم على أيدي المخلصين من أبناء امتنا الإسلاميه.

إنّ المقال المذكور تضمّن -و لله الحمد- أدلّه مشرقه أثبت أنّ للتقيه أصولاً- و جذوراً في القرآن الكريم و السنّه المطهره و التاريخ الإسلامى،فهو بحق مقال علمى كشف القناع عن وجه التقيه و بيّن الفرق بينها و بين النفاق بوجه واضح.

بيد أنه جاء في آخر مقاله عباره مجله هي:«و إذا كان البعض قد أساء فهم مدلول التقيه فإنّ الخطأ لم يكمن في القاعده أو الحكم إنّما الخطأ يكمن في الخطأ في العمل و التطبيق».

فإذا كان مقصود الكاتب من هذه العباره- كما فهمنا أو احتملنا-هو

اختصاص أدله مشروعته التقيّه باتقاء المسلم من الكافر، فلا يشمل اتقاء المسلم من المسلم فهو غير صحيح، لأن الغرض من تشريع التقيّه عند الابتلاء بالكفار ليس إلّا صيانته النفس و المال من الشرّ و الضرر، فإذا ابتلى المسلم بمسلم ظالم صادر حرّيته، و منعه من إظهار عقيدته من دون خوف بحيث لو أظهر عقيدته نكلّ به و استباح دمه و ماله، حكم العقل و النقل هنا بصيانته النفس و المال بواسطه التقيّه، و عدم إظهار المعتقد، و مماشاه من يهدّد حياته أو ماله، و حينئذ لا يكون اللوم متوجّهاً إلى المسلم المقهور بل إلى الآخر الذى صادَرَ حرّيته، و قهره منعه من اظهار معتقده.

و قد صرح بهذا (أى مشروعته التقيّه حتّى عند المسلم) طائفه من أعلام المسلمين، نشير إلى عبارات بعضهم فى هذا المجال:

١. يقول الإمام الرازى فى تفسير قوله سبحانه: «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» ظاهر الآيه يدل على أنّ التقيّه إنّما تحلّ مع الكفار الغالبيين إلّا أنّ مذهب الشافعى أنّ الحاله بين المسلمين، و قال: التقيّه جائزه لصون النفس، و هل هى جائزه لصون المال؟ يحتمل أن يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه و آله و سلم «حرمه مال المسلم كحرمه دمه» و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من قُتِل دون ماله فهو شهيد». (مفاتيح الغيب: ١٣/٨).

٢. نقل جمال القاسمى عن الإمام المرتضى اليمانى فى كتابه «إيثار الحقّ على الحق» ما نصّه: «و زاد الحقّ غموضاً و خفاءً أمران:

أحدهما: خوف التقيّه عند ذلك بنصّ القرآن و إجماع أهل الإسلام، و ما زال الخوف مانعاً من إظهار الحقّ، و لا برح المحقّ عدوّاً لأكثر الخلق و قد صحّ عن أبى هريره أنّه قال فى

ذلك العصر الأوّل: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين أما أحدهما فبثته في الناس و أما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم.

(محاسن التأويل: ٨٢/٤).

٣. قال المراغى في تفسير قوله سبحانه: «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»: ويدخل في التقيه مداراه الكفر والظلمه والفسقه، وإلانه الكلام لهم، والتبسم في وجوههم و بذل المال لهم لكف أذاهم و صيانه العرض منهم، ولا يُعدّ هذا من الموالاه المنهى عنها، بل هو مشروع، فقد أخرج الطبرانى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما وقى المؤمن به عرضه فهو صدقه». (تفسير المراغى: ٣/ ١٣٦).

و هكذا يذهب اعلام من المسلمين إلى مشروعيه اتقاء المسلم من المسلم إذا خاف على نفسه و حتى ماله من الهلاك و الضياع، و لا إثم على المسلم إذا اتقى أخاه المسلم و عامله بالتقيه و أخفى عنه معتقده إذا لم يسمح له أخوه المسلم بأن يظهر عقيدته بدافع العصبية و الطائفية.

فالذى ينبغى أن يسعى إليه المسلمون و بخاصه المهتمون بشئونهم هو فتح آفاق الحوار البناء، و السماح للجميع بإظهار عقائدهم، بعيداً عن الإرهاب و الإرعاب، و التكفير و التفسيق لتعود الأمة الإسلامية قوه متراصه الصفوف، متكاتفه حتى مع الاختلاف فى الاجتهادات، و الآراء.

و على كل حال نعود لثمن جهدكم و جهد الكاتب الفاضل هذا.

وفقكم الله و أخذ بأيديكم لما فيه صالح المسلمين.

جعفر السبحانى

قم-الجامعه الإسلاميه

١٤١٧/٤/٢٠ هـ

ص: ٦١١

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع :: www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

